منبر الإسلام

العدد ٣ السنة ٢٢ - ربيع الاول ١٣٨٤ - ١٠ يوليو ١٩٦٤

الثمن ٥ قروش

عدد ممتاز

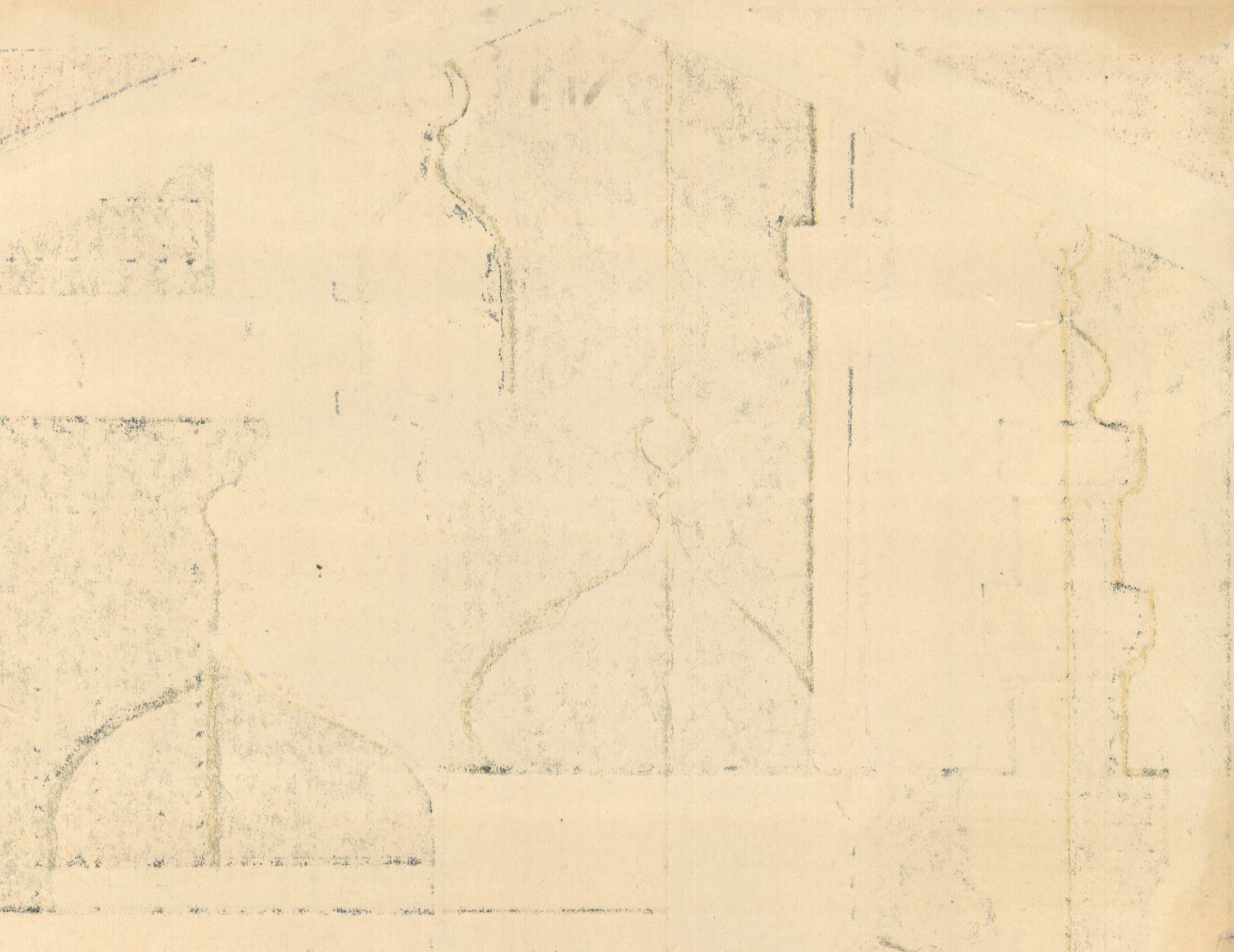

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير : محمد توفيق عويضة

العدد ٣ السنة ٢٢

ربيع الأول ١٣٨٤

١٠ يوليو ١٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- معالم الطريق
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- تفسير سورة البقرة ـ خطأ وقع فيه كثير من المسلمين ـ فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- باب السنة ـ فضيلة الشيخ محيى الدين عبدالحميد
- سل نفسك ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- من حضارة الاسلام ـ الشعر الدينى ـ الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل
- باب الفقه الاسلامى ـ الدكتور محمد سعاد جلال
- ملامح النصر فى جبين الثورة ـ فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
- شوقى والشباب العربى ـ الدكتور احمد الحوفى
- خواطر مستشار ـ المستشار على على منصور
- حق الدوام فى الملكية الفردية ـ الدكتور على عبد الواحد وافى
- الجذور الاسلامية فى الميثاق ـ الاستاذ البهى الخولى
- الجسم والنفس ـ الدكتور احمد فؤاد الاهوانى
- دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام ـ الاستاذ حسنى عبد المجيد

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الأخرى

*

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

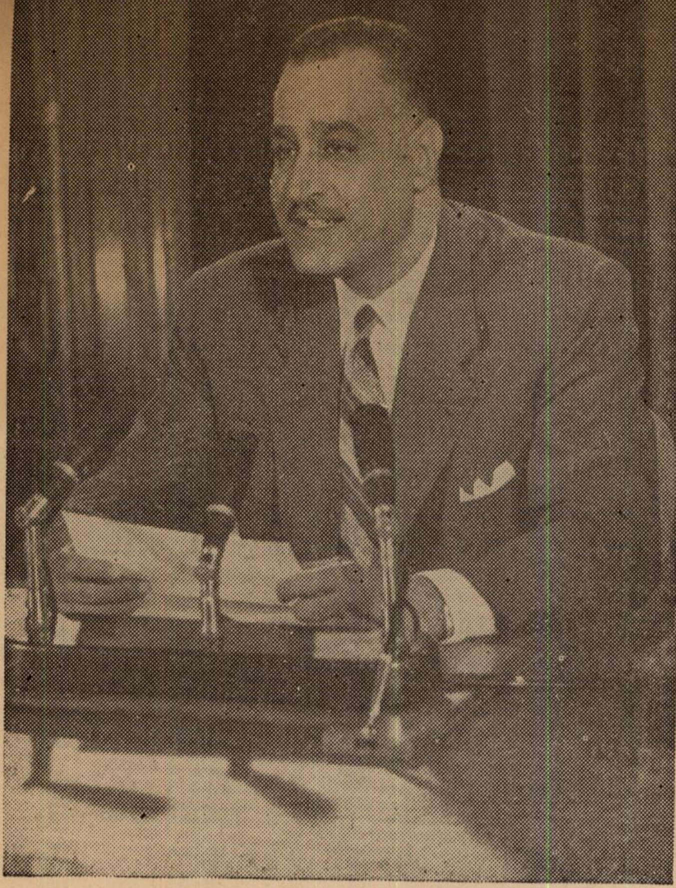

معالم الطريق .....

خطاب الرئيس فى الاحتفال بتكريم القوات المسلحة

بمناسبة عيد الشرف ..

تحدث جمال عبد الناصر فى الاحتفال بتكريم القوات المسلحة عن دور القوات المسلحة منذ ثورة ٢٣ يوليو حتى اليوم .. فقد كانت القوات المسلحة فى حالة استعداد دائم لحماية مكاسب الشعب العربى . وكانت دائما على استعداد للتضحية والفداء .

واستعرض الرئيس دور القوات المسلحة فى كل المعارك التى خاضها الشعب العربى.. معركة الجلاء ثم معركة السويس عقب تأميم القناة والتصدى للعدوان الثلاثى .. ثم المعركة التى خاضتها قواتنا بشجاعة نادرة على أرض اليمن .

وأعلن جمال عبد الناصر أن حرب الأعصاب التى تشنها علينا لندن وواشنطن لن تخيفنا وسنمضى فى تسليح قواتنا بأحدث الاسلحة حتى تتمكن من تحمل مسئولياتها فى الجمهورية العربية ، الدولة التى تنمو كل يوم وتزيد قدرتها كل يوم .

وقد أقيم الاحتفال على أرض الكلية الحربية حيث قام الرئيس بمنح وسام الجمهورية العسكرى للوحدات التى قامت بأعمال مجيدة فى معركة اليمن . ثم وزع الرئيس النياشين والأنواط على أسماء شهداء القوات المسلحة . وبعد ذلك سلم الرئيس

الاوسمة للضباط وضباط الصف الذين قاموا بأعمال بطولية فى معارك اليمن .

وتلا ذلك عرض للوحدات فى الاحتفال ثم ألقى الرئيس خطابه .

خطاب الرئيس

يارجال القوات المسلحة

ونحن نحتفل اليوم .. بتكريم قواتنا المسلحة .. التى حاربت بشرف وبشجاعة من أجل نصرة شعب اليمن الحر .. ونحن نحتفل بهذا التكريم . نحمد الله الذى نصرنا .. والذى ساعدنا على أن نؤدى واجبنا بشرف وأمانة وصدق .

ان أكبر كسب للانسان .. وأكبر سعادة للانسان . هو أن يشعر أنه استطاع أن يؤدى واجبه بالشرف والامانة والصدق .. من أجل المبادىء ومن أجل المثل العليا .. ومن أجل الشرف ومن أجل الوطن .

ومنذ ثمانية أعوام استطعنا أن نتخلص من الاحتلال .. وأن نتخلص من الاستعمار .

فكانت القوات المسلحة التى خرجت يوم ٢٣ يوليو سنة ٥٢ طليعة للعمل من أجل الاستقلال ومن أجل الحرية .. ومن أجل بناء الوطن الحر .. كانت القوات المسلحة دائما على أهبة الاستعداد من ٢٣ يوليو سنة ٥٢ .. لغاية ١٨ يونيو سنة ٥٦ .. كانت القوات المسلحة .. دائما تحت الطلب .. وفى حالة استعداد وفى حالة طوارىء .. فكان هذا من أجل أن ترى اليوم الذى تتحرر فيه مصر .. ويخفق فى سمائها العلم المصرى وحده فأراد الله لنا أن ننتصر .. للشعب والجيش فجلت القوات البريطانية عن البلاد يوم ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ .. بعد احتلال دام أكثر من ٧٠ عاما .. فكانت صلابة القوات المسلحة وتصميمها على أن تكون فى خدمة الشعب وأهداف الشعب .. كان هذا هو العامل الاساسى الذى ساعد على تحقيق الجلاء ..

الشعب هو الجيش الكبير

حينما شعر الشعب أن قواته المسلحة انما تعمل لأهدافه .. لأهداف حفنة من الناس .. ولا أهداف ملكية .. ولا غير أهداف الشعب .. شعر الشعب أنه من القوة بحيث يستطيع أن يكون هو الجيش الكبير الذى يتصدى للاستعمار والاحتلال .. فلم تخرج بريطانيا من مصر متطوعة أبدا .. ولكن بريطانيا خرجت من مصر بعد أن شعرت وأيقنت أن بقاءها فى منطقة القناة لم يخدم أهدافها ولا استراتيجيتها وانما ستكون القوات البريطانية فى هذه المنطقة قادرة فقط على الدفاع عن جهدها أو منشغلة فى الدفاع عن وجودها ولم تستطع أن تقوم بتحقيق أى هدف آخر .

حرب العصابات

وكان هذا نتيجة حرب العصابات .. التى شنت فى منطقة القنال ضد قوات الاحتلال البريطانية التى كانت ترفض الجلاء وكانت تنتظر أن ينقسم الشعب .. كانت تنتظر الفرصة التى تمكنها من أن يعيد ما كان يعمله فى الماضى حتى تبقى وتبقى كما بقيت أكثر من سبعين عاما .. ولكن الله أراد لهذا الشعب أن ينتصر .. وهذا الشعب صمم أيضا على أن ينتصر .. واتحد بقواته المسلحة وراء الأهداف الكبرى التى أعلنتها الثورة .. وكان أول هدف من هذه الاهداف .. هى أن نقضى على الاستعمار وكان يوم ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ هو اليوم الذى تحررت فيه البلاد وتحررت فيه سماء البلاد من أى علم أجنبى .. وبقى فى سمائنا العلم الوطنى .. العلم المصرى فقط لأول مرة منذ أكثر من ٧٠ عاما .

ولقد تحملت القوات المسلحة صدمات متوالية بعد ذلك .. ولكنها صمدت وصمد معها الشعب الذى آمن بانها له وفى خدمته وتعمل فقط من أجل أهدافه .. من أجل أهداف الشعب ..

استطعنا أن نهزم العدوان الثلاثى

فكان الغزو .. وكان العدوان الثلاثى فى سنة ١٩٥٦ .. أكتوبر سنة ١٩٥٦ وتعرضنا لعدوان بريطانى فرنسى اسرائيلى .. ولكن هذا لم يرهبنا، بل أعلناها بأننا سنقاتل لآخر قطرة من دمنا .. وأعلن الجيش كما أعلن الشعب أن الجميع سيقاتلون من أجل حرية وطنهم ومن أجل شرفهم .. من أجل الحرية التى عملوا من أجلها .. فنصرنا الله واستطعنا نحن الدولة التى كانت قد تحررت لمدة ثلاثة أشهر .. أن نهزم العدوان الثلاثى .. نهزم

الانجليز .. ونهزم فرنسا .. ونهزم اسرائيل ثم نحرر البلاد مرة أخرى .. فتجلوا جيوش الاحتلال .. فجلت جيوش العدوان يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ .

القوات المسلحة تحمى الانتصارات

وكنا نشعر أن الاستعمار .. يتربص بنا .. بالحرب النفسية .. بالحرب الاقتصادية .. بكل ما يتوفر له من وسائل حتى يعود لمصر مرة أخرى تحت سيطرته ..

كنا نعلم ماذا أصاب الاستعمار بعد أن أممت قناة السويس .. وكلنا يعلم ماذا أصاب الاستعمار بعد أن الغيت اتفاقية قاعدة السويس فى أول يناير سنة ١٩٥٧ .. وكلنا يعلم ماذا أصاب الاستعمار حينما أممت مصالحه وممتلكاته فى مصر لصالح الشعب ..

كل هذه كانت انتصارات .. كل هذه كانت تدفعنا دائما أن نعتمد على القوات المسلحة لتحمى هذه البلاد من أى عدوان خارجى .. من مؤامرات الاستعمار .. من حقد الاستعمار

وكنا نشعر .. اننا حين نبنى الوطن نبنى فيه المنشآت .. ونبنى فيه المصانع والمستشفيات .. ونعمل على التنمية بكل الوسائل .. لابد أن يكون هناك من يسهر على حماية كل هذه المنجزات .. وكل هذه الاعمال .. فكانت القوات المسلحة كلها دائما وباستمرار فى حالة طوارىء ..

اما تحسبا لغدر اسرائيل .. قلعة الاستعمار .. ورأس جسر الاستعمار .. واما استعدادا لمواجهة أى مؤامرة من مؤامرات الاستعمار .. ونصرنا الله .

حققنا الأهداف الستة

واستطعنا أن نحقق الاهداف الستة التى أعلناها فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، تخلصنا من الاستعمار .. وتخلصنا من أعوان الاستعمار .. واتحد الوطن .. واتحد الشعب وسرنا من أجل تحقيق باقى الاهداف وحققنا باقى الأهداف .. قضينا على الاقطاع وقضينا على الاحتكار وسيطرة رأس المال وحكم الطبقة الواحدة .. وعملنا على اقامة عدالة اجتماعية .. واقامة عدالة اجتماعية أمر مستمر وأمر مستديم ..

ثم عملنا على بناء الجيش الوطنى القوى ولم يبخل الشعب أبدا فى أن يعطى القوات المسلحة كل ما تطلبه . لتكون على مستوى من القوة وحتى تتصدى لاعداء الوطن ولاعداء القومية العربية .

ثم عملنا على اقامة حياة ديمقراطية سليمة

ولم يكن هذا كله الا مقدمة للعمل الكبير الذى يستهدف مضاعفة الدخل فى البلاد كل عشر سنوات أو أقل حتى نستطيع أن نحرر العامل ونحرر الفلاح ، وحتى نستطيع أن نقضى على الفقر .. وحتى نستطيع أن نوفر الحياة السعيدة لكل فرد من أبناء هذا الوطن

قامت القوات المسلحة بدور كبير من أجل تحقيق كل هذه الاهداف .. والشعب جميعه يشعر بالعرفان لقواته المسلحة التى ضحت وسهرت وكانت دائما على استعداد للتضحية وللفداء .. الشعب يعلم أن القوات المسلحة كانت دائما على استعداد للفداء .. كانت دائما فى حالة طوارىء لاننا منذ قامت الثورة لم نتهاون مع الاستعمار أو لم يهادنا الاستعمار ولم تهادنا اسرائيل .

ثم قامت الثورة فى اليمن .. وتصدت لها الرجعية ، وتصدى لها الاستعمار ، ولم تتردد هذه الجمهورية .. الجمهورية العربية المتحدة فى أن تدعم الثورة فى اليمن .. وان تدعيم الثورة فى اليمن انما هو تحرير للشعب اليمنى .. وتحرير للفرد اليمنى من سيطرة الرجعية وسيطرة الاستعمار .

وأى تحرير لليمن من الرجعية ومن الاستعمار .. هو تحرير للامة العربية وهو قوة للامة العربية ..

ولم تتردد القوات المسلحة فى أن تلبى النداء .. سارت قواتنا المسلحة فى ظروف صعبة .. كلنا نعرفها .. وقامت مؤامرات صعبة .. كلنا نعرفها .. وقامت مؤامرة الرجعية ومؤامرات الاستعمار منذ الايام الاولى للثورة .. وكان كل فرد من قواتنا المسلحة على استعداد أن يضحى بنفسه فى سبيل المثل العليا .. وكل فرد من قواتنا المسلحة يعلم أن الجندى مرتبط بتاريخ وطنه .. وبحياة وطنه .. الجندى لا يموت اذا استشهد فى ميدان القتال .. وانما يبقى دائما

والى الأبد جزء من تاريخ بلده .. وجزء من شرف وطنه .

سارت قواتنا المسلحة .. وضربت فى روابى اليمن وفى جبال اليمن أروع الصفحات فى التضحية والفداء .. أروع صفحات الشجاعة والتصميم على النصر .. واستطاعت أن تحقق النصر .. واستطاعت متعاونة مع ثورة اليمن .. ومع اليمنيين الاحرار أن تعمل على جبهات متعددة .

وفى يوم من الايام كنا نعمل على أكثر من ست جبهات فى اليمن من الشمال والجنوب والشرق .. ولكن الله أيضا الذى نصرنا دائما فى الماضى .. لاننا كنا ننصر الحق .. نصرنا أيضا فى هذه المعركة .. نصرنا .. وتحررت اليمن من الرجعية ومن الاستعمار .

معارك فى الجزء الشمالى العربى

وأصبحت اليمن .. جمهورية اليمن .. قادرة على أن تدافع عن نفسها بنفسها .. وأستطيع أن أقول .. انه فى هذه الأيام تجرى معارك عنيفة فى اليمن فى الجزء الشمالى الغربى من اليمن فى مناطق واسعة .. هذه المناطق الجبلية التى لم تذهب اليها قواتنا المسلحة فى الماضى .. وان الطرق لم تكن متوفرة .. واليوم بعد ان كانت هذه المنطقة هى منطقة عبور لاعوان الرجعية وأعوان الاستعمار .. أصبحت عليها القوات اليمنية .. وأصبحت عليها القبائل اليمنية .. واستطاعت فى الايام الاخيرة أن تحرر جزءا كبيرا منها .. وان تحصل على كمية كبيرة من الاسلحة ومن العتاد الذى أراد الاستعمار به أن يقضى على ثورة اليمن .. وعلى شعب اليمن الذى أراد لنفسه الحرية ..

انكم أيها الرجال .. يارجال القوات المسلحة قد أديتم دوركم فى نصرة ثورة اليمن .. بشرف وبشجاعة وتصميم ..

ثورة اليمن تستطيع أن تدافع عن نفسها

وقمنا .. من أجل تحقيق هذا الهدف لم تبخلوا بالدماء .. ولم تبخلوا بأى شىء ولكن يحق لنا اليوم أن نحمد الله ونشعر بالفخر وأن ثورة اليمن تستطيع الآن أن تدافع عن نفسها بنفسها .. هناك جيشها .. وقواتها المسلحة .. وهناك قوات جيوش القبائل التى تعمل مع ثورة اليمن .. وهذا كل ما نعمل من أجله .. وعلى هذا فاننا نشعر اننا أدينا الواجب نحو الشرف ونحو الوطن ونحو الثورة العربية .. ونحو القومية العربية ..

قواتنا تعود الآن للتدريب من اليمن .. ولكن .. هل ستنتهى المسئوليات التى وضعت على عاتق قواتنا المسلحة بهذا ..؟ حينما ذهبت قواتنا الى اليمن كان الشعب كله من ورائها .. وقد استطاعت القوات المسلحة أن تشعر .. وقبل ذلك فى سنة ١٩٥٦ كان الشعب كله من ورائها . وقبل ذلك يوم ٢٣ يوليو وبعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وفى منطقة القنال .. وحينما ذهبت القوات الى اليمن كانت هناك قطاعات أخرى من الدولة تخدمه .. قطاع النقل البرى .. وقطاع السكة الحديد .. قطاعات التموين .. قطاع النقل البحرى .. جميع القطاعات فى الدولة كانت تشعر أن واجبها هو مساعدة القوات المسلحة لتحقق أهدافها .

فكانت الامة كلها هى الخط الثانى للقوات المسلحة فى جميع الميادين ..

مسئولية القوات المسلحة

هل انتهت مسئولية القوات المسلحة .. ؟ ان المسئولية على القوات المسلحة تكبر كلما تكبر الدولة .. وكلما تكبر قيمة هذه الدولة .. ونحن والحمد لله كل يوم نشعر أن بلدنا يكبر .. فى التنمية وفى الاقتصاد .. وفى المجال الدولى .. وفى كل المجالات ..

كل هذا يضع على القوات المسلحة تبعات أكبر .. والشعب الذى يعمل فى كل المجالات .. يعمل فى السد العالى .. وفى البناء .. يعلم انه يعمل من أجل هذا الوطن .. ومن أجل أبناء هذا الوطن وان القوات المسلحة ستبقى دائما على استعداد لان تتصدى لكل من يحاول العدوان على وطننا وعلى بلدنا ..

نسمع اليوم فى أمريكا وفى بريطانيا .. حرب الاعصاب .. حملات موجهة ضدنا .. حينما يرى رئيس وزراء اسرائيل أمريكا .. كانت هناك حملات ضد مصر .. ضد الجمهورية العربية المتحدة .

ان مصر تحصل على كميات كبيرة من السلاح .. ان مصر تحصل على صواريخ

متنوعة الاشكال والاصناف .. ان مصر تعمل الصواريخ .. ان مصر تعمل الطائرات .. ان مصر تزيد فى قواتها المسلحة .

واستمرت هذه الحملات حتى أصبح من يقرؤها يعتقد أن اسرائيل ليست عندهاقوات مسلحة .. ولا تحصل على سلاح ..

تسليح اسرائيل

والحقيقة أن اسرائيل هى رأس جسر للاستعمار فى هذه المنطقة العربية لتقسيم البلاد العربية .. اسرائيل تحصل على السلاح من أمريكا ومن فرنسا ومن بريطانيا .حصلت على الصواريخ من أمريكا .. حصلت على الدبابات وحصلت على الطائرات من فرنسا .. حصلت على الدبابات وحصلت على الغواصات من بريطانيا ..

ان هذه الحملات التى توزع ضدنا فى أمريكا وفى بريطانيا وفى البلدان الغربية ، انما الغرض منها .. ان تفت من عزيمتنا ولكنا نعلم .. نعلم بالتفصيل ما هو تسليح اسرائيل .. ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نستجيب بما يقوله الحكام .. سواء فى أمريكا أو بريطانيا من اننا نكتفى بالقدر الذى حصلنا عليه .. واننا لايمكن أن ننسى الغرب سنة ١٩٤٨ .

فى سنة ١٩٤٨ أعلن الغرب وأعلنت الامم المتحدة حظر التسلح لنا ولاسرائيل .. نفذ هذا الحظر علينا فقط . ولكنه لم ينفذ على اسرائيل .

فى سنة ١٩٤٨ استطاعت اسرائيل أن تحصل على الاسلحة التى لم تكن متوفرة عندها .. حينما بدأت حرب فلسطين ، حصلت على الدبابات، ولم نستطع نحن أن نحصل على دبابة .. ونحن لا يمكن بأى حال من الأحوال أن ننسى دروس الماضى وعبراته .. ولا يمكن أيضا بأى حال من الاحوال أن ننسى أن اسرائيل رأس جسر للاستعمار .. فاذا أردنا أن نبنى وطننا .. واذا أردنا أن نطمئن على سلامة هذا الوطن .. لابد لنا أن نكون دائما على استعداد بأن نواجه العدوان .. وليس عدوان اسرائيل فقط .. ولكن اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل .. كانوا وراءها سنة ١٩٥٦ وحاربوا معها قبل أن يعلنوا الحرب علينا فى سنة ١٩٥٦ .

حقائق عدوان ١٩٥٦

واليوم نذكر الحقائق ونعرف الحقائق وفى سنة ١٩٥٦ فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ .. فى أوائل أكتوبر طلبوا من رئيس وزراء اسرائيل بن جوريون .. أن يأخذ الاسلحة والطائرات ويتكفل هو بعملية العدوان على مصر .. ولكنه واجههم بالحقيقة انه لايستطيع أن يعمل الا اذا دمرت جميع المطارات المصرية .. وطلب أن تشترك معه طائرات فرنسية من أول يوم من أيام الاعتداء .. لقد زيفوا معارك سنة ١٩٥٦ .. زيفوها على العالم ، ولكنهم لم يزيفوها علينا لأننا نعلم ما الذى حصل سنة ١٩٥٦ .

لم تستطع اسرائيل بأى حال من الأحوال أن تعبر منطقة أبو عجيلة قبل بعد ظهر ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ . وهو الموعد المحدد للجماعات الخلفية للقوات المنسحبة بأن تترك موقع أبوعجيلة، وبعدكده قالوا انهم وصلوا السويس فى ١٠٠ ساعة طبعا هما أرسلوا قوات مظلات الى ممر متلا قرب السويس . وتستطيع أى دولة أن ترسل قوات مظلات الى منطقة خالية .. وتقول انها أرسلت قوات مظلات ٢٠٠ كيلو أو ٣٠٠ كيلو .. أما القوات المقاتلة فلم تستطع أن تخترق الحدود .. قبل بعد ظهر ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ..

ان القوات المسلحة تعلم هذا .. مهما زيفت اسرائيل وكتبت الكتب عن البطولات المصطنعة التى قامت بها فى سنة ١٩٥٦ .لقد كان القصد فى سنة ١٩٥٦ القضاء على قواتنا المسلحة .. ولكن العدو لم يستطع أن يحقق هذا الهدف .. واستطعنا أن نحافظ على قواتنا المسلحة .

النصر لقواتنا المسلحة

فى هذا اليوم الذى نحتفل فيه بتكريم قواتنا المسلحة على أعمالها المجيدة نرجو الله تعالى أن ينصرنا دائما .. نرجو الله تعالى أن يجعلها دائما قادرة على العمل بشرف وأمانة من أجل الوطن .. ومن أجل الشعب .

فى هذا اليوم الذى نحتل فيه بتكريم قواتنا المسلحة .. نذكر لها كل الادوار الشريفة التى قامت بها منذ ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ حتى الآن .

ونرجو الله أن ينصر هذه الجمهورية وعاشت الجمهورية العربية المتحدة .. وعاشت قواتنا المسلحة .. والسلام عليكم ورحمة الله .

زعماء العالم الاسلامي .. في القاهرة

الوفد الاقتصادي العراقي في زيارة للرئيس جمال عبد الناصر

القاهرة . قلب العروبة النابض .. لا تخلو في كل شهر من الاجتماعات والوفود من كل دول العالم لبحث كافة القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية وذلك بقصد تدعيم الروابط وتقوية الصلات بين شعوب العالم المحبة للسلام .

ومن أهم اجتماعات وفود هذا الشهر :

١ - **السيد بهجت التلهوني** : رئيس الديوان الملكي الاردني . والممثل الشخصي لجلالة الملك حسين في لجنة متابعة قرارات مؤتمر القمة العربي .

٢ - **السيد أحمد الشقيري** : ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

٣ - **الدكتور عبد الصاحب العلوان** : وزير الاصلاح الزراعي بالعراق

٤ - **السيد طالب جميل** : وكيل وزارة الاقتصاد بالعراق ورئيس وفد العراق في لجنة التكامل الاقتصادي بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق

السيد بهجت التلهوني رئيس الديوان الملكي الاردني والممثل الشخصي لجلالة الملك حسين ملك الاردن في لجنة متابعة قرارات مؤتمر القمة العربي .

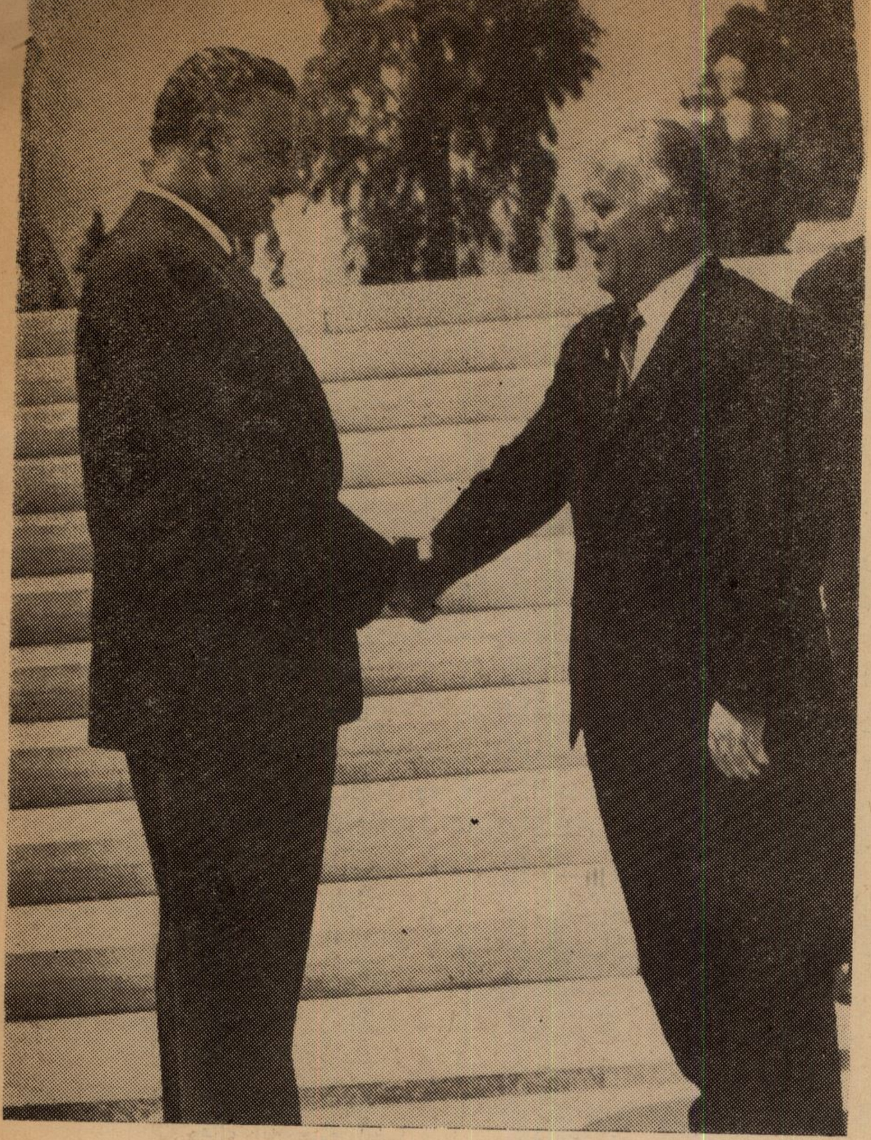

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السيد أحمد الشقيرى

السيد بهجت التلهونى الذى رأس الوزارة الأردنية ثلاث مرات من قبل وقد عاصر كل ظروف الاردن السياسية ودرس بعمق كل قضاياها . وقابل الرئيس جمال عبد الناصر اثناء مؤتمر القمة وقال : « ان هذا اللقاء جعل كل شىء ناصعا فى صدرى »

قدم الى القاهرة فى زيارة استغرقت يومين من ٢٠ الى ٢٢ يونية سنة ١٩٦٤ وفى حديث له قبل ان يغادر القاهرة الى عمان قال: ان الدول العربية تعلق اهمية بالغة على المؤتمر حيث أنه سيرسى دعائم التضامن العربى كما انه سيدعم العلاقات العربية ويقضى نهائيا على ما تبقى من خلافات بين الأخوة العرب ، وقال انه اجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر . وتناول البحث القضايا العربية بصورة عامة وعددا من المسائل الاخرى التى تقتضى المصلحة عدم كشفها . ثم قال ان الملك حسين سيقوم بزيارة خاصة للرئيس جمال .. وأضاف أنه أبلغ الرئيس عبد الناصر رسالة شفوية ودية من الملك تضمنت تحياته الأخوية وقال انه جدد الدعوة باسم الملك حسين الى المشير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية ونائب القائد الاعلى للقوات المسلحة لزيارة الاردن وان هذه الزيارة ستتم ، فى اقرب وقت ممكن . وقال : ان نظرة واحدة الى

العلاقات العربية بعد مؤتمر القمة العربى الاول تؤكد بوضوح ان الدول العربية قد انتقلت من خلال مؤتمر القمة الى مرحلة جديدة يسودها الاخاء وحسن النية والتفاهم المشترك وان احدا مهما يكن لايمكنه ان يتجاهل النتائج الباهرة التى حققها مؤتمر القمة العربى الاول ومن ابرز هذه النتائج انشاء القيادة العسكرية العربية الموحدة • والهيئة العربية الفنية الموحدة ، والهيئة العربية الفنية لشئون مياه نهر الاردن • والكيان الفلسطينى الذى انبثق عن المؤتمر الوطنى الفلسطينى الذى عقد مؤخرا فى القدس والذى جمع لاول مرة منذ النكبة كلمة ابناء فلسطين •

الرئيس يشيد بوحدة الشعب الفلسطينى فى منظمة التحرير

واستقبل الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٠ يونية السيد أحمد الشقيرى ممثل فلسطين فى جامعة الدول العربية • وقد صرح الشقيرى عقب الاجتماع بان هذا اول لقاء له بصفته رئيسا للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية مع الرئيس جمال عبد الناصر وانه قدم له أثناء المقابلة صورة من الميثاق القومى لفلسطين والنظام الاساسى لمنظمة التحرير اللذين اقرهما المؤتمر الوطنى الفلسطينى الذى عقد فى ٢٥ مايو الماضى بالقدس •

وقال انه قدم ايضا للرئيس مجموعة قرارات المؤتمر فى النواحى العسكرية والسياسية والتنظيمية والمالية لقضية فلسطين وعرض عليه النجاح الكبير الذى حققه المؤتمر فى جمع صفوف الشعب الفلسطينى وتوحيد طاقاته وكفاءاته للقيام بدوره الرئيسى فى تحرير وطنه وتقرير مصيره •

وأضاف ان الرئيس أعرب عن بالغ اهتمامه وتقديره للخطوات العملية التى أدت الى قيام الكيان الفلسطينى ومنظمة التحرير • كما اثنى على وحدة الشعب الفلسطينى وتجمعه تحت راية المنظمة وتمنى لها النجاح فى اداء مهمتها القومية المقدسة •

وقال انه سيقوم بجولة فى بعض الدول العربية لبحث تنفيذ قرارات المؤتمر الوطنى الفلسطيني وانه سينتهز هذه الفرصة للقيام بمشاوراته مع الفلسطينيين لاختيار اعضاء اللجنة التنفيذية وذلك تنفيذا لقرار المؤتمر الوطنى الذى خوله اختيار اعضاء اللجنة وأضاف ان منظمة التحرير الفلسطينية اصبحت حقيقة قائمة وليس على الدول العربية الا ان تؤيدها بكل الوسائل المالية والسياسية •

الدكتور عبد الصاحب العلوان وزير الاصلاح الزراعى بالعراق

ومن العراق الشقيق وصل الى القاهرة فى ١٧ يونية الدكتور عبد الصاحب العلوان وزير الاصلاح الزراعى بالعراق فى زيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة بدعوة من السيد عبد المحسن ابو النور نائب رئيس الوزراء لشئون الزراعة والاصلاح الزراعى • وصرح الوزير العراقى بانه سيجتمع بوفد الاصلاح الزراعى الذى زار العراق برياسة المهندس سيد مرعى للتعرف على مقترحات بشأن تطبيق الاصلاح الزراعى الذى زار العراق برياسة المهندس سيد مرعى للتعرف على مقترحات بشأن تطبيق الاصلاح الزراعى فى العراق وقال انه سيبحث مع المسئولين توقيع اتفاق لمد العراق بعدد من خبراء الاصلاح الزراعى

السيد طالب جميل وكيل وزارة الاقتصاد العراقى :

رئيس بعثة التنسيق الاقتصادى مع العراق

وفى ١٨ يونية وصل الى القاهرة وفد اقتصادى عراقى برئاسة السيد طالب جميل وكيل وزارة الاقتصاد لحضور اجتماعات لجنة التكامل الاقتصادى بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق ، وقد استعرضت اللجنة القواعد التى يمكن ان يقوم عليها تنظيم وتنسيق الجهود بين البلدين لتدعيم التكامل فى المجالات الاقتصادية والصناعية والزراعية لتنظيم حرية التجارة وحرية انتقال الاشخاص ورؤوس الاموال • والعمل على توسيع مجال تسويق السلع وتكامل الانتاج الزراعى والصناعى ، وقد تقرر تكوين ٨ لجان دائمة للتجارة والجمارك والصناعة والزراعة والشئون المالية والملاحة وتبادل المعونة الفنية على ان تقدم هذه اللجان تقاريرها النهائية بنتائج اعمالها الى اللجنة العليا فى اجتماعاتها النهائية

العيد القومي التونسي

أقام السيد محمد بدره سفير الجمهورية التونسية حفل استقبال فى دار السفارة احتفالا بالعيد القومى التونسى . دعا اليه الوزراء والسفراء العرب والأجانب ورجال الأدب والصحافة والفن .

وقد حضر الحفل الحبيب بورقيبة الابن .. ابن رئيس الجمهورية التونسية وكاتب الدولة لشئون الرئاسة فى تونس . وقد صرح لمندوبة مجلة منبر الاسلام بأنه قدم من بيروت الى القاهرة للقيام ببعض الاتصالات الرسمية وقد أسعده الحظ بحضورحفل السفارة. وصرح بأنه يحس وهو فى القاهرة أنه فى بلده وبين أهله واخوانه وقال : أدعو الله أن يوفقنا جميعا لتحقيق المزيد من التعاون فى سبيل بناء مستقبل أفضل لأمتنا ..

كما حضر الحفل أيضا السيد منجى سليم وزير خارجية تونس .

ومن الجمهورية العربية المتحدة حضر الدكتور محمود فوزى نائب رئيس الوزراء .

وقد صرح سيادته للمجلة بأن العلاقات بين تونس والجمهورية العربية علاقات أخوية، وان أفراح تونس أفراح لنا جميعا ونتمنى لتونس كل عز وتقدم وازدهار .

كذلك حضر الحفل السيد محمود رياض وزير الخارجية . والسيد نوفل الأمين المساعد لجامعة الدول العربية والسيد حسن صبرى الخولى مستشار الرئيس جمال عبد الناصر والسيد حسن فهمى عبد المجيد مدير الادارة العربية بوزارة الخارجية .

ويعتبر يوم أول يونيو يوما فاصلا فى تاريخ تونس الحديث . انطوت فيه صفحة الماضى بما فيه من حكم فرنسى مباشر ومن هيمنة استعمارية قاساها الشعب التونسى طيلة ٧٥ عاما تعرضت خلالها ذاتيته الى شتى صنوف المسخ والتشويه .

وانطوت صفحة الماضى فى أول يونيه سنة ١٩٥٥ بعودة **الرئيس الحبيب بورقيبة** الذى حمل مشعل الكفاح ضد التسلط الفرنسى من منفاه الى وطنه الحبيب . وافتتحت صفحة جديدة مشرقة كان عنوانها (تونس دولة ذات سيادة) ولم تكد تمر عشرة أشهر على الاستقلال الداخلى الذى حددت الاتفاقيات مداه بحوالى عشرين عاما حتى تخطته تونس بقيادة الرئيس الحبيب بورقيبه الى الاستقلال التام فى ٢٠ مارس سنة ١٩٥٦ .

لذلك اكتسب يوم أول يونيه أهميته التاريخية باعتباره مرحلة فاصلة بين عهد التبعية المطلقة وعهد الاستقلال الكامل .

ولذلك حق لتونس أن تحتفل كل سنة بعيدها الوطنى فى أول يونيو . ومجلة منبر الاسلام يسرها أن ترفع أجمل التهانى وأصدق الأمانى بالعزة والرفاهية لفخامة الرئيس الحبيب بورقيبه وللشعب التونسى الشقيق .

حديث مع السيد

أحمد عبد الرحمن المعلمي

وزير اليمن المفوض والقائم بأعمال سفارة اليمن بالقاهرة

اليمن على مر التاريخ

يذكر المؤرخون أن اليمن كانت ذات حضارة عظيمة قبل الاسلام وانها كانت مهد الجنس السامى ومنبع البابليين والأشوريين الذين قاموا بأكبر دور فى نشر الحضارة فى آسيا الغربية وأوربا وأفريقيا ، وألهبت مدينة مأرب وسدها العظيم الشعراء فى شتى مراحل التاريخ وكانت هى مسكن سبأ الذى قال الله تعالى فيه : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » .

وفى سفارة اليمن بالقاهرة ، التقيت بالسيد أحمد المعلمى الوزير المفوض والقائم بأعمال السفارة .. وحدثنى سيادته عن تاريخ اليمن القديم والحديث .

***

اليمن قبل ظهور الاسلام

يقول سيادته : اليمن من أقدم الدول العربية بل أقدم دول أوربا وآسيا باستثناء اليابان وقد مرت عليها أحداث كثيرة خلال التاريخ الطويل . فعندما انهار سد مأرب وغيره من السدود .. وعندما كانت الحروب تنشب لأوهى الأسباب بين القبائل . كانت الهجرة هى سبيل الخلاص .. فتهاجر القبائل من موطنها الى نجد أو الحجاز أو العراق ، والشام ومصر وشمال افريقيا .. مما سهل بعد ذلك ان تحتلها الحبشة ٧٢ عاما قبل ظهور الاسلام وبعد انهيار سد مأرب . وأراد أبرهة الحبشى أن يجعل من صنعاء مدينة منافسة لمدينة مكة كسوق تجارى ومركز لانتشار المسيحية .. الى ان ظهر الفارس اليمنى سيف بن ذى يزن الذى استنجد بالفرس وسحق المستعمرين الأحباش سحقا نهائيا .. وبينما كان الصراع على أشده .. ظهر فى شمال الجزيرة العربية دين جديد وقام النبى العربى محمد بن عبدالله يدعو الى الاسلام

اليمن والاسلام

كان من أوائل من ناصروه وآزروه يمنيون يعيشون فى الحجاز ويثرب وسرعان ما لبث اليمن كل النداء وأقبلت على الدين الجديد ..

دخل عرب اليمن القحطانيون الاسلام أفواجا أفواجا .. وساهموا فى الفتوحات الاسلامية الكبرى .. وقاتلوا فى سبيله واشتركوا فى حروب الشام والعراق وفلسطين ومصر وفتوحات آسيا وافريقيا عاملين على تأييد الاسلام ونشر دعوته واعلاء كلمته .. وكانوا دائما فى مقدمة الفاتحين . قاتل ٧٠ الف يمنى مع السيده عائشة فى معركة الجمل .. ومع على ومعاوية .. ويذكر التاريخ أن الجيش الذى قاده عمرو بن العاص الى مصر كان من أبناء اليمن .. وكانوا مع طارق بن زياد فى فتح الأندلس .. ولما اضطربت الحال الداخلية فى الدولة العباسية فى أوائل القرن الثالث للهجرة ضعف أمرها وكثر عدد الخارجين عليها والطامعين فيها وسارت الحال الداخلية فى اليمن تبعا لذلك واستقر الرأى على استقدام أحد سلائل بيت النبوة الى اليمن ووقع الاختيار على (يحيى بن الحسين بن القاسم الملقب بالرس ، ابن ابراهيم بن اسماعيل ابن ابراهيم بن الحسن بن على بن أبى طالب) ووصل اليمن سنة ٢٨٠ هـ واستقر فى صعده وتقبل البيعة ولقب بالامام الهادى الى الحق ووضع أركان الدولة الجديدة وأرسى قواعدها وسار سيرة عادلة فارتفع شأن الدولة وعظم أمرها .. ونشأت روابط روحية بين دولة اليمن الجديدة وبين دولة الفاطميين فى القاهرة ثم دولة الايوبيين بعد ذلك . والتاريخ الاسلامى ملىء بأسماء القبائل اليمنية التى استقرت فى البلاد الاسلامية وكان وجودها فيها سببا من الأسباب المباشرة لانتشار الدين الاسلامى واللغة والتقاليد العربية .

الاستعمار التركى فى اليمن :

وتعرضت اليمن فى تاريخها الحديث لما تعرضت له البلاد العربية كلها أثناء حكم الاتراك . فقد قام الاتراك العثمانيون بعدة حملات على اليمن وسيروا الجيوش لقتالها وكان ذلك فى أواسط القرن العاشر للهجرة واستمرت الحرب التركية عشر سنوات .. ولم تستطع بمقوماتها فى ذلك التاريخ ان تحكم اليمن ولو حكما غير مباشر . فقد نازل اليمنيون الأتراك ولم يخشوا بأسهم وواصلوا قتالهم ضاربين أروع المثل فى البطولة والشجاعة .. مما جعل تركيا تستسلم فى النهاية بعد ماعجزت عن اخضاعهم والسيطرة عليهم حتى صارت اليمن كما كان الأتراك يقولون « مقبرة الاناضول » .. وبعد جهاد طويل استطاعت اليمن ان تحقق استقلالها بعد الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ .

وخرجت اليمن من حرب الاتراك منهكة بعد أن فقدت خيرة رجالها وزعمائها وعم الخراب والدمار البلاد .. مما أتاح الفرصة للاستعمار البريطانى أن يتسلل من الجنوب الى عدن سنة ١٨٣٩ وما زال الصراع قائما حتى الآن .. وسيأتى اليوم الذى تعود فيه البلاد الى وحدتها الطبيعية وتحتل المكان اللائق بها فى هذا الجزء من العالم .

التمرد على حكم الائمة

وما كادت روح القومية العربية تظهر وتتبلور فى سماء العروبة حتى تألب الأحرار ووضعوا خطة لقيام حكم دستورى فى البلاد وفعلا دبرت مؤامرة سنة ١٩٤٨ قتل فيها الامام يحيى وخمسة من اولاده . وأعلنت حكومة دستورية استمرت شهرا واحدا ثم سقطت لتألب العناصر الرجعية فى ذلك الوقت بمعاونة الاستعمار وانتصر ولى العهد الامام أحمد .. وفتح السجون ونصب المشانق وكان من سجنائه رجال الثورة الآن .. حيث قضوا فى السجون مايزيد عن سبع سنوات وأعدم من الرجال مايزيد عن المائة .

واستمر الأبطال الأحرار المتمردون على حكم الأئمة فى نضالهم واشتد حماسهم بعد ثورة ٢٣ يوليو فى القاهرة فقاموا بعدة محاولات منها الثورة التى قامت سنة ١٩٥٥ بقيادة البطل « السلال » ولكن فشلت المؤامرة .. وتنازل الامام أحمد عن العرش وفتحت السجون من جديد وقتل الرجال الأحرار ولم

يكتف الامام بذلك بل قتل اثنين من اخوته وهما السيد عبد الله والسيد العباس بعد أن شك فى أنهما من أتباع الثورة وأن لهما مطعما فى تنحيته وابنه عن العرش لأغراض شخصية ٠٠ وكانت المحاولة الثالثة ٠٠ عندما كان الامام فى مستشفى الحديدة فى زيارة بعض أقاربه ٠ فانطفأ التيار الكهربائى فى المستشفى وأطلقت فى الظلام ست رصاصات على الامام ٠ وكادت أن تعلن الثورة ومناهجها وبرامجها لولا انه اتضح ان الامام لم يمت بتلك الرصاصات الست فقد اعتقد من أطلق عليه الرصاص وهو البطل « اللقيه » انه قدمات حتى أنه داس جبينه بنعله ٠ وكانت هذه الحادثة سببا فى انهيار الامام فقد أحس أن الشعب يغلى بالحقد عليه وبقى تحت العلاج الغير مجد حوالى عامين ٠٠ وأعدم البطل ومعاونيه من الاحرار ٠ بعد محاكمة اظهر فيها اللقية شجاعة نادرة فقد قال عند محاكمته « انى اردت بعملى هذا ان ارفع اليمن وأظهرها من حكم الأئمة الذى يعتبر رجسا بل عارا على الشعب اليمنى العربى)

الثورة وجمهورية اليمن

وفى ٢٧ من ربيع الآخر ١٣٨٢ هجرية الموافق ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ قامت الثورة المباركة وقضت على حكم الائمة فى اليمن٠٠ وتأسست جمهورية ديموقراطية تحت اسم (الجمهورية العربية اليمنية) ورئيسها البطل عبد الله السلال ٠ وخرجت اليمن من عهد العزلة وسمع العالم بثورتها التى تعتمد على نظم الحكم العصرية وتحافظ على كرامة الانسان وحقوقه وتؤمن له العدالة الاجتماعية والتطور وتشارك فى بناء صرح الأمة العربية الواحدة وتقف فى وجه المستعمرين الغاصبين وفشلت كل محاولات الرجعية والاستعمار فى احباط الثورة ووقفت الجمهورية العربية المتحدة بجانبها تشد ازرها وتحمى ثورتها٠ وجمعت العرب وحدة الهدف التى جمعت ثورة بغداد وثورة القاهرة وثورة صنعاء وجمعت الاحرار فى كل مكان من ارجاء الامة العربية وعاهدوا الله على الفداء فى سبيل قضايا الأمة العربية كلها وتحرير الأمة العربية كلها حتى تتحقق الوحدة العربية وتكون أمةعربية واحدة ٠

السيد أحمد عبد الرحمن المعلمى

- **من مواليد ١٩١٨**
- **من أحرار اليمن المناضلين – سجنه الامام عاما وثلاثة أشهر ٠**
- **سجن مع الرئيس عبد الله السلال – وباقى الاحرار سنة ١٩٤٨ مدة خمس سنوات ٠**
- **هدد بالاعدام ٣٣ مرة ٠**
- **هاجر الى شرق افريقيا وأقام هناك عامين ٠**
- **اشترك فى عدة مؤتمرات دولية**
- **اقام فى القاهرة عدة سنوات كلاجىء سياسى ٠**
- **سنة ١٩٥٧ قدم الى القاهرة مع مؤتمر الادباء العرب**
- **كان يعمل فى سكرتارية الامام احمد**
- **يعمل الآن وزيرا مفوضا لليمن وقائما باعمال السفارة اليمنية بالقاهرة**

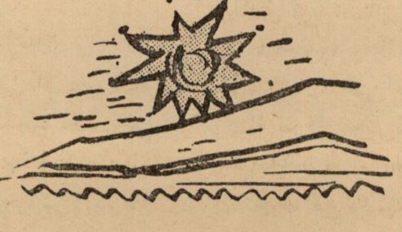

„نؤمن برباط روحى وثيق يشدنا إلى العالم الاسلامى"
الميثاق

دور الوحدات الاساسية وعلاقتها بالادارة

السيد/ حسين الشافعى

نائب رئيس الجمهورية

موضوع العلاقة بين الوحدات الأساسية وبين الادارة فى المصالح والمؤسسات ، موضوع له أهميته الفنية والتطبيقية ، ويلزم الالمام بنواحيه أن نعالجه متكاملا مع عديد من الاعتبارات والحقائق وذلك على أساس النقاط الآتية التى تكون فى مجموعها مادة البحث والمناقشة فى هذا الموضوع الكبير .

هذه النقاط هى على وجه أخص :

١ - استعراض لمراحل تكوين الاتحاد الاشتراكى العربى أو مناقشة التنظيم السياسى من حيث هو والمراحل التى مر بها ومدلول كل واحدة منها .

٢ - تعريف بالاتحاد الاشتراكى العربى فى مؤتمر القوى الشعبية وفى الميثاق مع توضيح قانون هذا الاتحاد وكذلك التنظيمات المركزية له بصفتها المرجع القيادى للعمل .

٣ - الوحدات الأساسية قاعدة التنظيم وذلك من حيث أنواعها وتوزيعها الجغرافى أى مناطق عملها .

٤ - مسئولية هذه الوحدات من واقع قانون الاتحاد الاشتراكى العربى وأبوابه وموارده .

٥ - الوسائل والاجراءات التى تتبعها لجان الوحدات الأساسية عملها .

٦ - الادارة وموقعها من اللجان الأساسية .

٧ – تعريف بعدد وبطبيعة الشكاوى التى تلقاها الاتحاد والاجراءات المتبعة فى تحقيقها.

٨ – الموقف بالنسبة للادارة غير المتجاوبة وبالنسبة للجنة التى تخل بمسئولياتها .

أولا – التنظيم السياسى – مراحل تكوين الاتحاد الاشتراكى العربى ..

ان التنظيم السياسى الذى يبدأ بالاتحاد الاشتراكى العربى منذ سنة ١٩٦٣ ثم يبدأ من فراغ .. ذلك أن هذا التنظيم قام فعلا قبل الثورة : فكرة فى ذهن قائد الثورة كقائد للضباط الأحرار الذين استطاعوا أن يؤثروا فى المحيط الذى كانوا يعملون فيه من غير سلطات فى أيديهم ، لأنهم كانوا متفاعلين مع الأحداث التى حولهم .

يلى ذلك ما أعلن عن قيام هيئة التحرير سنة ١٩٥٣ حيث كانت تعبر عن مرحلة تعبر عنها ظروفها يوم كان يقيم فى منطقة القنال ٨٠ ألف جندى أجنبى ، وحيث كانت البلاد فى الداخل تعانى من تحديات الاقطاع واستبداد الأحزاب وسيطرة رأس المال مما كان لا بد معه أن تقوم هيئة التحرير لتدعوا الى التحرر من كل ذلك.

برزت أثر ذلك قيمة الوحدة الوطنية أثناء العدوان سنة ١٩٥٦ فكان أن قام الاتحاد القومى ليعمل على تحقيق الأهداف التى جاءت من أجلها الثورة من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية وفعلا كان الاتحاد القومى تعبيرا عن الوحدة بكل مقوماتها من تثبيت الاستقلال والدفاع عن الوطن ضد أعدائه من الخارج .

وفى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ كانت أحداث سوريا عن صورة التناقض الاجتماعى القائم وقتئذ .. فلقد أعطتنا صورة على حقيقتها حيث كان بيننا وبينهم هو ٦ سنوات من عمر الثورة .

كل هذا كان كفيلا بأن يبعث فينا تنظيما سياسيا جديدا بدأ باللجنة التحضيرية لمؤتمر قوى الشعب ثم الدستور فالميثاق .

وخلال الأحداث التى مرت بنا ظهرت شعارات للسيد الرئيس كانت تعبيرا عما نمر به من الأحداث مثل « **وحدة الهدف قبل وحدة الصف** » « **الديموقراطية كل الديموقراطية للشعب** » .. « **لا مهادنة مع الرجعية** » ..

كل هذا كان تعبيرا عن الأحداث التى مرت بنا خلال أحداث سوريا والدرس الذى لمسناه فيها .

وبدأت اللجنة التحضيرية تستعرض الموقف الكامل فقدمت توصياتها الى أن اجتمع مؤتمر قوى الشعب فى مايو سنة ١٩٦٢ .. وفى ٢١ مايو قدم الرئيس جمال عبد الناصر الميثاق للمؤتمر .. وانتهى هذا المؤتمر بعد المناقشة الى اقرار الميثاق وأصبح منذ ذلك اليوم التزاما قوميا نلتزم به جميعا ، حيث تحدد فيه الذين يستطيعون العمل فى دعم الديموقراطية .

كذلك تحدد تعريف العامل والفلاح كضمان من ضمانات الديموقراطية والاشتراكية كما نص على أن جميع المؤتمرات والتنظيمات بما فى ذلك مجلس الأمة تشتمل على ٥٠ ٪ من العمال والفلاحين ، وهم الذين يعبرون بشكل واضح عن أحد عناصر التحالف الجديد الذى يحل محل تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل، والذى سقط وسقط الى الأبد بالقدرة على قيام التنظيم السياسى الفعال الناجح ، ويقضى على كل الصور القديمة كصور مجتمع رأس المال .. ومجتمع الاقطاع مجتمع التحكم .

ثانيا – الاتحاد الاشتراكى العربى – فى اللجنة التحضيرية – فى مؤتمر القوى الشعبية – فى الميثاق ، قانون الاتحاد والتنظيمات

المركزية بصفتها المرجع القيادى :

يتعين أن يكون الاتحاد الاشتراكى العربى الاطار السياسى الشامل للعمل الجماهيرى لقوى الشعب المتحالفة .. ان الاتحاد الاشتراكى العربى يتخذ الميثاق دليله فى العمل باعتباره حصيلة للتجربة ونتيجة لارادة شعبية حرة .. الاتحاد الاشتراكى العربى هو بناء جماهيرى كامل تقيمه الجماهير الثورية ديمقراطيا وتقوده بآمالها ليكون أداتها بعد ذلك فى قيادة العمل الوطنى .. الاتحاد الاشتراكى العربى هو التجسيد الحى لسلطة الشعب التى تعلو جميع السلطات وتوجيهها فى كافة المجالات وعلى جميع المستويات .

الاتحاد الاشتراكى العربى يتحتم عليه أن يكون الدرع الواقى لضمانات الديموقراطية

السليمة وفى مقدمتها النسبة المكفولة لتمثيل الفلاحين والعمال وتدعيم التنظيمات النقابية والتعاونية وضرورة توفير مبدأ القيادة الجماعية وصيانة ممارسة حق النقد والنقد الذاتى والالحاح فى نقل سلطة الدولة الى المجالس الشعبية المنتخبة تدريجيا كلما كان ذلك ممكنا .

ومن هذا يتبين أن عضوية الاتحاد الاشتراكى تكليف بالخدمة للقادرين على الوفاء بها ، والقادرين على أن يعطوا من أنفسهم من الطاقات المؤمنة والخلاقة ما ينقل فكرة الثورية ، الى الواقع الفعلى .

ان تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى تبدأ من الوحدة المحلية فى القرية أو القسم أو المصنع أو أى مؤسسة تضم جموعا من الجماهير قادرة على تكوين وحدة سياسية متحركة وتمتد حتى تصل الى مستوى الجمهورية العربية كلها فى تسلسل مترابط بالحقوق والواجبات فى نفس الوقت .

وهذا الكلام أصبح متبلورا وواضحا كدليل عمل كما ورد فى الميثاق بنصه « أن وسيلة الديموقراطية أن تحقق سلطة المجالس الشعبية على جميع مراكز الانتاج . فوق كل أجهزة الادارة المركزية أو المحلية . أن ذلك يضمن للشعب باستمرار أن يكون سلطة تحديد أو مرات الانتاج وأن يكون فى الوقت ذاته سلطة الرقابة على تنفيذها .. ان ممارسة النقد والنقد الذاتى يمنح العمل الوطنى فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها دائما مع الأهداف الكبيرة للعمل .. ان أى محاولة لاخفاء الحقيقة أو تجاهلها يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب للوصول الى التقدم واذا سمحت القيادات الشعبية بأن يحدث ذلك فانها لا تكون مقصرة فى حق الشعب الذى صدرها للقيادة فقط ، وانما فى نفس الوقت تكون قد عزلت نفسها عن جماهيرها ، وفقدت اتصالها بها وسلمت بعدم قدرتها على حل مشاكلها ، وبالتالى يصبح لا مفر أمامها من أن تتنحى أو يسقطها الشعب ويسحب منها ما أسلمه اليها من مسئولية القيادة » .

كلما قرأنا هذه الفقرة وأعدنا قراءتها نقف حائرين بعض الشىء أمام الاحساس بالرغبة فى مناقشة هذا الموضوع .. نحن لا نناقش ما جاء بالميثاق .. انما نناقش كيف يطبق ويمارس الميثاق ؟ هل سيمارس بين عشية وضحاها ؟ ان هذا الموضوع متدرج ويستلزم وقتا فى مجال الأخذ والرد والمناقشة بحيث يكون التطبيق تطبيقا فعالا دون أن ننحرف عن الهدف فى النهاية .. أما اذا ترك الأمر للمسائل لتسير على النمط القديم فلا يمكن أن يكون هناك تغيير . وارادة التغيير هى التى تصنع الثورة كما جاء فى الميثاق فى بابه الأول :

« ان هذا العمل العظيم تحقق بفضل عدة ضمانات تمكن النضال الشعبى من تغييرها.. أولا ارادة تغيير ثورى ترفض أى قيد أو حد لحقوق الجماهير ومطالبها .. وثانيا طليعة ثورية مكنتها ارادة التغيير الثورى لتحويلها من سلطة الدولة، لتحويلها من خدمة المصالح القائمة الى خدمة المصالح صاحبة الحق الطبيعى والشرعى وهى مصالح الجماهير.. وثالثا وعى عميق بالتاريخ وأثره على الانسان المعاصر من ناحية ، ومن ناحية أخرى لقدرة هذا الانسان بدوره على التأثير فى التاريخ .. ورابعا فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية ، يأخذ منها ويعطيها .. لا يصدها عنه بالتعصب ، ولا يصد نفسه عنها بالعقد .. وخامسا ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسانية فى كل زمان ومكان » .

أما من حيث قانون الاتحاد الاشتراكى العربى ، فهو قانون فى تسعة أبواب هى :

١ ـ عضوية الاتحاد الاشتراكى العربى .

٢ ـ التنظيم العام للاتحاد الاشتراكى العربى .

٣ ـ منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى والوحدات الأساسية .

٤ ـ تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى للمدينة أو القسم أو المؤسسات الجماهيرية التى لكل منها أكثر من وحدة أساسية .

٥ ـ منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى للمركز .

٦ ـ منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى للمحافظة .

٧ ـ منظمات الاتحـاد الاشتراكى العربى للجمهورية •

٨ ـ الاجراءات النظامية وهى فى المواد من ١٤ الى ١٨ وتحتوى على طرق محاسبة العضو فى حالة الانحراف أو الخطأ والعقوبات التى يجوز توقيعها على العضو الذى تثبت ادانتـه وحق الطعن فى قرارات العقـوبة وكذلك تشكيل واختصاصات هيئة النظام للاتحـاد التى تنظر فى المخالفات والتظلمات •

٩ ـ أحكام عامة وذلك فى المواد من ١٩ الى ٢٨ وهى تنص أساسا على نسبة العمـال والفلاحين ٥٠ ٪ عند تشكيل تنظيمات الاتحاد، وتبين طريقة تمثيل القوات المسلحة ، وعدم جواز الاشتراك فى أكثر من لجنة اتحـاد ، ومعالجة موضوع الخلوات فى اللجان •• وعلى وجه أخص يشتمل هذا الباب على المادة ٢٤ من حقوق اللجنة المركزية والتنفيذية فى تعـديل أو الغاء أى قرار اذا كان فيه أى خـروج على الأهداف ـ وكذلك سلطة اللجنـة المركزية واللجنة التنفيذية فى حل أى منظمة من منظمات الاتحاد اذا أخلت بواجبها ، كما يشتمل هذا الباب على نص بأن انعقاد اجتماعات المؤتمرات ولجان الاتحاد الاشتراكى العربى يجب أن تكون بحضور أكثر من نصف عدد الأعضاء •

ولقد خول القانون اللجنة التنفيذية العليـا سلطة حل أى لجنة تنحرف عن جادة الطريق •• فلقد أدرج القانون ذلك حين أشار صراحة فى المادة ٢٥ بأنه يمكن للجنة التنفيذية العليا ان تحل أى منظمة من منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى اذا أخلت بواجباتها المنصوص عليها •

وفى مجال الحديث عن التنظيم ومراحله•• أشير الى ما فوض مؤتمر قوى الشعب السيد الرئيس لاختيار لجنة تنفيذية عليـا مؤقتة نظرت فى قانون الاتحاد ، وبحثت أمر تحديد الوحدات الأساسية وأعلنت هذه الوحـدات ومن بعد ذلك تمت انتخابات لجان الوحدات الأساسية •

ولقد لوحظ فى هذه الانتخابات أن أناسا اشتركوا فيها وآخرين لم يشتركوا •• وربما تساءل بعضهم هل كان من الافيد ان نشترك أو لا نشترك ؟ •• ان الذين يعزلون أنفسهم فى انتظار الحكم على التجربة ربما كان لهم بعض الحق •• كل هذا سيتقرر مع مدى ما للتطبيق العملى من حكم عليه •• المهم أننا لا بد أن نأخذ دروسا من التجربة تفيدنا فى المستقبل ••

وبعد ذلك كان انتخـاب الأمين والأمين المساعد•• ثم جاءت عملية الانتخابات لمؤتمرات المحافظات باثنين عن كل وحدة أحدهمـا من العمال أو الفلاحين على الأقل بحيث لا تحجب تمثيل الوحدات الأساسية باعتبار أن المحافظة هى المقر الذى تتجمع فيه تمثيلات الوحـدات الأساسية •

وفى الانتخابات لمؤتمر المحافظة واجهتنـا صعوبة حقيقية ، فنحن حينما نتحدث عن المصلحة فى اقامة التنظيم انما نستهدف قوة التنظيـم ودقته وسلامته ومقدرته على العمل الجاد •

ولهذا لاحظت أن فى القاهرة حوالى ١٨٠٠ عضو « ألف وثمانمائة » من مجالات مختلفة •• ورغم صلتى بكثير من هذه المجالات فاننى لم أعرف منهم أكثر من ١٠٦ أعضاء •• وهذه ولا شك صورة من صور الصعوبات التى تعترض مؤتمر المحافظة مما جعل البعض يلجـأ الى تكتلات ربما لم تكن فى صالح التنظيم•• وأمام هذا أقول انه اذا اقتضى الأمر فانه يحسن أن تقام لجان مؤقتة لمدة محددة لحين قيام التنظيم بحيث لا نقدم على خطوة الا ويكون النجاح لها مؤكدا •

لقد كانت كل مراحل الانتخابات الماضية ميسورة وطبيعية وعملية ما عدا صعوبة ظاهرة فى الأحياء •• ففى القاهرة كانت هناك صعوبة لاختيار العشرين فى الأحياء وهذه هى الصورة التى سار بها التنظيم حتى هذه المرحلة •

وبعد ذلك شكلت ادارات مركزية للتنظيم تباشر اختصاصات موضوعية محـددة •• ويلاحظ أن هذه الادارات قد أنشئت على قدر الحاجة اليها • وقد بدىء بادارتين •• ادارة التنظيم وادارة الدعوة والفكر الاشتراكى • ثم أنشئت ست ادارات مركزية أخرى منها ثلاث تباشر عمليات الانتاج سواء كان زراعيـا أو صناعيا أو تجاريا ، كذلك أنشئت ادارة لكل من العمال والشباب والعلاقات الخارجية •

وهناك ادارة للاتصال •• الاتصال بالاقاليم فى الوجه البحرى والقبلى والاتصال بالقاهرة•

ومن المتصور أنه فى المستقبل قد تشكل مثل هذه الادارات فى المحافظات لتتقابل فى المسئوليات مع الادارات المركزية للتنظيم .

وبعد مؤتمر المحافظة يكون لدينا المؤتمر العام ومدته ست سنوات ، ويجتمع مرة كل سنتين أو فى دورات غير عادية بناء على طلب اللجنة المركزية للاتحاد أو اللجنة التنفيذية العليا أو ثلث عدد أعضاء المؤتمر القومى العام .. وطبقا للقانون تنتخب من المؤتمر لجنة مكونة من عدد معين هى اللجنة المركزية وهى السلطة القيادية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ، ومن هذه اللجنة ستكون اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى واختصاصاتها موضحة فى المادة ١٣ فقرة جـ فى الباب السابع من قانون الاتحاد الاشتراكى العربى .

ثالثا – الوحدات الأساسية من حيث أنواعها وتوزيعها ...

يؤخذ من البيان الاحصائى ومن التوزيع الجغرافى أن وحدات الوجه البحرى ٤٥٨٠ وحدة وهى (٢٢٢ وحدات مدن ، ٢٤٠٢ وحدات قرى ، ٥٤ وحدات هيئة تدريس ، ٦٠ موظفون وعمال ، ٥٩ طلاب ، ٣١٦ مدارس ، ١٣٦ مستشفيات ، ١١٠٨ منشئات أخرى ، ٢٣١ موظفون وعمال حكومة) . وفى الوجه القبلى ٢٢٩٤ (٩٢ مدن ، ١٧٣١ فى قرى ، ٢٠ هيئة تدريس ، ٢٠ موظفون وعمال ، ٢١ طلاب ، ١٠٨ مدارس ، ٣٣ مستشفيات ، ٢٢٠ منشئات أخرى ، ٤٦ موظفون وعمال حكومة) . أى أن المجموع ٦٨٧٤ يضاف اليها ١٥ وحدة لم تعلن أى يكون هذا المجموع ٦٨٨٩ .

أما التوزيع العددى والجغرافى فى القاهرة فهو أن العدد الكلى للوحدات ٩٠٩ وحدة منها ٦٥ وحدات مدن ، ٢٨ هيئة تدريس ، ٣٠ موظفون ، ٣٠ طلاب ، ٩٨ مدارس ، ٥٢ مستشفيات ، ٤٨٠ منشئات ، ١٢٦ موظفون وعمال الحكومة .

رابعا – مسئوليات الوحدات من واقع قانون الاتحاد الاشتراكى ...

واذا تحدثنا عن الوحدات الأساسية من حيث مسئوليتها .. نجد أنه بمقتضى المادة ٩ من قانون الاتحاد تتولى لجنة الوحدة الأساسية:

(أ) توعية الجماهير سياسيا للعمل الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ولدعم مبادىء القومية العربية والتعريف بالحقوق والواجبات وممارستها فى كافة ميادين النشاط السياسى والاقتصادى والاجتماعى المحلية .

(ب) العمل على تنمية المستوى الاجتماعى والثقافى والاقتصادى والروحى للجماهير ، والتعاون مع جميع الهيئات والمنظمات المحلية لتحقيق ذلك .

(جـ) التعرف على حاجة ومشاكل جماهير الشعب العامل فى المنطقة والعمل على حلها بالتعاون مع جميع المؤسسات والمنظمات المحلية وكتابة التقارير الموضحة لهذه الحاجات والمشاكل الى منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى الأعلى والدفاع عنها .

(د) حث الجهود لزيادة انتاج جميع الوحدات الانتاجية فى منطقة الوحدة .

(هـ) محاربة الاستغلال بكافة صوره ومحاربة البيروقراطية التى تعرقل حصول المواطنين على فرصهم المتكافئة فى العمل أو فى الخدمة على حق من الحقوق .

(و) نقل سياسة الاتحاد الاشتراكى العربى وخططه الى الأعضاء العاملين والى جماهير الشعب وتوعيتهم حتى يتمكنوا من المساهمة فى تنفيذها .

(ز) التأكد من أن الأعضاء العاملين بالوحدة يؤدون الواجبات المنصوص عليها فى القانون ، ومن أن الوحدة بمجموعها تعمل على قيام المجتمع الاشتراكى للمجتمع المحلى وتحقيق وممارسة الديموقراطية .

(ح) حث الأعضاء العاملين ومعاونتهم على الاشتراك والعمل فى المؤسسات والمجالس التى تمارس فيها أنواع النشاط السياسى والاقتصادى والاجتماعى المحلية وملاحظة تنفيذهم لمبادىء الميثاق وسياسة الاتحاد الاشتراكى العربى فيها وفقا لما تتطلبه حاجة الجماهير .

(ط) ملاحظة اتاحة الفرصة لكل الأعضاء العاملين لممارسة حقوقهم المنصوص عليها فى هذا القانون .

(ى) تنفيذ قرارات مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى للوحدة •

وهى بذلك تتولى الادارة اليومية لاختصاصها وتنفذ توجيهات المستويات العليا •• وترسل التقارير اليها •• وتستقبل التوجيهات وهكذا •• وأهم واجباتها طبقا لذلك هى : الدعوة •• التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعاون مع الجميع « التعرف على حاجة ومشاكل الجميع •• حث الجهود لزيادة الانتاج •• محاربة الاستغلال •• التأكد من أداء الأعضاء العاملين لواجباتهم •• حث الأعضاء ومعاونتهم على الاشتراك فى المؤسسات ثم تنفيذ القرارات •

وبسبب عدم قيام المستويات العليا وعدم اكتمال التنظيم بعد ،فانه يكفى فى الوقت الحاضر أن تتعارف اللجنة فيما بينها ، وأن يكون بينها وحدة فكرية وترابط يدفعانها بقدرة على أن تكون التربة الصالحة والعمل الجدى حين يطلب منها ذلك •

وحاليا •• مطلوب منها عمل •• هو أن تكون باستمرار على مستوى الأحداث •• تفهم وتعى ما يحيط بها •• تناقش أى مشكلة فى داخل العمل بما يتمشى ومنطق العلاقات الأخوية والودية التى ينبغى أن تسود بين أناس يربط الود والألفة والمحبة بينهم برباط وثيق •

فلو أن كل واحد من العشرين حين يجتمعون استطاع أن يقص على الباقين ما حدث له متمشيا مع الأحداث خلال اسبوعين سابقين ، لخرج الأعضاء جميعا من هذا الاجتماع بحصيلة من المعلومات تفيد الحاضرين جميعا • كذلك الأحداث الخارجية والداخلية لا بد من مناقشتها وبحث الدعوة اليها واستعراض وسيلة تنميتها •

ثم موضوع آخر حساس وهو حث الجهود لزيادة الانتاج ، هذا الموضوع ينبغى مناقشته سواء فى اللجنة أو فى المؤتمر •• تستعد الادارة لمناقشته والرد عليه • لكن الملاحظ هو أن الجهات الادارية لا تستسيغ كيف تنزل من عليائها لتناقش اللجنة •• ويكفينى فى هذا المجال أن أذكر للجهات الادارية بالذات أن سيدنا عمر – رضى الله عنه – سلم بخطئه أمام احدى السيدات فى مناقشة أحد الموضوعات حيث قال : اصابت امرأة وأخطأ عمر •

وعملية الاقناع عملية صعبة •• وقد يكون من العسير على من بيدهم زمام الادارة أن يتنازلوا عن شىء من سلطاتهم ليقنعوا من هم دونهم من أعضاء اللجنة الباقية •

ألا يجوز أن يكون فى رأى من هم دونهم ما يؤدى الى نتيجة قد تعود بفائدة على الجميع • حقا ان مسئوليات الادارة كبيرة ، غير أنه يجب الى جانب ذلك ألا نقلل من قيمة رأى الآخرين •

خامسا – كيف تنفذ اللجنة عملها ••• ؟

لا شك أن القيادات كانت نتيجة لانتخابات حرة • فاز فيها من حملوا مسئولية هذه القيادات •• فليس من العدل اذن أن نأتى اليوم لنشكك فى قيمة هذه القيادات والذى يشعر أنه أقدر على مسئولية القيادة كان عليه أن يدخل ميدانها ولا ليعزل نفسه عن مجالها •• والذين حكموا على أنفسهم بالانعزال عن القيادات الحالية عليهم أن يدربوا أنفسهم على الالتقاء بهم للتفاهم والاقناع •• وليس كثيرا على أحد رجال الادارة أن ينتفع برأى لأحد أعضاء اللجنة مهما كانت قيمة هذا الرأى •

أن أول مؤهلات القيادة هى العلم والمعرفة •• والذى لايعرف لا يعلم كيف يقود ؟ •••

والمؤهل الثانى للقيادة هو الثقة •• لماذا ينتخب الفرد لمركز قيادى مثلا ؟ أولا •• لثقة الناخبين فيه •• فاذا اهتزت هذه الثقة انتهت قدرته على القيادة •• وهذه الثقة كيف تأتى ؟ •• تأتى بأن يكون القائد قدوة •• لا يخطىء •• ولا يشتريه أحد •• ان أى لجنة تكون منحرفة اذا قبلت امتيازات معينة فتكون بذلك قد حكمت على نفسها بالقضاء والاعدام كقيادة •

ولقد ترى بعض جهات الادارة أنه من الأسهل أن تشترى اللجنة ببعض الامتيازات **•• وفى رأيى أن اللجنة التى تفعل ذلك تكون لجنة منحرفة يقتضى الأمر حلها •• وكقاعدة عامة لا ينبغى أن تقبل أى لجنة أية مجاملات •• (لا يعتبر المقر مجاملة فهو التزام وذلك أن اللجنة التنفيذية العليا قد اتخذت فيه قرارا هو أن تقوم المؤسسات بتدبير مكان العمل للوحدات الأساسية) •**

اما المؤهل الثالث فهو حسن العـــلاقات الانسانية ٠٠ فلا ينبغى مثلا لعضو اللجنة أن يعتقد أنه أكبر من الادارة فى مجـال الادارة نفسها فهناك مسئوليات على الادارة يتعين أن تباشرها بكفاءة ، وللادارة احترامهـا الكامل وسلطتها التامة فى أداء مسئولياتها ٠ غير أن هذا لا يمنع من أن تتلاقى مع الأعضاء لتعرف رغباتهم ٠ والمعنى المقابل لهذا الوضع هو ألا ينسى أعضاء لجنة الوحدة الأساسية أنفسهم فى علاقاتهم بالادارة ٠٠ لأن مصدر قوتهم هو علاقاتهم الودية العاطفية بالادارة، ولأن العلاقات الانسانية هى أهم مصدر لقـوة القيـــادة السياسية ٠٠ والذى ينجح انما ينجح بعلاقاته الودية وتمتدحه الادارة حيث لا يخطىء فى حق الآخرين ٠

وندخل من هذا الى نقطة اساسية تهمنـا جميعا ٠٠ فالشركات كلها الآن أصبحت قطاعا عاما ٠٠ ومدير الشركة أصبح لا معقب على أمره حيث لا توجد جمعية عمومية تحاسبه أو تسائله ٠٠ وعلى هذا ينبغى للمدير أن يرحب بالرقابة الجديدة وبالمناقشات التى تتمثل فى لجنة وحدة الشركة أو المصنع وألا يتضرر منها ٠٠ والذى يتضرر من ذلك يكون محملا بشىء ما يبعث على عدم الارتياح ٠

ويقاس على هذا أيضا ما يجب أن يكون عليه الوضع بالنسبة للمناقشات والعـلاقات فى وحدات القرى أو المؤسسات ٠٠ لقد لاحظت كثيرا فى التنظيم النقابى أنه يوم تســتند الرئاسة الى قوة خارجية فانها لاتفوز بالثقة فى الانتخابات التالية ٠٠ ولكنها اذ تستمد ثقتها من قاعدتها يكون فى ذلك قوة دائمة تجدد الثقة نحوها فى كل انتخابات ٠

ومن هناك فانى أعتبر أن مسئولية القيادة فى الوحدات الأساسية لا بد أن تستند الى ثقة القاعدة دائما ليكونوا روادا وقادة مصلحين ٠

أما وسائل تنفيذ الوحدات لعملهـا فذلك يتأتى عن طريق الاجتماعات والندوات واصدار النشرات بما لا يتعارض مع مفاهيم الادارة واحترام الأوضاع القائمة بالنسبة للعمل فى المؤسسة بحيث تكون كلها جادة وهادفة ٠ كل هذا يجب أن يناقش فى داخل الوحدة فاذا ما أريد أن يتعداها لخارج الوحدة فلا يكون ذلك الا فى المؤتمر بعد تسجيله فى جـدول الأعمال الذى تقره المستويات العليا ٠

سادسا ـ موضوع السـلطة والسيطرة والاختصاص والغيرة على النفوذ والمفهوم الجديد الذى يتعين الأخذ به :

كانت الادارة فى المجتمع الرأسمالى تمثل طرف رأس المال وقد تأثرت القوانين فيما قبل الثورة بهذه الحقيقة ، وكان هذا المفهوم يؤثر حتى على القوانين العمالية ٠٠ فكان هناك كادر خاص بالموظفين وآخر للعمال ٠٠ لم يكن يسمح بمناقشة موضوع كموضوع الأجور بدعوة أن زيادة الأجور تؤثر على رقم الربح السنوى وهو قبلة الرأسمالية ٠

أما اليوم ٠٠ ونحن بصدد تطبيقات عديدة فى مختلف المجالات ٠٠ وان كنا لا ننادى بفتح بابها بشكل يؤثر على سير العمل ٠٠ غير أنه فى حالة عرض موضوع كقانون الموظفين مثلا فانه لا يمنع من أخذ الرأى فيه بواسطة بعض المصالح لتعطينا وجهـات نظر معينة تكون أساسا لعدالة التوزيع والتطبيق ٠

والموضوعات التى تطرح للمناقشة لا بد أن تؤخذ على أساس المصلحة ومن جانب المنطق بلا تحيز رخيص بل بمـا يتمشى مع روح العدالة التى هى مصدر من مصادر القدرة على القيادة ٠

لقد اختلف المفهوم واختلفت الدوافع فى المجتمع الاشـتراكى بحيث أصبحت الادارة والنقابة تواجهان مهـاما جديدة بأساليب جديدة ٠٠ ومن هنا يتعين على كل منهما أن تعدل نظرتها الى مفهوم عملها ، والى كيفيـة ممارسة هذا العمل فى ظل المفهوم الاشتراكى ٠

فبالنسبة للادارة لا نقصد بتاتا أن تتنازل الادارة عن سلطتها التى تحفظ عليهـا قدرتها فى الادارة ، ولكن يجب أن تتغير نظرتهـا للعمال كطرف كان مستغلا فيما مضى فأصبح شريكا فى المسئولية فى حدود النظم الموضوعة ٠

وبالنسبة للنقابة لم يصبح الأمر بالنسبة لها موضوع مساومات واتفاقات جماعية يقصد بها تحسين ظروف العمل ٠٠ ذلك لأن القوانين قد كفلت للعاملين فى المؤسسات والشركات نظاما عادلا للأجور علاوة على ما يحصل عليه

العامل من حصته فى الأرباح ، الى جانب المزايا الاجتماعية الأخرى .. ومن أجل ذلك لم يصبح الأمر للنقابة موضوع مساومات واتفاقات جماعية بقصد تحسين ظروف العمل . لأن ذلك سيكون على حساب الفائض الذى يستخدم فى بناء الدولة والانطلاق بصناعتها لا لتوفر فرصا جديدة للعمل فحسب كما أن أية جهود للانقاص من الفائض النهائى يضع عبئا لا مبرر له على اقتصاديات الشركة أو المؤسسة .

وبالنسبة للعمال .. نجد أنه فى المجتمع الاشتراكى الناضج ، يبلغ الحد بالعمال هؤلاء الى أن يسعوا الى اختصار النفقات الادارية والى الانتباه الى أى اسراف . وتقويم أى انحراف .. رغبة فى توجيه رءوس الأموال وجهة سليمة لبناء الدولة والارتفاع باقتصادياتها.. خصوصا وأن الدولة فى سياسة الأجور تسعى أولا الى توفير العمل لتحقيق العمالة الكاملة فى المجتمع الاشتراكى . وتوجه كل فرد فى عمله المهنى الى ما يتقنه . ثم تضع الدولة الحد الأدنى للأجور كسياسة يؤمن بها المجتمع الاشتراكى ويعمل على بلوغها. ثم تؤمن الدولة الأفراد ضد المرض والعجز والشيخوخة والوفاة .. ثم اسس الحوافز « الدوافع » لزيادة الأجر عند تجاوز حدود الانتاج بالزيادة وبالاتقان وكذلك حوافز زيادة الأجر فى منشئات التوزيع نتيجة للخدمة الحسنة .

والآن لا بد من كلمة صريحة .. وهى أن بعض الادارات - اعتبرت نفسها الوارث الشرعى لسلطات ومزايا الرأسمالية .. وبعضها تصور أن القيادة الجماعية والعمل المشترك والاجابة على البيانات التى تطلب اليها ، تدخلا سافرا فى عملها ، وانتقاصا من قدرها .. فلا تسمح بأى تعقيب على موضوع ، ولا تسمع باذن واعية المدلول الذى من أجله تناقش الاعمال فى الشركة مناقشة ليس الغرض منها التدخل والا الازدواج .

اذن هناك مفاهيم جديدة يجب أن تكون واضحة أمام الادارة وهى أن الوحدات الأساسية مسئولة عن ابراز هذه الصور لكى تتمكن قيادات التنظيم من تقويم هذه الانحرافات السابق ذكرها ، وأيضا تعتبر الوحدات الاساسية مرجعا فى التعرف على حقائق قد تغيب عن الادارة وحقائق لا تعرض للادارة أثناء العمل أو المناقشة .

وهناك مفاهيم جديدة بالمثل يجب أن تكون واضحة للادارة - وللنقابات والتنظيمات الشعبية داخل الشركات فى ذات الوقت : فالانتخابات القائمة والقادمة للنقابات وكذلك انتخابات ممثلى العمال فى مجلس الادارة (ولا نقول ممثلى النقابات) ستكون تعبيرا عن وجهة نظر القيادة السياسية وهى لجنة الوحدة سواء بأفرادها أو ممن تزكيهم اللجنة .

نحن نقول الآن أن هناك تناقضا .. لأن النقابة سبق انتخابها والوحدة الأساسية كذلك انتخبت على قاعدة أعرض .. والذى أتصوره أنه فى المستقبل سيكون أعضاء الوحدة الأساسية موجودين فعلا فى النقابة . أى من تزكيهم الوحدة يوجدون فى النقابة.. وكذلك الوحدة الأساسية سيكون ممثلو العمال فيها منبثقين من الوحدة الأساسية نفسها .. ومن أجل هذا فلن نجد فى المستقبل كثيرا من التناقض الموجود حاليا .. ذلك أن مجلس النقابة والوحدة الأساسية ومجلس الادارة أجهزة متكاملة .. صورة المستقبل اذن هى أن القيادة السياسية الممثلة فى لجنة الوحدة ستنبثق منها النقابة وممثلو العمال فى مجلس الادارة .. كل يباشر اختصاصه لتدعيم سياسة واحدة متكاملة .

سابعا - الشكاوى التى تلقاها الاتحاد الاشتراكى - أنواعها والسير فى تحقيقها ...

ان مجموع الشكاوى التى وصلت للأمانة العامة هو ٢٨٠ شكوى ٧٠ شكوى فصل ، ٩٠ شكوى نقل ، ٦٠ شكوى اضطهاد ، ٦٠ شكوى مقدمة ضد أعضاء اللجان .

بعض الناس يقولون انه لم يبت فى هذه الشكاوى من يوليو حتى الآن. والحقيقة أنه قد تم البت فى معظمها ، وأن كل حالة سيبت فيها على حدة لأن ذلك مسئوليتنا كاملة عن النقابة والادارة - والوحدة والاتحاد .

ونحن لا نمثل فى هذه المشاكل جانب او طرف الاتحاد فقط ولن نتعصب للاتحاد اذا

كانت لجنة ما منحرفة ، ولا للادارة اذا كانت هى الأخرى منحرفة كذلك •

قد يسأل سائل بماذا يتميز به أفراد اللجان عن الآخرين سواء من ناحية المفهوم الاشتراكى أو المفهوم العلمى ؟

أقول ان هذا ما نرجو أن يجيب عليه معهد الاتحاد الاشتراكى الجديد بما سيضعه من أسس التدريب للقادة على جميع المستويات لتباشر مسئولياتها على أساس من العلم والخبرة والمعرفة •

ثامنا ـ ما هو الموقف بالنسبة للادارة التى تعوق العمل وبالنسبة للجنة التى تخل بمسئولياتها ••• ؟

ينص قانون الاتحاد الاشتراكى العربى فى المادة ٢٤ بأنه « للجنة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى وكذا للجنة التنفيذية العليا (فى غير فترات انعقاد اللجنة العامة) سلطة تعديل أو الغاء أى قرار من منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى فى المستويات الأدنى اذا كان فيها خروج على أهداف الاتحاد الاشتراكى العربى أو السياسة المقررة له » •

ولقد كفل قانون الاتحاد الاشتراكى العربى فى المادة (٢٥) اجراءا حاسما بالنسبة للجنة التى تخل بمسئولياتها حيث يقول القانون بأنه « يمكن للجنة العامة أو اللجنة التنفيذية العليا أن تحل أى منظمةمن منظمات الاتحادالاشتراكى العربى اذا أخلت بواجباتها المنصوص عليها •

أما الموقف بالنسبة للادارة التى تعوق العمل : اننا لا نتصور أولا بأن الادارة لا تدرك أهمية مسئوليات الوحدات الأساسية والغايات التى تتكون لها درجة ارتباطها بالتنظيم • ان فى تعويق أعمال الوحدات تعويق للتنظيم بلا شك • ومن هنا كانت المسئولية الجسيمة التى تلقى على عاتق الادارة •

واذا حدثت بين الادارة والوحدات فى سباق التطبيق أنواع من الشد والجذب بسبب عدم الاهتداء الى الحلول الصحيحة• أو بسبب ما يسمى الاختصاص •• فنحن على يقين بأن الشد والجذب سيكون كل منهما قليلا لأن الادارة تمر بفترة اعداد وتدريب اشتراكى وكذلك سيتولى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية وفروعه عمليات الاعداد والتدريب للأعضاء وللجان • وفوق هذا وذاك فان الأمانة العامة تدرس من الوجهة الفنية تلك المسائل التى تعرض عليها والتى يتضح أنها من مسببات التوتر بين الأطراف فى وحدات المصنع والشركة التجارية والمؤسسة • وغيرها من أنواع الوحدات •

أهمية الفكرة والعقيدة والعلاقات الحسنة

واذا كان الميثاق قد أشار الى الفكر فقد أصبح لزاما أن نتبنى هذا الفكر •• ولسوف نجد فى عشر السنوات القادمة مجال فكر نتطلع اليه كهدف وكصورة من صور التطبيق•

ولكن مهما كان هناك فكر ، ومهما كان هناك مؤمنون بهذا الفكر ، فلا يمكن أن يتم النجاح المحقق الا بقدر العلاقات التى تربط بين الناس وبعضها •• وهناك بلاد كانت قد وصلت الى قمة الفكر ولكنها لم تلبث أن انهارت بسبب انهيار علاقات الناس فيها فانهارت مجتمعاتها•

واحب أن أنبه الى أن العلاقات مطلوبة بشدة ، لأنها اذا ساءت فلا يمكن أن تقوم قائمة لأى عمل• وكذلك مطلوب الايمان بالعمل ايمانا صادقا •• وفى تعريف المؤمنين •• يوضح الله سبحانه وتعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا •• وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) • هذه السورة تبين تعريف المؤمن •• مؤمن بعقيدته •• مؤمن بقيادته •• وصل الى درجة اليقين •• لم يصبح لديه مجال للشك •• مستعد للجهاد بماله فى سبيل العقيدة •• ثم تكلم بعد ذلك فى السورة عن العلاقات بين الناس بعضها وبعض •• « يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » •• « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » •• « ولا تجهروا بالقول كجهر بعضكم لبعض» ، « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة •• « اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » ••

آيات كلها تدعو الى حسن العلاقات لتسود المودة بين الناس وتكون اساسا للتنظيم الناجح فى أى مجتمع من المجتمعات •

باب التفسير

سورة البقرة

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ "١" ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ "٢"
ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ "٣" وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ
مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ "٤" أُوْلَٰٓئِكَ
عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ "٥"
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ "٦" خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ
وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

سميت بذلك لان قصه بقرة بني اسرائيل ذكرت فيها على صورة عجيبة . وهى أكبر سور القرآن . وقد اشتملت على معنى سام هو دعوة الناس كافة الى ان يكونوا امه واحدة لايفرقهم جنس ولا وطن ولا تبعية لنبى دون نبى ولا لكتاب دون كتاب ولذا كرر هذا

المعنى فيها أربع مرات • مرة فى أولهما وأخرى فى النصف الأول وثالثة فى وسطها • ورابعة فى آخرها « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل » الى آخر آية ١٣٦ وقال فى وسطها « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » الى آخر آية ١٧٧ وقال فى آخرها « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله » آية ٢٨٥ • فالمتأمل يعلم منها ارادة ايقاظ شعور الناس بأنه ينبغى أن تكون كتب الله كلها هى امامهم ، ورسله جميعا محل احترامهم ، وأن يكونوا بررة بالمساكين • ذاكرين الله دائما بالعبادة التى تشعرهم مراقبته • فلا يؤمنون ببعض الكتب ويكفرون ببعض • ولايعظمون بعض الأنبياء ويحقرون بعضا وبهذا يعيش العالم كله فى هناءة وطمأنينة • وفى سبيل هذا الغرض الشريف سلكت السورة ضروبا من الارشاد والتعاليم والسير المليئة بالعبر نلخصها فيما يأتى : تعرضت لصفة المؤمنين الصادقين فى أربع آيات • والكافرين المعلنين كفرهم فى آيتين والمنافقين فى ثلاث عشرة آية ، ثم دعت للمبدأ الذى نوهنا عنه وهو دعوة الناس كافة الى عبادة الله الذى خلقهم وخلق من قبلهم • وبعد أن تحدتهم بما أعجزهم عن أن يأتوا بسورة من القرآن ذكرت لهم قصة ابيهم الأول آدم • وتعظيم الله له • ايقاظا لشعورهم بأنهم أبناء لأب واحد ليتحقق الغرض المقصود • ثم أفردت طائفة من الناس كفرت بأنعم الله الكثيرة ولجت فى العناد • وهم بنو اسرائيل • فذكرت نعم الله عليهم نعمة بعد نعمة من أول قوله «يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم » آية ٤٠ الى ١٥٢

« لفت أنظارهم فى اثنائها من أول آية ١٢٤ وما بعدها الى أنهم هم وقريش الذين منهم الرسول صلى الله على وسلم يجمعهم أب واحد هو نبى الله ابراهيم عليه السلام ، كما جمعهم هم وغيرهم جد واحد هو آدم عليه السلام ، فكان يجب أن يكونوا أول من يؤمن برسول يأتى من بنى عمومتهم • ثم تعرضت السورة بعد ذلك لشىء من أحكام الحج والقتال والقصاص والصيام وبعض الأحوال الشخصية من طلاق • وعدة • ورضاع • ونفقة • ثم رجعت لذكر بعض حوادث وقعت لبنى اسرائيل مع انبيائهم ، تدل على جبنهم ، فقالت « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل » الآيات من أول ٢٤٦ ، ثم حثت على النفقة ابتغاء مرضاة الله وحذرت من الربا ثم ختمت بما بدأت به كما علمت •

والمتتبع لنظم القرآن يجد أن هذا هو شأنه فى جل سوره يمزج الكلام فى العقائد والأحكام بالكلام فى المواعظ وقصص الصالحين والجبارين • ثم يلحقها بما ينبه الأفكار ويحرك العقول نحو التدبر فى الآيات المثبوتة فى الكون • وهذا الأسلوب جديد لم يكن معروفا قبل القرآن •• اذ المعهود فى كتب العلوم والفنون الى عصرنا هذا أنها تفرد كل نوع بفصل أو كتاب تسرده فيه سردا مملا ، جافا لاروح فيه • ولكن القرآن وهو كتاب هداية قبل كل شىء جاء على نمط ينتقل بالقارىء من فن الى فن • ومن روض الى روض ، حتى يكون منشرح الصدر لايتسرب اليه ملالة ، وبهذا كان القرآن معجزة الأبد ، ومفخرة أمة محمد ـ صلى الله تعالى عليه وسلم

« الم » لعل من أحسن ما قيل فى مثل ذلك أن هذه الحروف ذكرت مفردة ايقاظا لمن أعرضوا عن القرآن ولفتا لنظرهم الى أن هذا القرآن المتلو عليكم وقد أعجزكم ماهو الا كلام منظوم من جنس ماتنظمون منه كلامكم ، ومع ذلك فلم تستطيعوا ان تاتوا بمثله • فكيف جاز فى عقولكم الاعراض عنه • وفى الاعراض هلاككم • ولذا تراه قلما يذكر هذه الحروف أول السورة بدون أن يعقبها بذكر الكتاب أو القرآن فيقول « الم ذلك الكتاب » « الٓمٓ تلك آيات الكتاب » « الم تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » « طس تلك آيات القرآن »

وهكذا مما يدل على ما أسلفنا «ذلك الكتاب» الذى يقرؤه محمد عليكم ، والكتاب بدل من اسم الاشارة قبله « لاريب » أى لاشك «فيه» أى فى أنه من عند الله • لا من عند البشر ،

والجملة خبر المبتدأ وهو ذلك الكتاب « **هدى** » خبر ثان وهو مصدر أريد به اسم الفاعل أى هاد لمن تأمل فيه ، وبين المتأمل بقوله «**للمتقين**» أى الذين من شأنهم أن يضعوا بينهم وبين العذاب وقاية وهى امتثال الأوامر واجتناب النواهى، وأبدل من المتقين بعض أفرادهم للعناية بهم فقال « **الذين يؤمنون بالغيب** » أى يصدقون بما غاب عنهم متى كان المخبر به هو الله تعالى فلا ينكرون الله ولا رسوله ولا الأنبياء ولا الكتب المنزلة عليهم ولا الملائكة ولا الجن . ولا البعث ولا الحساب ولا الجنة ولا النار . لأن تكذيب شىء من الوارد بطريق قطعى تكذيب له سبحانه وتعالى . وهذا جرم عظيم لا جزاء له الا الخلود فى جهنم .

« **ويقيمون الصلاة** » اقامة الصلاة هو اتقانها والاتيان بما به قوامها . ووجودها الحقيقى وذلك ليس بكمال الطهارة فحسب بل بالخشوع لله تعالى والشعور بالحاجة اليه والغبطة بالوقوف بين يديه فاذا خلت الصلاة من ذلك فقد خلت من عمادها وسلبت روحها ولم تكن هى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر . « **ومما رزقناهم ينفقون** »أى ومما أعطيناهم من فضلنا ينفقون فى مرضاتنا . وعبر فى مما ب « من » التبعيضية رحمة بعباده حيث لم يكلفهم بذل جميع أموالهم بل قبل منهم البعض مع ابقاء البعض للنفس والعيال ، وفى هذا الأسلوب حث على المسارعة بالأنفاق لأن المال الذى هو معطيه ـ سبحانه ـ لنا اذا طلبه منا وأثابنا عليه . فالفضل كله منه واليه « **بما أنزل اليك** » من القرآن « **وما أنزل من قبلك** » كالتوراة والانجيل . « **وبالآخرة** » ، أى وبالدار الآخرة وما فيها من ثواب ،وعقاب على الوجه الذى أخبرنا الله به لا مجرد ايمان على وجه الاجمال ، فانه كان حاصلا من قوم يقولون : ان البعث للارواح لا للاجسام، وان العذاب رمز لألم نفسى، والنعيم رمز للسرور ولذا قال تعالى ردا لقبول مثل هذا « **هم يوقنون**» والايقان ايمانك بالشىء مع الاحساس به كأنك تراه ، ولهذا أيضا ذكرت الآخرة بخصوصها مع انها داخلة فى مطلق الغيب المتقدم ، للاشعار بان الايمان بها المعتبر شرعا انما هو الايقان

بكل ماورد عنها من تفصيلات عن طريق مقطوع بصحته ، وأيضا لأن الآخرة هى يوم القضاء والفصل الذى ليس فيه من هزل ، وليس بعده دار سوى الجنة أو النار، فخطره جسيم، وأمره عظيم، فاستحق أن يذكر بخصوصه، وأن يذكر بجانبه الايقان . « **أولئك** » الموصوفون بكل تلك الصفات« **على هدى** » أى متمكنون من الهدى تمكن المستعلى من المستعلى عليه وهذا الهدى ((**من ربهم**)) أى بفضله وتوفيقه لسلامة فطرهم ، وحسن استعدادهم ، **وأولئك هم المفلحون** » اى هم الذى انحصر فيهم الفلاح وهو الفوز بما يحبون والنجاة مما يخافون.

« **ان الذين كفروا** » هذا شروع فى بيان طائفة الكافرين المجاهرين ، وخبر ان الآتى بعده يدل على ان المراد هنا بالذين كفروا اناس مخصوصون . تحجرت قلوبهم . فلم تقبل النظر فى الدليل ، والا فلو كان المراد كل كافر لما كان لرسالة الرسول الى الناس كافة فائدة.، ثم قال سبحانه مخبرا عن هذا النوع من الكفار «**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون**» اى فلا تطمع ايها النبى فى ايمانهم ، ولا تحزن عليهم ، وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم وارشاد لعدم اليأس من ايمان غيرهم . وقد تبين فيما بعد أن من هؤلاء أبا جهل وأبا لهب وأمثالهما ..

وليس من اعجاز القرآن أن يقطع بعدم ايمان قوم وهم لا زالوا أحياء مطلقى الحرية يمكن ان يهجم الايمان على قلوبهم فى كل لحظة كما هجم على قلوب كثير من اخوانهم كانت متجمدة ، ثم تثبت الأيام صدق هذا اليأس من ايمانهم ويمسون وهم كفار. اللهم زدنا ايمانا بك وبصدق رسولك وكتابك .. « وسواء عليهم » خبر ان و «أأنذرتهم» ومابعدها مؤول بمصدر فاعل سواء وجملة « لايؤمنون» خبر لان بعد خبر . والمعنى ان الذين كفروا عنادا واستكبارا يستوى عندهم انذارك وعدمه .فهم «لايؤمنون»والانذار اعلام مع تخويف .والحكمة فى انذارهم مع العلم باصرارهم على الكفر هى اقامة الحجة عليهم « **ختم الله على قلوبهم**» أصل الختم الطبع والتغطية ، فكأنه طبع عليها فلا

يخرج منها الكفر ولا يدخلها ايمان لجمودهم وعنادهم « **وعلى سمعهم** » أى وختم على سمعهم فالاسماع داخلة فى حكم الختم لا فى حكم التغشية نظير قوله سبحانه وتعالى « وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » وافرد السمع لانه فى الاصل مصدر · والمصدر اسم جنس لايجمع والمرادبالسمعهنا القوة التى بهاالسمع فعدم جمعه ملاحظة فيها الاصل ، وهو المصدر ، **وعلى أبصارهم** » البصر نور العين الذى به الرؤية « **غشاوة** » الغشاوة الغطاء · والكلام فى الجميع من قبيل التمثيل · قال الراغب : الختم والطبع فى الآية اشارة الى ما جرت به العادة من ان الانسان اذا ماتناهى فى اعتقاد الباطل وارتكاب المحظور ولايكون منه تلفت الى الحق فان ذلك يورثه هيئة تمرنه على استحسان المعاصى · فكأنه ختم على قلبه بختم حسى ، وهذا الختم من الله مجازاة لهم على اصرارهم على الكفر · قال تعالى : « **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم** » آية ٣ من سورة المنافقين ·

والى العدد القادم انشاء الله تعالى ه

باب الحديث

السنة
الحديث
السيرة

فضيلة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

الحمد لله ذى الجلال والكبرياء ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه الكرام الأوفياء .

وبعد .. فاني لا أجد بدا - وقد استخرت الله تعالى - فى أن أختار جملة من صحاح الأحاديث التى آثرها ثقات الرواة عن سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الأحكام والآداب ، ثم أشرح كل حديث منها شرحا وسطا لا يرتفع عما يدركه المتوسط من قراء ((منبر الاسلام)) ولا ينزل عن أن يكون تذكرة للنابهين منهم - من أن أقدم بين يدى ذلك جملة من المباحث ، فى وجازة واختصار ، عن هذه الألفاظ الثلاثة :

الحديث . السيرة . السنة .

فأبين كيف استعملت فى اللغة العربية ، ثم كيف استعملها علماء الاسلام ، وأن أتحدث عن مدى الحاجة الى معرفتها ، ومقدار صلتها بالقرآن الكريم الذى هو كتاب الهدى والنور ، وهو المرجع الأول للعلماء على اختلاف مناهجهم ، عنه يصدرون ، واليه يرجعون ، وليس لأحدهم أن يخالفه ولا أن ينحرف فى فهمه عن الجادة التى كان عليها رسول الله وأصحابه والتابعون لهم باحسان ، وما يتصل بذلك من المباحث ، وأنا أضرع الى الله تعالى ان يبصرنى فيما أنا بسبيله من ذلك ، وان يجنبنى الخطأ والزيغ والزلل والغرور انه - سبحانه - ولى التوفيق .

فأما كلمة ((السنة)) فقد استعملها العرب - منذ عهد الجاهلية - فى معنى السيرة والطريقة التى يقصد اليها الانسان ويتحراها، سواء أكانت ممدوحة أم لم تكن ، وسواء أقصد متحريها أن يتبعه فى ذلك غيره ، أم لم يقصد ، ومن أهل اللغة قوم قيدوا هذا المعنى بأن يواظب على سلوكها حتى تكاد تكون عادة ، فمما جاء من استعمال العرب ذلك قول لبيد بن ربيعة العامرى ، ومن المعلوم ان شعر لبيد كله جاهلى وان كان قد أدرك الاسلام وأسلم وسلخ فيه حرسا من عمره ، والبيت الذى نستشهد به هو البيت الحادى والثمانون من معلقته فى رواية التبريزى (ص٢٢٧) وابن الانبارى (ص ٥٩٣) والزوزنى (ص١٢٣) وأبى زيد القرشى (ص٧٤) ورواه أيضا ابن منظور فى اللسان (مادة سنن) قال :

من معشر سنت لهم آباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها

قال الزوزنى ((يقول : هو من قوم سنت لهم أسلافهم كسب رغائب المعالى واغتنامها ، ثم قال : ولكل قوم سنة وامام سنة يؤتم به فيها)) اهـ .

ومن ذلك قول الأعشى ميمون بن قيس ، وهو البيت الخامس والثلاثون من قصيدة يمدح فيها قيس بن معديكرب (الديوان ٢٠٥ - ٢١٢) وقد رواه له ابن منظور (مادة سنن) أيضا :

كريما شمائله من بنى
معاوية الأكرمين السنن

ومن ذلك قول خالد بن زهير ، وهو ابن أخت أبى ذؤيب الهذلى ، وقد مات أبو ذؤيب فى عهد خلافة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - والبيت يقوله خالد لخاله أبى ذؤيب ، وقد رواه أبو سعيد السكرى فى شعر الهذليين (١-٢١٣) سادس سبعة عشر بيتا ، ورواه ابن منظور ((مادة سير)) ثالث ثلاثة أبيات :

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها
فأول راضى سنة من يسيرها

وأردنا بذكر هذه الشواهد وبالتنبيه الى مراجعها تسجيل أن العرب استعملت هذا اللفظ فى هذا المعنى فى عهد الجاهلية وفى أول عهد الاسلام من قبل أن تفشو فيهم ألفاظ القرآن والحديث ، ومن قبل عهد التصنيف بزمان طويل ، فليكن ذلك على ذكر منك .

وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم فى ستة عشر موضعا : مفردا فى أربعة عشر موضعا ، من ذلك قوله تعالى من الآية ٣٨ من سورة الأنفال : « **وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين** »

وقوله سبحانه من الآية ٣٨ من سورة الأحزاب : « **سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا** » .

ومجموعا فى موضعين ، فى قوله تعالى من الآية ١٣٧ من سورة آل عمران : « **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض** » .

وقوله سبحانه من الآية ٢٦ من سورة النساء : « **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم** » .

قال الراغب : « **وسنة النبى طريقته التى كان يتحراها ، وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته** » اهـ .

وتكرر هذا اللفظ فى كلام الرسول صلوات الله تعالى عليه ، من ذلك قوله :

« **من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها** » .

ومن ذلك قوله فى حديث المجوس .

« **سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير آكلى ذبائحهم ولا ناكحى نسائهم** » أى خذوا هؤلاء على الطريقة التى تأخذون بها أهل الكتاب فى قبول الجزية منهم ، ولكن لا تأكلوا ذبائح المجوس ولا تتزوجوا نساءهم .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

« **انما أنسى لأسن** » .

أنسى :فعل مضارع مبنى للمجهول بضم الهمزة وفتح النون وتشديد السين مفتوحة ومعناه انما يدفعنى الله على النسيان ويسوقنى اليه ليكون ذلك سببا فى أن أبين للناس ما يحتاجون الى أن يفعلوه اذا عرض لهم النسيان .

وورد هذا اللفظ فى لسان ثلاث طوائف من العلماء : ورد فى لسان علماء الفقه ، وورد فى لسان علماء الأصول ، وورد فى لسان علماء الحديث .

فأما علماء الفقه فيوردونه فى أبواب العبادات مقابلا للفرض ، فيقولون : فروض الوضوء كذا وكذا ، وسننه كذا وكذا ، وهكذا فى الصلاة والصيام والحج ، ويوردونه فى أحكام الطلاق مقابلا للبدعة ، فيقولون : طلاق السنة كذا ، وطلاق البدعة كذا .

والسنة ــ عند هذا الفريق من العلماء ــ تنقسم الى تقسيمات متعددة ، فهى من جهة تنقسم الى سنة هدى وسنة زوائد ، فما فعله النبى ــ صلوات الله عليه ــ على سبيل العبادة يسمى سنة هدى ، كصلاة الضحى وصلاة ركعتين قبل الفجر ، وما فعله على سبيل العادة فهو سنة الزوائد كطريقة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى قيامه وقعوده ومشيه ولباسه وأكله .

وهى من ناحية أخرى تنقسم الى مؤكدة وغير مؤكدة ، ويجعلون من السنن المؤكدة الأذان والاقامة والسنن الرواتب فى الصلاة والمضمضمة والاستنشاق فى الوضوء عند جماعة من الأئمة ، ويجعلون من السنن غير المؤكدة أذان المنفرد والسواك .

ويختلف اصطلاح المذاهب فى القول بأن السنة والمندوب والمستحب ألفاظ مترادفة أو بينها افتراق ، ولا محل هنا لتفصيل ذلك ، فانا انما نذكر هذا الكلام لبيان أن هذا اللفظ وارد فى استعمالات هذا الفريق من العلماء .

وأما علماء الأصول فيستعملون لفظ السنة عندما يريدون أن يحصوا الأدلة التى تؤخذ منها الأحكام الفرعية العملية ، فيقولون : « **أدلة الفقه الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس .. الخ** »

فهم يطلقون لفظ السنة على ما يقابل الكتاب ــ وهو القرآن الكريم ــ والاجماع والقياس وغير ذلك من الأدلة المتفق عليها أو

المختلف فيها مما يرجع اليه المجتهدون فى استنباط الأحكام الفرعية ، ثم يفردون لمباحث السنة بابا يذكرون فيه ما يختص بها من مسائل البحث ، ويذكرون مباحث عامة تتناول الكتاب والسنة معا ، وهم يريدون بالسنة ثلاثة أشياء .

الأول : ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول ، مثل ما رواه البخارى (١ - ٢٠٦ بهامش فتح البارى) من حديث أبى هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

« لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ »

والثانى فعله - صلى الله عليه وسلم - وذلك مثل ما رواه البخارى (١/٢٦٨) من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **« أكل كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ »** .

ومثل ما رواه البخارى (١-٢٦٤) عن سعد ابن أبى وقاص عن النبى - صلى الله عليه وسلم - **« أنه مسح على الخفين »**

والأمثلة لهذين النوعين أكثر من أن تحصى

والثالث تقريراته - صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك أن يفعل احد أصحابه بمرأى منه فعلا ما فلا ينكر عليه فعله هذا ، أو ان يفعل أحد أصحابه فعلا ما بمنأى عنه ، ثم يبلغه خبر ذلك الفعل اما من طريق فاعله واما من غير طريقه ، فيسكت ولا ينكر عليه ما فعله ، ومن أمثلة ذلك ما رواه البخارى (١-١٥٦) عن عبد الله بن عباس قال : **أقبلت راكبا على حمار أتان ، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلى بمنى الى غير جدار ، فمررت بين يدى بعض الصف ، وأرسلت الأتان ترتع ودخلت الصف ، فلم ينكر ذلك على أحد »** . يعنى لم ينكره النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا غيره .

وقد يصرح النبى - صلى الله عليه وسلم - حين يبلغه ذلك الفعل - بأنه لا اثم على فاعله ، ولكن ذلك يصير من بابة الأقوال ويخرج عن باب التقرير ، ومثاله ما رواه البخارى أيضا (١-١٦٤) من حديث عبد الله ابن عمر بن العاص من أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقف فى حجة الوداع بمنى للناس يسألونه ، فجاءه رجل فقال : **لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح . فقال : اذبح ولا حرج .**

فجاء آخر فقال : **لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى . قال : ارم ولا حرج . فما سئل النبى صلى الله عليه وسلم - عن شىء قدم ولا أخر الا قال : افعل ولا حرج .**

وما ذكرناه من أن السنة تطلق عند الأصوليين على هذه الأمور الثلاثة أقوال النبى - صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته هو ما استفاض عنهم وبينه المحققون منهم ، ولكن ابن السبكى حين عرف السنة فى كتابه « **جمع الجوامع** » اقتصر على ذكر الأقوال والأفعال ولم يذكر التقريرات وذلك حيث يقول : « **الكتاب الثانى فى السنة، وهى أقوال محمد - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله** » فيظن بعض من يطلع على كتابه هذا أنه لا يرى تقريرات النبى - صلى الله عليه وسلم - جزءا من مفهوم لفظ السنة عند علماء الأصول أو بعضهم على الأقل، ولكن هذا الظن غير صحيح ولا هو مستند الى تحقيق ، وذلك بثلاثة أدلة :

الأول : ان المحققين من شراح كتابه جعلوا التقريرات داخلة فى الأفعال ، لأن ترك النبى - صلى الله عليه وسلم - الانكار على فعل من الأفعال حدث أمامه ورآه أو حدث بعيدا عنه وسمع به ، هذا السكوت وترك الانكار على فعل من أفعاله - صلى الله عليه وسلم - قال جلال الدين المحلى (٣-١٦٨ بهامش الآيات البينات لابن قاسم) :

« **ومنها - يريد من أفعاله - تقريره ، لأنه كف عن الانكار ، والكف فعل كما تقدم** » اهـ .

الثانى : أن ابن السبكى نفسه حين عرف السنة فى شرحه على منهاج الأصول للقاضى البيضاوى ذكر التقرير صراحة فى ضمن مفهوم لفظ السنة ، وذلك حيث يقول : « **السنة فى اللغة الطريقة والسيرة** » .

وفى الاصطلاح : **ما ترجح جانب وجوده على جانب عدمه ترجيحا ليس معه المنع من النقيض ، وتطلق السنة على ما صدر عن النبى - صلى الله عليه وسلم - غير القرآن**

من قول ، ويسمى الحديث ، او فعل ، أو تقرير » اه .

الثالث : ان علماء الأصول وضعوا لتقريرات النبى - صلى الله عليه وسلم - مباحث منها انه اذا دل تقرير النبى - صلى الله عليه وسلم - فعلا من أفعال شخص ما على نفى الحرج كالمثال الذى ذكرناه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، **فهل يكون نفى الحرج قاصرا على الشخص الذى فعل الفعل للسبب الذى ذكره فيكون تخصيصا له من بين سائر المكلفين ، أم يدل على نفى الحرج عن هذا الشخص وغيره من المكلفين فيكون نسخا للحكم الذى استقر أولا ؟**

وللعلماء فى هذا الموضوع خلاف يطول بنا استقصاؤه ، وليس من غرضنا الآن الا ان ندل على ان علماء الأصول يرون دخول تقرير النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مفهوم لفظ السنة ، وانظر ان شئت كتاب فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت ١-٣٥٤ وكتاب ارشاد الفحول للشوكانى ص ٣٩ .

وأما علماء الحديث فقد استعملوا لفظ « **السنة** » وهم يطلقون هذا اللفظ على **« ما يضاف الى النبى - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو وصف أو سيرة »**

وقد مثلنا لثلاثة الأنواع الأولى فيما مضى عند الكلام على اصطلاح علماء الأصول ، وأما الوصف فيراد به ذكر ما كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أوصاف خلقية راجعة الى خلقته أو خلقية راجعة الى طبائعه النفسية .

ومن أمثلة ذلك مارواه البخارى من حديث ابن عباس (١-٢٩) قال :

« كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة »

وأما السيرة فأخبار حياته كلها منذ ولدته امه الى ان لحق بالرفيق الأعلى ، فهى تشمل ولادته ورضاعه وكفالته ونشأته كلها وزواجه ومخالطته الناس ، ثم نبوته ودعوته الى الله ، ثم هجرته وما اتصل بها من أحداث ثم حروبه وغزواته وكيفية معاملته للاسرى ، وبالجملة تشمل كل شىء يتصل بحياته الطاهرة سواء فى ذلك ما كان قبل البعثة وما كان بعدها ، ومن هنا يتضح أن معنى لفظ « **السنة** » فى اصطلاح علماء الحديث أعم من معناه فى اصطلاح علماء الأصول ، لأنه اوسع دائرة عند الأولين ، **وانما اقتصر علماء الأصول على ثلاثة الأنواع لأنهم يبحثون عن الأدلة الاجمالية التى يحتج بها ومنها تستنبط الأحكام الفرعية ، وأوصافه - صلى الله عليه وسلم - فى لونه وطوله ونحو ذلك ، وفى كرمه وزهده وشجاعته وصفحه عن الجاهلين وما يشبهها أمور فطرية جميلة خلقه الله عليها فليست من الأدلة فى شىء ، وأماسيرته فما كان منها قبل البعثة فبديهى انه لا يستدل به على حكم ، وما كان بعد البعثة فما كان منه قولا صدر عنه أو فعلا أوتقريرا فقد دخل فى معنى السنة عندهم من جهة كونه واحدا من هذه الثلاثة .**

وأما لفظ « **الحديث** » فقد ورد فى اللغة بمعنى الشىء الجديد الذى حدث بعد أن لم يكن ، تقول : حدث يحدث حدوثا - بوزن قعد يقعد قعودا - فهو حادث وحديث ، فهو ضد القديم ، وأتى بمعنى الخبر والنبأ ، تقول : جاءنى عن فلان حديث ، وسمعت عنه حديثا ، تريد خبرا ، فهو فى هذا الاستعمال بمعنى الكلام ، وكل كلام يبلغ الانسان فى يقظته أو نومه فهو حديث .

وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن فى ثلاثة وعشرين موضعا مفردا ، وفى خمسة مواضع مجموعا ، وتجد فى بعض هذه المواضع اطلاق لفظ الحديث على القرآن الكريم ، فمن ذلك قوله تعالى فى الآية ٦ من سورة الكهف :

« فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا »

ومن ذلك قوله سبحانه (الآية ٢٣ من سورة الزمر) .

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم» .

وقوله سبحانه « الآية ٥٩ من سورة النجم » .

« **أفمن هذا الحديث تعجبون** »

واطلاق هذا اللفظ على القرآن الكريم يتجه على أحد معنيين :

الأول انه بمعنى الكلام من غير فرق بينهما ، والثانى على معنى قرب عهد سامعه به ، فانه يطلق على كل شىء قرب العهد به سواء أكان فعلا أم قولا ، فتقول : أحدثت ملكا ، وأحدثت لك كلاما ، وعلى هذا المعنى وصف الله القرآن بكونه محدثا فى قوله سبحانه « من الاية ٢ من سورة الأنبياء » :

« **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون** » .

وفى قوله جلت كلمته من الآية ٥ من سورة الشعراء :

« **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين** » .

وورد هذا اللفظ فى لسان فريقين من علماء هذه الأمة :

الفريق الأول علماء الأصول .

والفريق الثانى علماء الحديث .

فأما علماء الأصول فالمشهور عندهم اطلاق لفظ الحديث على « **ما صدر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير القرآن ، من قول** » فهو على هذا أخص من معنى لفظ السنة عندهم ، وقد أثرنا لك فيما سبق عبارة ابن السبكى فى شرح منهاج الأصول ، وهى صريحة الدلالة على هذا .

وأما علماء الحديث فلهم فى هذا اللفظ ثلاثة اصطلاحات مشهورة :

الاصطلاح الأول :

ان « الحديث » هو ما أضيف الى النبى أو الى الصحابة او الى التابعين من قول أو فعل أو تقرير » .

وقد ذكر هذا المعنى الطيبى وابن حجر ، وهما من شراح البخارى ، وعلى هذا الاصطلاح جرى اكثر الذين صنفوا فى علم « مصطلح الحديث » . فانهم قسموا الحديث الى أنواع منها المرفوع وهو ما أضيف الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنها الموقوف وهو ما أضيف الى الصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ ومنها المقطوع وهو ما أضيف الى التابعين ، وعلى هذا وردت القولة المشهورة عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ـ وقد سئل عن رأيه فى العمل بالحديث ـ فقال :

أما ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس ، وأما ما جاء عن الصحابة فعلى العين والرأس ، فاذا وصل الأمر الى فلان وفلان ـ يريد التابعين ـ فهم رجال ونحن رجال .

ومن الناس من يسقط من هذه المقالة الجملة الوسطى الخاصة بالصحابة ، ومن الناس قوم ينسبون هذا الكلام للشافعى ، والمسقطون لها لا يقصدون الا التشنيع على أبى حنيفة ، لأن الأخذ برأى الصحابة اذا اجتمعوا والاختيار من سنتهم اذا اختلفوا أمر لا مندوحة عنه فيما لم يصح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه شىء ، ثم هو مأمور به على لسان النبى صلوات الله عليه .

وقد اطلق علماء الحديث لفظ « **الخبر** » على المعنى الذى أطلقوا عليه لفظ « **الحديث** » فيكون اللفظان مترادفين بمعنى واحد ، على هذا الاصطلاح .

الاصطلاح الثانى :

ان « الحديث » يطلق على « ما أضيف الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول او فعل أو تقرير أو وصف أو سيرة »

فهو مرادف للفظ السنة .

و « **الخبر** » **يطلق على « ما أضيف الى الصحابة أو التابعين من قول أو فعل أو تقرير** » **فهو مباين للحديث وللسنة** .

الاصطلاح الثالث : أن « **الحديث** » (**هو ما أضيف للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف أو سيرة**) ، **فهو مرادف للفظ « السنة » عندهم « والخبر » هو ما أضيف للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو لأحد الصحابة أو لأحد التابعين من قول أو فعل أو تقرير » فهو أعلم** من لفظ الحديث على هذا الاصطلاح وأعم من لفظ « السنة » أيضا ..

ومهما يكن من شىء فان علماء الحديث قد اختاروا لفظ « الحديث » للدلالة على المعنى الذى يريدونه منه ـ على اختلاف المصطلحات ـ لأنه يشعر بالحدوث ليكون

فى مقابل كلام الله – الذى هو القرآن – وقد يكون السر فى ذلك أن الله تعالى سمى القرآن « كلام الله » وذلك فى قوله سبحانه من الآية ٦ من سوورة التوبة .

« وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله »

فلما أرادوا أن يختاروا لفظا يطلقونه على كلام رسول الله وما يجرى مجراه وجدوا أقرب الألفاظ للدلالة على معنى الكلام هو « الحديث » .

و « الحديث » عند هؤلاء ينقسم انقساما أوليا الى قسمين :

الأول : الحديث القدسى .

والثانى : الحديث النبوى .

فأما الحديث القدسى فهو **« ما أخبر الله به نبيه بالهام أو منام فأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم – بعبارة من عنده » .**

فهو يخالف القرآن من جهتين :

الأولى : أن القرآن لا يكون ابلاغ الله رسوله اياه الا عن طريق الوحى وفى اليقظة .

والثانى أن عبارة القرآن من عند الله ، ولهذا كان تحدى الله المعارضين أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة ، ولم يقع التحدى بالحديث القدسى، ولهذا أيضا كانت قراءة القرآن وتلاوته عبادة، فأما الحديث فتعلمه وتفهمه وتعليمه الناس عبادة كتعلم سائر العلوم الدينية والدنيوية متى قصد بها النفع العام ، بل ان تعلم كل علم نافع للامة فى الدين أو الدنيا فرض كفاية يجب على الأمة كلها أن تخصص من أبنائها جماعة يتعلمونه على قدر حاجة الأمة ، فان لم تهيىء الأمة لأبنائها اثم الجميع ، فان تعين تعلم هذا العلم فى جماعة بأن تبين ان الاستعداد لتعلمه منحصر فيهم فرض عليهم

وأما الحديث النبوى فهو ما أسلفنا لك تحديده وبيان المصطلحات فيه .

وأما لفظ « السيرة » فقد ورد فى اللغة العربية اسما لهيئة السير الحسى ، ثم توسعوا فيه فأسندوه الى من لا يتأتى منه السير الحسى تارة ، وأرادوا منه السير المعنوى تارة أخرى . ويعبر عن هذا المعنى بالطريقة ، ومن المعنى الأول سموا القافلة « سيارة » لأنها تسير سيرا طويلا ، ومن المعنى الثانى قالوا « سار هذا الكلام » وقالوا « سار المثل » والمراد فشا وذاع بين الناس ، ومن المعنى الثالث « سار فلان فى قومه سيرة حسنة » والمراد انه اتبع معهم طريقة محمودة .

ولم يرد لفظ السيرة فى القرآن الكريم الا فى الآية ٢١ من سورة طه :

« قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » .

والمراد – والله أعلم – سنعيدها الى هيئتها التى كانت عليها أول الأمر قبل أن تنقلب حية تلقف ما يأفكون ..

وقد ورد لفظ « السيرة » مفردا فى اصطلاح علماء الحديث ، وقد بيناه فيما سلف ، وورد مجموعا فى اصطلاح بعض الفقهاء فقد عقد علماء الأحناف بابا فى كتبهم سموه « باب السير » وارادوا به الباب الذى يجمع الأحكام التى يجب على المسلمين مراعاتها فى معاملة الكفار والباغين والمستأمنين والمرتدين وأهل الذمة .

ولما جاء عصر التدوين استعمل المحدثون لفظ « السنة » مفردا ومجموعا ، واستعملوا لفظ « السيرة » مفردا ومجموعا أيضا ، واستعمل الفقهاء لفظ « السير » مجموعا .

فمن الأول كتاب « السنة » للامام أحمد ابن حنبل و « السنة » لمحمد بن نصر المروزى وسنن ابن جريج وسنن الحافظ موسى بن طارق الزبيدى المعروف بابن قرة ، وسنن عبد الرزاق بن همام الصنعانى ، وسنن ابن ماجه القزوينى ، وسنن الدارمى ، وسنن داود السجستانى ، وسنن الترمذى ، وسنن النسائى ..

ومن الثانى سيرة ابن اسحاق التى هذبها ابن هشام ، فهى تنسب اليه ، وسير النبى لمحب الدين احمد بن عبد الله الطبرى ، ولأبى عمر صالح بن اسحاق الجرمى .

ومن الثالث كتاب « السير » الصغير ، وكتاب « السير » الكبير ، وهما لمحمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة ، رضى الله عنهم أجمعين .

سل نفسك

وضيلة الشيخ محمد محمد المدني

أيها القارىء الكريم !

سل نفسك . من اى نوع ايمـانك ؟ أهو مجرد تصديقك بأن للكون الها واحدا مدبرا حكيما لا يعـزب عن علمه مثقـال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، ولا يقع فى ملكه الا ما يريد ، ولكنك مع هذا التصديق القلبى ، والاذعان النفسى ، لا تنطلق الى العمل الصالح ، ولا تتحرج من الاثم والفحشاء وقول الزور وايذاء النـاس بلسانك أو بجوارحك ، ولا تحس برقابة من داخل نفسك تجعلك متقنا لعملك اذا عملت ، مبتعدا عن كل ما يستحيا منه سواء رأتك العيون أم لم ترك ؟ .

***

سل نفسك : اذا وقفت بين أمرين،أحدهما فيه اغراء مادى أو معنوى ، والآخر فيه ارضاء لله الذى خلقك وانعم عليك : أتختـار ما تشتهيه نفسك ولو أغضب الله ، أم تحارب شهوتك ورغبات نفسك حين تجدها متعارضة مع دينك وأمانتك وخلقك ؟.

***

سل نفسك: هل ايمانك بالفضائل ومقاييس الشرف والكرامة ايمان عملى له آثاره الايجابية الخارجية الظاهرة فى سـلوكك وأسلوب معاملتك ، أو هو مجرد اعجاب بالفضـائل واقرار لمقاييسها دون تطبيق لها ، واخـذ بهـا ؟ .

***

سل نفسك : هل تغار على الحـق حين يعدى عليه ، وعلى العدل حين تهتز موازينه ، وعلى الحرمات حين تنتهك ؟ .

وهل تحزن اذا وجدت ظالما يظلم كأنك أنت المظلوم ؟.

وهل تأسف اذا وجدت مخادعا يخـدع كأنك أنت المخدوع ؟.

وهل يقض مضجعك ان تجد اعوجاجاً لا تستطيع تقويمه ، او فسادا لا تقدر على اصلاحه ، أو شرا لا تستطيع دفعه ؟.

او انت ممن يعيشون فى عزلة عن مجتمعهم، لا يهتمون الا بأنفسهم ، ولا يأسفون الا على ما يفوتهم ، ولا يفرحون الا بما أوتوا ، ولا تهزهم مظاهر الظلم والفساد والشر وغلبة الباطل على الحق ، وسيادة الرذيلة على الفضيلة ؟.

***

سل نفسك : هل تتاثر بصورة فعالة اذا رأيت فقيرا عضه الفقر بنابه ، أو مريضا يكاد يذيبه المرض فى ثيابه ، أو مكلوما يفيض بالحزن قلبه ، أو يسيل من الثكل دمعه ، أو كادحا يكدح على رزقه ورزق أولاده ، وهو فى أسمال بالية لا تكاد تستر عورته ؟ .

او انت ممن لا تهزهم هذه المناظر المؤلمة ، ولا تبعث فى نفوسهم النخوة والمروءة لمحاولة تخفيف بؤس البائسين ، وشقاء المحرومين ؟.

***

سل نفسك : هل انت من المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ؟.

او انت من الذين يأخذون بالعدل ، ويعطون بالعدل ، ويطبقون موازين الحق على الناس كما يحبون أن تطبق عليهم ؟.

وهل تعلم ان التطفيف بالزيادة او النقصان كما يكون فى الكيل والميزان ، يكون فى الكلمة تقولها ، وفى الرأى تراه ، وفى الشهادة تؤديها، وفى النصيحة تدلى بها ، وفى الجزاء على الاحسان بالاحسان ، وعلى السوء بالسوء ؟.

او انت من الحرفيين الذين يقفون عند الالفاظ ، ولا يتعدونها الى نطاق المعنى ، وروح التعبير ، فتكتفى بالعدل فى الكيل والميزان ، وترتكب الجور فيما ينطق به اللسان ، او ينطوى عليه الجنان ؟.

***

سل نفسك : هل انت من الذين يقولون ما لا يفعلون، ويتطلعون لما لا يصلحون، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، ويعملون على اغتصاب ما ليس لهم ، واقتناص ما ليس من حقهم ، عن طريق التحايل بالباطل ، أو الوساطة ، أو الرشوة ؟

او انت من المترفعين عن أمثال هذه الاساليب الذين يؤثرون ان يحتفظوا بشرفهم وكرامتهم وعزتهم ، على ان يرتكبوا فى سبيل تحقيق المآرب الفانية ماليس لأصحاب الهمم والمروءات أن يرتكبوه ؟

***

سل نفسك : هل انت مادى حريص على الدرهم والدينار ، بل على المليم والقرش . ولو خضت فى سبيلهما الاوحال ، وارتكبت ما يرتكبه الانذال .

او المادة لديك وسيلة لا غاية ، وانت المالك لها ، وليست هى المالكة لك ، واذا تعارضت مع اى معنى كريم ، ضحيت بها غير آسف عليها ،على حد قول الشاعر :

أصون عرضى بمالى ، لا ادنسه
لا بارك الله بعد العرض فى المال !
أحتال للمال ان أودى فأجمعه
ولست للعرض ان أودى بمحتال !

او على حد قول الآخر (وهو حاتم الطائى) بقوله لزوجته « ماوية » :

أماوى : ان المال غاد ورائح .
ويبقى من المال الاحاديث والذكر !
اماوى : مايغنى الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر !

***

سل نفسك : هل انت شجاع فى مجابهة الحوادث ، تقابلها بثبات وتعالجها بحكمة وصبر ؟.

وهل انت شجاع امام النعمة ، كما انت شجاع أمام النقمة ، فلا يستخفك الخير ، كما لا يستخفك الشر ؟.

أو أنت هلوع : اذا مسه الشر جزوع ، واذا مسه الخير منوع ؟.

* * *

سل نفسك : هل أنت رفيق بزوجتك وأولادك وأهلك ، ترتاد لهم سبيل الخير والصلاح ، ولا تدخر وسعا فى اسعادهم ، وهل ترحم ضعفهم ، وتغفر زللهم ؟.

أو أنت فى بيتك وبين أولادك وأهلك ، عبوس الوجه ؛ مقطب الجبين ، صخاب ، سباب ، تحاسب على النقير والقطمير ، وتقسو على الكبير والصغير ؟.

ألم تعلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان أكرم الناس مع أهله ، وأرفقهم بزوجاته ؟ وانه ما رؤى متجهما فى وجه احداهن ، ولا غاضبا غضبا يخرجه عن سكونه ورحمته ، ولا سبابا ، ولا فاحشا ، ولا محتقرا لطعام ، ولا مؤثرا نفسه بطعام ، ولكن ما رضى عنه أكله ، وما كرهه تلطف فى رده ، وما غاب لم يسأل عنه !

وانه قال : ((**أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم**)) ((**وخيركم خيركم لاهله ، وأنا خيركم لاهلى**)) .

سل نفسك : هل أنت حقود تحتفظ بزلات أصحابك ، ولا ترى الا مثالبهم ومعائبهم ، ولا تحب أن يسبقك منهم سابق ، أو يلحقك لاحق ؟.

وهل ترى لنفسك حقوقا عليهم ، لا تراها على نفسك لهم ؟.

وهل تستريح فى خفاء وخبث نية الى ما ينزل بهم من حادث الدهر جل أو حقر ؟.

أو أنت هين لين ، لا تحمل الحقد ، ولا تضخم العيب ، وتعذر الصديق ، وتعرف حقوقه عليك أكثر مما تعرف حقوقك عليه ، ويسرك دائما أن تراه فى خير ، فلا يفسدك الحسد أو التطلع لما آتاه الله من فضله ، ولا تتربص به دوائر السوء ، ولا تعاجله بالقطيعة اذا أساء اليك ، وتعمل فيه بقول الشاعر :

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو شاربه ؟

ويقول الآخر :

ولست بستبق أخا لا تلمه
على شعث ، أى الرجال المهذب

وقول الثالث :

من ذا الذى ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط !

* * *

سل نفسك : هل أنت مغرور يزدهيك المدح ويغضبك النقد ، ويحرجك النصح ؟

أو أنت متواضع فى غير ضعف ، ملتمس للكمال ، تخجل من الثناء ، ولا تغضب من النصيحة ؟.

* * *

سل نفسك : هل انت تكذب اذا حدثت ، وتخلف اذا وعدت ، وتخون اذا ائتمنت ؟.

أو أنت من الصادقين اذا حدثوا ، الموفين بعهدهم اذا عاهدوا ، الذين يؤدون الامانات الى أهلها ، ولا يخونون الله ورسوله ؟.

* * *

سل نفسك : هل بكيت من خشية الله قط؟ وهل تحس بالندم اذا وقعت فى الذنب ؟ وهل تبادر بالتوبة وتعزم على عدم العودة ؟.

أو أنت من الذين قست قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، ومن الذين يصرون على المعاصى غير نادمين ولا تائبين ، ومن الذين يستحلون طعم الذنوب التى اقترفوها اذا ذكروها ، كما يستحلى المرء ذكريات ماضيه الجميل ، ويتمنون لو عادوا اليها أو عادت لهم ، كذلك الشاعر الماجن الخليع الذى يقول :

هل الله عاف عن ذنوب تسلفت
أو الله اذ لم يعف عنها يعيدها ؟!

فهو يسأل الله : اما ان يعفو عن ذنوبه الماضية ، وأما ان يعيد له عهدها ليتمتع باقترافها وتكرارها !.

***

سل نفسك : هل أنت من الذين يلذ لهم أن يخوضوا فى أعراض الناس بالحق أو بالباطل ؟

وهل تستريح الى مجالس القيل والقال ؟

وهل أنت ممن يروجون الشائعات، ويبلبلون المجتمعات ؟

وهل أنت من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ؟

او أنت عف اللسان ، متحفظ من قالة السوء ، تظن بالناس الخير ، وتهجر مجالس الخائضين المفسدين ، ومن الذين لا يقعدون معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين.

***

سل نفسك : هل تحب وطنك وأمتك ؟ هل تفرح بعزتهما وكرامتهما حين تراهما عزيزين كريمين .

وهل شعرت بالفرق بين ماضيهما القريب، وحاضرهما الماثل ؟

وهل ادركت اننا كنا نسام الخسف ونحمل على الذل ، ونباع ونشترى كما يباع العبيد ، وان وطننا كان لايعدو ان يكون منطقة من مناطق النفوذ يتنازعه المستعمرون والغاصبون وأننا اليوم جرينا فى مضمار السبق مع الامم الحية المتحضرة ، واننا هدمنا السدود التى كانت توضع فى طريقنا ، وتحول دون نهوضنا واننا بنينا السد العالى بعزمنا وسواعد ابنائنا ، واننا نقول فيسمع لقولنا ، ونغضب فيهتز الاقوياء لغضبنا ، واننا طبقنا بصورة عملية قول نبينا - صلى الله عليه وسلم - فينا : « كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، فأنجدنا اليمن ، وأعنا الجزائر ، وساعدنا تونس ، وقمنا بحق الاخوة لسائر اخواننا فى كل شعب ؟.

أو أنت من النائمين الذين لم يستيقظوا ، ومن المكابرين الذين لم يعترفوا بالحقيقة ، وممن عشت على قلوبهم وأبصارهم عشاوات الماضى ورواسبه ، فهو لايبصر ولايسمع ولا يدرك ؟

***

أيها القارىء الكريم :

سل نفسك عن هذا كله ، واعمل على ان تجيب فى صراحة ، تحقيقا لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « استفت قلبك وان أفتاك المفتون » فانك حينئذ ستعرف نفسك ، وتعرف وضعك ، وتعرف ما لك عند الله ، وما أصدق قول رسولنا الكريم : « من احب أن يعرف ما له عند الله ، فليعرف ما لله عنده » .

من حضارة

الإسلام

"٢" معرفة الذات

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

ذات الفرد ـ ثنائية الانسان ـ الروح والجسد ـ الذكر والانثى ـ شخصية الرقيق ـ حقوق الذمى ـ اختلاف الدرجات

ذات الفرد :

هذا العراك الصاخب المرير ، الذى يصبح فيه ابن آدم ويمسى ليسفر له عن يوم سعيد ثم لايجده مهما توفرت له أسباب المتاع انما كان سببه أنه لا يعى معنى السعادة الحقة ثم هو يسير الى ما لا يعى فيضل الطريق مرتين • وليس هذا الخطأ الا لأنه ينظر الى السعادة وكأنها كائن غريب ومخلوق خفى لا يبلغ أعتابه بغير شق الأنفس وطحن غبار السنين •

ولكن السعادة الحقة فى أول مرمى البصر وعند ملمس أصابع اليد ، بل هى أقرب اليه من ذلك اذا تحقق أنها لابد أن تصدر عن نفسه وتنبع من قلبه ، فاذا أخطأ وجرى وراءها ليحصل عليها من غير هذين المصدرين فانه سيرجع بلا شىء ، حتى من غير خفى حنين •

السعادة فى ذات النفس وبين حنايا القلب فان أدرك المرء ذاته وملك قلبه وعقله فقد بلغ الذروة التى يطل منها فيرى كل سعادة دونها أشلاء وتفاريق •

ولقد أخذ الاسلام بيد ابن آدم فدله عليها بعرفان نفسه ، وأمره أن يبصر فيها عظمة الخلقة ويدرك بها حقيقة العظمة وكأنما طار به الى القمة العليا حين أخذ بيده لينظر منها الى ماهو أدون وأقل ، فان عصى وتلدا وبدأ من الوادى مصعدا ، ومن السفوح جاهدا فانه لن يبلغ القمة وحده أو بأعوان الا اذا أخذ بيده الاسلام ، وهو من غيره سيضعف حتما عن الصعود ويقعد عجزا دون البلوغ •

ورويدك قليلا ، فلاتظن أن بلوغ القمة كان فى الاسلام من غير صراع ، بل بلغ فيه الصراع أشده ، ولكنه كان صراعا فكريا نبيلا وكان مداره ترقية الانسان من طريق احساسه بذاته وادراكه حقيقة نفسه •

وقد شوهدكيف واجهت الرسالة الاسلامية منذ البداية هذه الفكرة وتصدت لها ، بل يكاد يكون الأمر أكثر من تنبيه المرء لنفسه فى كثير من الآيات والأحاديث التى تنص على النظر فى النفس ومعرفتها ، فقد أرغم الاسلام الفرد على ادراك ذاته ، ليس فقط بما ألقى عليه منواجبات وقدر له من حقوق وعقوبات ، بل بدخوله بفرائضه وآدابه فى كل دقائق حياته حتى أوشكت هذه الفروض والآداب أن تمس ما بين جلده ولحمه وأن تحول ما بين أشفار عينيه •

وتكليف الفرد بتكاليف كعدد شعرات البدن وافساح الأمل أمامه فى الحق والجزاء تكليف اشعار له بعدم الاهمال وانقاذ لدقائق حياته من المتاهة المظلمة التى تقضى فيها البهائم حياتها • ومقتضى كرامة المخلوق أن يكون مسئولا فيعطى ويأخذ ويفكر ويريد ويرجع ويمضى دون أن يكون ساكنا جامدا أو تائها فى مضلة عمياء لايحس بذاته ولا ذوات ما حوله من أركان الوجود •

والعقل والقلب والتفكير والمشاعر هن مميزات عنصر الانسان المتعالى على أنواع الخليقة دونه • وحين قدر الاسلام فيه هذه

الميزات جعلها ميزان حسابه ، فلم يسقط عن الصبى فريضة الحج ـ مثلا ـ اذا أداها وهو صبى لأنه يجب أن يؤديها عارفا عازما ، والعبد المعتق يجب عليه أن يعيد بعد أن يطلق حرا ، وفي مثل هذا وذاك اشارة جدية من الاسلام الى أن عمل العبد لا يصلح أن يحسب له الا اذا صدر عن ذات نفسه التى يحس وجودها ويملكها فيعمل عن عزم منها وارادة ، أما عزم الصبى والعبد وأمثالهما فهو عزم مفقود مالم يكبر الصبى أو يرسل العبد حرا •

والظلم والبؤس والمرض كالطفولة والعبودية قيود تصيب هذا المخلوق فتحطم ذاته او تضعفها وقد تكون أسبابها منه أو من غيره ، وسواء أكان هذا أو ذاك فقد انبرى لها الاسلام ليحطمها ويخلص الانسان منها ويرجع اليه خصائصه الرفيعة التى جعلته من ابان الخلقة مستخلفا على الكون •

والمثل ذاته الذى ضربه حديثا (هنرى لوفافر) فى الدلالة على تخلى الانسان عن ذاته بالكوخ الحقير الذى يسكنه ، هذا المثل نفسه ـ مصادفة ـ هو الذى جعل المسلم الأول المسئول يعثر بذاته ويعمل على انقاذها •

ففى تاريخنا أن عمر بن الخطاب كان يلبى فى عرفات فلمحت عينه أثناء التلبية كوخا فقطع التلبية ، فقيل له : لم قطعت التلبية يا أمير المؤمنين ؟ فقال : خشيت ألا يجيب الله دعائى وهذا الكوخ على الطريق !

ولم يكن عمر غافلا عن مكان الكوخ قبل أن يلبى ، بل كان يعلمه ويراه ـ وأرض عرفات ذاتها كانت مرعى عمر فى طفولته وصباه ـ وانما أراد عمر أن يجهر بالدعوة فتبلغ كل من فى الموسم ثم من وراءهم اذا عادوا اليهم لازالة كل الاكواخ على كل طريق • كما أراد عمر أن يعود الناس الى بلادهم وقد علموا أن أبواب السماء مسدودة لا تقبل دعاء الأرض الا اذا اقترن الدعاء بعمل جدى خالص سريع ينقذ البائسين • ومن ذات الفكرة ترى أنها كانت من جانب لانقاذ الفقراء ، ومن جانب آخر لانقاذ الأغنياء ومن جانب ثالث لتعليم العابد الداعى أن الدعاء الذى يلهج به لسانه من أجل نفسه قد لا يلبى الا اذا كان لغيره فيه نصيب •

ثنائية الانسان :

وكانت الأخلاقيات القديمة تتحسس الطريق فاهتدت الى أن الفرد الانسانى مخلوق شرير ، ثم جاءت أخلاقيات جديدة فعاندت هذا القديم وقالت ان الفرد الانسانى مخلوق خير •• هكذا على الاطلاق فى القولين القديم والجديد • ومن حيث كان نظرهما جميعا فى غير واقع الانسان وفى غير حقيقة وجوده فقد ضل الاثنان معا وتباعدا برأييهما فلم يلتقيا ، وبان هذا الاختلاف كأنه صادر عن عناد ليقال هذا قديم وهذا جديد •

وبين التجارب الطويلة فى حياة الانسان وانسياب أخبار الاسلام وادراكاته فى التيارات الزاحفة ، اهتدى المفكرون الى التوسط فقالوا ان الانسان بين بين فلا هو شرير خالص ولا هو خير خالص وانما هو شرير وخير معا •

وحتى لو كان هؤلاء الفلاسفة الذين اهتدوا الى هذه الآراء المتناقضة أو الجامعة قد أعملوا عقولهم وراء بحوث مضنية للوصول الى حقيقة الانسان فانه ثبت بما جاء به الاسلام ونزل به القرآن أن العقل البشرى فى حاجة ملحة لأن تهديه الى الحقائق أخبار السماء •

والرأى الذى جاء جامعا موافقا لا نحط من قيمته ولا نخفض من عظمته ، ولكنا ننكر أنه كشف فكرى تجريبى لغير الاسلام على الاطلاق فمنذ بزغ نوره ـ وليس فى وسط البلاد الموسومة بالرقى الفكرى الآن ـ قرر الاسلام هذه الثنائية ونسبها الى مبدعها ، كما قرر أنها ـ وهى مستقرة فى الخلقة ـ كانت لادراك الخير والشر وتمييزهما • ثم قال الاسلام أفضل من ذلك كله وأتم تفصيلا ، قال :

ان الانسان بعد خلقه من مزيج الخير والشر مدفوع بتفاعله مع الطبيعة من فكر ومادة الى فعل الخير والشر ، ولكنه مسئول أن يقتحم العقبة فينفى جانب الشر ، ويحقق جانب الخير فى نفسه من داخل

وفى أعماله التى يبرزها من خارج وفى كل روابطه بمجموع الخليقة الانسانية ، ولا سيما اذا كان الخير محطما لقيد من قيود الظلم أو البؤس أو المذلة ، فى الفرد نفسه أو فى فرد آخر غير نفسه أو فى جماعة من الناس .

ومسئولية الانسان فى ذلك من أنه مطالب ان يدرك ذاته ، أليس موهوبا بصرا يرى ؟ ولا قيمة للبصر الا اذا رأى . أو ليس ملهما أن يعبر عن معانى السعد والبؤس التى يحسها ويشعر بها ؟ و لاقيمة للسانه الا اذا دعا به وعبر ونصح وأثر . أوليس موهوبا ادراك الخير والشر قادرا على أن يسلك طريقيهما ؟ ولا قيمة لهذه الهبة الا اذا صعد فى خير النجدين فاقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة ! (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة) .

وان أول درجات اقتحامها محو الطبقة بفك الرقبة ، وتأمين الطعام فى المجاعة والمأكلة حين تضيق موارد الرزق وتنقطع أسبابه . وهذا كله امتداد من النفس بخيرها الى غيرها ، وهو فضل من تعاليم الاسلام ، ولكن لم يزل فيه فضل بعد ، فانه يفترض مع هذا الامتداد باليد الى الغير أن يكون الانسان فاضلا فى ذاته صالحا فى نفسه غير مكتف بما يفعله وحده ، بل عليه أن يدعو اليه غيره ويحثه عليه وفى ذلك يستطرد القرآن قائلا (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة) .

وهو قول يؤذن بأن كل اصلاح يجب أن يقتلع جذور الشر من النفس لئلا تنبت بشر جديد ، ولا ضمان لمستقبل حضارة محققة السعادة بأفضل مما دل عليه القرآن .

الروح والجسد :

وفى الانسان ثنائية أخرى ،فيه روح وجسد وذاته المكونة منهما مصدر أقواله وأفعاله . هما متحدان فى الذات ، ولولا اتحادهما لما ظهر التأثير الذى نراه فى المادة بأشكال لا تعد ولا تحصى . ولكن حين كان الجسد ومطالبه الى الشر أقرب انصبت عليه أسواط التأديب الدينى بالحركة المقيدة فى الصلاة ، والجوع فى الصوم ، والاحرام والحرمان فى الحج ، ودوام النظافة بالوضوء والغسل وأساليب التأديب فى الأكل والشرب والغدو والرواح ، ومشقة الحمية ومرارة الدواء . وكل هذه الأمور انما هى لدفع الجسد وتقويته على مرافقة الروح فى قوة لتصعد به كما تريد .

والاسلام يأمر النفس فى عدد لا يحصى من الأوامر أن تنظر فى خلق الجسد وصورة البدن، حتى تسلك مذهبه فى التحول والنمو والقوة والنشاط ، والمزاولة والتجربة فتظهر من الخفاء وتنتقل من الجهل الى العلم ومن المعرفة الى الحكمة ، ثم تنطلق هى بعد تاركة هذا الرقيق المحطوم عند حده الى بقائها السرمدى وخلودها الأبدى .

ومن الممكن عند صفوة العارفين من علماء المسلمين أن تفارق الروح الصورة الانسانية الى صورة ملكية لو عاونها البدن وانحبس معها فى محراب الاعتدال أو ساعدها على التطرف فى التنسك وأعطاها فراغه قبل أن يشتغل وغناه قبل أن يفتقر وصحته قبل أن يسقم وشبابه قبل أن يهرم وحياته قبل أن يموت .

ولم يعبر الفكر الاسلامى فى الروح والجسد وراء البحث عن غير المعقول ، ولكن المهم عنده الانتفاع باتحادهما فى ترقيتهما معا . وأبسط العواقب أن يتخلف الجسد أو يتحطم ، أما تخلف الروح فمن ورائه الخطر الداهم والشر القاصم . والصوفية يدعونك الى أن تجرب فتقبل على تصفية روحك حتى ولو أرهقت البدن وجررته كسيحا كسيرا الى محراب الصلاة ، فاذا عصى البدن وذلت الروح هان على الله عذابهما واستحقا عذاب الحريق .

الذكر والأنثى :

ومن ادراك الذات الشعور بالقوة والضعف والاعتراف بهما والعمل طبقا لما تستطيع الذات أن تفعل ، ولا عبرة بأقوال طنانة تتناسى هذا الشعور ولا تعترف به . وفرق بين أن تحشد أمة لأعمالها كل قوى وضعيف وبين أن تسوى بينهما فى الحقوق والواجبات ، اذ لابد حين تدرك الأمة ذاتها وتعمل لصالحها أن تشعر بالفرق بين القوة والضعف لئلا تلقى عن الكواهل واجبات بغير حساب .

ولا يطعن فى قوة هذا الرأى ضرب مثل بفرد واحد ، فليست النساء كلهن عائشة ، وليس الرجال كلهم أبابكر • وبحث الأمور بروح الكراهية ينطوى على خطيئة • وروح التسامح الذى جعل الاسلام يكره الجدل والعناد كفيل بأن يوصل الى الحق الأكيد •

وما من شك فى أن المرأة المسلمة ترتبط بضميرها فى الشرف والسمو لأن الاسلام ، حتى فى أوهى خيوط التعلق به ، يكبح فى نفسها جماح التهوروالاندفاع ، فلن تسمح للآراء الجائرة على الأخلاق باسم الحرية أن تجتاح من نفسها كل السدود التى بنيت فيها لحماية الفضيلة •

وقد فصل الاسلام فى الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة بحيث جعل كل جنس منهما عند ذاته ، ولا مفر من الخضوع لحكم الخلقة أما الأشكال والطوارىء فقد نفاها ، فلم يقض على المرأة بالاهمال أو الطرد أو الوأد ، وكذلك لم يطلقها من غير قيود ، بل أحلها مكانها فى أخوة الجنس بلا ميل ولا حيف •

ولم يحمل الاسلام المرأة من بعض الفرائض الا بمقدار مايتيح لها استعدادها فى الفطرة ومقدرتها فى الخلقة ، واتخذ من بعض هذا الضعف المخلوق أو المكسوب علة كون الرجل قيما عليها ــ فى رباط الزوجية ــ وهو ليس قيما الا بعلتين : علة بنائه لمواجهة الشدائد والطوارىء المفاجئة حتى يصونها ويحميها من مواجهتها وعلة انفاقه عليها ليوفر لها جهدا تنفقه عن رعيتها • والعلة الأولى مخلوقة ، والثانية مكسوبة • فاذا انعدمت علة منهما أو انعدمتا معا تعادلت مكانتهما ، أو كانت المرأة قيمة عليه ، فهما اذن ــ من غير علتى التفضيل ــ متساويان •

والأصل فى ذات الرجل أن يكون أبا راعيا •• والأصل فى ذات المرأة أن تكون أما راعية •• وهكذا يشير الحديث الذى اتخذ أصلا فى مسئولية كل من يلى أمرا عاما أو أمرا خاصا • وماعدا ذلك من الأمور فهى فروع لا نبلغ مبلغ الأصول •

وحيث كان هناك حقل للأبوة وجب أن يحمل الأب اليه فأسه ، وحيث كان هناك ركن للأمومة وجب أن تبذل فيه الأم قلبها وجهدها • وليس المراد بالبيت الذى أمر الاسلام بالتزامه مجرد بيت من جدران وأستار ، ولكنه ساحة علم وبناء أخلاق وتخفيف متاعب وارخاء سكون وتدبير مال ورسم خطوط ، حتى يعدالبيت أبناءه للمجتمع الخارجى ويجهز له الأفكار ، ثم يعود البيت فيجنى ثمرة العمل الخارجى وينتفع بها ، فهو كالوسط التجارى بين العمل والاستهلاك

هذاهو أصل الفكرة فى ادراك ثنائية الجنس فى الاسلام ، وهو مجملها ، فاذا وجد شذوذ فى الجزئيات فالطبيعة من طبعها خلق الشذوذ •• ومن خير المرأة ألا ترجع عن حقها من التفيؤ بظلال الرحمة التى خلقت لها ، لان ذات المرأة فى الخلقة من صورة دقيقة بالغة التحديد ، يتلفهاأقل تطرفالى الترجل أوالتبرج •• وكلاهما أمران مختلفان • ولكنهما يؤديان الى نزع خصائص الخلقة وانحرافها عن الذات • والتبرج أشد خطرا من الترجل لأنه مظهر ترف وداعية انحلال، أما ترجل المرأة فقد يكون أحيانا محمودا كضرورته • ابان الأزمات والحروب •

وعلى هذه الأصول يجب أن يقاس الأمر فى الزى والصوت والاختلاط ومهما دعا التطرف الناس جميعا الى الخروج عن الاعتدال فالاخلاص لهذه الأصول يحمى الأمومة من **الضمور** كما يحمى الأبوة من الانهيار •

شخصية الرقيق :

قضية (العبرة بالنتائج) قضية لا نقض لها • والنتائج هى المأمولة من كل عمل فى هذه الحياة • والعمل اذا كان لذاته أشبه بالتسلية أو ساعة من الهزل يطرح فيها الانسان عقله للذة عاجلة فارغة •

وكثير من الجدل والعناد يكون أشبه بالتسلية برواية مؤلمة المشاهد ، ومن هذا ــ تماما ــ القول فى الرقيق فى الاسلام : هل عمل الاسلام على الاسترقاق ؟ هل عمل الاسلام على الاطلاق ؟ ويدور المجادلون وراء السؤالين يحشدون الأدلة ويستنجدون بالتاريخ •

وقضية الرقيق في الاسلام أيسر من أن تجادل أو يختلف عليها لو رجعنا الى قضية (العبرة بالنتائج) ومنها نستطيع أن نسأل : أين الرقيق اليوم عند المسلمين ؟

انه لا يوجد رقيق قط . لقد أطلق كله . واشمأزت النفس الاسلامية أن يسترق الناس ومع تأخر بعض العصور الاسلامية في ديارها وأفكارها فانها لم تمسك الرقيق ، بل استمرت تطلق ماكان منه حتى لم يبق منه شيء .

هذا قول حق لا يعترضه انسان ، ولا يطعن فيه مايتناثر من أخبار عن آحاد من الناس يملكون رقيقا ، لاننا لانتكلم عن الآحاد، وانما نتكلم عن فكر الاسلام وعمله والنتائج التي حدثت منهما .

وفي غير بلاد المسلمين يزعمون أن عالمهم خال أيضا من الرقيق ، وهو موجود بالجملة ، وجماعات برمتها تطرد وتقتل لأنها ملونة في بلاد البيض . وهؤلاء الملونون أحرار ، ولكنهم يعاملون معاملة العبيد . أما الاسلام فكان له رقيق ، ولكنه كان يحيا حياة الاحرار .

والزنوج الأحرار يطلبون الحرية والسمو فيطردون عن دور العلم وسكنى المدن . أما الأرقاء في تاريخ الاسلام الأول حين امتلئوا من الحرية والعلم فقد ثاروا يدافعون عن الاسلام في كل موقعة وينتظمون في كل جيش

وكذلك يبدو أن الاسلام تولى قضية الرقيق بالحل فكانت العاقبة أن لا رقيق والامور بعواقبها . فلم يسلب الاسلام ذوات الأرقاء بعد أن كان من الطبيعية أن يفقدوها بحكم ارتدادهم منهزمين . وحتى في استمرار العبد عبدا فقد جعل الاسلام علاقته بسيده علاقة مساواة في حقوق العيش ومظاهره كلها ، أما في الحق العام فقد سوى أبوبكر في القسم والعطاء بين الحر والعبد والحرة والامة والذكر والأنثى والصغير والكبير .

ثم كان العبد ينطلق من عبوديته لسيده اذا أدرك واحد منهما ذاته ، فاذا ميز السيد الخير ومال اليه وتخطى العقبة أعتق عبده . واذا بلغ العبد مكانا في الفضل أو ناله من سيده أذى يحقره ويؤلمه أعتق من سيده .

أما السبايا فقد محا المجتمع الاسلامي الأول عنهن هذا الاسم وسماهن (الفتيات) وقد كان منهن كثير من الخلفاء والملوك وحسبهن أنهن ولدن خير الناس في مبدأ الاسلام ، وكان من أولادهن في عصر واحد بالمدينة فقهاؤها وعبادها الثلاثة : القاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبد الله بن عمر بن الحطاب وعلي بن الحسين زين العابدين .

وربما دعا الاسلام الى عتق العبيد لاول استجابة منهم لندائه ، وقد نادى منادي رسول الله يوم الطائف يقول : أيما عبد نزل فهو حر وولاؤه لله ورسوله ! فقذف بضعة عشر رجلا من عبيد الطائف بأنفسهم من الحصون استجابة لمناديه .

وقصة أبي مسعود البدري مع غلامه تضرب أروع مثل في اطلاق الاسلام للعبيد : فقد كان أبو مسعود يضرب غلاما له مملوكا بالسوط ويثقل عليه بالضرب وقدملكه الغضب فمايرفع عنه ضربة حتى يهوى عليه بالأخرى والغلام يصيح مستغيثا فلا يغيثه أحد . وبينما هو يفعل ذلك ويكرره اذا صوت يناديه من خلفه على بعد قائلا : اعلم أبا مسعود !

وسمع أبومسعود الصوت ولكنه لم يميزه ولم يدرك لمن يكون لأن الغضب كان قد سد عليه منافذ السمع والتمييز ، ولكن الصوت جعل يدنو منه ويقترب ويرتفع ويقول : اعلم أبا مسعود .

والتفت أبو مسعود وراءه حين صار الصوت قريبا منه فاضطرب وأخذته الخشية والمهابة وسقط السوط من يده ووقف منكسا رأسه خاشعا . واذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول : اعلم أبامسعود ، اعلم أبا مسعود !

فلما نكس رأسه وخشع وأخذته المهابة قال له رسول الله اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ! واستحيا أبو مسعود وأراد أن يكفر عن ذنبه ويستغفر فقال : يا رسول الله هو حر لوجهه تعالى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لو لم تفعل للفحتك النار !

حقوق الذمي :

ولم تخرج الذمية الفرد عن ذاته في ظل

الاسلام ، بل حفظت عليه حياته وحريته ودينه ولم يكن الخراج الذى يدفعه أو الجزية الا مقابل حمايته أولا ثم استمتاعه بحق المسلم كله بعد ذلك فى نظام الحياة المفروض على الجميع ، فاذا لم يستطيع المسلمون حمايته فليس عليه جزية ولا خراج !

وليست هذه دعوى نسوقها من غير دليل ، ففى أول فتوح الشام رد المسلمون لأهل حمص خراجهم الذى كانوا قد أخذوه منهم لما عجزوا عن حمايتهم ، فلما رأى أهل حمص هذه العدالة من المسلمين انضموا اليهم وقاتلوا (هرقل) فى صفوفهم حتى انتصروا .

وبيت مال المسلمين لم يكن أعز عند عمر بن العزيز من ذمى يسلم ، وقد شكا اليه بعض الولاة اقفار بيوت الأموال من اقبال أهل الذمة على الاسلام ليسقط عنهم الخراج ، فكتب اليهم عمر يلومهم على الشكوى ويقول : ان الله أرسل محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا !

ولم يكن اقبال أهل الذمة على الاسلام الا لأنه رد اليهم ذواتهم التى كانوا فقدوها فى الشرك والوثنية ، ولو كان الاسلام سلبا للذات لظلوا على عداوته وما قبلوا دعوته ، ولكن المسافة لم تكن بين الذمية والاسلام فى كثير من الأحيان الا مسافة التجربة والاختلاط ثم يقبل الذمى على الاسلام مخلصا موفقا .

اختلاف الدرجات :

والفرد الذى يذوب فى طبقة أو يبيد من طغيان طبقة أخرى كلاهما أنقذه الاسلام ، اذ لم لم يعترف بنظام الطبقات الذى هو تكتل جماعى لصنف بذاته من الناس ، بل جاء ليقوض ماكان موجودا منه ويحل مكانه نظام الاعتراف بتفاوت الدرجات . ولم يرد فى القرآن ولا الحديث لفظ للطبقة يؤدى المعنى الذى نعرفه منها فى تفاوت جماعات الناس .

ومن حيث يذوب الفرد فى الطبقة أو يبيد تثبت ذاته وتبرز فى اختلاف الدرجات . وهذه الفكرة ناصرها الاسلام لأنه لا حيلة فيها اذ تكاد تكون مجمدة الخلقة لا يمكن أن تزول من الوجود الا اذا أعيد خلق الانسان من جديد على قد واحد وصب فى كل اناء جسدى ماهو مصبوب فى اناء الآخر من قوى على السواء .

يعرف الاسلام للفرد شيئا اسمه الدرجة ويحققها له فى أجور الدنيا ومراتبها ، ويعده بها فى الآخرة وثوابها ولا يعرف له شيئا اسمه الطبقة . والعبد فى نظر الاسلام ذو درجة عليا لو عرف ذاته والسيد ذو درجة سفلى لو انحط فكره وخلقه وآذى الناس .

وعمر بن الخطاب لم يبال بملك غسان حين داس الأعرابى على طرف ازاره فى الطواف فصفعه الملك ، وأراد عمر أن يقتص للأعرابى منه فعز على الملك أن يهان فترك الموسم ومضى .. ولم يبال عمر أن يخرج (جفنة) هذا من أرض المسلمين وأن يخرج من الاسلام جملة مادامت فيه روح الطبقة وغطرسة الملوك .

وتساوى الافراد فى الاسلام الا بوجوه من الفضل ترفع الدرجة ولا تخرج الى طبقة . وحتى فى مذهب الشيعة الامامية — وهم يقصرون الامامة على الوراثة — لم يورثوا من الأئمة الا من كان ذا درجة عليا فى تدينه ، وأقصوا غيره .فلم يخرجوا عن جوهر الاسلام العام .

والحق فى جانب هذا الدين ، فان نظام الطبقات مناف عقلا لكل رسالة تلقى المسئولية على ذات الفرد وتعرض عليها الثواب والعقاب، اذ لا ضرورة لها لو كان الناس طبقات وكان الأمر ميراثا . وليس ينفع اذن نظام موحد تأتى به رسالة ، بل تتعدد الرسالات فتأتى لكل طبقة رسالة ، بل لا ضرورة لرسالات قط اذا انتهى الأمر بحق الطبقة فى الميراث من جيل الى جيل .

***

وهكذا أدرك كل فرد بالاسلام ذاته وأدركت كل جماعة به ذاتها ، وتحققت السعادة لكل من نظر اليها فى نفسه ورآها بين جنبيه . وكل دنيا بغير معرفتها هباء . وليس بغيرها تدرك حقيقة الوجود .

خطأ

وقع فيه كثير من المسلمين

هل تجيز الشريعة الإسلامية أن يمنح رب الأسرة بعض ورثته جزءا من ثروته تمييزا له عن غيره ؟

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

هل تجيز الشريعة الاسلامية أن يمنح رب الأسرة بعض ورثته جزءا من ثروته تمييزا له عن غيره ؟

قال كثير من العلماء لا يجوز له ذلك . وهو حرام . ورأى بعض هؤلاء أنه تصرف باطل . ومن هؤلاء البخارى ، وطاووس ، والثورى ، وأحمد بن حنبل ، واسحق وبعض المالكية . قال الحافظ بن حجر والمشهور عن هؤلاء ان هذا التصرف باطل وعن أحمد : أنه يصح لكنه حرام يجب الرجوع فيه .

وقال بعض العلماء يجوز له ذلك مع الكراهة .

استدل الأولون بأن الله سبحانه وتعالى لم يفصل تفصيلا دقيقا فى حكم من الأحكام كما فصل فى تقسيم المواريث . فبينما نراه فى الصلاة يكتفى سبحانه بقوله ((وأقيموا الصلاة)) ويترك بيان عدد ركعاتها ، وكيفية أعمالها ، وأوقاتها لبيان الرسول صلى الله عليه وسلم تنفيذا لقوله تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم (١)

وكذلك الزكاة . يقول سبحانه (وآتوا الزكاة) ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم أنواع ماتجب فيه ،ومقادير كل نوع ، وأوقات استحقاقها ، وغير ذلك .

وكذلك الحج يقول سبحانه (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وبين الرسول فرائضه ، وواجباته ، وشروطه ، وغير ذلك .

نقول بينما نراه سبحانه فى كل ذلك يكتفى بالأمر مجملا ، ويترك البيان للرسول ، نراه فى المواريث يسلك غير ذلك ، فيفصلها تفصيلا دقيقا ، فيقول (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) الى آخر آيتى ١١ ، ١٢ من سورة النساء .

ثم لم يكتف سبحانه بهذا التفصيل الدقيق بل يذكر أمامه آية تعتبر مقدمة هامة له فيقول (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مماترك الوالدان والأقربون . مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا (٢))

---

(١) آية من سورة النحل

(٢) آية من سورة النساء

ثم عقب على ذلك التقسيم بآيتى ١٣ و ١٤ يبين فيهما أن تلك الأحكام هى حدود الله • وأنه وعد من أطاعه فى تنفيذها بالجنة ، وأوعد من عصاه بالنار •

فاذا تأملنا آية ٧ نراه سبحانه اختار طريق النص والتفصيل ، ولم يقل للرجال والنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون •• الخ بل ذكر النساء على حده كما ذكر الرجال سواء بسواء •• فماذا تديد القرآن من هذا ؟

يريد نهجين عادة جاهليه ، كانت تقترفها بعض قبائل العرب (١)• تلك هى عادة حرمان النساء من الميراث • ومن المحزن أن الدوافع على هذه العادة الشنيعة جرت ذيولها الى يومنا هذا ، حيث تحايل بعض من ينسبون الى الاسلام للوصول اليها حتى انغمسوا فى أوحالها كما ستراه فيما بعد • ثم مما يؤكد استهجان هذه العادة قوله تعالى (**يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**) تأمل هذه العبارة تجد الله سبحانه جعل حظ الأنثى هو الأصل الذى يجب النظر اليه أولا ثم يقدر على حسبه حظ الذكر • اذ كان يمكن أن يقول سبحانه **يوصيكم الله فى أولادكم للأنثى نصف حظ الذكر** • ولنذكر

الآن أدلة هؤلاء المانعين ثم نتلوها بأدلة المجيزين مع مناقشتها بما يوضح موطن الحق فى هذا الموضوع • استدل المانعون :

أولا – بقوله تعالى فى آخر آية ١١ المتقدم الاشارة اليها « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) أى لاتغيروا ماشرعه الله لكم فى قسمة أموالكم بين ورثتكم ظانين أن من تميزونه ينفعكم ، لأنكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فاتركوا الأمر للعليم الخبير بعباده •

ثانيا – قوله تعالى فى هذه الآية أيضا (يوصيكم الله •• الخ) ثم كرر الوصية بذلك فى آخر آية ١٢ فقال (وصية من الله)فمعنى هذا أن الموصى بهذا التقسيم هو الله سبحانه وتعالى • واذا كان الرجل منكم اذا أوصى بشىء من ماله فىحدود الثلث فانه يجب عليكم شرعا تنفيذ وصيته ، فكيف والحال أن الموصى هنا هو العزيز العليم •

أليس هذا يحتم على المؤمن أن يحافظ على ما أوصى به ربه أشد من محافظته على وصية رجل من أهله ؟

ثالثا – قوله تعالى فى آخر آية ١١ (فريضة من الله) أى أن هذه السهام التى بينت لكم فرضها الله عليكم فرضا محتما ، فيجب عليكم المحافظة على فرائضه لأنها صادرة من العليم بأحوال عباده الحكيم فيما يشرع •

رابعا – ختم سبحانه هذا التقسيم بآيتى ٣ او ١٤ ليغلق منافذ التلاعب حيث جاء بتلك العبارة الحازمة التى تحمل فى طياتها ارعادا وابراقا يزعجان كل من تحدثه نفسه بالتلاعب بها ، تلاعب بنى اسرائيل بأحكام الله حيث تحايلوا على ابطال ما أمر الله به فى كثير من الأمور (١)

---

(١) قلنا بعض القبائل لماثبت ان كثيرا من القبائل كانت تنفر من العوائد المستهجنة • قال ابو اسحاق الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ فى كتابه الموافقات جزء ٢ صفحة ٥١ طبع منير الدمشقى (ان للعرب فى الجاهلية عوائد قبيحة ، ابطلها الاسلام كما كان لهم عوائد حميدة أقرها الاسلام • من هذا النوع الاخير القراض • وتقدير الدية ، وفرضها على العاقلة ، وتوريث الاولاد (للذكر مثل حظ الأنثيين) ، وغير ذلك •

وقال الحافظ بن حجر جزء ١٢ صفحة ٧١ طبع الخشاب (مما كان عند العرب فى الجاهلية واقره الاسلام قطع يد السارق ••من العوائد القبيحة التى حاربها الاسلام ، ولكنها لم تكن عامة فى العرب ، بل كانت محصورة فى بطن من بطون تميم ، ولم تعمر طويلا عادة قتل البنات بدفنهن تحت التراب وهن احياء ونزل فيها قوله تعالى (اذا بشرأحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون أم يدسه فىالتراب ألا ساء ما يحكمون) آيتى ٨٧ و ٥٩ من سورة النحل •

وكان أول من ابتدع هذه العادة القبيحة هو قيس بن عاصم التميمى ، وكان ذلك قبل ظهور الاسلام بزمن يسير، لأن قيسا هذا أدرك الاسلاموأسلم وحسن اسلامه ، فقضى على هذه العادة الشنيعة قبل أن تستفحل •

(١) من ذلك تلاعبهم عندما نهاهم الله سبحانه عن صيد السمك يوم السبت ، فكانوا يضعون الشباك حول السمك فى الماء ليمنعوه من الرجوع الى داخل البحر يوم البحر • عند ذلك يأخذونهبسهولة ويزعمون انهم لم يخالفوا أمر الله حيث لم يخرجوا السمك فى يوم السبت من الماء •

فقال سبحانه فيهم (واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فىالسبت اذ تاتيهمحيتانهم يوم سبتهم شرعا • ويوم لا يسبتون لا تاتيتهم • كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) آية ١٦٣الى آخر ١٦٥ من سورة الأعراف •

فقال سبحانه فى تلك الآيتين (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم • ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) •

قد يقول قائل لم كانت عناية القرآن بتقسيم الثروات على هذا الوجه المفصل - دون غيرها ؟•• نقول لأن الله سبحانه الذى خلق الانسان ويعلم ما ركب فى نفسه من الشح يعلم أن المال هو عصب الحياة ، وأنه زينة الحياة الدنيا ويتفانى الانسان فى الحصول على القناطير المقنطرة منه .

مال هذه منزلته فى نفوس البشر ، لا جرم ان كل امرىء يحرص أشد الحرص على جذبه الى جانبه • ويكره أن يفلت منه شىء كان ينتظره • لكل ذلك تولى سبحانه تقسيمه بنفسه ليستل من الصدور ما قد يحيك فيها اذا ترك توزيعه لغيره • ويكون سبحانه بذلك أغلق أبواب شرور كثيرة كما ستعلمه بعد •

رب قائل من بعض العلماء يقول ان هذه الآيات القرآنية وردت فى الكلام عن تقسيم تركة الميت فهى لاتمس تصرف الحى فى ماله الذى هو محل النزاع ، لأن الله سبحانه يقول فيها (مما ترك الوالدان والأقربون) ويقول (ولكم نصف ماترك أزواجكم •• الخ) الى غير ذلك، فهى آيات خاصة بالتركة جاءت لتقضى على عادات شاذة ، وتقرر المبادئ الصالحه لكل زمان ومكان • وقد كان بعض غلاظ القلوب يورثون الذكور دون الاناث كما علمت ، وبعضهم يورثون الكبار دون الصغار ،حتى ولو كانوا ذكورا • كما تضمنت أيضا اغلاق باب دعوة فاجرة تهب آنا وتسكن آنا منادية بالتسوية بين الرجل والمرأة فى الميراث •

انتظر رد هذا وحجج المانعين وتمحيص الحق فى العدد القادم ان شاء الله تعالى •

(٢) آية ١٢٨ سورة النساء
(٣) ٤٦ من سورة الكهف
(٤) آية ١٤ من سورة آل عمران •

باب الفقه الإسلامي

من مصادر الشريعة الإسلامية

عصمة الأنبياء

الدكتور محمد سعاد جلال

١ – يؤثر الأصوليون فى أول كلامهم عن موضوعات السنة أن يمهدوا لذلك بالكلام عن ثبوت العصمة للانبياء لأن حجية السنة لا تثبت الا بناء على ثبوت العصمة لهم ، فان ذلك مناط الوثوق بها فى الحجة والعمل .

ومع أن ثبوت العصمة لهم – كما يجب أن يلحظ – هو أيضا مناط الوثوق بالقرآن لا بالسنة وحدها ، فكان ينبغى أن يصدروا بذكرها الكلام عن القرآن أيضا ، لكنى أظن أن الاصوليين لم يرتبوا هذا الترتيب ، لأن فى اعجاز القرآن عند الأداء ما يشهد للعصمة لا ما يحتاج الى اثبات العصمة .

والكلام فى موضوع عصمة الأنبياء ينتظم الكلام فى تعريف العصمة

والمقتضى لثبوتها .

واوقاتها .

والموضوع الذى تتناوله .

والاستدلال على ثبوتها .

فهذه جملة مسائل سنعالجها واحدة بعد أخرى .

٢ – **تعريف العصمة** : وقد عرف علماؤنا العصمة بعدة تعريفات ..

فقال بعضهم : هى الحفظ من الوقوع فى الذنب .

وقال غيرهم : هى عدم القدرة على ارتكاب المعصية .

وقال صاحب مسلم الثبوت مع زيادات شارحة : هى خلق مانع عن ارتكاب المعصية غير ملجىء حتى لا يكون المعصوم مضطرا فى ترك المعصية وفى فعل الواجب وهوالمختار عند الجمهور .

وقال بعضهم هى ملكة نفسانية تمنع صاحبها الفجور، واستحسنه على غيره بعض العلماء ، وليس لاستحسانه وجه .. فليس يجاوز هذا التعريف أن يكون تفسير التعريف المختار للجمهور ، فان المانع غير الملجىء الذى يتصور قيامه مع وجود حتمية هجر المعصية وفعل الواجب ، يتعين أن يكون له صفة الالزام وصفة الاختيار فى آن واحد وذلك شأن الملكات النفسية حيث يكون الانسان ملزما نفسه بنفسه .

وفى هذا الضوء يتصور وجود العصمة مع قيام التكليف للمعصوم ، لاستيفاء ما يجب التعويل عليه فى صفة الأنبياء ، وهو استمرار الحكم ببشريتهم .

ومن ثم يظهر لك ضعف التعريفات الأخرى المفهمة لعجز النبى عن تناول المخالفات وصحة تعريف الجمهور .

فاذا كان الأمر كما وصفنا فما معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – فى الحكاية عن نفسه : « **انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة** » .

وأول الجواب عن ذلك ، انه من المستحيل بداهة أن تكون نفسه الشريفة – صلوات الله عليه – قد أوغلت فى السوء والانخراط فى المعصية بالمقدار الذى تقاضيه عليه السلام

أن يتوب ويستغفر ربه فى اليوم الواحد عن سبعين معصية ارتكبها ، فهذا محال بأول البداهة والنظر ، فلزم أن نلتمس للحديث تفسيره الصحيح ، وهو ان المراد بالتوبة هنا التوبة فى اللغة ، وهى مطلق الرجوع .

وليس المراد بها التوبة فى اصطلاح الشارع وهى خصوص رجوع المكلف عن ذنب واقعه.

والمراد بالاستغفار التعبير عن رؤية ماكان فيه من مراتب طاعة الله ودرجات المعرفة بحقه عليه أقل مما صار اليه من ذلك ، فان درجات الكمال فى معرفة الله والقيام على قدم العبودية لذاته معارج لا تتناهى ، وشأنه — صلوات الله عليه — أن يظل مترقبا نحو السمو الأعلى — على درج تلك المعارج ، من الكامل للاكمل ، ومن الأفضل لما هو أكثر منه فضيلة .

فكلما بلغ مرتبة نظر لما دونها — كنظر المتأسف — على أن لم يكن تخطاها فى معرفة الله من أول السعى لما هو فوقها ، فصح من حاله هذه أن يستعمل لفظ التوبة ، ولفظ الاستغفار عن مروره فى معارج الطاعة والمعرفة بمواطن ظن أنه يؤدى حق الله عليه فيها ، فيكشف لنفسه الشريفة أن حق الله عليه ، كما يجب عليه أداؤه فى حساب نفسه لايؤدى الا بما وراء هذه المرتبة ثم ماوراءها الى غير نهاية .

٣ — وقد إختلف علماء الأمة فى المقتضى لثبوت العصمة فذهب الأشاعرة وكثير من المعتزلة وأبو بكر الباقلانى وانحاز لهم الآمدى ، الى أن مقتضى العصمة انما هو السمع لا العقل .

ويعنون بذلك أن نصوص الشرع وحدها هى التى قضت بثبوت عصمة الانبياء ، ورتبوا على ذلك أن لا عصمة ثابتة للانبياء قبل البعثة حيث لا نص شاهد بها ، فجوزوا — بناء على قولهم هذا — وقوع الذنوب الكبائر من الأنبياء قبل البعثة ، بل وجوزوا أن يرسل الله رسولا كان كافرا وأسلم ، والمقصود انه كان مكذبا بالله فعاد الى التصديق به ، قالوا لأن العقل لا يحيل وقوع شيء من هذا كله .

وذهب أكثر المعتزلة والشيعة الى أن مقتضى ثبوت عصمة الأنبياء حكم العقل .

قالوا : ان الانسان الذى يختاره الله ليكون رسوله لهداية خلقه بدعوتهم للفضائل وتنفيرهم من الرذائل لا يصح أن يكون هو فى أى وقت من أوقات حياته ملوث السيرة خبيث السريرة ، فان المستعلن من قبح سيرته والمعلوم من خبث سريرته ينفر المدعوين من سماع قوله ويصدهم عن الالتفات لدعوته ، وذلك مناف لمقتضى الحكمة المقصودة من ارسال الرسل وتكليفهم بدعوة الناس لاتباعهم فى معرفة الله وطاعته وتحقيق شريعته المنزلة .

وهو المذهب الذى نقتنع به .

وأساس الخلاف بين الفريقين مسألة كلامية مشهورة فى تاريخ الفكر عند المسلمين وهى :

هل تجب رعاية الحكمة فى أفعال الله أم لا تجب

فأصحاب المذهب الأول يرون عدم وجوب رعاية الحكمة فى أفعاله تعالى .

وأصحاب المذهب الثانى يرون ذلك ، ونحن معهم فى هذه القضية ايضا لأن الحكيم العليم الذى نفى عن نفسه انه خلق الخلق عبثا لا تصدر افعاله على غير وفاق الحكمة ابدا .

وليس لقائل ان يقول لا يصح أن تجب على الله رعاية الحكمة فى أفعاله ، لانعدام الموجب وانعدام الواجب فى علاقة الخالق بخلقه .. والسيد بعبيده ..

لأنا نقول :

وجبت له لكمال ذاته .

وأوجب على نفسه قصد الحكمة كما أوجب عليها التزام الرحمة .

ورعاية الحكمة فى افعاله الواقعة تحت تصورات خلقه وافهامهم ، والتى يتعلق بها انقيادهم وكسر شوكة نفوسهم باب من أبواب رحمته الواسعة .

٤ — واما بيان زمان الحكم بعصمة الأنبياء، فقد سبق القول بأن الأشاعرة وكثيرا من المعتزلة ، وغيرهم ، لا يرون ثبوت العصمة للانبياء قبل البعثة بناء على أصلهم الا عصمة الا من طريق السمع ، ولا سمع قبل البعثة، **فلا عصمة تثبت لنبى قبل مبعثه .**

وأما من ذهب الى أن مقتضى اثبات العصمة انما هو حكم العقل ، وهم كما قدمنا الشيعة وأكثر المعتزلة ، فقد أثبتوا العصمة للانبياء قبل بعثهم ، قيل تثبت لهم من حين المولد وقيل من حين البلوغ .

ثم اختلفوا فى تحديد المعصوم عنه .

فرأت الشيعة أنهم معصومون من الذنوب الكبائر والصغائر أجمع .

ورأت أكثرية المعتزلة انهم معصومون من الوقوع فى الذنوب الكبائر غير معصومين من الذنوب الصغائر .

وايقاع هذه الأحكام كلها بتفاصيلها على حياة الأنبياء قبل البعثة محض افتراضات عقلية لا أمور واقعية .. هكذا يقرر صاحب مسلم الثبوت ، فانه يقول :

« الأكثر من المسلمين على أنه لا يمتنع عقلا ذنب منهم مطلقا أى ذنب كان صغيرة أو كبيرة كفرا أو دونه خلافا للشيعة ، فانهم لا يجوزون عقلا ذنبا عليهم مطلقا أى ذنب كان صغيرة أو كبيرة كفراأو دونه وخلافاللمعتزلة فانهم أيضا يمنعون صدور المعصية عقلا الا فى الصغيرة فانهم يجوزونها .

وأما فى الواقع فالمتوارث من لدن آدم أبى البشر الى نبينا ومولانا أفضل الرسل وأشرف الخلق محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه لم يبعث نبى قط أشرك بالله طرفة عين ، وعليه نص الامام ابو حنيفة فى الفقة الأكبر » .

٥ ـ وأما ثبوت العصمة لهم ـ عليهم السلام ـ بعد مجىء النبوة فبيان ذلك ينفصل على أربعة أقسام ..

ما هو من جهة الاعتقاد .

وما هو من جهة الرسالة والتبليغ .

وما هو من جهة الحكم والفتيا .

وما هو من جهة أفعالهم وأقوالهم الزائدة على ذلك مما يشخص سيرتهم العامة .

فاما ما كان تعلق العصمة فيه بذات النبى من جهة الاعتقاد ، فاتفق أرباب الشرائع على أن الأنبياء معصومون من الكفر والضلال ، سوى « **الأزارقة** » وهم فرقة من الخوارج يجوزون على النبى أن يرتد كافرا بعد ثبوت النبوة له ، وسوى الفضلية ـ وهم طائفة من الخوارج أيضا ـ يرون أن وقوع الذنوب من شخص يقتضى الحكم بكفره .. ثم هم يجوزون وقوع الذنوب من الأنبياء فيؤول تفكيرهم الى تجويز وقوع الكفر من الأنبياء وواضح أن هذين القولين هذر لا يلتفت اليه .

وأما ما كان تعلق العصمة فيه بذات النبى من جهة اعلان موضوع الرسالة والتبليغ عن الله ، فالاتفاق حاصل بين أهل الشريع قاطبة على أنهم معصومون عن تعمد الكذب فيما دلت المعجزة على صدقهم فيه ، فانه من المحال أن يكذبوا فى التبليغ عن الله وتصدقهم المعجزة بلسان الشأن « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » .

ثم اختلف علماء الأمة بعد الاتفاق على هذا المقدار من ثبو ت العصمة للانبياء .

هل يجوز أن يقع منهم الغلط والنسيان فى التبلغ أم انهم فيما يتعلق بالرسالة والتبليغ معصومون عما يخل بهما عصمة مطلقة تشمل ما كان منهم عمدا ونسيانا وغلطا .

ذهب الاستاذ أبو اسحاق الاسفراينى الى انهم معصومون عما يخل بالتبليغ والرسالة عصمة مطلقة لا يجوز عليهم فى هذا الشأن عمد ولا سهو ولا غلط ، لانه لو وقع منهم ما يوجب الاخلال بالتبليغ ـ اى شىء ـ لكان وقوعه مناقضا لمطلب المعجزة ، وهو محال .

ولانه يرفع الوثوق بتبليغات النبى ، فكل تبليغ يصدر عن النبى يداخله احتمال أن يكون خطأ أو سهوا ، وذلك ما لا ينتظم عليه ثبات الشريعة والمبادرة الى العمل بالتكاليف المخاطب بها الجمهور .

وهذا هو الرأى الذى تؤمن بصحته وتقتنع به .

وذهب القاضى أبو بكر الى تجويز الغلط والنسيان على الأنبياء فى أمر التبليغ والرسالة مصيرا منه الى أن ذلك لا يناقض تصديق المعجزة للرسول فى تبليغه لأن مناط تصديق المعجزة للرسول فى التبليغ ما كان من هذا التبليغ عمدا وقصدا ، غير ما كان نسيانا وغلطا لأن ذلك غير داخل تحت التصديق المقصود للمعجزة .

وانحاز الآمدى لهذا الرأى .

وقال « **انه الاشبه** » .

قلت هو الاشبه بالخطأ لا بالصواب، فانه يتضمن عدم الوثوق باخبارات الشارع كما ذكرنا .

ولو زعم أن عدم الوثوق باخبارات الشارع لا يحصل ، لأن المفروض أن النبى حين يغلط أو ينسى فى أمر التبليغ يعود لتنبيه المخاطبين الى ذلك ويعرفهم أنه غلط أو نسى ويردهم لما هو الصحيح المستيقن من امر الوحى ، فهو أيضا جواب غير سديد ، لأنه يؤدى الى عدم وثوق الأمة باخباراته - صلى الله عليه وسلم - حين السماع وانتظار التنبيه فى كل خبر يصدر عنه ان كان غلط فيه أو لم يغلط ونسى فيه أو لم ينس - على كثرة ما تدعو الحاجة اليه من اخباراته .

وهو عمل لا يتفق مع الجد فى شأن رسالة تبليغ لهداية الناس ولا مع حسن الظن وكمال الأدب مع صاحب الرسالة .

واما عصمتهم فيما يتعلق بموضوع الفتيا والأحكام ، فهذه هى المسألة المعبر عنها عند الأصوليين ((**باجتهاد الرسول**)) .

وأكثر اهل العلم على أن الرسول متعبد بالاجتهاد وان الأنبياء قبله كذلك فيما لم ينزل عليهم فيه وحى ، وانه يجوز عليهم الخطأ فى ذلك فان أخطأوا فى اجتهادهم نبهوا بطريق الوحى على خطئهم .

وذهب آخرون الى القول بعصمتهم فى هذا الباب أيضا .

وقد أشبعنا القول فى هذه المسألة فى بحثنا عن اجتهاد الرسول ، ورجحنا القول بتعبد النبى بالاجتهاد فى ما لم ينزل عليه فيه وحى اذا خاف فوت الحادثة من غير اثبات حكم لها ، وهو مذهب الحنفية .

وأما عصمتهم - عليهم السلام - فى الأفعال التى تمثل حياتهم السلوكية ، فهذه الأفعال تنقسم الى قسمين كبائر وصغائر .

والكبائر اما أن تقع منهم عمدا أو سهوا .

والصغائر اما أن تكون مما يحط بالكرامة وتسقط المروءة أو لا تكون من هذا القبيل .

ثم هى أيضا اما أن تقع منهم عمدا أو سهوا .

فأما الذنوب الكبائر فقد اتفقت الأمة - سوى الشيعة - على أمرين :

أولهما : أن الأنبياء معصومون من تعمد فعل الكبائر لم يخالف فى اثبات ذلك غير الحشوية ومن جوز الكفر على الأنبياء ، وهو ذلك الهذر الذى لم نلتفت اليه حين عرضناه عليك آنفا .

والأمر الثانى تجويز فعل الكبيرة عليهم ان كان عن نسيان أو تأويل خطأ .

وذهب الشيعة الى أنهم معصومون من الكبيرة مطلقا ما كان عمدا وما كان سهوا أو تأويلا غير صحيح .

ورأيى فى هذه المسألة أن الفعل اذا كان من أفعال الجوارح كالزنا ، والقتل ، والغصب فان ذلك لا يجوز عليهم أبدا لا نسيانا ولا تأويلا . وان كان من الأفعال الذهنية كأمره - صلى الله عليه وسلم - بتحريق بعض المشركين بالنار ، ورجوعه عن ذلك ، فيحتمل أن يقع منهم نسيانا أو تأويلا خطأ ولا يلزم عصمتهم منه .

وأما الصغائر فاما أن تكون من قبيل ما يدل على سقوط الهمة ونذالة النفس كسرقة قطعة خبز ، فهذا النوع ملحق بالكبائر وحكمه حكمها والخلاف فيها نفس الخلاف .

ورأينا أن هذا النوع من محقرات الأعمال لا يجوز مطلقا على طبيعة الأنبياء لأن معادنهم الشريفة غير قابلة لمثل هذه الأعمال بأصل فطرتها ، لا عمدا ولا سهوا .

واذا لم تكن الصغائر من هذا القبيل كنظرة شاردة أو كلمة قاسية فى ساعة غضب فقد اتفق أكثر علماء الأمة على جواز صدوره عن الأنبياء عمدا وسهوا ولا عصمة لهم من مثله .

وذهب الشيعة الى المنع من جوازه عليهم مطلقا عمدا ، وسهوا .

وذهب الجبائى والنظام الى احتمال وقوع الصغيرة منهم سهوا لا عمدا ، وهو الرأى الذى تقتنع به .

هذا ، وقد بان لك أن الكلام على الموضوع الذى تتناوله العصمة قد اندرج اضطرارا أثناء الكلام على زمان العصمة من حيث النظر لثبوتها قبل النبوة أو ثبوتها بعدها بأوسع معانيه فلا موضع لتكرار بسطه .

ملامح النصر في جبين الثورة

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

« وما النصر الا من عند الله »

١ ـ هكذا يقول الله فى كتابه، وبهذا نؤمن، ويؤمن كل ذى قلب يعى وعلى هذا الايمان درج الرسل ، والأنبياء، والمجاهدون فى سبيل دينهم ، أو فى حماية أوطانهم ، وشعوبهم من غائلات المعتدين وعسف المتجبرين .

وكان من وراء هذا الايمان فى الجهاد تاريخ حافل . تعرض القرآن لذكره اجمالا ، أو تفصيلا فى بعض مقاماته .. ونبهنا به الى كثير مما جرت عليه سنة الله فى خلقه : مما طوته عنا الأحقاب ، ورانت عليه الأحداث .

٢ ـ ومصر لم تكن بنجوة من تلك التقلبات .. ولا بمعزل عن مصارعة الزمن .. بل لها من صروف الايام نصيب .. اى نصيب ؟

ولها فى التاريخ السالف ابواب وفصول **وهى : الآن فى نهضة ثورية أفلتت بها من قيود الاستعمار .**

ونهضت اليها من تحت كلاكل الطغيان .. ونفضت بها رواسب الضغط وانطلقت الى الأمام فى غير فتور من طول احتباسها .

ولا متهيبة لعقبات تقام فى سبيلها .

وهى فى وجهتها حليفة نصر مؤزر .. وكاسبة خير مضاعف .. ومدفوعة الى أهدافها بايمان أكيد ، وأمل وطيد .

وفى كل يوم ـ ولا نقول فى كل ساعة ـ تشهد الدنيا لمصر بمجد جديد .. ويكتب عنها التاريخ فى عجب .. والتاريخ أصدق شهيد

أليس هذا : هو النجاح الذى تعهد الله به للمتوكلين عليه « **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** »

أليس هذا هو النصر الذى أشار به فى كتابه « **وما النصر الا من عند الله** » نعم ! هو ذلك كله .. والفضل لله الذى هدى ، والذى وفق ـ والذى صدق وعده لمن والاه .

٣ ـ ان ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ التى نعيش فى ظلالها كانت من بدايتها نفحة من توجيه الله. وكانت فى مطلعها نهضة المتوكلين على الله .

وكانت فى مجراها مشبوبة من روح الله . وكانت فى سلامتها مكفولة بنصر الله والأمر فى ذلك كله لا يعتبر صدفة ، ولا مجهولة الاسباب .

فما يكون ذلك التوفيق اعتباطا ، ولا بعيدا عن سنة الله فى تدبيره الأسباب والمسببات لخلقه .

٤ ـ فان الله يدعو الناس الى جانبه ليكونوا على صلة بربهم فى حدود طاقتهم ثم يعدهم أن يتكفل بهم فى غير تحديد ولا حساب .

ومن هنا يبدأ العهد مع الله « يا أيها الناس اعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »

ففى صدر الآية عهد يأخذه الله علينا .. وفى نهاية الآية وعد بالفلاح اذا وفينا .

والله ـ سبحانه ـ لا ينقض عهـده ، ولا يخلف وعده .

فاذا كان من جانب الناس وفاء بالعهد فقد تهيأ لهم أن يظفروا بما وعدهم ربهم **« وأوفوا بعهدى ، أوف بعهدكم »** .

واذا تخلفوا ، ونكثوا فقد باعدوا بأنفسهم **« ومن نكث فانما ينكث على نفسه »**

وثورتنا هذه ـ فيما عهدنا ـ لم تكن متخلفة عن دعوة الله الى المبادرة لفعل الخير عامة ولا متوانية عن الوفاء بما عهد الله الى خلقه من الجهاد فى سبيله ما استطاعوا .

ولم تكن ثورتنا فى نهضتها راكبة رأسها .. ولا مفتونة بنفسها . وانما هى نجدة أثارتها صرخة الشعب المهيض .. ونشطة نفختهـا روح الأمة المكبوته فاسـتجابت لذلك ... الاخيار ، وعزيمة الابطال من رجالات مصر ، وكان الله عند ظنهم ، وصدق وعد الله لهـم **« ان تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم »**

٥ ـ وحينما يهيب الله بالناس أن يكونوا انصارا له . فانما يريد منهم أن يأخذوا بسنته فيتجهوا الى الحق ولا يجنحوا الى باطل .

فان الله حق ، و لايعمل غير الحق ، ولايدعو الى غير الحق .

وقد حتم علينا أن نسير فى رشد .. والا نلتفت الى غى .

وهذه هى الوجهة الكاملة فى شرعته ، وهى دعوته لنا ما استطعنا .. وهى أمانته عندنا ما حيينا . ومن وفائنا بهذا أن نكون أهلا لنصرته وفاء بعهده ، وتحقيقا لوعده فانه كما قررنا: لا ينقض عهده ، ولا يخلف وعده **« ولينصرن الله من ينصره »**

٦ ـ وثورتنا ـ والحمد لله تسير فى نطاق هذه التوجيهات الى جنب الله طامعة فى نصرته ومعتمدة على هديه ، وقدرته ، ومعونته .

والله لا يخذل من استعز به وان تواضع بين الناس شأنه **« ان ينصركم الله فلا غالب لكم .. وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده »** .

وعلى هذا كانت ثورتنا فى رعاية الله ، فكم تصايحت فى وجهها صرخات الاستعمار !

وكم رصدوا أمامها الحشود ، والذخائر ، وملأوا عليها البر ، والبحر والفضاء .

٧ ـ وما كان لمصر سوى الايمان بحقهـا ، والاطمئنان الى نصرة الله لها « والاستبسـال فى وجه عدوها : تقاوم جموعه الزاحفـة ، ولا تهاب عتاده المتدفق .

وما ننسى ذلك اليوم العبوس الذى تجهمت فيه سماء الوادى كله بغيوم القذائف ، والقاهرة تهتز جوانبها من دوى الطلقات ، وجمال لايعبأ بشىء من هذه الاهوال ، ويخرج وقت الجمعة الى الازهر ، فيصلى ، ويعتلى المنبر ، ويخطب فى عشرات الالوف ، ويعلن أننا دون العـدو عددا ، وعتادا ، ولكننا أقوى منه ايمانا ، وآكد منه حقا ، واننا سنقاتل ، ولن نسلم فى حق من حقوقنا ، ويدعو ربه أن يكون عونا لنـا ، فتكون هذه الكلمات سارية فى صفوف جيشه ، وطوائف شعبه كما تسرى الحيـاة فى جسم الانسان ..

ويكون هذا المنطق انشودة جارية على كل لسان ثم يستجيب الله لدعائه ، وتتـكسر الجيوش الزاحفة ، وترتد الى مصادرها منكسة أعلامها .. **« كم من فئة قليلة غلبت فئـة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين »**

هكذا كان ايمان عبد الناصر ، وكان تلقينه لشعبه ، وتوجيهه لجيشه ، حتى انعقـد له لواء النصر فى سماء الدنيا **« وما النصر الا من عند الله »**

٨ ـ وقد جرت سنة الله أن يبتلى المجاهدين بأزمات تعرض لهم ، ولكنهم يظلون فى رعاية ربهم ، حتى يحين وقت انتصارهم .. ويكون بلاؤهم عند الله أجـرا مدخرا لهم وعند الناس تاريخا مشهودا ، وقدوة متبعة ، ومجدا لاوطانهم وشعوبهم **« حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين »**

وهكذا كانت مواقف الثورة فى بلائها ، وكان النصر فى نهايتها .

٩ ـ ولقد كان النصر كله من عند الله .. ومسـببا بأسبابه المقدورة فى علم الله فمن

الاسباب تضامن المجاهدين ، وصدق النوايا في الجهاد • وعدم الغرور أو الغفلة عن جانب الله ، وعدم الأنانية ، والاستكثار على الابطال فقد كان من المأثور عن الرسول أن يقدر لكل مجاهد فضله ، ويشيد له بقدر بلائه ، وعظيم فضله •• وفي هذا عرفان للجميل وتشجيع على المثابرة • فان من طبيعة النفس أن تغتبط بالثناء الجميل ، وأن تنشط بالثناء الى فعل الخير .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في ذلك **« اذا مدح المؤمن في وجهه ، ربا الايمان في قلبه – زاد ايمانه – »**

وهذه شرعة الله في مدحه للمجاهدين كثيرا نحو قوله تعالى :

« وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما » •

ونحو قوله في الاشادة بالمجاهدين :

« لقد رضي الله عن المؤمنين ، اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم ، فانزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحا قريبا » •

ولقد بلغ من عناية الله بشأن المتعاونين على الجهاد أنه امتن على رسوله بتأليف القلوب معه ، لينبه رسوله على أن تضامنهم معه نعمة عليه من ربه :

« هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم » •

فهذه لفتات صريحة الى فضل المجاهدين مع رسول الله ، واعتراف بمؤازرتهم ، وتفضيل لهم على سواهم ، حتى لا يشعروا بغمط لحقهم ، ولا تأخذهم الأنانية .. فيما بينهم ، فتهتز قواهم ، وتتصدع وحدتهم .

كما أنكر الله على المتخاذلين في الجهاد والناكثين للعهد ، والمتعنتين بشخصياتهم ، فان القصد المنشود هو تجاوب المجاهدين ، والتنزه عن كل انانية تحيك في نفوسهم :

« فاتقوا الله ، وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين » •

فهذه تصريحات وتلميحات الى ما ينبغي أن تكون عليه وحدة المجاهدين قديما وحديثا وهي لا شك أقوى سبب يكفل النصر ، ويصل بهم الى الغاية .

ولا نأتي بشيء من عندنا اذا قرنا أن ثورتنا قامت ، وجرت على هذا النمط فان زعيمها لم يتنكر لواحد من رجالها الذين نهضوا بجانبه ، ولم تأخذه الفتنة بنفسه ، كما فعل قاسم العراق مثلا ، او كما فعل ويفعل البعثيون •

بل تنزه رئيس ثورتنا عن هذه النوازع ، واعترف ، ويعترف بالاخاء ، والترفق ، والوفاء لكل امرىء ممن حوله.. والله يحفظ عليه طيب سريرته ، ويعصمه من خلجات السوء •

هذا .. وانك لتجد للقرآن توجيهات فسيحة ، فيما يتصل بحياة الناس ، بعيدا عن مجال الحروب ..

وأقرب ما نذكره تلك الزيارة التي حضر لها زعيم الروس ، فانها تعتبر وثبة من وثبات ثورتنا نحو اهدافنا المرموقة .

فطالما حبسنا الاحتلال عن النشاط في دنيانا ، وحال بيننا وبين الانسجام مع غيرنا وعشنا في قناعة العاجز عن الحركة في آفاق الحياة .

ولكن الله اتاح لثورتنا أن تطيح بالاحتلال وأذنابه وأن تفسح لشعبنا خطاه في المجال الصناعي ، والانتاجي بوجه عام ، مع سائر الشعوب الحية المنتجة .

فكان الروس أسبق من مد الينا يد العون في سخاء وتشجيع وثقة .

وكان الروس – دون غيرهم – أصحاب الجميل في تمكيننا من معجزة العلم ، ومفخرة الزمن وأمل الحياة .. السد العالي .

فما نجحد ، ولا نستطيع أن نجحد ، فضل الروس في هذا الشأن ، ولا في غيره ، مما استعدوا له من شئون تقتضيها حياتنا المنطلقة في آفاق هذا الوجود .

١١ – ولقد كان البعض يتوجس الخوف من ناحية التقاليد الاجتماعية • او يتخيلون

ان ديننا يأبى هذا الانسجام المادى فى مجالاته المتعددة .. فان ذلك التخوف كخيال لا يحسب له حساب .. لأن ثورتنا عميقة الايمان .. وهى بطبيعتها ، وفيما تتجه اليه على غير استعداد لمطاوعة الميول المخالفة لما شرع الله فى دينه ، فضلا عن أن الانسجام الذى أخذ به الطرفان بعيد عن الجانب الروحى ، وقاصر على المجال الانتاجى .

أما الدين فلا يحظر علينا شيئا من هذه الاتجاهات الحيوية ما دمنا عند حدود الله فى تشريعه لنا .

بل الاسلام يدفع بنا دفعا قويا الى التعاون فى كل نفع مشروع .

والاسلام لا يتغاضى عن الروابط الانسانية فهو يحرص على تنميتها بوسائل التفاهم والتعاون بكل جهد مستطاع .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين، ولم يخرجوكم من دياركم، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » .

والروس شعب لم يكن له معنا عداء بحرب ولا بمظاهرة علينا مع عدو آخر .

فلا حرج أن يكون للثورة اتجاه اليهم فيما ينفعنا ونحتاج اليه .

وانما تكون المقاطعة لمن سار معنا على غير هذه الشاكلة .

ثم .. ما يدريك : أن يكون هذا الاتصال سبيلا تكشف لهم عن تعاليم الاسلام أكثر وأكثر ، وبهذا تتضح فضائله لدى أكثرية تجهله .

واقل ما نفيده من ذلك أن تخف عداوتهم لديننا .. وكم كان ذلك فى عصور سالفة .. وكم كان للاسلام فى ظل هذه الاتصالات من سبل مفتوحة وشعوب مستجيبة لدعوة الله كان الله غالب ، ودينه حق وحينما يتبين الحق يزهق الباطل .

« عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير ، والله غفور رحيم » .

حيا الله ثورتنا وحفظها من كل سوء .

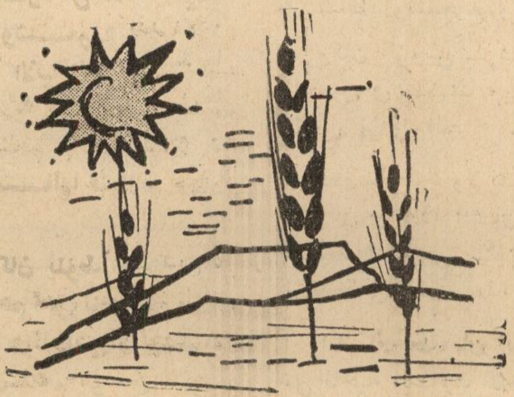

شوقي

والشباب العربي

الدكتور أحمد الحوفي

احتفى شوقى بالشباب أيما احتفاء، فأعزهم واعتز بهم ، وناط بجهودهم وجهادهم حاضر مصر ومستقبلها ، وصارحهم بما يؤلمـه من الواقع المتخلف ، وأشاد بجهادهم وبطولتهم وصالح أعمالهم • وكثيرا ما أنار لهم الطريق بالحكم والنصائح التى اختصهم بها ، وحببها اليهم •

وقد صدرت هذه الحفاوة عن ثلاثة ينابيع : أحدهما حبه لأبنائه ، وشـعوره بحب الآباء لأبنائهم ، ومن واجب الأب الحدب على بنيه أن يزودهم بثمار تجاربه وخبرته ، ليهديهم سواء السبيل ، وليجنبهم ما قد يقعون فيه من أخطاء عرضت له أمثـالها فتورط فيها أو تغلب عليها •

والآخر أن شوقى كان ينوط بشباب مصر والعروبة آمالا جساما هم أهل لتحقيقها ، لأنهم نشأوا فى عهد اليقظة والنهوض والجهـاد لتحرير الوطن واعلاء شأنه •

أما الينبوع الثالث فهو أن الشباب أطهار مبرأون من آفات الأغراض الشخصية والمطامع الذاتية والتنافس على المغانم والأسلاب وكراسى الحكم ، فقلوبهم متفتحة للنصح ، وأخلاقهـم متقبلة للتوجيه •

– ١ –

صور شوقى عزازة الأبناء على آبائهم بأنهم دماء آبائهم وأوردتهم وحياتهم ، وبأنهـم متفردون فى عزازتهم وسعادة الآباء بهم ، سواء أكانوا قلة أم كثرة ، وبأن الصالح منهم مفخرة لأبيه قد تولد غرورا وفتنة ، والطالح منهم نكبة تقبض الصدر ، وتحزن القلب ، وهم اذا مسهم مرض مشغلة للنفس ، واذا ودعوا الحياة خطب ما مثله خطب ، وفاجعة لا عزاء لها ، ولا صبر عليها :

البنـون هم دمنـا
والحيـاة والورد

لا تلـد مثلهـم
مهجـة ولا كبـد
يستوون واحـدهم
فى الحنـان والعدد
زينة ومصـلحة
واسـتراحة ودد
فتنة اذا صلحوا
محنة اذا فسـدوا
شاغل اذا مرضـوا
فاجع اذا فقـدوا
جرحهم اذا انتزعوا
لا تلمه الضـمد
العـزاء ليس له
آسيا ولا الجلـد

وبلغ من اعزاز شوقي للأبناء أنه ربط حب الوطن بحبهم ، اذ صوره ينبوع الخير المأمول لهم بعد موت آبائهم ، وصور الآباء وهم فى أجداثهم يشتاقون الى أبنائهم شوقا يكاد يعيد الخفقان الى قلوبهم .

قال فى مناجاة النيل :

مما يحملنا الهـوى لك أفـرخ
سنطير عنها وهى عنـدك ترزق
تهفو اليهم فى التراب قلوبنـا
وتكاد فيه بغير عـرق تخفـق
ترجى لهم والله جـل جـلاله
منا ومنـك بهـم أبر وأرفـق
فاحفظ ودائعك التى استودعتهـا
أنت الوفى اذا أوتمنت الأصـدق

وما من شك فى أن شوقى أراد بالأبنـاء ذكورهم والاناث . ولكنه مع ذلك خص البنات بالاشادة فى بعض قصائده ، فجعلهن ينابيع رحمة، وكنوز محبة ، وقال انهن يمتزن بالحنان على آبائهن ، فيمرضنهم فى رعاية وحدب ، ويبكينهم اذا ماتوا بكاء طويل الأجل ، ويترددن على قبورهم حيث يقدم العهد ، وينقطع الزوار . وهن لا يفتأن يتذكرن آباءهـن ويذكرنهم ، ويتحدثن بحميد فعالهم ، وجميل مآثرهم :

ان البنات ذخـائر من رحمـة
وكنوز حب صـادق ووفاء
والساهرات لعلة أو كبـرة
والصـابرات لشدة وبـلاء
والباكياتك حين ينقطـع البكاء
والزائراتك فى العـراء النـائى
والذاكراتك ما حيين تحـدثا
بسـوالف الحـرمات والآلاء

وأحس شوقى بما يشعر به بعض الآباء من ضيق بالبنات ، فرد عليهم بأن البنات نعمة يجود الله بها على عباده ، وبأنهن كنـز بر ومودة :

انما البنت وان ضـاقوا بهـا
سـعة يرزقها الله عبـاده
أثر الرحمـة من والدهـا
ودليل البر عنـوان الوداده

ـ ٢ ـ

فلا عجب أن شغل شوقى بالشباب ، وأولاه عنايته ، لأن الشباب هم أشبال اليوم التى يربيها الوطن لغده المأمول ، فالوطنية تقتضى اعدادهم لتحقيق الأمل العظيم المنوط بهم :

ان الشباب غد فليهدهم لغـد
وللمسالك فيه النـاصح الورع

ولهذا يفديهم شوقى بابنيه ، وانه لفـداء عظيم ، ويدعو الله أن يمد أجله ليسعد برؤيتهم وهم يحيون فى وطنهم ينعمون به وينعم بهم ، ويرفعون مكانته الى ذروة العـلا والمجد ، ويستبشر بهم خيرا ، لأن حاضرهم ينبىء بأنهم يعيدون الى مصر عزتها وقوتها :

يا شباب الغد ـ وابناى الفـدا
لكم ـ اكرم وأعزز بالفـداء
هل يمـد الله لى العيش عسى
أن أراكم فى الفريق السـعداء
وأرى تاجكم فوق السـهـا
وأرى عرشـكم فوق ذكـاء
من رآكم قـال مصر استرجعت
عزها من عهد خوفو ومنـاء
أمـة للخلـد ما تبنى اذا
ما بنى الناس جميعا للفنـاء

- ٣ -

وكان يحزنه أن يرى الاستعمار يكبل الشباب ، ويسد عليهم المسالك ، فالتعليم ضيق المناهج ، بعيد من القومية ، قتال للنبوغ ، بغيض الى النفوس المتحررة والآمال المتوثبة :

هل راعكم أن المدا
رس فى الكنانة خاوية ؟
هجرت فكل خلية
من كل شهد خالية
وتعطلت هالاتها
منكم وكانت حالية
فهجرتم الوطن العز
يز الى البلاد القاصية

والجيش ضعيف مستضعف ، يحول الاستعمار بينه وبين القوة فى البر والبحر ، فمتى ينهض الشباب نهضة تعوض مصر ما فاتها فى عصر تتسابق فيه الأمم الى القوة :

البر ليس لكم فى طوله لجم
والبحر ليس لكم فى عرضه شرع
فهل تنهضون عساكم تلحقون به
فليس يلحق أهل السير مضطجع

وهو يعدد من مخازى كرومر أنه أضعف الجيش المصرى حتى صار شأن فتيانه صغيرا بين جيوش الأمم ، لأنه أضفى الانجليز بالرتب العالية ، وحرمها على أبناء مصر ، فأوصد فى وجوههم أبواب الأمل :

أم هل يعد لك الاضاعة منة
جيش كجيش الهند بات ذليلا
انظر الى فتيانه ما شأنهم
أو ليس شأنا فى الجيوش ضئيلا
حرمتهم أن يبلغوا رتب العلا
ورفعت قومك فوقهم تفضيلا
فاذا تطلعت الجيوش وأملت
مستقبلا لم يملكوا التأميلا

- ٤ -

وكثيرا ما أشاد شوقى بجهود الشباب ، اعترافا بفضلهم ، وتشجيعا لهم ، وايقاظا للمتفائلين أو الغافلين منهم .

ولهذا ساهم فى تكريم الشبان الذين أطلق سعد زغلول سراحهم سنة ١٩٢٤ . وكانت السلطة البريطانية قد أمرت بحبسهم ، وزف شوقى الى مصر البشرى بأن أشبالها كبروا وخرجوا من السجون أسودا ، وكرم هؤلاء الشباب بأن أمهم مصر رضيت جهادهم ، واعتزت بهم ، وقبلت التيجان المعقودة على رءوسهم .

ثم أثنى عليهم بأنهم عملوا فى صمت ، وخرجوا من السجون لا يباهون بما عملوا ، ووصفهم بالفطنة والحذر من أساليب المستعمر وألاعيبه ، وبأنهم وقفوا على الوطن أنضر أعمارهم وقدموا لفدائه أرواحهم ، وليس لهم من غرض الا الحرية والاستقلال ، وهذا هو الثواب الذى يريدونه ، وانه لثواب عظيم ، لأنه العيد الحقيقى الذى يتشوق اليه كل مصرى :

يا مصر أشبال العرين ترعرعت
ومشت اليك من السجون أسودا
قالوا أتنظم للشباب تحية
تبقى على جيد الزمان قصيدا
قلت : الشباب أتم عقد مآثر
من أن أزيدهم الثناء عقودا
قبلت جهودهم البلاد وقبلت
تاجا على هاماتهم معقودا
خرجوا فما مدوا حناجرهم ولا
منوا على أوطانهم مجهودا
ما كان أفطنهم لكل خديعة
ولكل شر بالبلاد أريدا
لما بنى الله القضية منهم
قامت على الحق المبين عمودا
جادوا بأيام الشباب وأوشكوا
يتجاوزون الى الحياة الجودا
طلبوا الجلاء على الجهاد مثوبة
لم يطلبوا أجر الجهاد زهيدا
والله ما دون الجلاء ويومه
يوم تسميه الكنانة عيدا

ولما نهض بعض الشباب بالدعوة الى تشجيع المصنوعات المصرية ، وبدأوا بما سموه مشروع القرش ، لانشاء مصانع ، حياهم شوقى بقصيدة

صور فيهم صوتهم الداعي الى العناية بالصناعة الوطنية مطربا سارا مبشرا بالخير تصغى اليه القلوب والأسماع ولا تمله ، فهو تغريد ، وهو صوت الحق المبرأ من البغى والحسد والشهوات التى ما خالطت شيئا الا فسد .

وصور الشباب المنتشر فى أرجاء مصر يجمع القروش بأنهم أزهار الوادى ينتقلون تارة ويستقرون تارة ، ويبكرون الى جمع التبرع جماعات جماعات كأسراب النحل ، وهم يتغنون بوطنيتهم ، ويحضون الشعب على التبرع لعمل نافع سيلمس الشعب أثره فى المستقبل القريب ، واذا كانت القروش قليلة فى ظاهرها فانها كثيرة فى حقيقتها ومستقبلها ، لأنها ستصير صناعة ومصانع تنهض بالوطن ، فهى كرحيق الزهر الذى يرتشفه النحل قليلا قليلا، ثم يخرجه عسلا شهيا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس :

فتية الوادى عرفنا صوتكم
مرحبا بالطائر الشادى الغرد

هو صوت الحق لم يبغ ولم
يحمل الحقد ولم يخف الحسد

وخلا من شهوة ما خالطت
صالحا من عمل الا فسد

زنبق المدن وريحان القرى
قام فى كل طريق وقعد

باكرا كالنحل فى أسرابها
كل سرب قد تلاقى واحتشد

قد جنى ما قل من زهر الربا
ثم أعطى بدل الزهر الشهد

يجعل الأوطان أغنيته
وينادى الناس : من جاد وجد

وشكر للشباب فى قصيدة ما قاموا به من تثقيف وتهذيب ، وطالبهم بالجد فى ايقاظ الفلاحين وتنويرهم، لأنهم من القرى وهم أحق الناس باحيائها :

يا فتية المعمور سار حديثكم
ندا بأفواه الركاب وعنبرا

هزوا القرى من كهفها ورقيمها
أنتم لعمر الله أعصاب القرى

وكذلك نوه بشباب دار العلوم الذى ينهضون بتعليم اللغة الفصحى ، ووصفهم باحسان عملهم ، وبتحقيق أمل العلم فيهم وحسن ظن أساتذتهم بهم، وبأنهم بددوا ظلمات الجهل التى خيمت على المدن والقرى زمنا طويلا، وحسبهم من الأثر الحميد أنهم رسل ثقافة فى حياتهم ، ومناهل معرفة بعد موتهم ، لأن الذى يموت منهم يسلم روحه بعد أن قسم فكره وعلمه على تلاميذه :

يا عكاظا حوى الشباب فصاحا
قرشيين المجامع لسنا

بثهم فى كنانة الله نورا
من ظلام على البصائر أخنى

علموا بالبيان لا غرباء
فيه يوما ولا أعاجم لكنا

فتية محسنون لم يخلفوا العلـ
م رجاء ولا المعلم ظنا

صدعوا ظلمة على الريف حلت
وأضاءوا الصعيد سهلا وحزنا

من قضى منهم تفرق فكرا
فى نهى النشء أو تقسم ذهنا

- ٥ -

وكان ينتهز فرص التمجيد للذين قاموا بأعمال عظام ، ليعرج على الشباب ، فيبعث حماسته وحميته ، ويغريه بالاقتداء بهم . ففى تحيته للرحالة أحمد حسنين حض الشباب على البطولة والمغامرة فى عصر البطولة والعلم والعزيمة ، ونصحهم أن يجعلوا المجد هدفهم ، وان يصبروا على ما يتطلبه المجد من جلد ، وبين لهم أن العصر عصر علم وأدب واختراع وصناعة ، ولا بد من أن تأخذ مصر نصيبها من هذا كله ، والا تخلفت عن الأمم وتقوض صرحها :

قل للشباب بمصر : عصركم بطل
بكل غاية اقدام له ولع

أس الممالك فيه همة وحجا
لا الترهات لها أس ولا الخدع

عليكم بخيال المجد فأتلفوا
حياله وعلى تمثاله اجتمعوا

وأجملوا الصبر فى جد وفى عمل
فالصبر ينفع ما لا ينفع الجزع

وان نبغتم ففى علم وفى أدب
وفى صناعات عصر ناسه صنع

وكل بنيان قوم لا يقوم على
دعائم العصر من ركنيه منصدع

وهو ينصح الشباب بأن يتزودوا بالعلم فى عصر العلم والاختراع ، حينما أشاد بالطيارين الفرنسيين اللذين قدما الى مصر سنة ١٩١٤ ، ويطمئنهم على أن مستقبلهم بيد الله وهو خير أمين ومحقق للآمال ، وينهاهم عن الاستسلام لما يردده اليائسون من أن الدهر عاداهم ونقض قواهم ، لأن هذا وهم وخيال ، ثم يكرر حثهم على طلب المعرفة ، ويرشدهم الى دراسة تاريخ آبائهم المشرق ليقتدوا بهم ، ويحبب اليهم الاستمساك بعروبتهم ولغتهم الفصحى التى أنزل الله بها كتابه ، وبعث نبيه ، ويحضهم على أن يتسلحوا بالقوة ويسودوا العالم ، لأن الغلبة للأقوياء . واذا كان المقام اشادة بالطيران والطيارين طالب شوقى الشباب بأن يشقوا طرقهم الى المجد على ظهر الأرض ، فاذا استنفدوا هذه الطرق حتى ضاقت الأرض بهم ، فعليهم أن يتطلبوا للمجد طرقا أخرى فى الفضاء :

انما مصر اليكم وبكم
وحقوق البر أولى بالقضاء

عصركم حر ومستقبلكم
فى يمين الله خير الأمناء

لا تقولوا حطنا الدهر فما
هو الا من خيال الشعراء

هل علمتم أمة فى جهلها
ظهرت فى المجدحسناء الرداء؟

باطن الأمة من ظاهرها
انما السائل من لون الاناء

فخذوا العلم على أعلامه
واطلبوا الحكمة عند الحكماء

واقرأوا تاريخكم واحتفظوا
بفصيح جاءكم من فصحاء

أنزل الله على ألسنهم
وحيه فى أعصر الوحى الوضاء

واحكموا الدنيا بسلطان فما
خلقت نصرتها للضعفاء

واطلبوا المجد على الأرض فان
هى ضاقت فاطلبوه فى السماء

وكذلك انتهز الفرصة حينما أشاد بصدقى سنة ١٩٣٠ وهو أول مصرى جاء من ألمانيا الى مصر راكبا طيارته ، فاستحث الشباب على الاقتداء به ، وتكهن بأن الأمم التى لا تصون استقلالها بسلاحها الجوى تعرضه للمطامع والعدوان :

يا سلاح العصر بشرنا به
كل عصر بكمى وسلاح

ان عزا لم يظلل فى غد
بجناحيك ذليل مستباح

فتكاثر وتألف فيلقا
تعصم السلم وتعلو للكفاح

مصر للطيران جميعا مسرح
ما لنا فيه زنابى أو جناح

من فتى حل من الجو بهم
فتلقوه على هام وراح

انه أول عصفور لهم
هز فى الجو جناحيه وصاح

وكثيرا ما كان يمزج بين النصح والتوجيه ، والأمل الذى يزجيه ، والفخار بالوطن وماضيه ، ليضاعف حماسة الشباب الى الجد والعمل ، ويزيده شغفا بوطنه العظيم الجدير بالعبادة :

يا فتية النيل السعيد خذوا المدى
واستأنفوا نفس الجهاد مديدا

وتنكبوا العدوان واجتنبوا الأذى
وقفوا بمصر الموقف المحمودا

الأرض أليق منزلا بجماعة
يبغون أسباب السماء قعودا

انتم غدا أهل الأمور وانما
كنا عليكم فى الأمور وفودا

فابنوا على أسس الزمان وروحه
ركن الحضارة باذخا وشديدا

الهدم أجمل من بناية مصلح
يبنى على الأسس العتاق جديدا

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم
أن تجعلوه كوجهه معبودا

ولوا اليه فى الدروس وجوهكم
واذا فرغتم فاعبدوه هجودا

ان الذى قسم البلاد حباكم
بلدا كأوطان النجوم مجيدا

قد كان - والدنيا لحود كلها -
للعبقرية والفنون مهودا

- ٦ -

ولقد كان يؤسف شوقى أن المغرضين من رجال السياسة كانوا يبثون بين الشباب عوامل الفرقة والمنافسة المنحرفة ، والانقسام المحبط للنجاح ، فحذر الشباب من الاغترار بهؤلاء المفسدين ، واستنكر من الأحزاب المتصارعة أن تجر الشباب الى مهاوى صراعها .

وقد كان لبقا فى نصحه للشباب أن يسلكوا طريقا غير هذا الذى سلكه آباؤهم ، وفى تهوينه من الجاه الذى نالوه ، والمال الذى جمعوه ، لأنه عارية لا بد أن يتخلوا عنها ، ولن يبقى غير الذكر الحسن الحميد والعمل النافع للوطن :

لا يعجبنكم ساع بتفرقة
ان المقص خفيف حين يقتطع

قد أشهدوكم من الماضى وما نبشت
منه الضغائن ما لم تشهد الضبع

ما للشباب وللماضى تمر بهم
فيه على الجيف الأحزاب والشيع

لا يمنعنكم بر الأبوة أن
يكون صنعكم غير الذى صنعوا

لا يعجبنكم الجاه الذى بلغوا
من الولاية والمال الذى جمعوا

ما الجاه والمال فى الدنيا وان حسنا
الا عوارى خط ثم ترتجع

- ٧ -

على أن شوقى لم يقتصر على التوجيه واسداء النصح والتنويه بما يقوم به الشباب من عمل مجيد ، بل بشرهم بالمستقبل المشرق ، وأغراهم بالجهاد الموصول .

أيها الجيل الذى نرجو لغد
غدك العز ودنياك الرغد

أنت فى مدرجة السيل وقد
ضل من فى مدرج السيل رقد

قدت فى الحق فقد فى مثله
من نواحى القصد أو سبل الرشد

ان تك اليوم لواء قائدا
كم لواء لك بالأمس انعقد

ولم يكتف شوقى بالنصح الموجه الى الحق والخير ، وتسديد الشباب الى أن ينهض بنفسه وبأمته ، بل قرع الشباب على تقصيره حيث يستحق التقريع ، وأنبه على أفعاله حيث ينبغى التأنيب ، وهذا هو مسلك المربى الحازم .

لهذا جاء فى مناجاته للشمس أن تقص على الشباب المعاصر تاريخ الفراعنة فى زهو ومبالغة ، لأن هؤلاء الشباب مولعون بالمبالغات من ناحية ، وضعاف العزمات والآمال من ناحية ثانية ، حتى انهم لا يعملون عملا يبشر بالخير :

فغالى فى بنيك الصيد غالى
فقد حب الغلو الى بنينا

شباب قنع لا خير فيهم
وبورك فى الشباب الطامحينا

ولما أطلق الرصاص على سعد زغلول شاب أحمق ، حزن شوقى ، لأن الشباب انحدر الى درك من الطيش والتهور والاغتيال ، وهم لا يدركون وخامة ما يرتكبون من جرم ، ولا يعلمون شيئا مما يعلمه الساسة المحنكون ، وجهر بأن حياة الوطن لا تشاد على اغتيال الزعماء الأبرياء ، ولا على تداول الأحزاب مقاعد

الحكم ، بل انها تشاد على دعائم من القوة الحربية والعلم والخلق القويم .

وعزا شوقى هذه الرعونة الى الجهل وقصر النظر وقلة الخبرة وسوء الأخلاق ، وأنحى باللائمة على المدارس والمعلمين، لأنهم المسئولون عن أخلاق الشباب ، وهو بهذا يلقى عليهم التبعة التي لم يلق مثلها على الآباء :

أرى مصر يلهو بحد السلا
ح ويلعب بالنار ولدانها
وراح بغير مجال العقو
ل يجيل السياسة غلمانها
وما القتل تحيا عليه البلا
د ولا همة القول عمرانها
ولا الحكم أن تنقضى دولة
وتقبل أخرى وأعوانها
ولكن على الجيش تقوى البلا
د وبالعلم تشتد أركانها
فأين النبوغ وأين العلو
م وأين الفنون واتقانها ؟
وأين من الخلق حظ البلا
د اذا قتل الشيب شبانها ؟
وأين من الربح قسط الرجا
ل اذا كان في الخلق خسرانها ؟
وأين المعلم من خطبه ؟
وأين المدارس ما شأنها ؟
لقد عبثت بالنياق الحدا
ة ونام عن الابل رعيانها
الى الخلق أنظر فيما أقو
ل وتأخذ نفسى أشجانها

ولما كثرت أحداث انتحار الطلبة لرسوبهم فى الامتحانات اختصم شوقى بقصيدة من عيون شعره ، ختمها بتبغيض اليأس الى نفوسهم ، وتبصيرهم بجرائر الانتحار على أهليهم وعلى وطنهم ، ثم فتح أمامهم أبواب الآمال ، وضرب لهم الأمثال ، ووجههم الى ما يجب عليهم أن يمارسوه ويتعلقوا به، وعاد فنفرهم من الانتحار بأنه جريمة تغضب الله وتغضب الناس ، وأرشدهم الى أن الانتحار ليس شجاعة ، لأنه جبن عن مناضلة الصعاب ، وانما الشجاعة تتحقق فى ميدان الجهاد للدفاع عن الوطن حيث الفخار والثواب .

من هذه القصيدة قوله :

نشأ الخير ، رويدا ، قتلكم
فى الصبا النفس ضلال وخسر
لو عصيتم كاذب اليأس فما
فى صباها ينحر النفس الضجر
فيم تجنون على آبائكم
ألم الثكل شديدا فى الكبر
وتعقون بلادا لم تزل
بين اشفاق عليكم وحذر
فمصاب الملك فى شبانه
كمصاب الأرض فى الزرع النضر
ليس يدرى أحد منكم بما
كان يعطى لو تأنى وانتظر
رب طفل برح البؤس به
مطر الخير فتيا وقطر
وصبى أزرت الدنيا به
شب بين العز فيها والخطر
ورفيع لم يسوده أب
من أبو الشمس ومن جد القمر ؟
فلك جار ودنيا لم يدم
عندها السعد ولا النحس استمر
قاتل النفس ولو كانت له
أسخط الله ولم يرض البشر
ساحة العيش الى الله الذى
جعل الورد باذن والصدر
لا تموت النفس الا باسمه
قام بالموت عليها وقهر
انما يسمح بالروح الفتى
ساعة الروع اذا الجمع اشتجر
فهناك الأجر والفخر معا
من يعش يحمد ومن مات أجر

هكذا كان شوقى حفيا بالشباب ، حدبا عليه ، حريصا على توجيهه وتسديده ، مبشرا له ومستبشرا به ، مخلصا فيما قال وفيما دعا اليه .

خواطر مستشار

مقارنات بين
الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

المستشار علي علي منصور

تضمنت المقالات الخمس السابقة بحوثا عن كيف دخلت القوانين الوضعية مصر وكيف تقلص ظل أحكام الشريعة الاسلامية بعد أن ظلت تحكم هذه البلاد قرابة أربعة عشر عاما وكيف كان ذلك نتيجة لتآمر الاستعمار والمسيحية والصهيونية .

ثم قفينا على ذلك بأن المحافل العلمية الدولية بفضل الله بدأت تتنبه الى ما فى الشريعة الاسلامية من كنوز تشريعية لا تبارى ومن تلك المحافل مؤتمر القانون الدولى المقارن الذى انعقد بلاهاى فى هولندا سنة ١٩٣٢ م وانعقد بها أيضا للمرة الثانية سنة ١٩٣٧ م ثم مؤتمر المحامين الدولى بلاهاى سنة ١٩٤٨م ثم جمعية القانون الدولى العام التى قررت اعتبار محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة الرائد الأول للقانون الدولى العام . ثم اسبوع الفقه الاسلامى الذى خصصته كلية الحقوق بباريس لهذا الفقه حيث ألقيت البحوث المستفيضة من علماء الشريعة من جميع البلاد الاسلامية وذكرنا كيف أشاد رئيس المؤتمر وهو نقيب المحامين بباريس بالشريعة الاسلامية ثم انحى أعضاء المؤتمر باللائمة على فقهاء الاسلام الحاليين لتقاعسهم عن تيسير فقه شريعتهم للباحثين وأصدروا توصية باخراج موسوعة للفقه الاسلامى تعرض فيها المبادىء والنظريات عرضا عصريا أبجديا يسهل للأجانب وللمسلمين أن ينهلوا من هذا التراث الضخم ويتضمن المقال الحالى كيف خرجت فكرة الموسوعة الى حيز الوجود .

موسوعة الفقه الاسلامى

مضت الأيام ولم ينشط أحد للعمل على تحقيق هذه التوصية حتى أسست كلية الشريعة بجامعة دمشق سنة ١٩٥٥ فاقبلت على تحمل هذا العبء وألفت لجنة تقوم بوضع الموسوعة وعملت حتى صدر المرسوم الجمهورى رقم ١٧١١ لسنة ١٩٥٦ م وينص على ان تصدر كلية الشريعة موسوعة (دائرة المعارف) غايتها صياغة مبادىء الفقه الاسلامه بمختلف مذاهبه وافراغها فى مصنف جامع مرتب على غرار الموسوعات القانونية الحديثة بحيث تعرض مواد الفقه الاسلامى عرضا علميا حديثا يسهل الرجوع الى نصوصه للافادة منها الى أبعد حد ويرشد الباحثين الى مصادر هذا الفقه .

وبعد الوحدة بين مصر وسوريا صدر من رئيس الجمهورية العربية المتحدة قرار جمهورى رقم ٥٣٦ لسنة ١٩٥٩ م أضاف الى لجنة الموسوعة فى جامعة دمشق أعضاء آخرين ، ولما أن أنشىء المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمصر بالقرار الوزارى رقم ١ لسنة ١٩٦١ م بتوجيه من رئيس الجمهورية وأعلن عن فروعه ولجانه المختلفة ومن بينها لجنة لوضع دائرة معارف اسلامية وأخرى لوضع موسوعة للفقه الاسلامى بينت أهدافها وجميع ما يتعلق بها فى المواد من (٢٩ ـ ٣٣) لما حصل ذلك وعلم به اهل سوريا حضر الى مصر بعض أعضاء لجنة الموسوعة بدمشق وجرت اتصالات لتوحيد الجهود وانتهت الى الاتفاق على الابقاء على لجنة الموسوعة بدمشق واضافة آخرين من الاقليم الجنوبى .

وكان من المزمع اصدار قانون جمهورى يضفى على لجنة الموسوعة الشخصية المعنوية ويوفر لها المال اللازم لخمس سنوات ولما تأخر اصدار القانون سارت فى عملها وفقا للقرارات الوزارية ثم صدر القرار الوزارى رقم ٣٣ لسنة ١٩٦١ بتسمية الموسوعة (موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الاسلامى) . وذلك بعد استئذان الرئيس جمال عبد الناصر .

وقد انتهت اللجنة من استخراج جميع المصطلحات الفقهية من المذاهب الفقهية الثمانية ورتبت ترتيبا أبجديا رأصدرت اللجنة نموذجا لما ستكون عليه الكتابة فى الموسوعة عن بعض الألفاظ ومن القرارات التى اتخذتها أساسا للعمل :

١ ـ أن تكون الموسوعة مدونة ترتب موادها ترتيب حروف المعجم مراعى فى ذلك أول الكلمة والحروف التالية لها .

٢ ـ أن تكون أسماء كتب الفقه وأبوابه مواد مستقلة توضع فى ترتيبها الهجائى .

٣ ـ أن تكون الموسوعة جامعة لأحكام المذاهب الفقهية الثمانية التى مر ذكرها مع اهدار الأقوال الشاذة ساقطة الفكرة .

٤ ـ أن يكون ايراد أدلة الأحكام فى الاعتدال وبمقدار ما تستبين به وجهة النظر .

٥ ـ أن وظيفة الموسوعة ليست الموازنة بين الشرائع ولا بين المذاهب الفقهيه ولا ترجيح بعض الأقوال على بعض ولا نشر البحوث والآراء وانما وظيفتها جمع الأحكام الفقهية وترتيبها فى دقة وأمانة بعبارة سهلة من المراجع التى تلقاها الناس بالقول حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى .

٦ ـ أن يكون فى نهاية كل جزء من أجزائها فهارس للآيات والأحاديث والأعلام .

ولقد أصدر السيد المؤمن الكامل الايمان المهندس احمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف أخيرا القرار الوزارى رقم ١٩٢ سنة ١٩٦٤ باعادة تنظيم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وقد نصت المادة ٢٨ منه على أن تكون مهمة لجنة الموسوعة اصدار موسوعة فى الفقه الاسلامى تهدف الى عرض مباحثه فى مختلف مذاهبه عرضا حديثا وافراغها فى مصنف جامع مرتب بحسب الحروف الأبجدية على غرار الموسوعات القانونية الحديثة مع مراعاة ما يأتى :

أ) ارشاد الباحثين الى مصادر هذا الفقه ومواطن كل بحث فيه .

ب) تسهيل الرجوع الى نصوص الشريعة الاسلامية وأحكامها فى كل موسوعة للافادة منها الى أبعد حد .

وشكلت لجنة الموسوعة من :

١ ـ فضيلة الشيخ محمد احمد فرج السنهورى رئيس المحكمة الشرعية العليا ووزير الأوقاف سابقا : رئيسا .

٢ ـ الدكتور محمد سلام مدكور أستاذ الشريعة بكلية الحقوق بجامعة القاهرة : مقررا

٣ ـ السيد المستشار على على منصور رئيس محكمة استئناف طنطا السابق : عضوا .

٤ ـ فضيلة الشيخ على الخفيف الأستاذ السابق للشريعة بكليات الحقوق : عضوا .

٥ ـ فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى عضو هيئة كبار العلماء : عضوا .

٦ ـ فضيلة الشيخ أحمد هريدى مفتى الديار المصرية : عضوا .

٧ ـ فضيلة الشيخ محمد الزفزاف : عضوا ٠

٨ ـ فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى عميد كلية أصول الدين السابق : عضوا ٠

٩ ـ السيد المستشار عبد الحليم رضوان : عضوا ٠

كما تضمنت باقى مواد القرار الوزارى الأخير جواز ترجمة الموسوعة الى اللغات الأجنبية وان يصدر السيد/محمد توفيق عويضه السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية قرارا بتنظيم العمل فى الموسوعة ٠

لجان تعديل القوانين الوضعية

بعد صدور القوانين الاشتراكية صدرت قرارات جمهورية بتشكيل ست عشرة لجنة لتنقيح وتعديل القوانين القائمة تعديلا شاملا يتفق مع التطور الاجتماعى ومع مبادىء الشريعة الاسلامية ومنها لجنة لتعديل قوانين أحكام الأحوال الشخصية ٠

* * *

كتب السيد/عبد العاطى بدوى نور الدين (ع٠م بالوحدة ١١٥٠ حـ ٢٢) الى السيد الأستاذ رئيس تحرير المجلة يشير الى ما وصلت اليه المجلة حتى أصبحت منارا يهتدى به المصلحون من المسلمين والعرب ويمتدح المقالات التى يكتبها السيد المستشار على على منصور تحت عنوان خواطر مستشار وختم كتابه بمطلب معين بعد أن مهد له بقوله :

« لقد قرأت فى هذه المجلة المقال الذى كتبه السيد الأستاذ المستشار على منصور تحت عنوان « خواطر مستشار » عن قانوننا الوضعى وما نعاه عليه من اقتباسه من القانون الفرنسى تاركا كتاب الله وأحكامه وأخص بالذكر فقرته الأخيرة عن قانون العقوبات ٠ نعم ياسيدى ان هذا القانون بوضعه الحالى لا يصلح البته لمجتمع اسلامى ولمجتمعنا هذا ٠٠ فهذا القانون وليد عام ١٩٣٧ وأظن أنه قد بلغ من العمر عتيا وانه قد آن الأوان الآن لأن تمتد اليه يد الاصلاح والتعديل ٠

ليس من المعقول أن نظل نحكم بقانون فرض علينا أو فرضته ظروف التخلف ونحن الآن فى هذه الحالة من التقدم والرقى العلمى والاجتماعى والدينى معا » ٠ ثم عدد الكاتب الفاضل بعض عيوب قوانينا الوضعية الى أن قال :

« اننى لا أسرد هنا كل مساوىء قانوننا الوضعى متمثلة خاصة فى القانون الجنائى ولكن كل ما أريده وأتمناه أن تمتد يد التعديل بأسرع وقت ممكن الى هذا القانون وتخرج خواطر مستشارنا الى حيز الوجود الحقيقى وأن نراها حقيقة واقعة أمام أعيننا وعلى القائمين بهذا التعديل أن يستلهموه من روح دستورنا الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقد شرعه الله ليكون ملائما لكل زمان ومكان ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ٠

ولما حول الينا هذا الكتاب من السيد الأستاذ رئيس التحرير نجيب بما يلى :

لعل المواطن الغيور على دينه وعلى وطنه يجد أن ما طلبه فى ختام كتابه قد بدىء فى تحقيقه بدلالة الفقرة الأخيرة من مقالى هذا الذى كان قد أعد للطبع قبل وصول خطابه ٠ ولكى أزيده اطمئنانا وأزيد الأمر تفصيلا وذلك أن السيد الرئيس جمال عبد الناصر ـ حفظه الله ـ حارسا للدين وأمينا عليه أصدر منذ أكثر من عامين قرارات جمهورية بتشكيل لجان من رجال الفقه الاسلامى والقانون الوضعى لمراجعة القوانين المعمول بها فى جمهوريتنا وتعديلها تعديلا شاملا كاملا يلائم ما وصلنا اليه من تقدم اجتماعى على أن تكون مستوحاة من شريعتنا الاسلامية وواقعنا وتقاليدنا منها لجنة لتعديل قوانين الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونسب وميراث ووصية ولجنة أخرى لتعديل القانون المدنى وثالثة لتعديل القانون التجارى ولجان أخرى لتعديل كل من القانون الجنائى وقانون الاجراءات المدنية والجنائية والقانون البحرى وغيرها ٠ ولقد قطعت هذه اللجان شوطا كبيرا وصرح السيا

وزير العدل أخيرا فى الصحف بأن عمل هذه اللجان سيكون ثورة تشريعية كبرى تتفق مع نهضة البلاد الكبرى وان مشروعات القوانين الجديدة ستتقدم الى مجلس الأمة فى أول الدورة المقبلة ان شاء الله لتأخذ طريقهما القانونى للفحص والاصدار .

ولعل فى هذا القدر ما يطمئن المواطن عبد العاطى نور الدين . وانه لمستحق الشكر على هذه الغيرة .

وصل الينا أيضا عن طريق مجلة منبر الاسلام خطاب مرسل من الأستاذ السيد عبد العال عثمان واعظ مركز ههيا جاء فيه :

« تحية الوفاء والتقدير أهديها الى السيد المستشار واحتراما قلبيا لمن تربع على عرش فؤادى فبات يتغنى بألمعيتك وشجاعتك وقوة شخصيتك وبعد :

فمن خلال مقالاتك وبحوثك الممتعة البيانية كنت ألمح فى اهابك أريبا عملاقا يحمى الاسلام والانسانية من أن تمتد اليهما يد الخنوع والخضوع ومن دانى قطوف كلماتك كنت أرى شريطا من الحكماء يغذى العالم بما يصقل الروح ويهذب النفس ويذيب فى المجتمع أسس الفضيلة والمثل العليا .

انك ياسيدى لو رأيتنا وقد اجتمعنا حلقا حلقا نلتهم ما يخطه يراعك الحكيم حتى أضحت مجلة منبر الاسلام الأمل الالاق لكل راغب فى البحوث العميقة الهادفة .

فباسم هذه الألوف التى تنتظر على أحر من الجمر كل حرف مما تسطر أقدم بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عنهم جميعا أسمى آيات التقدير والاعزاز مقرونة بالتحيات الخالصات ودعاء من قلوب تحبك أن يديم عليك الصحة فى رقى والسعادة فى الدارين » .

والمجلة تشكر للأخ الفاضل هذه التحية الكريمة وترجو أن تكون هى ومحرريها عند حسن ظنه حتى يتحقق العروبة والاسلام ما يخططه لهما الزعيم جمال عبد الناصر .

حق الدوام في الملكية الفردية وتقييد الاسلام له

الدكتور علي عبد الواحد وافي

من أهم حقوق الملكية الفردية ما يسمونه حق « الدوام » La Perpetuité

ويعنون به حق المالك في بقاء ملكيته ما دامت العين المملوكة موجودة ، ولم يتصرف فيها تصرفا يزيل ملكيته لها ، وهذا الدوام يكون أحيانا دواما حقيقيا ، وأحيانا يكون دواما اعتباريا ، فيكون دواما حقيقيا اذا كانت العين المملوكة قابلة للاستهلاك ، وأتيح لصاحبها أن يستهلكها في حياته . ففي هذه الحالة يصدق على الملكية أن يد مالكها بقيت مسيطرة عليها طول المدة التي استغرقها بقاؤها .. ويكون الدوام اعتباريا اذا كانت العين المملوكة غير قابلة للاستهلاك كالأراضي والعقار فيموت صاحبها وهي لا تزال في حوزته ، أو قابلة للاستهلاك ولم يتح لمالكها أن يستهلكها في حياته .

ففي هذه الأحوال يتحقق الدوام في صورة اعتبارية تواضعت عليها الشرائع التي تقر الملكية الفردية . وذلك بأن تنتقل العين بعد وفاة مالكها الى من يوصي هو بانتقالها اليه أو الى من تقرر النظم الاجتماعية انتقالها اليه من أقربائه عن طريق الميراث ، ففي كلتا الحالتين لايعتبر هذا الانتقال تملكا جديدا من جميع الوجوه ، بل يعتبر بمثابة امتداد للتملك القديم لتحقيقه لرغبة المالك الأصلي في حالة الوصية ولتعلقه بأفراد يمتون للمالك الأصلي بلحمة قرابة قوية تجعلهم صورة متجددة منه في حالة الميراث .. فكأن هؤلاء وأولئك ممثلون للمالك الأول ، وكأن الملكية الأولى نفسها لاتزال قائمة ، وان لبست ثوبا آخر غير ثوبها القديم .

هذا ، وقد قيد الاسلام هذا الحق بقيود كثيرة يتمثل أهمها في النظم التي وضعها لشئون الميراث والوصية والوقف ، وقصدبها تحقيق الصالح العام واقرار التوازن الاقتصادي .

فقد وضع الاسلام للميراث نظاما حكيما يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا ويحول دون تضخمها ودون تجمعها في أيد قليلة ، ويعمل على تقليل الفروق بين الطبقات والأفراد ، وذلك أنه يقسم التركة على عدد كبير من أقرباء المتوفى ، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ، ويحول من جهة أخرى دون تجمع ثروات كبيرة في يد فئة محدودة من الملاك ، ويقرب طبقات الناس بعضها من بعض ، فهو يورث الأبناء والبنات ، والآباء والأمهات ، والأجداد والجدات ، والأزواج والزوجات ، والاخوة والأخوات ، والأعمام وأبناء الأعمام ، وأبناء الاخوة وأولاد الأبناء ، بل يورث ذوي الأرحام أنفسهم في بعض الأحوال . فبفضل هذا النظام الحكيم لاتلبث الثروة الكبيرة التي يتفق تجمعها في يد بعض الناس أن تتوزع بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس ، وتستحيل الى ملكيات صغيرة . وهذه هي أمثل طريقة لتقليل الفروق بين الطبقات ، وتحقيق التوازن الاقتصادي ، وعلاج ما عسى أن يطرأ على هذا التوازن من اضطراب .

ولحرص الاسلام على تحقيق هذه الأغراض حرم كل اجراء يؤدي الى الاخلال بقواعد الميراث ، وتوعد من يتعدى حدودها بأشد

عقاب فى الآخرة ، وفى هذا يقول الله تعالى بعد أن قرر هذه القواعد : « **تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين** » (الآيتان ١٣ ، ١٤ من سورة النساء ، وقد جاءتا عقب آيتي الميراث مباشرة ، وهما الآيتان ١١ ، ١٢) .

ومن أجل ذلك يرى كثير من الفقهاء أنه لا تجوز الوصية لوارث ، لما ينطوى عليه هذا الاجراء من تحايل على قواعد الميراث ،واعطاء بعض الورثة أكثر من نصيبه الشرعى ، وعملا بقوله عليه الصلاة والسلام بعد أن نزلت آيات المواريث : « **ان الله أعطى كل ذى حق حقه ، ألا لاوصية لوارث** » .

وحتى الذين يجيزون منهم هذه الوصية يقيدونها فى حدود الثلث من التركة ، وأما الوصية لغير القريب فجائزة باجماع الفقهاء تيسيرا لأعمال البر ، ولكن حدود ضيقة لاتكاد تتأثر بها قواعد الميراث ، وهى حدود الثلث من التركة ، وقد توخت الشريعة الاسلامية من هذا وذاك حماية القواعد الاشتراكية السامية التى وضعتها للميراث ووقايتهم عبث المورثين وأهوائهم .

ومن أجل ذلك أيضا ذهب كثير من فقهاء المسلمين الى بطلان الوقف الأهلى ، وهو أن يحبس المالك غلة ملكه بعد وفاته على واحد أو أكثر من أقربائه أو غيرهم بشروط يعينها وفق مشيئته ، لما ينطوى عليه هذا التصرف من اخلال بقواعد الميراث ، ومايؤدى اليه من تجميد الثروة وحبسها عن التداول الطبيعى .

وممن ذهب هذا المذهب ابن عباس – رضى الله عنه – فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال بعد أن نزلت آيات الموارث: « **لا حبس عن فرائض الله** » أى لا مال يحبس بعد موت صاحبه فلا يوزع على الورثة وفق فرائض الله . ومنهم كذلك القاضى شريح (وهو من كبار التابعين ، وقد ولاه عمر قضاء الكوفة ، وظل فى منصب القضاء ستين سنة ، وقيل اثنتين وسبعين سنة) فقد قال ببطلان الوقف الأهلى وقرر ان شريعة محمد فى الميراث قد الغت هذا النظام ، ومنهم كذلك اسماعيل بن الكندى الذى ولاه الخليفة المهدى قضاء مصر . فقد ذهب الى ماذهب اليه القاضى شريح . بل ان منهم الامام الأعظم أبا حنيفة النعمان نفسه، فقد قرر أن الواقف اذا علق الوقف بموته بأن قال اذا مت فأرضى وقف على فلان مثلا فان ذلك يكون وصية لاوقفا فتجرى عليه أحكام الوصية السابق ذكرها ، واذا لم يعلقه بموته لم يعمل بقوله وتجب قسمة تركته على ورثته كل بحسب فريضته . وقد اعتمد على هذه المذاهب القانون المصرى رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ الذى صدر بعد الثورة اذ الغى جميع انواع الوقف الأهلى ، وحظر اجراءه ، وقرر أن كل وقف من هذا القبيل يعد باطلا فى المستقبل ، وحل جميع الأوقاف الأهلية التى كانت قائمة حينئذ . وقد صدر هذا القانون فى ٥٢/٩/١٤ ويسعدنى أنه قبل صدوره بنحو اسبوعين قد نشر لى بجريدة الأهرام تحت عنوان «الوقف الأهلى نظام فاسد يجب الغاؤه» مقال طويل بينت فيه مبلغ مجانبة هذا النظام لمبادىء الاسلام وقواعد الاقتصاد السليم (الأهرام ، عدد ١٩٥٢/٨/٢٨) .

فاين من هذه النظم الاشتراكية الحكيمة التى وضعها الاسلام لتقييد حق دوام الملكية الفردية ، وأحاطها بسياج قوى من الحماية ، أين منها نظم الغرب الرأسمالى التى ينقل بعضها معظم ثروة المتوفى الى البكر من ابنائه، ويدع كثير منها المالك حرا فى أن يوصى بتركته لمن يشاء أو يقفها على من يشاء .. فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه ، فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة والاتجاهات الشيوعية الفاسدة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا الى معظم الانقلابات والثورات العنيفة التى تعرضت لها كثير من دول أوروبا وآسيا فى العصر الحاضر .

الجذور الإسلامية للميثاق

الأستاذ البهى الخولى

فى الميثاق ظاهرة كبيرة تستغرق ابوابه كلها ، وتضرب بجذورها فى معانيه الى أبعد مدى يبلغه القارىء منها .. ولقد كتبت فيه مقالين قبل اليوم ، لم اكن فيهما الا معبرا عن تلك الظاهرة التى تطالعنى كلما رجعت اليه أو قلبت نظرى فيه .. تلك ان الميثاق ليس خطة عمل مستقبلة ، ولا دستورا للقواعد التى نستأنف بها سيرنا الجديد فى الحياة ، انما هو **« تقويم لحقيقة الروح المصرى »** .. حقيقته التى تمثل جوهره وتشمل ما استقر فى وعيه من حصيلة تفاعله مع الواقع المصرى ، وما لابسه ، واتصل به ، وطرأ عليه من تجارب النجاح ، والألم ، والخبرة ، وسعة الأفق ، وسلامة العقيدة ، وتعدد الوان الحياة التى مارسها ، وذاقها ، وراضها ، فى كفاية ومصابرة من اقدم عصور تاريخه الى نقطة انبعاثه لثورته الرائعة .. الى اليوم .. فهو **« تقويم روح »** ، وليس تاريخ شعب ، ولا كتاب ثورة ، ولا خطة عمل ..

فالروح المصرى بأصالته ، وما كسب على التاريخ من خبرة ، وتجربة ، وعقائد ومواريث هو الذى يطالعك فى الميثاق ، فى كل صفحة منه . اذا منحته قليلا من التأمل .. يطالعك وقد اتيح له أن يكسر القيد ، ويحطم السدود ، ويقف على صخرة واقعه مشدود القامة ، قوى البأس ، وافر الارادة ، ينظر الى نفسه تارة ، ويتبين الحياة من حوله أخرى ، فهو يعيد استكشاف ذاته ، ويختبر حقيقة الحياة لنفسه على ما هى عليه ، لا كما كان يراها له سواه .. وعلى ضوء ما يلتقى بنفسه ، وبالحياة كما أحسها وفهمها ، يلقى بنظره الكاشف الجامع لخصائص عزته ، وآماله ، وطموح ضميره ، وعلى غاية ما انتهى اليه ذلك النظر الكاشف ، حدد مجاله فى الحياة ، وهو مجال وسع الدنيا بأسرها ، ودعا نفسه من أعماقه : هنا مكانك الجدير بكرامتك ، وتاريخك ، فاحرص عليه ، وتشبث به ، وعمق وجودك فيه ، بكل ما عرفت لك الحياة من طاقة مبدعة خلاقة ..

تلك الصورة القوية الآملة البينة الملامح والطموح ، هى التى تطالعك فى الميثاق ، أو هى الميثاق نفسه . وقد بينت اصالة الروح فى الميثاق فيما قدمت من كتابة عنه ، ويكفى لبيان ما أعنى أن الميثاق لا تتضح حقيقته ولا تستبين أهدافه ومعانيه ، الا اذا قرأناه على الاعتبار الذى بينا ، فان الباب الأول منه - مثلا - وهو اشبه بالاستعراض التاريخى ، يبدو كأنه اقحم اقحاما لا معنى له ، اذا كان الميثاق قد أريد به خطة عمل مستقبلة ، ولكنه يبدو امرا لاحول عنه لتمثيل **«الروح المصرى»** اذا كان قد أريد للميثاق أن يكون **« عدسة لأمة »** تلتقط ملامح هذا الروح العتيد وهو قائم مشدود القامة على صخرة واقعه يجمع فى معدنه مواريث الماضى الجليلة ، وعزمة الحاضر الجادة ، وصدق استكشافه لنفسه وللحياة كما يراها ، ودقة الملاءمة بين المكان

الفسيح الذى اختاره لنفسه فى الحياة ؟ وبين بصائر واعية فى ضميره تعتزم أداء رسالة الحياة على أقوم المبادىء والمثل .. فما **كانت العدسة وهى بصدد التقاط عناصر هذا الروح وتسجيل مقوماته بمستطيعة ان تضرب عن تسجيل بعض مقوماته وتسجل بعضا آخر ، لأن الكيان كله يعرض لها منصهرا فى خبرات الماضى وانبعاثات الحاضر العازمة المبصرة ، لذلك كان ظهور الماضى والحاضر فى الميثاق هو المنطق الذى يقتضيه تمثيل روحنا المصرى فى ادق تقويمه .**

وقد كان ضمير رائد الثورة هو العدسة التى تجمعت فيها اشعاعات هـذا الشعب بماضيه وحاضره ، فلم يستطع ، وهو بازاء ميثاق تجتمع عليه افئدة هذه الامة ، الا ان يجعل ما فى ضميره هو الميثاق ، وأن يخطط فصوله من حصيلة الانفعالات التى أثارها هذا الاشعاع العام فى وجدانه ..

فالميثاق هو روح شعب مصورا فى حروف وكلمات .. روحه المؤتلف من بصائر الماضى ، وعزمة الحاضر ، ونفاسة الجوهر .. فاذا طالعه الشعب ، وجد فيه نفسه .. فهل ذلك كتاب ؟

✻ وهو تحديد لمجال النشاط الذى تتفاعل فيه عبقرياته المبدعة ، وملكاته الأصيلة ، وليس تخطيطا لسياسة داخلية او خارجية . فالذى يدرك نهـايات الأفق من حوله ، يدرك آماد **مجاله ، دون أن يكون فى ذلك الادراك خطوط تحدد سيره اليومى لتغلبه فى نطـاق ذلك المجال .. وقد قرر الميثـاق أن مجالنا فى الحياة – على ما ادركه نظرنا الكاشف – قد امتد بانسانيته واخائه الى كافة آفاق الأرض ، وامتد بايمانه ونشدانه لطاقاته المبدعة الى اقصى ما يستطاع من ملكوت السماء .. فلسنا – وان كنا وطنيين قوميين – مأخوذين بشؤم الأنانية** تقف ببرنا وعوننا الحسى والروحى عندما تنتهى اليه رقعة الوطن من تخـوم ومعالم .. ولا **مطموسين بنزعة الحادية تعبد الضمير لمادة** الأرض ، وتحرمه شرف التحرر باحراز قيم **السماء .**

✻ وهو اعلان للون الحياة الـذى يجانس **روحنا القومى ، ويلائم شرف عقائدنا ومثلنا** .. هو اعـلان للون الحياة الذى تمتاز به فى الناس ويحدد علاقتنا بالسياسات المختلفـة ولاء وسلما ، أو عداء ومنابذة .. هو اعلان للون الحياة وليس عرضا لما ننوى فى المستقبل من منـاهج وخطط .. ونحـن نكـره البغى والغدر ، ونمقت الاستعمار بكل ضروبه .. ونؤثر السلم والعدالة والتعاون فى كل مجال لتحقيق المثل العليا .. فاذا كان الحياد بين القوى المتصارعة هو منطق ذلك اللون المسالم ، فقد جعلناه نحن حيادا ايجابيا لا يلتزم السلبية حين يرى وحش البشر قد جثم على فريسـة ضعيفة بريئة يعمل فيها مخالبه وانيابه ، فان التصدى للمعتدى هو فريضة الحق ، واحدى دعائم السلم ، ولا سلم اطلاقا ، ولا قيام لميزان الحق اذا لم يجد الباغى ما يكفه عن الاعتداء .

✻ **وهو نداء من الأعماق يدعو به الشعب نفسه ان يحرص على مقومات كيانه ، وان يجهد دائبا على تحقيق ذاته بكل خصائصها وملامحها .. والشعب وان كان روحا عاما على ما بينا ، هو من ناحية اخرى افراد قد توزعت فيهم خصائص ذلك الروح وطاقاته .. فاذا وجد كل منا فى ضميره فرحته ببهجة الحياة المتحررة ، ورضاه ان يستأنف دوره الجديد فى الحياة بعزم مستمد من طاقات عقائده ومواريثه ، وحذرا أحكمتـه تجربة الألم .. يتواصى باليقظة والحرص على تحقيق الوجود الكلى فى المجال الذى اختـرناه ، فذلك هو النداء المشترك الذى يمثل عهدا روحيا تعرفه كل الضمائر ، وتتجاوب بمضمونه كل الأرواح بعد أن اشربت خصـائص رحيقة المختوم ، والأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .. وليس من الطبيعى ونحن بصدد تسجيل معالم الروح العام أن نهمل ذلك العهد الذى تتـواثق به الضمائر** وتتناصر على رعاية مقوماتها وتحقيق رسالتها . **فكان اسم « الميثاق » هو العنوان الموفق الذى جمع كل حقيقة فى اطار معناه الكبير ..**

– ٢ –

ومعلوم ان صدور الميثاق – باقرار المؤتمر الشعبى – كان ايذانا بأن الشعب قد فرغ من اعادة استكشاف ذاته ، واختيار المجال الذى تتفاعل فيه كفـاياتنا الروحية ، والفكـرية ،

والحسية (**) وانه اذ رسم هذا المجال واقام له حدوده ومعالمه ، لايسمح اطلاقا بأى نزعة دخيلة أن تقتحمه وتشوش كفاياته التى ثبت بهاالعوادى التاريخ ، وسجل ماسجل من آيات المجد الى اليوم .

* نعم ، ذلك هو معنى صدور الميثاق باقرار ممثلى القوى الشعبية ، ولعل من أول عزائم الوفاء بذلك ، ان نحرص على حماية عقائد الشعب حيث هى اساس وجوده ، ومصدر ماله من طاقة وهمة ، وقد دعانا الميثاق نفسه الى الحرص على هذا المعنى اذ قال : ((ان حرية العقيدة الدينية يجب ان يكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة)) ولا شك ان من هذه القداسة ألا نسمح للالحاد فى أى صورة من صوره بأى وجود بيننا ، فان حرية العقيدة ليس معناها حرية الاختيار بين الالحاد والايمان ، بل تعنى وجوب الايمان ، مع عدم اكراه احد على دين معين .. ولا يمكن ان يكون الالحاد داخلا فيما أوجب الميثاق من قداسة حرية العقيدة الدينية ، فان الالحاد لا قداسة له ، علاوة على أنه ينافى فطرة التدين التى عرف بها شعبنا من أقدم عصوره الى اليوم ، حتى لقد كان ضميره فى عصور وثنيته المشوشة ينزع بها الى معان تتصل بالسماء .

هذا واخلاصنا لواجبنا وميثاقنا يدعونا ان نكون منطقيين مع واقعنا ، وليس من المنطق ولا من صدق الوفاء للميثاق أن نرى أفرادا عرفوا بنزعات هدامة يحتلون مراكز فى التوجيه الفكرى والثقافى .. ولسنا بهذا نستعدى أو نعرض بأحد ، ولكن المسلم به أن الكاتب أو المفكر ، أو الفنان الذى اعتاد أن يحس رقابة الله على ضميره ، أقدر على التجاوب مع حقيقة الشعب ، وتقديم الزاد الروحى والثقافى الملائم له . أقدر على ذلك من الذى اعتاد أن يحس نفور ضميره وانقباضه من مجرد ذكر الله .

فالتقديس الذى يوجبه الميثاق للعقيدة الدينية ، انما يوجبه فى الحقيقة لمقومات وجود الشعب ، فهو - اذن - شىء فوق القانون ، وفوق الدستور ، وليس مما يحقق تلك القداسة ، أو يتسق مع مقتضياتها ان يكون أمر رعايتها موكولا الى ضمائر منطوية على أخبث نزعات الازدراء والبغض لها .. ان ذلك ليس اهمالا فى حق دستور أو قانون ، ولو كان كذلك لوجب تغييره ، فكيف وهو تعريض لكيان الشعب نفسه لعوامل المسخ والتغيير ؟

* والميثاق اذ يعلن قداسة العقيدة الدينية لا يراها حلية كمالية ، أو أثرا تاريخيا يستمد قيمته من ذكراه القديمة ، بل يراها قوة بناءة ايجابية ، ذات أثر فى بناء الفرد والجماعة ، فانه يقرر أن الأعمال الثورية والنتائج الهامة التى انجزها الشعب منذ قيام ثورته الى اليوم قد اعتمد فيها على عدة ضمانات أهمها الايمان بالله ، وذلك اذ يقول : ((ان هذا العمل العظيم تحقق بعدة ضمانات» وجاء بين هذه الضمانات ((ايمان لا يتزعزع بالله ، وبرسله ، ورسالاته القدسية ، التى بعثها بالحق والهدى الى الانسانية فى كل زمان ومكان » .. فاذا كان الايمان قد قام بدوره البناء فى الأعمال التى انجزت ، فانه لم يبن مصنعا ، ولم يشيد مؤسسة ، انما كان يبنى عزائم الرجال ، الذين صنعوا ما صنعوا .

ولا شك أنه لا يريد بهذا مجرد الاشارة الى ما كان من فضل الايمان ، فانه - كما قلنا - ((عهد)) بين الشعب ونفسه ، يتواصى به على رعاية مقوماته .. وهو فى هذا المقام ينظر الى الايمان على أنه طاقة تبنى له وجوده المعنوى المؤلف من عزائم وهمم وأشواق راغبة فى مثل الخير والحق ، ومقتضى هذا فى منطق العهود والمواثيق أن نترجمه أعمالا دائبة ندعم بها وجودنا ، ونضيف بها جديدا الى ما ورثنا من بطولات المجد والكرامة .. فاذا كان كل منا يرى نفسه مطالبا من ضميره بان يؤدى واجبه الخاص فى هذا الميدان ، فلابد أن يكون بيننا تنظيم كبير يمثل العناية بالواجب الجماعى .. ولست أقترح فى هذا المقام اقتراحا بعينه لذلك التنظيم ، فانى أعتقد ان التنظيمات الشعبية الممثلة فى تشكيلات الاتحاد القومى ، ذات مسئوليات تعفينى وتعفى غيرى من أى اقتراح ، ولها من الكفايات ما يطمئننا على تحقق ما نريد على أكمل وجه .

وأحب أن أقرر ان اهمال هذا ((التنظيم)) المرتجى ، هو اهمال لعقدة الميثاق ذاته ، وقد

يتطرق أثره الى المحيط الخاص فتتراخى به عزائم الأفراد أنفسهم .

ولعل مما يؤجل تكوين هذا التنظيم ان اجهزة التوجيه والاعلام فى الاذاعة والتلفزيون تؤدى جانبا من الجهد الذى نرجوه لبنائنا القومى ، ولكنا نرجو الا يطول انتظارنا ، أو الا يطول اعتمادنا على تلك الأجهزة ، فانا نراها غير متسقة مع ماتأتلف منه ضمائرنا من عقائد وتقاليد ، وتقويم لمعنى الفضيلة والبطولة .. ونقول هنا ما قلناه سابقا اننا لا نستعدى ولا نعرض بأحد ، ولكن واقع هذه الاجهزة يدعونا الى استعجال « **التنظيم** » الذى يضطلع بامانة الميثاق فيجعل « **الايمان بالله وبرسله ، ورسالاته القدسية** » أساس ما يستخلص لبنائنا من طاقات ومثل ، ويكفى ان المسئولين عن ثقافتنا العامة كانوا يقدمون لنا فى مثل البطولة عماليق من أمثال صلاح الدين ، والعز بن عبد السلام ، والسيد عمر مكرم .. ومحمد كريم ، وأحمد عرابى وأمثالهم ممن يملأون الصدور مهابة وروعة ، فغدوا يقدمون لشبابنا بلا حساب نجومهم المفضلة فى لعب الكرة والتمثيل والغناء ونحوه ، على أنها مثل جديرة بالحفاوة ، غنية بحلول ما يعرض للمرء من مشكلات الحب ونحوها من شئون الحياة .. ونعتقد أن الشعب المجيد انما غالب المحن العاتية التى تدك متون الجبال ، وسجل من بطولاته الرائعة ما لم يقدر لشعب مثله ، لأن مثل الحياة وطراز البطولة فى ضميره كانت فى مستوى تأصيل المجد بحق ، لا فى مستوى نجوم الملاعب والملاهى .. ولقد كانت التحديات العارمة تعرض لشعبنا من الخارج ، فيلقاها بما هو مذخور فى ضميره من عدة العقائد والمثل ، فكم يكون مدى ثباته اذا كانت التحديات تنوبه من الداخل بتفريغ طاقاته ومثله بأيدى من لا يحسنون التقدير من ابنائه حسنى النية ؟ !

* ويمضى بنا الميثاق فى تقرير الواجبات اذ ينادى فئة معينة من الأمة الى واجبهم فى رعاية قيم الدين وعقائده بقوله « **ان واجب المفكرين الدينيين الأكبر ، هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته** » .... والفكر الدينى الذى يعنيه الميثاق ليس هو الفكر الاصطلاحى الذى يقوم على حفظ النصوص واستظهار أقوال الرجال ، انما ينبثق مفهومه من فطرة الله التى ترى الدين هداية الى الله ووجدانا يعبد المرء له سبحانه فى كل قول وعمل ، ومثلا وأخلاقا تنبع من هذه العبادة ، وتلك الهداية « او ينبثق مفهومه من فهم الميثاق نفسه لمعنى الدين « **ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته** » و « **ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الاديان ، قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة** » فهو ثورات انسانية على الفساد ، وقيم عليا ، وطاقات حافزة لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة ..

فكل من له ثقافة وفهم للدين على هذا المعنى داخل فى مفهوم « **المفكر الدينى** » ومخاطب من الميثاق بأن واجبه الأكبر : « هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته » أى أنه مجند فى هذا المحيط بكافة مواهبه الفكرية والأدبية والفنية على النحو الذى جند به الزراعيون ، والاقتصاديون ، والمهندسون ، وغيرهم فى قطاعات الانتاج ، والتنمية وشتى الخدمات .

وأعتقد أن نداء الميثاق - مع ما نوه به من ايجابته الدين - يلزمنا جديا أن تقرر الوسائل التى يؤدى بها كل مفكر ، واديب ، وعالم ، وكاتب ، وفنان واجبه فى بعث الطاقات الروحية الكامنة فى ضمائر الشعب كل فى نطاق فنه وأدبه ، ولن يضل احد هؤلاء طريقه الى واجبه بحجة عدم الاختصاص ، فان الدين باعتباره مثلا فاضلة ، وقوانين خلقية ، وطاقات فى الخير ، حظ مشترك بين كافة الأدباء والمفكرين ، يجده كل منهم ماثلا فى ضميره ينتظر التعبير الفنى أو الاخراج الذى ينقله من حيز المثاليات الى حيز الصور المحسة فى عالم الواقع .

وقد يكفى فى تقرير تلك الوسائل أن ينص فى الدستور على الموازنة التى أوردها الميثاق بين القيم

الحسية والقيم الروحية ، أو يضمن مادة فى معناها : **« واذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة ، فان الحوافز الروحية والمعنوية ، هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا واشرف الغايات والمقاصد »** فان هذه المادة التى توازن هذه الموازنة بين هذين الضربين من القيم كفيلة بأن يكون لنا قوانين تكفل تنظيم هذا الأفق الروحى ، فى مقابل القوانين التى تنظم رقابتنا على قطاعات التنمية والانتاج ، وقد نجد تلك القوانين التى تنظم واجب المفكرين الدينيين ، قد اتصلت أو دخلت فى عمل اجهزة الاعلام ، والنشر ، والتثقيف ، والتوجيه ونحوها .. ولا بأس أن يكون ذلك ، فان كل جهاز فى الدولة كبر أو صغر يجب أن يكون فى خدمة تلك الحوافز التى آمن بها الميثاق وجعلها أساس ما ننشد من بناء فاضل .

* وقد قطعت الثورة بالشعب مدى واسعا من تطوره .. ولا اعنى التطور الحسى الذى طرأ باقامة المؤسسات والمصانع واحياء الارض الميتة ، انما اعنى التطور الذهنى والنفسى الذى نقل الشعب من حال الى حال ، فقد كان الفلاح فى أرض الاقطاع تابعا للأرض ، فاصبحت الارض تابعة له ، وذلك فى ذاته - بصرف النظر عما يتبعه من رخاء اقتصادى - تبدل عميق فى كيانه النفسى أخطر من كل تبدل طرأ عليه .. وقد كان العامل يساق الى شركات الانتاج بقهر لقمة العيش رقيقا ، أو أسوأ حالا من الرقيق ، فغدا تصريف تلك الشركات بيده واشرافه ، وهو - أيضا - بصرف النظر عما ناله من حصص الارباح - تبدل عميق فى كيانه النفسى يلتقى مع التبدل الذى طرأ على الفلاح فى دعم خصائص العزة ، ورفع مستوى الدراية والايجابية فى كيان الأمة العام .. ذلك الى أن رفع مستوى المعيشة دعا كلا منهما الى شىء من أسباب الترفيه والتوسعة على النفس ، فاصبحنا نرى الشاب الفلاح يغدو الى حقله ويده اليسرى ترفع فأسه الى كتفه ، ويده اليمنى ترفع راديو الترانزستور الى أذنه ... وقد رأينا الترانزستور يدور معه على دورات « النورج » الذى يدرس به القمح ، وهو مستغرق فى الآفاق التى يحمله اليها ، او يحملها اليه ذلك الجهاز العجيب .. ولم يظل العامل - بطبيعة الحال - بمعزل عن متعة تلك الوسائل .. فاذا كان لاقتناء الترانزستور دلالة على الرخاء وارتفاع مستوى المعيشة ، فالذى يعنينا هو ملاحظة ذلك العامل الخطير الذى تفتحت به الآفاق فجأة على ذلك الأفق الراكد الضيق الذى ظل على ضيقه وركوده قرونا بعد قرون .. لقد انهالت على ذهنه وضميره ألوان شتى من أبناء العالم وثقافاته المختلفة ، وما له من أذواق فى الترفيه والاستمتاع ، فاذا بالأفق الضيق يتسع ، حتى يشمل الكون بأسره ، واذا بالمحيط الراكد يتحرك ويمور ويجيش بشتى الخواطر وانفعالات العجب والفرح ببهجة الحياة .

* **نذكر تلك اللمحة الوجيزة عن الأغوار النفسية والذهنية التى بلغها تطور العامل والفلاح ، اى قاعدة الأمة الشعبية ، لنسأل أنفسنا ماذا أعددنا من زاد روحى لمواجهة تلك الحياة الجديدة التى انتقلت اليها جمهرة الأمة ؟ .. لقد كان العامل والفلاح فى أيام محنته يهضم الظلم والفاقة وضيق الذهن بلون من الدين يجد فيه بعض السعة والعزاء ، ولا شك أنه اليوم أشد حاجة الى لون آخر يعالج به التحولات النفسية العميقة ، ويملأ الآفاق التى تفتحت فى كيانه ليؤدى دور التنسيق أو التعادل بين مقوماتنا الروحية ، وهذا الوارد المتدفق على الذهن والضمير بلا حساب .. فماذا طورنا من فهمنا ووسائلنا لمواجهة تلك الحالة الخطيرة ؟ ..**

لقد دعا الميثاق المفكرين الدينيين الى واجبهم فى الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته ، وليس من شك فى أن مواجهة تلك الحالة بكفايتها من الدراسة والتحليل والثقافة الدينية من أهم ما دعا اليه الميثاق .. وقد يكون مما نؤدى به بعض الواجب فى هذا الميدان ، تلك الفصول التى بدأنا كتابتها اليوم بعنوان : الجذور الاسلامية للميثاق .. والله ولى التوفيق .

الجسم والنفس

الدكتور احمد فؤاد الأهوانى

من المباحث المشهورة فى تاريخ الفكر الفلسفى مبحث الصلة فى الانسان بين جسمه ونفسه . وهذه الصلة مشكلة حار الانسان فى حلها منذ القديم حتى اليوم ، على أنحاء ثلاثة أساسية :

الاول الاعتقاد بمادية الجسم والنفس معا ، بحيث لا يعدو الانسان ان يكون سوى كائن مادى ، مثله مثل أى كائن آخر . ولسنا نقول كالجماد كأنه قطعة من حجر ، كلا بل هو كائن حى كهذه الشجرة أو هذا الحيوان ، فهو يولد وينمو ويتوالد ويتغذى ثم يموت ، كما يولد الحيوان وينمو ويتغذى ويتوالد ويموت . والانسان اذا ولد وجد مع الميلاد ، واذا توفى انقضت مدة حياته الطبيعية . وهذا الاعتقاد المادى يتناقى أساسا مع الاديان المنزلة التى تؤمن بالبعث فى الآخرة .. وعلى الجملة فان الاديان تتعارض مع أى مذهب من المذاهب المادية .

وكان كثير من قدماء اليونانيين ، وكذلك قدماء المصريين يعتقدون أن النفس من قبيل المادة . وذهب المصريون القدماء الى أن النفس ، وتسمى « كا » تخرج من البدن على هيئة طائر صغير ، أو ريح يتبدد مع الزفير ، فتنقطع الحياة ، ولكن الى اجل . فلا تزال « الكا » تحن الى الهيكل الذى كانت تعيش معه ، فتحوم حوله عند القبر ، ثم قد يأتى يوم عند البعث تعود الى هذا البدن نفسه . وهذا هو السبب فى ممارسة قدماء المصريين تحنيط الجثة لتكون جاهزة لاستقبال النفس بعد رحلتها فى العالم الآخر .

والثانى الاعتقاد بأن الانسان كائن مثالى غير مادى ، وأن وجوده الحقيقى هو وجود النفس ، وليس الجسم الا مظهرا ووهما ، لا ينبغى التعلق به .. أو العناية بأمره ، أو التفكير فيه ، بل يجب ازدراؤه وعدم الالتفات اليه .

ومذاهب قدماء الهنود من هذا القبيل ، يذلون البدن ، ويحتقرون شأنه ، ولا يلبون مطالبه ، ويسرفون فى الزهد اسرافا شديدا فى سبيل تصفية النفس وجلائها حتى تتمكن من الاتصال بالحقيقة القصوى ، أو حتى تصل الى درجة الفناء ، وهى التى تسمى عندهم « نرفانا » .

والثالث الاعتقاد بأن البدن له وجوده ومطالبه ، والنفس لها وجودها ومطالبها ، وان الانسان على الحقيقة لا هو جسم فقط ، ولا هو نفس فقط ، وانما هو جسم ونفس يتفاعلان ويحتاج كل منهما الى الآخر . وقد يذهب بعض المفكرين الى الاعلاء من شأن الجسم ، ويذهب البعض الآخر الى السمو بالنفس على البدن .

وكان العرب فى الجاهلية ماديين ، أو بلغة القرآن « **دهريين** » ، ولم يكونوا يعتقدون فى البعث فى الحياة الآخرة . ولذلك اقبلوا على حياتهم الدنيا ينتهبون الملذات والمسرات ، يشربون الخمر التى تلعب بالعقل ، وتزين الفساد ..

فلما جاء الاسلام لم يأخذ بالمادية المتطرفة ، ولا بالمثالية المسرفة ، ونظر الى الانسان نظرة

واقعية ، فهو مركب من جسم مادى ، ومن نفس غير مادية ولا مرئية . والى جانب ذلك فهو مركب من « روح » بالاضافة الى الجسم والنفس . ولكن حديثنا الآن سيقتصر على الجسم والنفس ، مرجئين الحديث عن الروح **الى فرصة أخرى .**

٢ – والاستعمال القرآنى يدل دلالة صريحة على أن الانسان مركب من جسم ونفس ، وأن الانسان ليس جسما فقط ، ولا نفسا فقط . ذلك ان الانسان يحتاج من جهة بدنه الى الغذاء والطعام ، والى الاتصال الجنسى الآخر بغرض النسل والى المشى من مكان الى آخر لقضاء الحاجات ، والى أن يقبض بيديه ، وينظر بعينيه ، وغير ذلك من الامور التى لا غنى عن البدن فى أدائها .

وقد عاب العرب على النبى – عليه الصلاة والسلام – انه يمشى فى الاسواق ويأكل الطعام ، وطالبوا أن يرسل الله اليهم ملكا رسولا . ولقد كان جميع الانبياء والرسل بشرا لا ملائكة ، لا يتميزون من حيث الجسم عن غيرهم من الناس .

ولقد اقترن لفظ الانسان فى القرآن بالخلق ، وبوجه خاص بالخلق الطبيعى ثم البيولوجى . فالانسان خلق من «صلصال من حمأ مسنون» أو « من سلالة من طين » أو « من صلصال كالفخار » وذلك من جهة الخلق المادى . اما من جهة الخلق البيولوجى ، فقد خلق الانسان « من علق » أو « من نطفة أمشاج » ، ثم يتطور الجنين من نطفة الى علقة الى أن تتكون العظام وتكسى باللحم .

والى هنا لا يكون الانسان انسانا ، اذ لا بد له من نفس ، ولا بد له من روح .

ويبدو أن الطور النفسى فى الانسان ، والذى يأتى بعد الطورين السابقين الطبيعى والبيلوجى ، انما يبدأ عقب الولادة ، لا منذ أن يكون الانسان جنينا . قد يكون اقتران الروح بالبدن منذ التخليق ، أى منذ اتصال الحيوان المنوى الذكر بالحيوان المنوى الانثى لتكوين جنين جديد ، وهذا هو الأشبه ، ولكن النفس لا تبدأ فى ممارسة افعالها ، وفى تكوينها الا بعد الولادة .

ذلك أن مفهوم النفس انها ظواهر ادراكية ووجدانية ونزوعية ، أو بالتعريف الحديث أنها سلوك الانسان الذى قد يكون ادراكيا أو وجدانيا أو نزوعيا ، وقد يكون جامعا لهذه الجوانب الثلاثة معا ، وهذا هو الاغلب .

وبهذا المعنى الذى نحدده للنفس ومظاهرها ، لا تشرع النفس فى ممارسة أفعالها الا بعد أن يخرج من بطن أمه ، وينفصل منها ، ويستقل عنها .

٣ – والنظرية الاسلامية الممثلة فى القرآن تقرر أن النفس « **كالصفحة البيضاء** » وانها تكتسب المعلومات من الخبرة وتجارب الحياة . فالقرآن يقول ان الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا ، ثم جعل لنا السمع والبصر والفؤاد لعلنا نتقدم اليه بالشكر على ما أنعم علينا . وهذا المعنى صريح فى أن النفس صفحة بيضاء ، لم ينقش فيها شىء ، وأن الانسان يكتسب المعرفة عن طريق الحواس وعلى رأسها السمع والبصر .

فالنفس كما رأينا من جانبها العرفانى صفحة بيضاء ، نعنى من حيث الجانب النظرى . وهى كذلك من حيث الجانب العملى ، جانب الاخلاق والدين بوجه خاص ، صفحة بيضاء أيضا .

ذلك أن الله تعالى يقول فى سورة الشمس : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » . ومعنى ذلك أن الله سبحانه سوى النفس ، أى شكلها ، وبين لها الطريقين معا ، طريق الصلاح وطريق الفجور ، وأمرها بالسير فى الطريق الأول وتجنب الطريق الثانى ، فمن زكى نفسه أفلح ، ومن أساء التصرف خاب .

فالنفس الانسانية ليست خيرة بالطبع ، ولا شريرة بالطبع ، وانما يسير الانسان بمحض ارادته وحريته فى طريق الخير أو طريق الشر ، ولذلك صح الثواب والعقاب ، وصح كذلك « تكليف » الانسان ، لان الشخص المكلف هو الحر البالغ العاقل . وهذه النظرية القرآنية المعبرة عن روح الاسلام الصحيح ، تنافى نزعة

التواكل التى شاعت بين المسلمين فى عصور التأخر ، والاعتماد المطلق على القضاء والقدر.

ان الاسلام يقرر بما لا يدع مجالا للشك أن الانسان هو الذى يصنع نفسه بيديه ، ولذلك كان مسئولا عن أعماله . وفى ذلك يقول تعالى فى سورة القيامة : « بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره » .

والآية السابقة تبين أن النفس جزء من الانسان ، اذا اعتبرنا أن الانسان مركب من جسم ونفس . وقد اجتمع لفظ الانسان والنفس فى آية أخرى من سورة « ق » ، بما يدل على أن الانسان كل يشتمل على جزأين هما البدن والنفس ، وذلك فى قوله عز وجل: **« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه » .**

ان الدوافع التى تبعث النفس على القيام بأفعالها ، وعلى أن تتكون وتتشكل على مر الزمن مع حياة الانسان ، هى الاستجابة للشهوات المختلفة أو معارضة هذه الشهوات . ولكن يصوغ النفس ليس الاستجابة الى الشهوات والنوازع ، بل الوقوف فى وجه هذه الشهوات ومعارضتها ، وتحقيق الضرورى منها المفيد للحياة .. ونحن نقصد النفس الانسانية ، لا النفس اطلاقا بما فيها النفس الحيوانية .

ان الذى يميز الانسان عن الحيوان — الى جانب العقل والتدين — أن الانسان قادر على « **نهى النفس** » وعلى « **أمر النفس** » ، أى أنه يكون سيد نفسه لا عبدا لها . أما الحيوان فهو « عبد » لنفسه دائما ، تتحكم فيه شهواته فيستجيب اليها ، ويصبح آلة فى يدها . أما الانسان فانه ينهى النفس عن الهوى استجابة لداعى الأخلاق أو الدين ، **وذلك كما قال تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى » .**

٤ — واذا كان خلق الانسان لا بد ان يمر بالأطوار الثلاثة التى بيناها ، وهى الطبيعى والبيولوجى ثم النفسى ، فان موته لا يكون الا بالنفس دون الجسم .

ذلك أن الجسم لا يموت ، لأنه مادة ، وهو لا يحيا اللهم الا بوجود النفس واتصالها به .

والموت هو انقطاع النفس عن البدن ، فاذا انفصلت عنه ، بقى البدن « **جثة** » يشبه فى هيئته شكل الانسان ، وبخاصة اذا كان الموت حديثا قبل أن تتحلل الجثة ، ولكن لا يمكن أن يسمى هذا البدن الميت وحده انسانا بدون النفس . وكان قدماء المصريين يحنطون « الجثة » ولكنها تبقى مع ذلك جثة لا انسانا .

والآيات التى وردت فى القرآن ، والتى تدل على أن الموت للنفس دون البدن ، كثيرة ، نذكر منها :

« وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » آل عمران — ١٤٥

« كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون » العنكبوت — ٥٧

« كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة » آل عمران — ١٨٥

والآيات السابقة تدل الى جانب أن الموت يكون للنفس ، على أن لكل أجل كتابا ، وان الانسان ليس خالدا بل مائتا ، وأنه سيحاسب يوم القيامة ، وان البعث حق .

ومما يؤيد ان الموت خاص بالنفس أن جريمة القتل كما وردت فى القرآن تشير الى « قتل النفس » . فالله تعالى يقول انه لا ينبغى قتل النفس الا بالحق ، كالقصاص مثلا . « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » الانعام — ١٥١ .

وأن قتل النفس بغير حق ، وهو الاعتداء الاجرامى ، فكأن القاتل قد قتل الناس جميعا ، وذلك لانتهاك حرمة القانون ، والرجوع الى شريعة الغاب . قال تعالى : « انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا » المائدة — ٣٢

ويبدو من ظاهر الآيات القرآنية ان البعث فى الآخرة سيكون للبدن والنفس معا . فالله تعالى يرد على الذين يشكون فى البعث الجسدى بقوله سبحانه : « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه » ، وفى آية أخرى أن الله قادر على أن يسوى بنانه . وفى سورة « يسن » أن الله قادر على أن يحيى العظام وهى رميم . وبذلك يعود الانسان عند البعث جسدا ونفسا كما كان فى النشأة الاولى .

هلموا الى الينابيع التشريعية الصافية

الأستاذ عبد الله المراغي

لقد أتت الحضارات الحديثة بثمار كثيرة ، وتقدم ملموس فى جوانب الحياة المختلفة. ونهضت ثورتنا المباركة بتطورات جبارة فى حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والعلمية . وفى غمرة هذه الأضواء ظن بعض من لا علم لهم بمكانة الشريعة الاسلامية ولا بأسرارها . ان هذه الشريعة وقفت مكتوفة الأيدى خرساء اللسان عاجزة عن أن تنطق بحكم الله فى كل تصرف من التصرفات التى ستجد فى الحياة الحاضرة ومعاذ الله أن تكون كذلك وهى الشريعة الخالدة الباقية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها فان شريعة مكملة لجميع ما سبقها من الشرائع وان كتابا جمع ماتضمنته جميع الكتب السماوية السابقة عليه لايعجز عن مسايرة كل حضارة وكل اصلاح وكل تطوير يحقق السعادة للبشرية ويستحق بها الانسان أن يكون خليفة الله فى الأرض التى استعمره فيها وهو القائل جل وعلا « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » .

وان من تطلع الى الأفق الواسع الفسيح المدى ليتفاءل تفاؤلا عظيما لهذه الشريعة بأنها ستعود سيرتها الأولى وستلبس أثوابها القشيبة التى لبستها وقت أن اشرقت الأرض بظهور خاتم الرسل عليه السلام وحين ان كانت تنزل عليه الأحكام نتيجة لسؤال سائل أو اجابة لاستفهام مستفهم ثم توالت تشريعاتها فى زمنه وقد كان حوله أصحابه يتلقون عنه ويحفظون جميع ما يقوله ويفتى به ولقد كان أحيانا يتوجه اليه السؤال فينتظر فى الاجابة حتى ينزل عليه الوحى الصادق بالجواب عما سئل عنه فقد جاءته خولة بنت ثعلبة وكان زوجها قد ظاهر منها وأتى بألفاظ تحرم بها عليه فقالت ان أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى فلما كبر سنى وكثر ولدى جعلنى عليه كأمه وقالت ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فقال عليه السلام ما عندى فى أمرك شىء وكلما ظهر لها التباطؤ فى ارجاعها لزوجها جأرت الى الله تطلب فك كربتها وازالة عسرتها فقالت : أشكو الى الله فاقتى ووجدى وحين قال لها النبى حرمت عليه طار صوابها وفرغ فؤادها ولا زالت تكرر قولها وتبث شكواها وحينئذ استجاب الله دعاءها فنزل الوحى فاصلا فى هذه القضية مغيثا لهذه الزوجة فأنزل الله تعالى :

« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهن ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور » .

وهكذا توالى نزول القرآن على الرسول كتابا قيما غير ذى عوج أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وقد أقرأه صحابته فحفظوه ثم دون فى المصحف ويحفظه المسلمون ويتدارسونه ويتناقلونه جيلا بعد جيل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد صدق فيه قول الله تعالى « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » وقد تضمن القرآن أصول الشريعة الخالدة التى نسخ الله بها جميع ما سبقها من الشرائع وبقيت هادية الى الرشد والسعادة للافراد والجماعات والأمم كتابها فيه تبيان لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين أنزل بلسان عربى مبين ولكل عارف باللغة العربية أن يقرأه واذا كانت عنده أهلية الاجتهاد والاستنباط للاحكام فله أن يجتهد ويستنبط أحكاما يعالج بها مشاكل الناس وما يجد فى الحياة من حوادث وتصرفات حيث أن نصوص القرآن

محدودة وحوادث الازمان غير محدودة فلا بد أن يحكم على ما يجد بما سبق أن حكم به على مثله مما حدث من الحوادث والتصرفات وقد نزل القرآن منجما على النبى حسبما اقتضت حكمة الله تعالى وتطلبته تصرفات الناس وأحوالهم ومن خصائص التشريع الاسلامى أنه أخذ بيد الجماعة المؤمنة أخذا رفيقا هينا الى ما يروضهم عليه من الاصلاح ، وأبرز مثال لتدرج التشريع الاسلامى تحريم الخمر فقد كان العرب يستبيحونها فتركهم الاسلام على ذلك حينا حتى اذا استشرفوا ولانت قلوبهم وصفت أرواحهم واستعدوا لتقبل تقييد هذه الاباحة المطلقة فجاءت حالة ملحة متطلبة للتقييد وكان ذلك حين صلى أحدهم وقد شرب من الخمر كثيرا فخلط فى قراءته وغير فى ألفاظ القرآن بما يؤدى الى الكفر فقرأ « **قل يأيها الكافرون ، أعبد ما تعبدون** » وصحة الآية الكريمة « **قل يأيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون** » فحرم الله عليهم شرب الخمر وقت الصلاة ونزل قوله عز وجل « **يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** » وكان هذا التحريم المؤقت بأوقات الصلاة تمرينا وتدريبا لهم على تغيير عاداتهم وتمهيدا للتحريم الدائم الذى أنزله الله عليهم حين أحسوا احساسا شديدا بأضرار الخمر فظهرت لهم المصلحة واضحة فى تحريم شربها حين شرب الخمر قوم فتشاتموا وتضاربوا وكاد يقتل بعضهم بعضا فقال الملهم عمر بن الخطاب وقد كان بفطرته يتطلب الصالح العام ويحارب الضرر العام أو الخاص بكل ما أوتى من قوة فقد قام يجأر الى الله يستعجل حكمه فقال : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فاستجابت السماء له ونزل قوله تعالى « **يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** » وهكذا سار النهى التشريعى فى هداية الامة الاسلامية وظهرت أحكام كل حادثة طرأت على المجتمع مدة حياة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – حتى نزل قول الله تعالى فى حجة الوداع « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » فكتاب الله الكريم وما تضمنه من قواعد عامة جعلته الأصل الأول فى التشريع فهو لا يتعرض لبيان التفاصيل والجزئيات أحيانا وليس معنى ذلك أن التصرفات تبقى بلا أحكام أو ان السائلين يرد عليهم بعدم وجود أحكام لتصرفاتهم فذلك مسلك العاجز وهذا يأباه القرآن الكريم وكل الى المجتهدين استنباط أحكام الجزئيات التى تتجدد وتقع فى دنيا الناس وتتزايد على مر العصور واختلاف الاحوال وفى نصوص القرآن ومحكم آياته مرونة تمد المستنبطين بما يكفى لبيان حكم كل حادثة وعلاج كل مشكلة وباب الاجتهاد مفتوح يلج منه كل من تأهل واستعد لاستنباط الأحكام وما الاجتهاد الا بذل الفقيه المجتهد وسعة وطاقته فى النظر فى الأدلة لتحصيل حكم ينطبق على الحادثة التى عرضت له ولا يتم استنباطه على الوجه الصحيح الا اذا كان فقيها عارفا طريقة الاستنباط والحكمة ظاهرة فى اشتمال القرآن على أصول الشريعة وتوجيه عقول القادرين وأفهامهم الى استنباط أحكام الجزئيات التى لا تتناهى ولا يزال الزمان والمكان والاحوال المختلفة تأتينا كل يوم بقضايا تتطلب أحكاما فنظرة الى نمو الاحكام وازديادها من عهد الى عهد ترينا بوضوح أن الاحكام تتزايد والحوادث تتجدد فقد تطلب عهد الخليفة الأول أبى بكر أحكاما لحوادث لم تكن فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام فما زال يستنبط لها الاحكام من كتاب الله تعالى أو من سنة النبى عليه السلام يسأله الصحابة أحيانا عما سمعوه من النبى فى حكم الحادثة التى عرضت له ان لم يكن حافظا لشىء فيها وناهيك بعهد الخليفة الثانى عمر حيث فتح الله على المسلمين كنوز الارض ودخل فى الدولة الاسلامية حضارة الفرس والروم مما لم يكن للمسلمين عهد به ولم تكن الجزيرة العربية قد تمتعت بمثله فقد دخلت فى الاسلام عادات وتقاليد ونظم ادارية ومالية وغير ذلك مما حفلت به حضارة هاتين الدولتين فلم يقف المسلمون ولم يقف عمر وقفة العاجز عن معالجة هذه التقاليد والعادات والنظم بل صبغها صبغة اسلامية وأدخل فى المجتمع الاسلامى نظما اسلامية مالية وغير مالية فدون الدواوين وعمل احصاءات دقيقة لافراد المسلمين وللجند وأعد جميع المرافق التى تناسب الحياة الجديدة وما زال يضفى على المجتمع الاحكام الشرعية التى استنبطها من روح التشريع الاسلامى بل كان أحيانا يفهم فى بعض النصوص فهما تقتضيه المصلحة العامة ولم يكن فهمه هذا معمولا به فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام ولا فى عهد أبى بكر فقد منع نصيب المؤلفة قلوبهم ممن لم يتن الاسلام أفئدتهم وكانوا فى اسلامهم على شفا جرف تطيش أحلامهم ولا يستقرون على شىء ورفع صوته عاليا برأى جديد فى فهم قوله تعالى « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم** » فحرم المؤلفة قلوبهم من الصدقات وقال : ان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم فقد رأى من المصلحة العامة عدم ظهور الاسلام بمظهر الضعف والاحتياج بتأليف قلوب من رق ايمانهم وذلك باعطائهم من الصدقات ليسلموا ويسلم قومهم باسلامهم وقد كان النبى عليه السلام يؤلفهم ترغيبا لهم وقد رأى عمر أن الاسلام حين يقوى ويشتد وينتشر فى الآفاق يظهر بمظهر العزة فلا يذل لفرد ولا لأمة مهما عظم عددها وكثر أفرادها ولا يظن أحد أن مسلك التشريع الاسلامى فى طريقة استنباط الاحكام واستثمارها مسلك غير سديد لأن ذلك غفلة عما تقتضيه طبائع الاشياء ويمجده العقلاء فكيف ينكر عاقل عجز الانسان عن أن ينظر فى كتاب الله بعد تأهله وفهمه لآياته أن يحجر عليه استعمال عقله الذى كرمه الله به وقد أدرك علماؤنا الأولون قيمة العقل وقدروه حق قدره فجعلوا له ميدانا فسيحا فى التشريع فقد خصصوا به بعض العموميات التى وردت فى القرآن الكريم كما جعلوه ميزانا صادقا فى معرفة صحاح الاحاديث من ضعافها كما جعلوه أسلم طريق الى معرفة الله تعالى وقد حرموا التقليد فى بعض الاحكام الشرعية فهم يوجبون الاجتهاد فيها والوقوف على حقيقتها دون التقليد مستندين فى ذلك الى قوله تعالى « **فاعتبروا يا أولى الأبصار** » والى ما فعله النبى عليه السلام حين أرسل معاذا الى اليمن لنشر تعاليم الاسلام فقال له اذا عرض عليك أمر فبم تقضى ؟ فقال له أقضى بكتاب الله قال فان لم تجد ؟ قال أقضى بسنة رسول الله قال فان لم تجد ؟ قال أجتهد رأيى فسر النبى عليه السلام سرورا عظيما وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله فمن الجهل أن يقف المسلمون ويجمدوا بشريعتهم عن مسايرة الحضارات على حين يجد غيرهم من أهل الشرائع الوضعية يسبقونهم فى هذا الميدان وما قصرت الشريعة ولكن قصر أهلها فما زالت تنقص من أطرافها وتنحسر عن المجتمعات والحياة فى أغلب نواحيها وكل غيور يتفطر قلبه حسرة على ما حل بالشريعة الاسلامية من تقلص وما أصابها من حرمان دخول الحضارات وبيان ما تعالج به حياة الافراد والجماعات والامم وأن تباشير هذا المهد وتطلعاته الى عودة المجد التشريعى لتبشر بالخير الكثير وانا الى النهضة العلمية التشريعية على يد مجمع البحوث الاسلامية لمتطلعون ،

دعوة الميثاق الوطني من دعوة الإسلام

الأستاذ حسني عبد المجيد

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .. الحمد لله فقد أصبح مجتمعنا الاشتراكى العربى يسير بخطوات جادة هادفة تهدف الى اسعاد وعزة الملايين من العرب وتنشد عزة المواطن المسلم .. حاضره ومستقبله .. فقد آن الأوان للاسلام الصحيح أن يكون هو المرشد والمنبر لمسالك معايشنا .. على أسس من العلم والحضارة وعلى قواعد المعرفة الصحيحة لكافة شئون الدين والدنيا ، واذا كان القرآن الكريم الداعى الأول • والرائد الاول للعلم والمعرفة فانما لا يخفى ذلك على المسلم المؤمن حينما قال جبريل عليه السلام مخاطبا • الرسول العظيم ((اقرأ)) .. ثلاث مرات .. اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم• فالقراءة والمعرفة والعلم كلها صنوان .. من أصل واحد • أصلها ثابت فى نفوس الذين يعلمون والذين قربهم الله تعالى وكرمهم أعظم تكريم ((قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) ..

والقرآن الكريم حينما يدفعنا دفعا الى العلم لاستنباط الحقائق عن أسرار الكون .. فى الوقت الذى يندد فيه بالذين يعطلون حواسهم ولا يشركونها فى اجتلاء كل خافية من أبعاد العلم والمعرفة جهد الطاقة والاستطاعة . فيقول تعالى « .. **لهم قلوب لايفقهون بها • ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها • أولئك كالأنعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون** .. » فالقرآن حينما يدفعنا الى ذلك .. فانما ينتظر منا أن نسخر العلم لاسعاد البشرية المؤمنة . والا ندخر وسعا فى خلق كل استثمار نافع لصالح المواطن وآماله ومستقبله على أسس من العلم والبحث والاستقصاء والدراسة والتخطيط • فثروات الأرض وما تحويه من كنوز كانت ولا تزال عاملا مشتركا فى بناء حضارة الانسانية ورفاهيتها .. ولولا تصارع الدول الاستعمارية وتنافسها فى فرض كل احتكار على هذه الكنوز لعم السلام فى الأرض ولانتشرت قواعد العدل والمساواة .. ويقول القرآن

الكريم فى هذا المجال « **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز** » .

والماء .. وتلك الأخرى تحمل حقائق علمية عظيمة .. فكل مدنيات الدنيا قاطبة تجمعت حول الماء وعاشت عليه .. وان الأرض بلاماء تصبح موتا بلا حياة .. والماء يولد الحياة ويكفى دلالة على ذلك أن ٦٠ ٪ من جسم الانسان مكون من الماء ، ٨٥٪ فى الخضروات ، ٦٠ ٪ فى الفواكه وهكذا صدق الله العظيم حينما يقول : « **وجعلنا من الماء كل شىء حى** » ويقول تعالى « **وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها** . » والماء هو مصدر للطاقة وقوة الروح للصناعة حتى لنجد بناء المصانع الكبرى بجوار الأنهار .. علاوة على مانبهنا به القرآن الكريم بما تحويه المياه من « **لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها** » **كما قال أيضا** « **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** .. »

وهكذا ينير القرآن أمامنا طريق العلم ويسلط نور المعرفة على الماء .. والى هنا لعله يجدر بنا أن نلقى نظرة على مجتمعنا الذى نعايشه ونعيشه فى هذه المرحلة من الانطلاق العظيم .. لعله يجدر بكل مواطن مخلص منا .. أن يعيد النظر داخل نفسه وحولها ويسأل نفسه .. والله رقيب عليها .. أين نحن الآن .. وأين كنا .. والى أى مصير يسير مجتمعنا .. ولعل الاجابة واضحة ظاهرة للجميع فقد كنا فى ضياع وكنا ذلك المسلم الضعيف .. وأصبحنا نسير على الدرب وعلى الطريق .. الطريق الانسانى وعليه علامات العدل والكفاية وتكافؤ الفرصة .. وأصبح مصيرنا .. كوضح النهار . دولة اسلامية عظمى . يشع منها الاسلام بمعناه وأبعاده . ونورانيته . وعزته . وسيصبح المسلمون فى القريب القريب .. عاملا مساعدا لا معطلا للاسلام .. وسيهب المسلم الواعى فى مجتمعه المثالى .. مجتمع الكفاية والعدل .. سيهب المسلم ليدافع عما قاله أمامنا الأستاذ محمد عبده « الاسلام محجوب بالمسلمين .. »

ولعل مجتمعنا اليوم والذى أوضح الميثاق معالمه .. أصبح أبهر من أن يشرح بعدماطبقت الشعارات ونزلت الى حيز التطبيق والتنفيذ لتعود على المواطنين بالخير والرغد .. ولعلى لا أذكر القارىء بما قاله الميثاق .. وهو نابع من كتاب الله الكريم ومقتفيا آثاره العظيمة : « **ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم .. ان ذلك لا يقتصر على مجرد توزيع الثروة الوطنية بين المواطنين وانما هو يتطلب أولا وقبل كل شىء توسيع قاعدة هذه الثروة الوطنية بحيث تستطيع الوفاء بالحقوق المشروعة لجماهير الشعب العاملة** » – **باب ٦** –

ويجىء فى الباب الثامن « **ان قدرتنا على التمكن من فروع العلم المختلفة هى الطريق الوحيد أمامنا لتعويض التخلف .. بل ان النضال الوطنى اذا ما اعتمد على العلم المتقدم يستطيع أن يمنح نفسه فرصة أعظم للانطلاق ويحتل التخلف السابق ميزة أمام ما سوف يحققه التقديم الجديد** »

« **ان المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التى يتصدى لها شعبنا اليوم لمواجهتها لا بد لها من حلول علمية** » .

وهكذا .. أصبح منهجنا علميا بحتا . كل شىء على دراسة .. وكل خطوة مؤسسة على العلم وحده وأصبحت المشاكل رغم تعددها وتعقدها .. أصبحت تجد أمامها الحلول والسبل الصحيحة العلمية وقام التخطيط العلمى ولا يزال .. بواجبه وبمسئولياته وأصبحت المقارنات والاحصائيات والاستقصاءات هى سبيلنا ودليلنا لتنمية موارد هذا الشعب الذى كافح وناضل طويلا دون أن يجد حتى الفرصة للحياة الحرة الكريمة .

وانتقل العمل الانسانى الخلاق ليكون هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكى يحقق أهدافه وأصبح العمل – أى عمل – شرفا وحقا وواجبا وحياة .. وأصبحت طبيعة العصر الذى نعيش فيه لا يقبل وسيلة للأمل غير العمل الانسانى المؤسس على العلم والمعرفة وأصبحت الطبقات العاملة من العمال

والفلاحين بعد أن كانت تعيش فى سخرة واحتكار وقسوة قتلت فيهم كل روح انسانية .. أصبحت اليوم المالكة الطبيعية لانتاجها ومواردها .. وأصبح العرق والجهد لأول مرة فى مجتمعنا له باعث وله مدلول .. وله دافع .. وأصبح الانسان المسلم لأول مرة يحس فى أعماق نفسه أنه مقبل على مجتمع الاسلام الصحيح المجتمع الذى رسمه القرآن وشرحه الرسول العظيم .. مجتمع الأمة الاسلامية العربية التى دانت له الدنيا .. وسيأخذ مكانه باذن الله ليقول كلمته .. فان الله سبحانه وتعالى « لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » صدق الله العظيم . واللهم فاشهد .. اننا بدأنا وسرنا على الطريق الصحيح لرفعة الانسان المسلم المؤمن بك وبكتبك ورسلك .. فانك اللهم حتما ستمنحنا القوة والهدى لتكملة رسالة اشتراكيتنا الانسانية الخالدة .

وفى الماء .. الماء الذى جعله الله السبيل الحى لكل حى .. يذهب مجتمعنا الى الدخول فى حرب ضروس مع الاستعمار .. ويتكاتف المستعمر الآثم بكامل عتاده وسلاحه ليعيد الماضى بكل ظلمه وظلامه ولكن ايمان هذا الشعب وعقيدته المؤمنة .. وارادته الحديدية .. الايمان النابع من الله عز وجل والعقيدة .. بصدق القضية واصالتها ..!!

ذهب مجتمعنا الجديد .. الى كامل التصميم لبناء السد العالى .. ولم يكن هذا السد ليبنى لاحتجاز عشرة مليارات متر مكعب من المياه .. (يحتجز خزان أسوان حاليا ٢ مليار فقط) بقدر ما كان رمزا لتصميم العرب وتعبيرا عن ايمانهم بحقوقهم الشرعية الى الحد للدخول .. فى اى معركة مع الشيطان نفسه وايمان مجتمعنا بالسد العالى يجىء من الدراسة العلمية .. لكل أبعاد مستقبلنا .. مستقبل الملايين المؤمنة العاملة .. فالادراك العميق لضرورة التخطيط فى حياة الفرد سوف يكون هو الحل الحاسم لمشكلة تزايد السكان وهو الذى يغير من حالة الاستسلام القدرى حيالها ويضع مكانها **الشعور بالمسئولية واقامة الاقتصاد العائلى على أساس من** الحساب . والصناعة هى الدعامة القوية للكيان الوطنى وهى القادرة على الوفاء بأعظم الآمال فى التطوير الاقتصادى والصناعى .. ومجالات العمل الصناعى فى مصر .. ليست لها حدود .. وآفاقها واسعة رحيبة تمتص كل عمل .. وترحب بكل مجهود ومصادر الثروة الطبيعية والمعدنية ما زالت تحتفظ بالكثير من أسرارها . فالعمل العلمى الصناعى وحده هو القادر على أن يجعل الأرض المصرية تبوح لكل أسرارها وتفيض بما فى باطنها من ثروات معدنية لخدمة التقدم وتكريم المستقبل . وبصورة شاملة فان الصناعة تحقق زيادة الانتاج وتفتح باب الفرصة أمام الأيدى العاملة القادرة والتى تظله كحق انسانى مقدس .. ومن الناحية الاجتماعية فالصناعة هى المسئولة عن اقامة التوازن الانسانى وحرمان جماهير شعبنا من هذه الفرصة العظيمة لهو تعويق لوجودها وقتل لمستقبلها وقضاء على آمالها وايمانها بوجودها .. ومصيرها .. وينبغى أن نذكر دائما أن حرية الانسان الفرد هى أكبر حوافزه على الوجود . ووجوده النابض .. حافز على بقائه .. وبقاؤه الهادف دافع لنضاله .. ونضاله فى هذه الحالة لن يكون الا لاعلاء كلمة الدين وتشييد صرح الاسلام كما ينبغى .. ان الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة .. **والانسان الحر .. هو أساس المجتمع الاسلامى الكامل .. ولا حرية .. بلا حرية اجتماعية .. ولا حرية بلا تحرير من براثن الاستغلال ولا حرية بلا تمكين طبيعى للحق الطبيعى فى الفرصة المتكافئة .. وانهاء سيطرة المواطن على رزق المواطن .. بل ان مثل هذا الاستغلال يزعزع القيم ويهز النفوس والقلوب ويفتح الثغرات فى صفوف الشعب مما يتيح الفرصة للأخطار الخارجية المتربصة بالوطن لتجره الى ميادين تعطل من طاقاته . وتحاول جاهدة فى دفعه على طريق ضال مضل .. ولقد كان هذا العمل الثورى الذى وضع رفاهية الشعب العامل كأساس للوجود كله .. كان هذا العمل العظيم .. يوقن أن**

السد العالى هو أحد وسائل الخلاص التى لامناص منها واذا كانت الاشتراكية قد أصبحت حتمية بالنسبة لوجودنا الحق الخلاق فان السد العالى أصبح حتميا بالنسبة لحياتنا الحرة الكريمة ..

ولهذا .. ومن أجل هذا .. تآمروا علينا .. وحاولوا كتم أنفاسنا الحرة الحارة .. ألا ان يد الله مع الجماعة .. « ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما .. »

وكتب علينا القتال عام ١٩٥٦ « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

وخرجنا من القتال عام ١٩٥٦ ونحن اعظم قوة وأكثر منعة وانطلقت اشتراكيتنا الانسانية تنشر البناء والرخاء والأمل .

وعاد المجتمع الجديد .. ليجد فى انتظاره أعظم هدية انسانية .. من نتائج الايمان والكفاح وهى هدية السد العالى .. الذى سينظم لنا كل قطرة من مياهنا العذبة المقدسة . والذى سيعطينا كل فرصة فى صناعاتنا المستقبلة .. وفى كل يوم جديد ومع كل اشراق جديد تتفتح آفاق جديدة لتكافؤ الفرصة بين المواطنين .. وتكافؤ الفرصة ان هو الا تعبير عن الحرية الاجتماعية .. عن الحقوق الانسانية .. عن الحقوق الاساسية التى أمرنا الله تعالى ان نعيها وأن نرعاها . فحق المواطن المسلم المؤمن فى العلم والتعلم بقدر ما يتحمل استعداده ومواهبه فيه اعزاز للانسان وفيه تكريم للوجود .. وفيه خلق لعناصر قائدة فى مجتمعنا الانسانى الاشتراكى .. وحق كل مواطن فى عمل يتناسب واستعداده ومع العلم الذى يحصل عليه . فيه تأكيد لرفع قيم الانسان وتنفيذ تعاليم الله عز وجل وتوجيهات رسوله العظيم .

ومن ثم فيه الخلق كل الخلق للمجتمع الانسانى المسلم وهذا المجتمع الجديد .. مجتمع الكفاية والعدل فى التوزيع سيكون مجتمعا قادرا على ان يصوغ قيما أخلاقية جديدة لا تؤثر عليها القوى الضاغطة المتخلفة من العلل التى عانى منها مجتمعنا زمانا طويلا . كذلك فان الاحساس بهذه القيم يقيم دعائم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية كما ينبغى أن يكون فى مجتمعنا المسلم .. علاقة الانسان بربه وخالقه .. علاقة بعمل وكيف يتقى الله فيه .. علاقته بعائلته وعشيرته وجيرته .. وأخيرا علاقته بوطنه ومسئولياته ازاء هذا الوطن الذى آن له والحمد لله أن يخرج من ظلمات الجهل ليدخل آفاق المعرفة .. والعلم والنور لتخدم حاضر الوجود ومستقبل البشر وآماله الكبرى .

نفحات زكية

من المغرب العربي

الأستاذ إسحق موسى الحسيني

اراد الله للأمة العربية أن تلتحم أجزاؤها التحام أعضاء الجسم الواحد ، علاوة على اللحمة الوجدانية والروحية التى وكدتها احداث التاريخ فى قديمه وحديثه .

وتبدو لنا هذه الأمة بصورة طائر قلبه فى ارض الكنانة ، وجناحه الايمن يصل الى العراق والخليج الغربى ، وجناحه الأيسر يرف فوق المغرب العربى حتى يمس ماء المحيط الأطلسى .

هذا هو الوضع الطبيعى الذى باركته مشيئة الله . واذا كانت بعض الشعوب تلتقى بآدابها ولغاتها ، أو تقاليدها واديانها ، أو قوانينها وسلطانها ، فان الأمة العربية التقت فى جميع هذه الميادين . وجاءت وحدة الرقعة الجغرافية فمكنت لها وزادتها رسوخا . فالبحر الأبيض المتوسط يطوق شمالى افريقيا العربى ، ويرتفع شمالا كى يربطه بالمشرق العربى . وتلف الجزيرة العربية بحار صافية ابتداء من البحر الأحمر حتى أعالى الخليج العربى

هذه الرقعة التى خلقها الله متحدة ومرحدة جاءت يد الانسان الظالم الباغى فعبثت بها ، ونشرت حولها الأراجيف ، ورسمت الحدود والقيود ، حتى كاد أن ينقطع ماوصله الله ، وينهار ما أقامته الارادة الالهية . ولكن ما يحدث خلاف الطبيعة والارادة بفعل مئات السنين ينهار أمام العزيمة فى بضع سنوات . وهذا ماحدث بالفعل . فبعد ان قطع المغرب العربى والمشرق العربى اجزاء لتبتلعها الأفواه الكبيرة الشرهة ، وبعد ان أقيمت الحدود والسدود ، ورسمت الخرط ، ودقت الأوتاد ، وعاثت الأيدى فسادا ذاد على مائة عام ، هبت العاصفة ومحت تلك الرسوم ، كما تمحو رياح الصحراء آثار الطريق فى ساعة من الزمن

وقد توسل الباغى بوسائل شتى من حديد ونار الى حبر وورق . وكانت احدى الوسائل التجهيل . فما كان العربى فى المشرق يعرف عن اخيه فى المغرب الا ما تتناقله الألسنة وكان الباقى يستعمل كل وسائل الاعلام فى قومه حتى أصبح التاريخ الشامل الوافى مدونا باللغات الأجنبية .

وما كادت الادارة العربية تقتلع البغى من جذورها حتى راحت الأيدى تمتد من وراء الصحارى والبحار تتصافح وتتعارف

وصدرت كتب تكشف ولأول مرة عما فى ضمير الأمة العربية من أحاديث ظلت مكتومة عشرات السنين .

وحرض الشباب المستنير أن الالتقاء بعد طول الفراق لابد من أن يتم طال الزمن أو قصر ، ولكن ثمت حواجز واباطيل لابد من ازالتها من دروب الاحبة . والمعرفة هى المنجل الحاد الذى يجتث الشوك .

وصدرت كتب تعرف بالأخوة من هم ، وأين هم ، وماذا كانوا ، وماذا أصبحوا ، وماذا حل بهم فى أثناء تلك الحقبة البغيضة السوداء من تاريخهم .

ومن هذه الكتب سلسلة من أفيد ما أصدرته المطابع ، تعرض تاريخ البلاد العربية من النواحي المختلفة تمهيدا للتعرف بحياتها الأدبية ، التى هى حياتها الوجدان فى أصدق مظاهره .

ومن الكتب كتاب الاستاذ الفاضل ابن عاشور عن تونس ، وعبدالله عبد الجبار عن الجزيرة العربية ، وناصر الدين الأسد عن فلسطين والأردن ، وجميل صليبا عن الشام ، وصلاح لبكى عن لبنان ، وأخيرا عبد الله كينون عن المغرب العربى .

وهذه الكتب وضعت على وفق منهج مرسوم للتعريف بالأمة العربية فى جميع اقطارها . وهى أشبه بمدخل لاغنى عنه للوصول الى حديقة الأدب الواسعة . ومتى تمت هذه السلسلة الذهبية - وهى تامة باذن الله - فسيكون بأيدى القراء تاريخ واف للأمة العربية وأدبها المعاصر ، يبنى عليه تاريخ موحد ينتظم الوجدان العربى فى جميع البلدان العربية .

وكتاب الأستاذ عبد الله كينون اسمه « أحاديث عن الأدب المغربى الحديث » وهو محاضراته التى ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية فى معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ، أسوة بسائر الكتب التى ذكرت سابقا .

ويكشف الكتاب عن حقائق كنا ندركها بقلوبنا ومشاعرنا ، دون الاسانيد والنصوص حتى جاء المؤلف فاردف كل ظاهرة ادبية ، وحقيقة تاريخية بما يجلوها عن بيان مشرق وسند قوى .

وأولى الحقائق الجديرة بالذكر أن الصلة الثقافية بين مصر والمغرب العربى لم تنقطع حتى فى الفترات المظلمة من التاريخ الحديث وأن نفرا من المغاربة نهل من علم الكنانة وأدبها ، وعاد الى بلده ينشر الوعى ، وقد ذكر المؤلف اثنين من أمهر المتخرجين فى المعاهد المصرية أيام السلطان محمد الرابع - فى القرن التاسع عشر - هما الطبيب عبد السلام العلمى ، والجغرافى أحمد شهبون ، « وكلاهما ممن أسهم فى الحياة العلمية بالتعليم والتأليف ويعدان من الطلائع الأولى للنهضة الحديثة ، لأن تعليمهما كان بالعربية » ص١٧

وذكر المؤلف ان الطباعة دخلت المغرب العربى لأول مرة عن طريق مصر « فان السيد الطيب الرودانى قاضى تارودانت رآها فأعجبته وكان ذهب الى الحج ، فاقتنى آلتها وتعاقد مع فنى مصرى للعمل فيها ، فصحبه الى المغرب ، ولما رأى أن الدولة أحق بها أهداهما الى السلطان محمد الرابع فقبلها منه وأكرمه بأن ولاه عليها ، وشرع فى طبع الكتب المهمة وخاصة الكتب الدراسية مما يستعمل فى القرويين وفروعها .. وانتشر فن الطباعة بعد ذلك وصار من عمل الأفراد ، وكثرت المطبوعات المغربية المعروفة بالفاسية ، لأن المطابع التى تصدرها كان مقرها فى فاس . . »ص١٤

وذكر المؤلف أن آثار النهضة الشرقية من علمية وأدبية وفنية كانت تصل الى المغرب العربى بوساطة الكتب والمجلات والصحف فتتلقفها الأيدى بتلهف عظيم . ومنها آثار الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا وأستاذهما جمال الدين الأفغانى فى العلم والاصلاح والمنافحة عن الاسلام ، وآثار الكاتب مصطفى لطفى المنفلوطى ومحمد فريد وجدى وآثار الشعراء شوقى وحافظ والزهاوى والرصافى وغيرهم من أعلام الفكر والسياسة كمصطفى كامل وسعد زغلول . « انها كانت مدرسة تخرج فيها الجيل الأول من رجال العلم والادب والوطنية الصحيحة ، الذين بثوا افكارهم فى النشىء الجديد ومهدوا السبيل للنهضة المغربية العتيدة ، فكانوا صلة الوصل بين الماضى الغابر والحاضر الزاهر . وعن طريق هذه المدرسة عرف المغرب اتجاهات الفكر الحديث فى الفلسفة والأدب واطلع

على تاريخ الحضارة وتقدم العلوم فى أوربا ، فانها كانت تخاطبه بلغته ، وفى الوقت نفسه تقدم اليه احسن أثار المفكرين والأدباء الغربيين مترجمة الى العربية فيطلع منها على مالم يتح الاطلاع عليه لأنصاف المثقفين باللغة الفرنسية الذين كان الاستعمار يحرص على ان يجعل منهم موظفين صغارا وحسب » ص ٣٤

ورد المؤلف كذلك نشأة التمثيل فى المغرب الى الفرق التمثيلية التى كانت تفد اليها من مصر وتونس «ص١٢٢»

وهكذا ظلت التيارات الفكرية والادبية تجوب البلدان العربية ذهابا وايابا فوق الحدود والسدود ، والظالم غافل عنها

والحقيقة الثانية : التى يبرزها المؤلف هى تشابه العوامل والأسباب التى ادت الى قيام النهضة الحديثة ، فقد كانت نفوس الأدباء تخضع لمؤثرات متشابهة لأن وجدان الأمة العربية الذى صنعه التاريخ الطويل وتشرب المثل العربية العليا أصبح ينفعل للمؤثرات حينما وجدت ، فالظلم والبغى والعدوان منفرة حيثما كانت والحجر على الحرية واضطهاد العقيدة والدس بين طبقات الأمة تثير الحفيظة فى كل زمان . ولذا لا يكون تشابه الظواهر الأدبية دليلا على التقليد بل هو دليل على وجود حساسية متشابهة فى أعماق النفس العربية « ومن الخطأ أن نميز عمل أى بلد عربى فى هذا الصدد ، سواء أكان سابقا أم لاحقا ، لأن طابع العروبة لا يوجبه الا حيث تلتقى جهود العرب كافة .. ولم يتحقق للنظرية الاقليمية فى الادب العربى مدلول خارجى برغم ماقيل فى توجيهها وللتنويه بآثارها . **والذى يتحقق يوميا هو أن الأدب العربى يتلاقى على صعيد الفكرة الجامعة والاتجاه الموحد ، وأن أنصار الاقليمية ينهزمون دائما فى ميدان الأدب والسياسة على السواء** ، لأن أمر العرب الى وحدة وكلمتهم الى جمع والفوارق الطفيفة التى توجد بين مجتمعاتهم المحلية لاتبلغ من القوة مايجعلها تغير وجه الادب فى أى قطر عربى عما هو عليه فى قطر آخر شقيق ، كما أن الحدود المصطنعة التى فرضت على بلاد العرب لم تستطع أن تحول بين الشعوب العربية والاتجاه نحو الوحدة السياسة الكاملة . ان الأدب العربى وحدة لا تتجزأ ، وأن مايجد فيه من مذاهب واتجاهات هى فى نظرنا وليدة تفاعل أفكار الأدباء العرب والتيارات الفكرية الحديثة التى طرأت على الأدب العربى .. وليس شىء منها متولدا عن طبيعة الاقليم والسكان وخصائص الجنس والوراثة كما يحلو لبعضهم أن يعلل ذلك » ص ٨٤

والحقيقة الثالثة التى يكشفها الكتاب هى أن المغرب العربى ، مع ماتعرض له من «فرنسة» مدة تزيد على ربع قرن ، عرف جميع الأنواع الأدبية التى عرفها المشرق العربى من مقال أدبى ، وقصة واقصوصة ومسرحية وشعر « وبتصفح هذه الآثار نجد أن الحصاد الأدبى لهذا الجيل أصبح من الغنى والتنوع بحيث يمكن القول انه استتم العناصر الأولية للأدب الحى ، وأنه شق الطريق للحاق بقافلة البعث الأدبى فى العالم العربى . **ففى النثر زيادة على نمو المقالة السياسية والاجتماعية والأدبية ظهرت البحوث المنوعة فى الفلسفة والفن والنقد** وبلغت الخطابة السياسية أوج الكمال . وبدأت المحاولات الناجحة فى كتابة الرواية التمثيلية والأقصوصة والقصة وذلك فضلا عن نشاط حركة التأليف فى الموضوعات السياسية والتاريخية والعلمية . **وفى الشعر استعمل النظم فى موضوع الوطنية** تبعا لاستعمال حركتها ، فكاد الشعر كله يكون ثورة على الاستعمار ودعوة الى مقاومة النفوذ الأجنبى وتذكيره بمجده وتاريخه العظيمين ، وتحول الشعر العاطفى من تفاهة العبارات الجوفاء الى تجارب ذاتية وانسانية صادقة ، وجال الشعراء فى ميدان الطبيعة ، وحلقوا فى مجال الفكر ، وظهر الشعر التمثيلى فى مسرحيات صغيرة تعتبر نواة لهذا اللون الجديد من الشعر العربى ، الى غير ذلك من مظاهر التفنن والابداع التى اكسبت الأدب المغربى ، منثورة ومنظومة بسطة فى الشكل والمضمون لم يعرفهما من قبل » ص ٨٣

والحقيقة الرابعة التى تبين بوضـوح أن المغاربة لم يقلوا عن المشارقة متانة أسلوب وعذوبة لفظ وسموا في الخيال ورقـة في العاطفة . وقد ابدعوا فى النثر ابداعهـم فى الشعر • واكسبت حرارة العاطفة الوطنية شعرهم توهجا • « والأدب العربى ان كـان قد سجل فى تاريخه الحفيل صرخات شوقى وحافظ ومطران والرصافي والزهاوى وشكيب أرسلان واضرابهم من رواد الشعر الوطنى فى القطاع الشرقى للوطن العربى فقد بقى عليـه أن يسجل الصرخات المماثلة التى أطلقهـا زملاؤهم فى القطاع الغربى » ص ١٤٨

ويقول البحث بالاستشهادمن الشعر العربى الجميل ، وحسبنا ان نحيل القارىء الىالكتاب ليتمع نفسه بنماذج من الأدب العربى الحى النابع من الأعماق ، وليستمع الى صوت أخيه فى المغرب يشدو شدو الورق ويعصف عصف الاعاصير

ان صوت الأمة العربية فى مشرقهاومغربها فى عهود الحماية والاستعمار ينبع من نفس واحدة ويعبر عن آمال وألام متشابهة ،ومتى توحد الوجدان توحد المضمون ، ومتى توحد الاثنان جاءت الكلمة الواحدة تتردد تردد الصدى فى أعماق الوادى •

وطالما كرر القائد المظفر معيد شباب الأمة العربية وناصرها أن وحدة الكلمة ترمى الى وحدة الوجدان وان وحدة الوجدان من صنع التاريخ الطويل الذى طبع العقل والوجدان بسمات لن تزول • وقد جاء كتاب الاستاذ كينون مصداقا لهذا القول بكامل مافيه من قوة

لقد تردد المؤلف كثيرا فى القاء محاضراته التى تكون منها هذا الكتاب • ولو كان يعرف أى كسب حصل عليه اخوانه المشارقة وأية خدمة اسداها الى الأمة العربية والتاريخ العربى لما تردد • انه نفحات زكية هبت من المغرب الى المشرق لتزيده قوة فى كفاحه وايمانـا برسالته ، وثقة بالأخوة العربية ووحـدة الضمائر والعقول •

وتحية مباركة الى عبد الله كينون الـذى وضع لبنة جديدة فى تاريخ الأمة الأدبى الى جانب ماوضعه زملاؤه ابن عاشور وناصر الأسد وعبد الجبار وليكى وغيرهم •

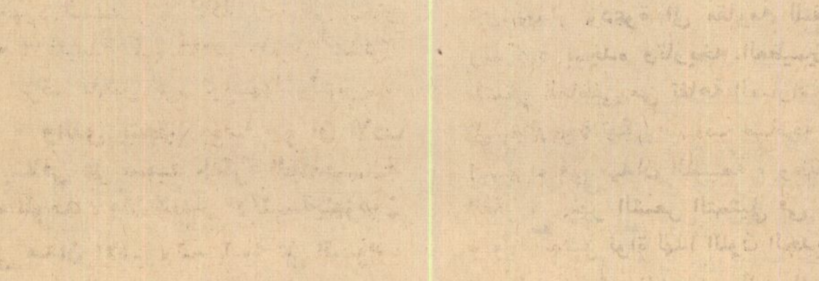

من أعلام التعريف بالإسلام ..

عبد الرشيد ابراهيم وعبد العليم الصديقي

الأستاذ أنور الجندى

هما من أبرز الدعاة الى الاسلام فى العصر الحديث فى مجالنا العربى الاسلامى . جرى اسمهما كثيرا فى صحفنا وسمع صوتهما فى نوادينا ، وقد ذهبا الى أطراف الأرض من أجل اعلاء كلمة الله . ذهب عبد الرشيد الى الهند والصين فأمضى خمس سنوات فى التركستان وسيبيريا والصين .

وذهب عبد العليم الى جاوه وطاف بجزائر اندونيسيا وقصد الى مدغشقر ، وأمضيا سنوات العمر فى هذا العمل ، حيث اهتدى على أيديهما كثير ، لم تنفق عليهما هيئة ولا دولة ، ولكنهما كانا ينفقان من مالهما الخاص .

وكانت القاهرة بالنسبة لهما مثابة ومنطلقا ، ولهما فى صحف الفتح والسياسة اليومية وغيرهما آثار كثيرة وكتابات متعددة .

* * *

أما « عبد الرشيد ابرهيم » فهو تلميذ **جمال الدين الأفغانى** ، من علماء قازان ، ولد فى مقاطعة سيبريا عام ١٨٥١ وانتقل الى المدينة فتلقى فيها معارفه ، ثم التحق بمدحت باشا حتى اذا بلغ الأربعين لقى جمال الدين الأفغانى باعث الشرق وحكيم الاسلام وكان قد اشترك فى جيوش الدولة العثمانية فى جميع حروبها من عهد ابرهيم باشا فى معارك اليونان الى ما كان فى الحرب العظمى .

وقد كان لقاؤه لجمال الدين الأفغانى حافزا له الى العمل من أجل تبليغ الاسلام ، يقول عبد الرشيد : **كان يحثنى على التغرب فى نشر الدعوة الاسلامية فى اليابان وأقصى المشرق ، وكنت أستبعد ذلك وأقول : ليس عندى من المال ما يقوم بهذا السفر وزوجتى مريضة .**

ثم تحقق له ما أراد ومضى فى طريق الدعوة فسجن عام ١٨٩٥ وعاد الى العمل مرة ومرة ، وكان جزاؤه السجن ، ثم هرب الى اليابان عام ١٩٠٥ فأقام بها ثمانية شهور .

ثم عاد مرة أخرى الى الرحلة فى سبيل الدعوة الى الاسلام فى جولة شاقة : يقول : **« غادرت الآستانة فى النصف الأخير من شهر أكتوبر ١٩١٨ قاصدا الى برلين بطريق أودسا لأذهب منها الى تالا فى سيبريا مسقط رأسى ، ثم أتوغل منها الى قلب آسيا فأقوم بسياحة جديدة . ولبثت شهرا فى كييف ثم تقدمت الى برلين وتمكنت من الدخول الى بلاد الروس ومن موسكو الى بطرسبرج ، الى ساوارا على نهر الفولجا وخرجت من «أوفا » ماشيا على قدمى الى أن وصلت « تاررا » فى سيبريا مارا على**

مئات من القرى والبلدان ٠ وبها لبثت عامين ، وكانت أول مدينة وصلت اليها هى مدينة « جو غاجق » ويسكن التركستان الصينى ١٢ مليونا من المسلمين الأتراك ، وقد بالغ المسلمون فى الترامى لأى قادم اليهم من تركيا ٠٠

ثم جبت بلاد التركستان الصينى، فوجدت الناس قلقين أشد القلق من جـراء تقدم اليونانيين فى البلاد الأناضولية ، بيد أنى لما وصلت مدينة « جنجـو » ألفيت يدا تدق باب غرفتى فى منتصف الليل وصوتا من ورائها يقول : **ان جنود الخليفة فتحـوا أزمير ٠٠ واستخلصوها من أيدى اليونان ، وقد اجتمع الناس فى المسجد وهم فى انتظارك ٠**

٠٠ ان بلاد التركستان بلاد جميلة خصبة ، ثم تحولت من التركستان الصينى وتوغلت فى بلاد الصين ، الى أن وصلت (**بيكين**) بعد أن قطعت (٦٤٠٠ كيلو مترا) وتقدمت منها الى (**ولارى دستوق**) ٠

وبها أمضى سنوات يدعو الناس الى الاسلام ويدرس أحوالها ٠٠ حتى أتيح له أن يعود فى اكتوبر من عام ١٩٢٣ ٠

* * *

وحتى عام ١٩٣٠ كان اسم الشيخ عبد الرشيد ابرهيم ظاهرا لامعا ، كان مقيما فى مكة فى هذه السنوات ، وكان يهتز لأحداث العالم الاسلامى ، ولا يتوقف عن الكتابة ، وقد أهمه صدور « **الظهير البربرى** » فى المغرب الأقصى فكتب عديدا من المقالات فى مجلة الفتح التى كان يصدرها السيد **محب الدين الخطيب** وهى من أولى المجلات العربية فى خدمة الاسلام والعروبة والفكر العربى الاسلامى ٠

ولطالما انتقد حكام بلاد المسلمين فى هذه الفترة وحمل عليهم حملات عنيفة وكانت دعوته دائما هى دعوة استاذه ، الى الوحدة وجمع الكلمة لمواجهة الاستعمار وخصوم الاسلام :

« أقول ولا أخشى أحدا أن أقول الحق ٠٠ »
« ولو أنكره من فى الأرض جميعا ٠٠ »

« لا سبيل لنجاة هذه الأمة حتى تجمع كلمتها وترجع الى مسلك أسلافها » ٠

« أما وعزة الله وسر الحق ، ان ولاة الامور والزعماء أصبحوا كالآلات تتحرك لتنفيذ ارادة غيرهم ، وكأن التضامن فى الأمور بينهم مستحيل ، والتظلل بالقرآن مستبعد ، لأن الخبير الفلانى من خبراء الغرب زعم لهم أن الاسلام بطبيعته غير قابل للاصلاح ٠٠ لقد قال لهم صديقهم كرومر الانجليزى ان الاسلام غير قابل للاصلاح فصدقوه ٠٠ وليس فى الامكان اخراج هذا الهذيان من أذهان المسلمين فى القريب العاجل لأن هذه السموم تمكنت من أرواحهم ٠٠ »

وقد تحدث عبد الرشيد ابراهيم عن لقائه التاريخى مع جمال الدين الأفغانى ، هذا اللقاء الذى حول حياته ووجهه الى العمل من أجل الاسلام فى منطقة قل من ارتادها من دعـاة الاسلام ٠

ففى شعبان ١٣١٠ (أوائل فبراير ١٨٨٣) فى مسجد السلطان عبد الحميد فى (بشكطاش) بالآستانة لفت نظره رجلا يتحدث « فسرعان ما جذبتنى اليه قوة لا أدرى ما هى ، سألنى الأستاذ عن مولدى فقلت « سيبريا » وسألنى عن المكان الذى قدمت منه فقلت «سيرام» وركبنا الى منزله ، وفى أثناء الطريق سألنى عن عمرى، وكان فوق الأربعين ، ورأيت له طلعة بسامة ، ما رأيت أحسن ولا أجمل منهـا فضمنى الى صدره مرتين ٠٠ وما أن وصلنا المنزل حتى أمر البواب بأن لا يدخل علينا أحد فى هذا اليوم ، وطلب لنا الشاى ، ثم أخذ يسألنى عن روسيا وأحوالها السياسية فواريت فى الاجابة احتياطا لأنى الى ذلك الحين لم أكن أعرف حقيقته ، فقال لى : **ألم تكن عضوا فى المحكمة الشرعية الاسلامية وفقيهـا بها ! فدهشت ، ولكنه سرعان ما بادرنى بقوله :**

أما سمعت باسم جمال الدين الأفغانى ٠ فقلت نعم : قال : أنا هو ، فقبلت يده ، وضمنى الى صدره مرة ثالثة ٠

وأدهشنى أنه كان يعرفنى ويعرف أخبارى كلها ، وقد سألنى : هل تقرأ الجرائد الروسية

فقلت لا : لأن نقودى لا تكفى لشرائها ، فقال : أنا أعطيك ثمنها وتخبرنى بما ينشر فيها .

وكان جمال الدين قوى الايمان ثابت العقيدة لا يتزحزح ، وكان يحثنى كثيرا على تبليغ الدعوة « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير** » .

ويذكر احتلال الأغيار لبلاد المسلمين ويعود باللائمة الى قادة المسلمين .

ولم يكن يطمع فى أن يحصل على أجر نظير كفاحه ويردد دائما « **أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين** » . وقد سألته عن موطنه الأصلى فقال : ليس لى وطن لأنه لا وطن للمسلمين اليوم .

ومن كلماته : ان النبى كان يربى أصحابه بفعله أكثر مما يربيهم بقوله ، وان الذى يعرف « **لا اله الا الله** » لا يستنجد بأحد ولا يطلب المعونة من أحد ، وان محمدا حين علمنا كلمة التوحيد علمنا حرية النفس والحرية الشخصية .

والتصوف عنده يتمثل فى قوله : فنائى فى خلق الله لا فى الله ، وكان يسعى لايجاد دولة اسلامية كبيرة تضم المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ويجمع بين الأفغانيين والايرانيين والأتراك والهنود ولما طلب اليه السلطان عبد الحميد : ارسال دعاة مسلمين الى اليابان قال له : **ان العلماء الحاليين نفروا المسلمين من الدين الاسلامى ، أفترسلهم الى بلاد اليابان لدعوة الأغيار الى ديننا** » .

وكان يسعى لايجاد طائفة من العلماء يعدون لهذا الغرض .

وقد صحبت جمال الدين ثلاث سنوات وستة أشهر ،

وأصيب بمرض السرطان فى آخر أيامه ..

ودخلت عليه ذات يوم فدعانى بيده لأنه ما كان يستطيع أن يتكلم ، وأخذ ورقة وقلما وكتب :

تشهد بالله أن آخر كلام النبى : **أمتى أمتى أمتى** .. وأنا أقول : **ملتى ملتى ملتى** ..

وبعد ساعتين رجعت اليه فقالوا توفاه الله .

ولجمال الدين رسالة قمت بطبعها فى روسيا باسم : « التثليث ومعتقدات المسيحيين »

وهكذا عاش عبد الرشيد ابراهيم بعد وفاة جمال الدين عام ١٨٩٧ داعية لله ومضى فى الطريق الذى اختطه له أستاذه جمال الدين .

ولست أعرف بالضبط تاريخ وفاته وكان آخر ما قرأته له عام ١٩٣٠ فى صحيفة الفتح وكان اذ ذاك يبلغ فوق الثمانين من الأعوام .. وكان مقيما اذ ذاك بمكة ولعله قضى بها .

* * *

أما **السيد عبد العليم الصديقى** فقد اتخذ مجال دعوته جزر أندونيسيا ومدغشقر وقد برز اسمه عام ١٩٣٠ حيث تحدث عنه الأمير شكيب أرسلان فى مجلة الفتح « **.. العلامة الواعظ الرحالة المخلص مولانا السيد عبد العليم الصديقى ، وكيف أنه يجوب الأقطار ويرشد المسلمين وينشر الدين ، وقد اهتدى على يده أناس كثيرون ..** »

والسيد عبدالعليم الصديقى من أبرز مسلمى الهند «وذلك قبل ظهوردولة الباكستان» وكان ضخما مهيبا ، تبرز فى ملامحه صور العزيمة القوية ، وقد أتيح لى أن ألتقى به عام ١٩٤٥ فى مكة حيث كان يتحدث عن المسلمين الذين أسلموا على يديه وجاءوا الى موسم الحج ، وبالرغم من ارتفاع سنه اذ ذاك فقد كان بادى العزم والقوة من أجل الرسالة التى انتدب نفسه لها وصدق فى تبليغها ، وكان السيد الصديقى قد زار القاهرة بعد ذلك كثيرا ، وعرف عنه أنه ينفق على الدعوة الاسلامية من ماله الخاص ..

يقول فى احدى رسائله من بتافيا (جاوه) : ١٣٥٠ هـ .

« ان ما قمت به من الدفاع عن الاسلام وارشاد الناس الى محاسنه الغراء واظهار مزاياه الكريمة أقل بكثير من الواجب على ..

•• وليس بخاف ما يقوم به دعاة اللادينية والالحاد والنحل المحدثة والمبشرون من نشر دعاياتهم الضالة ، وما تقوم به دول الاستعمار وسماسرة الغرب من تخصيصها الأموال الطائلة فى سبيل نشر تلك الدعايات •

ولقد كان المرجو من اخواننا العرب الذين هم مصدر الهداية الاسلامية ، وبهم انتشرت فى آفاق الأقطار ان يكون لهم جمعيات كبرى متصلة فروعها فى جميع أقطار العالم ، تصدر عنها الكتائب تلو الكتائب ، لنشر الاسلام والتبشير به ، ورد افتراءات المعطلة والملحدين والمبشرين •

وان الأسباب الحاملة لى للدخول الى هذه الجزائر « جاوه وما جاورها » هى تعهد اخوانى المسلمين والقيام بالواجب وارشاد من ضل بالأحمدية واغتر بالدولة القاديانية وأحمد الله على أن وفقنى فى ذلك وقد طلبت مناظرة القس الشهير (شن بيرخ) المقيم فى باندونج فلم يجبنى للمناظرة ، وذلك بعد أن نشر الطعن فى الاسلام أخيرا فى مجلة (ستيدن) •

كما قابلت الكاتب المعروف بمؤلفاته ضد الاسلام المستشرق الدكتور **كريمر بصولو** ، وأردت استجراره للمناظرة فتخلص بلطف وحذق •

وقد عرف رجال الاستعمار كيف يعملون على تفريق المسلمين والمكر بهم وخداعهم بزعمائهم ••

وأنا متوجه اليوم الى (موريس) ومنها الى (مدغشقر) لأنظر أحوال المسلمين هناك وأرى الأعمال التى بذلتها حسب طاقتى للاسلام سنة ١٩٢٩ وسأذهب بعد ذلك الى مصر لأجتمع بكبار رجال القطر المصرى ولنتفاوض فى الطرق التى نسلكها فى الارشاد ، ومنها الى أوربا » •

وقد مضى الشيخ عبد العليم الصديقى فى طريقه ، لم يثنه ارتفاع السن عن العمل الذى وهب نفسه له خالصا من أجل التعريف بالاسلام والدعوة اليه • وقد توفى الصديقى منذ سنوات بعد أن ترك اسما لامعا وأثرا عظيما •

وبعد فقد أردت أن أقدم بهذين العلمين نموذجا للعمل من أجل التعريف بالاسلام ، فى صورة الرحلة الى آفاق الأرض ، وهناك عشرات من الدعاة قاموا بمثل ما قام به عبد الرشيد ابرهيم وعبد العليم الصديقى ، وكان لهم فضل آخر هو أنهم أخفوا أسماءهم عن مجالات الظهور والشهرة •

ولا يزال هناك كثيرون يعملون فى هذا المجال •

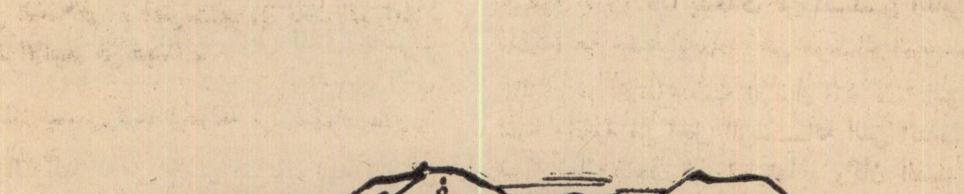

اللغة العربية

من الدعائم الأصيلة .. للقومية العربية

المهندس اللواء كامل البدري

من قراءة التاريخ ، القريب والبعيد ومقارنته بالحاضر الذى نحياه ، يمكننا أن نقول مع اليقين ، أن اللغةالعربية خلقت لتكون لغة خالدة ، تبقى على الزمن ، بحكم التراث الدينى الذى أفرغت فيه ، فكان من أسباب خلودها ، والتراث الحضارى الذى حملته عبر الزمان والمكان فكان من أسباب انتشارها، وبشهادة التاريخ الطويل الذى عاصرت أحداثه وصارعتها ، وبحكم الواقع الذى تعيش فيه ، وتتفاعل معه .

والتراث الدينى الذى أفرغت فيه ، وكان وعاؤها ، القرآن الذى أنزل بلسان عربى مبين ، قرب الى العرب على اختلاف لهجاتهم ، المعانى الجديدة التى أتى بها الاسلام ، وشرح لهم فى لغة واضحة المبادىء التى يقوم عليها ، واستطاع فى سهولة وبطريق مباشر أن يفتح آذانهم – وهم أصحاب الفصاحة والبيان – ليصل منها الى قلوبهم ، وكان أن استجاب له العرب على اتساع الصحراء ، بعد أن اقتنعوا بلغة القرآن .

ثم اتسعت الافكار الاسلامية ، وترامت حدودها ، ودخلت فيه شعوب متعددة فى شرق الارض وغربها ، وكان القرآن دستورا لكل الامم التى آمنت به واعتنقت الاسلام ، فأصبحت اللغة العربية لغتها ، تسمع فى الجزيرة العربية ، كما تسمع فى بلاد الفرس فى الشرق ، وبلاد الروم فى الغرب ، وبذلك كانت لغة مشتركة يحافظ عليها الجميع على اختلاف الاجناس ، وتباعد الحدود ، وانطبق عليها أحد المقاييس الهامة التى وضعها علماء اللغات لقياس اللغة المشتركة ، وهو ان تبلغ من الشيوع والانتشار درجة ، ينتفى معها التمييز بين جنسيات المتحدثين بها ، وتوصلوا بعد ذلك الى أن اللغة العربية لغة تتوافر فيها مقومات اللغة المشتركة فى أوضح صورها .

وفى العالم الاسلامى الفسيح ، عاشت اللغة العربية أخصب عصورها ، ودخلت فيها ثقافات متنوعة ، واتصلت بحضارات عريقة ، واستطاعت بمرونتها ، وغزارة مادتها ، وتنوع ميادينها ، أن تهضم وتستوعب كل هذه

الحضارات والثقافات ، ثم حملت الى العالم – الذى بدأ يستيقظ من جهالة القرون الوسطى – ثمار الفكر الاسلامى الناشط الى النمو فى المادة والتوسع فى الزمان وفى المكان – وترامت أصداء هذا الفكر باتساع الفتوح الاسلامية حتى دخلت كتب ابن سيناء جامعات فرنسا ، وتأثرت الحياة فى اسبانيا بالأسلوب العربى الاسلامى الى حد كبير .

وكانت اللغة العربية هى الرابطة القوية التى ربطت هذه الشعوب المتعددة بالحكومة الاسلامية لحقبة طويلة من الزمن ، وكان القرآن هو المصدر الاصيل النقى لهذه اللغة ، التى انتشرت فى آفاق الارض ، يعصمها من الانحراف ، ويحافظ عليها فى البلاد التى دخلتها من أن تذوب فى أية لغة أخرى .

هذه نظرة سريعة عبر التاريخ الذى ملأته اللغة العربية علما وثقافة وأدبا ، بعد أن ثبتت دعائمها بنزول القرآن الكريم ،

هذه نظرة سريعة عبر التاريخ الذى ملأته اللغة العربية علما وثقافة وأدبا ، بعد أن ثبتت دعائمها بنزول القرآن الكريم ،
وهذا ما أشار اليه رينان بقوله :

« من أغرب ماوقع فى تاريخ البشر ، وصعب حل سره ، انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة باديء بدء ، فبدت فجأة على غاية الكمال سلسة أية سلاسة غنية أى غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد الى يومنا هذا أدنى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت أول أمرها تامة مستحكمة .. وما عهدت قط فتوحا أعظم من الفتوح « العربية » ولا أشد سرعة منها ، فان العربية ولا جدال قد عمت أجزاء كبرى من العالم ، ولا ينازعها الشرف فى كونها لغة عامة ، أو لسان فكر دينى أو سياسى الا لغتان : اللاتينية واليونانية ، وأين مجال هاتين اللغتين فى السعة من الأقطار التى عم انتشار العربية فيها ؟ » .

وهكذا وبقوة التراث الدينى الذى أفرغت فيه ، وباتساع التراث الحضارى الذى انتشرت به ، وساعدت على انتشاره ، اثبتت اللغة العربية أنها لغة البقاء ، والتاريخ الطويل يشهد بذلك ، ويشهد بأنها تعرضت لمحنة التتريك فى المشرق العربى ، فخرجت منها أكثر قوة وعروبة ، وأصيبت بمحنة الفرنسة فى المغرب العربى فصمدت لها بشجاعة ، ومضت تشق طريقها بحزم نحو عروبة كاملة. الى احياء اللغة العامية واللهجات المحلية والى كتابتها بالحروف اللاتينية ، ذلك كله ليفتت وحدة الامة العربية التى تقوم على اللغة العربية الى جانب الدعامات الاخرى ، ويخلق على أنقاض هذه الوحدة دويلات يستطيع أن يبتلعها الواحدة بعد الاخرى بعد أن تفقد أهم مقوماتها وهو اللغة العربية .

انتصارات اللغة العربية على محاولات التتريك :

لم تصل اللغة العربية الى أجيالنا التى عاشت بعد الحرب العالمية الاولى الا من خلال معارك رهيبة ، سلطتها الدولة العثمانية على اللغة العربية ، لتقضى عليها وتحل محلها اللغة التركية ، ولكن هذه اللغة الخالدة ، الصامدة لاحداث الزمن وان تكن خرجت من هذه المعارك سليمة ، نقية ، الا أن الرجوع الى التاريخ ، ومراجعة حوادثه يزيدنا ايمانا بها ، ومحافظة عليها .

وبدأت محاولات التتريك بدخول جيش السلطان سليم الثانى الى مصر ، ويقال انه فكر فى أن يجعل اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة العثمانية ، ولكنه خشى على لغته التركية من الاضمحلال ، لما عرفه عن اللغة العربية من قوة واصالة ، لهذا عدل السلطان عن اللغة العربية الى اللغة التركية ، بل ان خلفاءه تفننوا فى محاربتها باعتبارها اللغة المناوئة للغتهم ، والقادرة على القضاء عليها ، فلم يسمحوا فى اى قطر من العالم العربى الذى ابتلى بتحكمهم – بفتح مدارس أهلية تعلم دروسها باللغة العربية ، بل انهم كانوا يستولون على المدارس التى فتحها الوطنيون العرب لهذا الغرض فى اية مدينة عربية ، والزمت المدارس الحكومية بتطبيق برامج التعليم باللغة التركية فى جميع البلاد العربية الخاضعة للسلطنة العثمانية ، كما فرض على

التجار العرب تقديم مستنداتهم الى الدوائر الجمركية باللغة التركية ، وكانت لا تقبل اذا كتبت باللغة العربية .

وقد بلغ من حقد الاتراك على العرب ولغتهم ، درجة دفعتهم الى اتخاذ الدين سلاحا يوقعون به بين المسيحيين واخوانهم المسلمين ، ولكن مثقفى العرب جميعا تنبهوا الى هذا التسلل الخبيث ، وبادروا – بالكلمة المكتوبة والكلمة المسموعة – الى كشف هذه الحيلة الدنيئة ، فكانت هذه المواجهة الشجاعة الامينة مظهرا مشرفا من مظاهر الوحدة العربية التى تستند فى أساسها الى اللغة العربية .

وقد تجلت هذه المقاومة كاقوى ما تكون فى اجتماع المؤتمر العربى الاول الذى عقد بباريس فى يونية سنة ١٩١٣ ، وقد أثير فى المؤتمر سؤال معين هو : هل للعرب حق الجماعة ؟

وقد استند المتحدثون فى هذا الموضوع على رأى العلماء الالمان الذين يرون انه لا بد لوجود الجماعة من وجود وحدة اللغة ووحدة العنصر ، وعلى رأى العلماء الايطاليين الذين يقولون بوحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى رأى الساسة الفرنسيين الذين يقولون بوحدة الامل السياسى ؟ ثم انتهى المتحدثون الى أن العرب تجمعهم وحدة اللغة ووحدة العنصر ووحدة التاريخ ووحدة العادات ، ووحدة الامل السياسى ، فحق لهم برأى علماء السياسة بالاجماع ، حق الجماعة ، ومن ثم حق الشعب ، وحق الامة ، وقد اتخذ هذا المؤتمر قرارات كان من أهمها قرار ينص على أن « اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة فى مجلس النواب العثمانى ، ويجب ان يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية فى الولايات العربية » .

وخضوعا لكفاح العرب فى سبيل لغتهم اضطرت الحكومة العثمانية الى اقرار اللغة العربية فى المرافعات أمام المحاكم ، وتعيين موظفى الولايات العربية من العارفين بلغتها ، وطبع القوانين باللغتين العربية والتركية ، حتى قامت الحرب العالمية الاولى ، وتفككت الخلافة العثمانية ، وقطع اتاتورك كل صلة لتركيا باللغة العربية حين قرر كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية .

وخرجت اللغة العربية من معارك التتريك، قوية عزيزة المنال .

محنة اللغة العربية فى المغرب العربى :

اجمع أعداء القومية العربية على محاربتها فى كل مكان ، حتى حدث أن أزدوج العدو فى المنطقة الواحدة ، فلم يكف المشرق العربى محنة التتريك بل ظهرت فرنسا فى لبنان توقع بين المسيحيين والمسلمين ، فكان الرد عليها فى جبهة المقاومة الواعية ان تقدم كثير من الكتاب والادباء المسيحيين لحفظ القرآن الكريم ودواوين القدامى من شعراء المسلمين، وحنقت فرنسا على هذه الرابطة التى لاتسمح للزمن بان ينال منها ، وحقدت على هذه اللغة التى تجتذب – بعراقتها وجمالها مثقفين مسيحيين لحفظ القرآن الكريم على اختلاف العقيدة والدين ، وأرادت أن تعوض فى الجزائر ما فشلت فيه فى لبنان ، فصممت على أن تقضى على عروبة الجزائر وتذيبها فى مبادئ فرنسا ، وتوسلت لتحقيق هذا الهدف الدنىء بكل وسيلة ، جلبت المهاجرين من أسبانيا وايطاليا وهيأت لهم كل ما ينسيهم لغتهم ويقرب اليهم لغتها ، وضيقت على المواطنين العرب كل أسباب الحياة حتى يضطروا الى الهجرة خارج الجزائر .. وطبقت النظم الفرنسية فى التعليم تطبيقا حرفيا ، وأشاع الكتاب الفرنسيون ان اللغة العربية لا تتسع الا للشئون الدينية ، وانها لا تستطيع ان تفى بحاجات الحضارة الحديثة ، وتكتل جماعة من علماء المسلمين يحاولون المحافظة على التراث العربى الجزائرى فأصدرت فرنسا سنة ١٩٣٣ منشورا يتهم هؤلاء العلماء بالوهابية والخروج على الاسلام ، فأعلن هؤلاء أن التخلى عن قانون الاحوال الشخصية الاسلامى ، وهو الشرط الذى وضعته فرنسا لاكتساب الجزائرى حق المواطن الفرنسى يعنى الارتداد عن الاسلام ويجب أن يحرم المتجنس بالجنسية الفرنسية من الصلاة عليه

أو دفنه فى مدافن المسلمين .. عند هذا تبين للشباب الجزائرى المثقف أن ثقافته الفرنسية والتجنس بالجنسية الفرنسية لا تكفل له احترام الفرنسيين فضلا عن احترام الجزائريين .. فقامت التنظيمات الشعبية تطالب بالاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد ، وفى ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ صدر قانون يعترف باللغة العربية لغة تعليم الى جانب اللغة الفرنسية باعتبارها احدى لغات الاتحاد الفرنسى لا باعتبارها لغة قومية .

ونتيجة لمحاربة القومية العربية وتحت الضغوط المتراكمة للاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى ، قامت حرب التحرير الجزائرية ، ولم تنته الا بعد أن سلمت فرنسا للجزائر العربية بحقها فى الحرية والاستقلال، ومضت الجزائر العربية المسلمة تشق طريقها بحزم واصرار نحو عروبة كاملة .

وليس من شك أنه كان للقرآن الكريم الاثر الأول والفعال فى المحافظة على التراث العربى فى الجزائر ، ويقظتها للتخلص من الاستعمار الفرنسى ، والعودة الى أصلها العربى ، والى هذا يشير أحد الكتاب الجزائريين « ان مدارس تحفيظ القرآن كانت تعطينا شيئا أكبر بكثير من مجرد تعريفنا بالمبادىء الاولى للغة فقد كانت عاملا من عوامل الوحدة التى تربط البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وكانت حلقة من حلقات النجاة تعلقت بها الامة التى تتقاذفها الامواج .. ومن هنا جاء تمسكنا بالقرآن وتمسكنا بالحديث » .

وعند هذا القول الصادر من كاتب جزائرى قاسى من الاستعمار ، وذاق حلاوة القرآن فى لغته الأصلية يراودنا تساؤل ، ما الرأى فى ترجمة القرآن الى اللغات الاخرى ؟ ولكى نجيب على التساؤل **يجب أن نضع تحت أنظارنا عدة حقائق محددة هى :**

١ - ان القرآن الكريم نزل بلغة عربية سليمة ، وهذه اللغة وان تكن مفرداتها مما عرفه العرب وألفوه فى حديثهم ، الا انها تنفرد بطابع مميز من جمال التركيب ، ومتانة الاسلوب ، وتنوع فى الجرس ، واختلاف فى طول المقاطع والآيات ، مما جعلها لغة متميزة أعجزت العرب عن تقليدها على ما اشتهروا به من فصاحة وبراعة فى فنون الحديث ، ومن ثم كان ايمانهم بأنها لا يمكن الا أن تكون لغة السماء . وهذا الطابع المميز لا يمكن أن يحتفظ بخصائصه الا فى ذات اللغة التى تكون منها ، أى ان اعجاز القرآن من حيث هو تركيب بلاغى يفقد تأثيره اذا أريد له أن ينتقل الى لغة أخرى .

٢ - أنه ليس من المحقق أن تتسع مفردات اية لغة أخرى بحيث تفى بمطالب الترجمة الأمينة لألفاظ القرآن ، ذلك لأن احدى صور اعجازه انه لا يمكن الاستعاضة عن لفظ فيه بلفظ آخر رغم غنى اللغة العربية بالمترادف من الالفاظ ، ومن المؤكد أن القصور فى هذه الناحية فى اللغات الاخرى أكثر وأوضح ، مما ينتج عنه أن الترجمة لا تؤدى الى التأثير الذى نقصد اليه القرآن بلفظه أو بتركيبه .

٣ - تؤكد التجربة أن الجهود التى بذلت فى ترجمة القرآن الكريم حتى الآن لم تسلم - بقصد أو بغير قصد - من الميل عن المعنى المقصود ، أو الخطأ فى اختيار اللفظ ، فضلا عن عدم الدقة فى هذا الاختيار ، وقد اتضحت هذه الظاهرة فى الكتابات التى نشرت عن مؤتمر المستشرقين الذى انعقد أخيرا فى الهند .

لهذا كان من المنطقى ألا نؤيد الاتجاه الى ترجمة نص القرآن ، بل المنطقى والمعقول أن نحبذ الاتجاه الى تفسير القرآن ، باللغات الاخرى أو الى ترجمة تفسيره بها ، على أن يتفرغ لهذه المهمة الخطيرة مجموعة من المتخصصين فى التفسير تضم الى جانب علماء اللغة علماء فى الطب وفى العلوم وفى الاجتماع وفى الاقتصاد وفى الفلك ذلك لان القرآن حين خاطب الانسان ، اتجه بنظره وتفكيره الى مختلف المعارف ، وألم بظواهر الكون الماما سريعة أو متمهلة حسبما تقتضى كل مناسبة ، ولا يكون التفسير كاملا ، يعطى الصورة واضحة ، الا اذا شمل الى جانب الصور البلاغية ، الجوانب العملية والعقلية

فى القرآن ، وبذلك يؤدى التفسير نفس رسالة النص الأصلى فى مخاطبة العقل والقلب أى التأثير فى الفكر والوجدان .

هذا رأى فى موضوع عرض لنا بمناسبة الحديث عن القرآن واثره فى خلق الوحدة الوطنية فضلا عن الوحدة القومية العربية الذى يتفنن الاستعمار فى تفتيتها ، ويصطنع الوسائل ويدس الحيل لعرقلة تحقيقها ، ومن هذه الوسائل والحيل الدعوة الى احياء اللغة العامية واللهجات المحلية ، اذ من المعروف أن العربية لغة مشتركة يستطيع أن يتفاهم بها الكويتى مع المغربى ، والليبى مع العراقى، والسورى مع السودانى وهكذا ، وبهذه اللغة يمكن لأى عربى ألا يحس بالغربة فى أى منطقة من العالم العربى ، وبهذه اللغة يستطيع أى عربى أن يتبادل المصالح والاعمال مع اى عربى فى أى بلد عربى آخر ، وبهذه اللغة يحس العرب جميعا أنهم ينتمون لقومية واحدة من أصول موحدة ، وتتجه لأهداف موحدة ، وهنا يتجسم الخطر على الاستعمار ، انه يريد ان يقتل هذا الاحساس بالوحدة ، يريد ان يخمد الشعور بالانتماء الى القومية العربية ، فيعمل على احياء وطنية محلية ضيقة ، تحاول ان تتقوقع فى حدودها المصطنعة ، تصد عنها أى تأثير يفد اليها من الوطنيات الشقيقة ، وتحبس فى داخلها أى تأثير يمكن ان يشع منها الى هذه الشقيقات ، يريد ان يخلق العزلة بين أعضاء الاسرة العربية الكبرى . ولن يتأتى له هذا الا عن طريق أداة دائمة شائعة ، يومية ، تنفث باستمرار السم الذى يدسه للعرب بالدعوة الى العامية واللهجات المحلية ، لأن اللهجة المحلية لايفهما الا المتعاملون بها ، الذين يحفظون مصطلحاتها ومعانيها ، اما بالنسبة لاخوانهم فى انحاء العالم العربى فهى لغة غريبة عنهم ، ولا تستقيم معهم فى حياتهم ومعاملاتهم ، واذا نجحت هذه الدعوة المسمومة ، استقل المصرى بلهجته والعراقى بلهجته ، وهكذا ، تتفكك الرابطة التى تأبت على أحداث الزمن ، لتوضع فى أحد متاحف التاريخ .

وقد قيل فى تبرير هذه الدعوى مبررات منها أن اللغة العربية الفصحى صعبة الاستعمال ، ثقيلة على اللسان .. ومنها انها لا تتسع للتعبير عن متطلبات الحياة العصرية التى تتوالى فيها المخترعات بسرعة مذهلة ..

اما ان اللغة العربية الفصحى صعبة فيكفى فى الرد على هذه الدعوى ان نعرف أن اللغة الالمانية مثلا كاللغة العربية فيها اعراب ، وفيها تذكير وتأنيث ، وتعريف وتنكير بل تزيد عليها فى صعوبة هجائها ، ومع ذلك فانها سائدة فى المانيا والنمسا ونحو الثلثين من سويسرا ، والمتكلمون بها فى هذه البلاد لا يتبرمون بها بل يفخرون ، ورغم كثرة اللغات الدارجة فى هذه البلاد فانها محرمة ان تدخل فى مراحل التعليم من المدرسة الى الجامعة ومحرم عليها ان تدخل المحكمة ودوائر الحكومة والنوادى الادبية والصحافة والاذاعة ، ويمكننا ان نفسر هذه الظاهرة بأن اللغة تقوى ، ويهيأ لها الاحترام والتقدير ، بقوة أصحابها ، ووضوح شخصيتهم القومية ، وتأكيد وجودهم السياسى، وليس ببعيد فى عهد الثورة العربية الشاملة ، الزاحفة نحو تحقيق القومية العربية الموحدة ، خلق الاحترام للغة العربية الكفيل بجعلها فوق مستوى الاتهام ، ولا ندعى بأن هذه المكانة سوف تتحقق تلقائيا وبقوة الوجود الذاتى ، انما يحتاج تحقيق هذه الغاية الكبيرة الى تخطيط كبير يحتاج الى خلق افواج متتالية من المتخصصين فى تدريس اللغة العربية تتناسب مع ثقل المهمة عددا واعدادا ، يحتاج الى اعمال النظر والفكر فى مناهج اللغة العربية لتكون مادة سائغة على لسان الطلاب وفى عقولهم ، يحتاج منا جميعا الى الاصرار بقوة على أن تكون اللغة العربية الفصحى هى لغة العمل والبيت والمدرسة ذلك كله ممكن اذا نما الوعى القومى باللغة العربية باعتبارها لغة التطوير الشامل، ولغة الوحدة الحتمية وفى هذا **يقول ميثاق العمل الوطنى « ان الامه العربية لم تعد فى حاجة الى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .. يكفى أن الامة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل.. » وعلى البلاد العربية المتقدمة على طريق التحرر تقع مسئولية المبادرة الى الوفاء بمتطلبات هذه اللغة ، نشر**

الوعى بها ، واعداد العاملين لها ، وتعديل برامجها ، ووضع التخطيط الكامل لتصبح لغة الحياة اليومية فى كل ميادينها .

ولقد قدم لنا الاستعمار فى الايام الاخيرة تنبيها الى رسالة جميع البلاد العربية بالنسبة للغتهم ، اذ قابل تأميم الارض فى تونس بالتهديد بسحب المدرسين الفرنسيين من مدارسها ، هادفا بذلك الى ايجاد فراغ بين صفوف الشباب المقبل على العلم حتى يكفر بالوطنية والقومية معا ، وليست سياسة « السحب » بجديدة على الكفاح العربى ، فقد سبق لهم ان سحبوا المرشدين من قناة السويس ، ولكن ارادة الحياة والحرية فى الشعب العربى فى مصر صممت الا ان تنبه الاستعمار بصفعة توقظه الى حقيقة الوجود العربى ، وسوف يتكرر الدرس وينسحب المرشدون الفرنسيون من تونس ، وتثبت القومية العربية ان لغتها اقوى من ان يتلاعب بها الاستعمار .

وقالوا فى اللغة العربية انها لا تتسع للتعبير عن متطلبات الحياة العصرية ، وهذا كلام مردود بما اثبتته اللغة العربية من القدرة على التطور والتجدد ، لقد استطاعت على مر العصور ان تتسع لمختلف الثقافات والحضارات ، بل ان التاريخ يروى لنا انه كان لها المكانة الاولى فى علوم الطبيعة والجبر والموسيقى والفلسفة فى وقت كانت فيه اوربا تضرب فى بحار من الظلمات والجهالة ، فهل يتصور بعد ذلك أن تعجز هذه اللغة صاحبة التاريخ العريق عن مسايرة ما يجد من متطلبات الحياة كل ما يتطلبه الامر ان تنشط مجامع اللغة فى اقطار العالم العربى لتستجيب لحاجات التطور والنمو ، مراعية السرعة والسهولة ، وامداد الجموع بما يناسبها فى لغة العمل والمعاملات ، واستمرار الاستعمال، ودوام التواتر كفيلان بجعل اللغة العربية لغة الحياة اليومية فى كل ميادينها، وفى رأينا ان الصلة بين هذه المجامع فى جميع البلاد العربية واجماعها على ما تخرجه للناس ، يوسع من نطاق الاستعمال والتواتر ، ويرضى جميع الاذواق والحاجات فى مختلف المناطق ، ويزيد من ثروة اللغة العربية باعتبارها اللغة المشتركة للعالم العربى ، وعلى الصحافة العربية يقع جزء كبير من هذه المسئولية ، اذ تستطيع بامكانياتها ، وبصلتها المباشرة بالجماهير وباتساع انتشارها ، عبر الحدود والمسافات أن تساهم فى تدعيم اللغة الواحدة والاضافة اليها ، وان تعوض ما يلازم نشاط المجامع اللغوية من اجراءات .

هذه هى بعض مقترحات التطوير ، التى ننتظر نتائجها ، بعد ان ننفخ فيها دفء الحياة وحرارة التنفيذ .

نتحدث بعد ذلك وفى وقفة سريعة عن دعوى اخرى ، من الصعب التصديق بأنها تصدر عن حسن نية ، تلك هى الدعوة الى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية قياسا على ما استحدثه اتاتورك فى تركيا ، والدعوة صريحة فى الانسلاخ من اللغة العربية التى تعتبر من الدعائم الأصلية للقومية العربية ، ولا وجه للقول بأن الفكرة انما تنصب على شكل الكتابة دون جوهرها ، لانه ليس فى دنيا الناس جوهر يستغنى عن الشكل ، تماما كالروح لا تحس به الا فى جسد ، هل يقبل واحد من ابناء الشمال ان يستبدل بشعره الاصفر ، وعينيه الزرقاوين ملامح ابناء الصعيد أو ابناء الصحراء ، انه لو قبل ذلك جدلا لكان ذلك تسليما منه بالذوبان فى وجود آخر يندفع اليه بدوافع عديدة ليس من بينها الايمان بالبلد الذى ولد فيه أو الحرص عليه، **ولكن العرب بحمد الله وفى سعيهم العنيد نحو قوميتهم العريقة يؤمنون بلغتهم باعتبارها احدى دعائم هذه القومية ويحرصون عليها حرصهم على الوجود العربى ذاته ، ولا يقبلون ان يعيشوا غرباء على لغتهم ، عالة على غيرهم، ذلك بالاضافة الى ان الحروف اللاتينية لا تستطيع الوفاء بكثير من الحروف التى تتميز بها اللغة العربية كالضاد والصاد والطاء وكثير غيرها .**

ويكفى ان اللغة العربية لغة القرآن ، الذى قال فيه صاحبه سبحانه :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

أيامنا الخالدة

القلادة ..

الأستاذ محمد صبيح

كان أهل المدينة قد سهروا من الليل أكثره ، وهم يتحدثون بما كان من أحداث « بدر » ووقائعها ، وقد قدم الأسرى ، بعد يوم من وصول رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وكل أسير شد وثاقه من يديه الى عنقه ، وقد بدت عليهم الحيرة ، والأسى ، وبدل الله - سبحانه وتعالى - من كبريائهم الأجوف ، وكست وجوههم غبرة الطريق ، ونزعت عن رؤوسهم خوذات الحرب ، وعن أجسامهم دروعها ..

وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يحسنوا الى أسراهم وألا يسلموهم الى الجوع والعطش ، وحسبهم ما نالوه من يوم كان أسطع الأيام بياضا فى تاريخ الاسلام ، وأشدها سوادا فى تاريخ الشرك والكفران .. نام أهل المدينة الا الذين وكلوا بالحراسة فى مداخلها ، وقد أخذ الجميع حذرهم حتى لا يفر أحد من أسرى قريش ، فأحكموا وثاقهم وذهب كل واحد بأسيره الى بيته ، فهو تحت رقابته حتى يدفع عنه الفداء ، ويصدر فيه أمر النبى بالافراج عنه ..

وانتظر الصحابة أن يقوم محمد - عليه الصلاة والسلام - الى بيته يصيب من النوم ما يشاء .. ولكن النبى ظل حيث هو ، ساهرا .. فعزم عليه أصحابه أن يأوى الى بيته ، ولكنه سكت ، وسكت الجميع ولم يبدد الصمت ، الا صوت أنين يأتى من بعيد ، ولكن أبواب الحجرات لا تمنعه .. وقال واحد منهم يهمس فى أذن جاره : « هذا صوت العباس » .. وساد الصمت برهة أخرى ، ثم عاد الصوت المتألم الحزين يصافح الآذان ، فقال أحدهم :

- يا رسول الله ، مالك لا تنام ؟ فرد عليه :

- « سمعت تضور العباس فى وثاقه » .. فقام نفر الى العباس ، وفكوا عنه وثاقه .. وهنا استراح الرسول ، ونام .. ولم يكن العباس وحده الأسير الذى دار عنه حديث فى تلك الليلة ، ولليالى أخرى ، فقد كان فى بيته - عليه الصلاة والسلام - أسير آخر ، هو أبو العاص بن الربيع ..

كان المسلمون فى المدينة ينتظرون رسل قريش ، وقد جاء كل منهم بالمال الذى يفدى به قريبه ، ويحمله معــه الى مكة ٠٠ وقد أبطأت قريش قليلا ، حتى لا يغالى المنتصرون فى تقدير الفداء ، فان روح المســاومة فى قريش - وهم اهل تجارة وعلم بشئون المال - لم تفارقهم ، حتى فى محنتهـم الكبيرة ٠٠ وكان أكبر مبلغ من المال دفع لفداء أسير هو أربعة آلاف درهم ، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطلق سراح من كان يعلم أنه غير ذى مال من الأسرى .

دار حديث بين سيدنا محمد وبين عمــه العباس حول الفدية ٠٠ قال النبى :

- يا عباس ٠٠ افد نفسك ، وابنى اخيك عقيل بن أبى طالب ، ونوفـل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمر ٠٠ فانك ذو مال .

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلم الكثير عن شؤون عمه العباس المالية ، وفى الوقت الذى كانت تأتيه من العباس رسل بأنباء قريش ، كان آخرون يأتونه بأنبــاء العباس نفسه ، فان مكة كانت زاخرة باعداد من المسلمين سرا ٠٠ لا تعلم عنهم قريش شيئا ، وكان الأرقاء من جنسيات كثيرة من الذين حافظوا على اسلامهم ، كما أن عددا من العرب ، ولا سيما الشباب أسلموا وأبقوا دينهم الجديد سرا ، تقية ، وخشية من الفتنة ٠٠ ولم تسعفهم ظروفهم بالهجرة الى المدينة . وقد خدم هؤلاء الاسلام ، بما كشفوا به عن خطط قريش وكفارها ، وعاونوا عـلى الحرب النفسـية التى كان الاسلام يسلطها عــلى أعدائه ٠٠

قال العباس للنبى - عليه الصلاة والسلام - يحاوره فى أمر الفدية ، ويحـاول أن يتخلص منها :

- يا رسول الله ، انى كنت مسـلما ٠٠ ولكن القوم استكرهونى .

فرد النبى - عليه الصلاة والسلام -

- الله أعلم باسلامك ٠٠ ان يكن ما تذكر حقا ، فالله يجزيك به ٠٠ فأما ظاهر أمرك ، فقد كان علينا ٠٠ فافد نفسك ٠٠

وهنا حاول العباس أن يتخذ لنفسه ذريعة جديدة ، لعلها تسعفه فيظفر بحريته وحرية الثلاثة الذين ذكرهم له رســول الله ٠٠ تذكر العباس أن النبى - عليه الصـلاة والسلام - أخذ منه عشرين أوقيـة من ذهب « وربما كانت فى متاعه » فقال :

- يا رسول الله ، احسبها لى « أوقيـات الذهب » فى فدائى ٠٠

ولكن سيدنا محمد رفض هذا الرأى أيضا ٠٠ وقال :

- لا ٠٠ ذاك شيء أعطاناه الله - عــز وجل - منك ٠٠

وهنا فكر العباس فى طريق ثالث يسلكه ٠٠ وهو يعلم عطف الرســول على الفقراء ، الذين أطلق سراحهـم دون فدية الا أن يعلم الواحد منهم عشرة من أهل المدينــة القراءة والكتابة ان كان على علم ٠٠ قال :

- انه ليس لى مال !

وهنا تتجلى دقة الأنباء التى كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعلمهــا عن مكة وأهلها ٠٠ فرد عليه :

- فأين المال الذى وضـعته بمكة ، حيث خرجت ، عند أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد ٠٠ ثم قلت لها : ان أصبت فى سفرى هذا ، فللفضل كذا وكذا ، وبعبـد الله كذا وكذا ، ولعبيد الله كذا وكذا .

فدهش العباس من صحة هذه الأنبــاء ودقتها ، وكان يحسب انها سره الذى لايعلمه انسان غير أم الفضل ٠٠ ولم يملك أن قال وكأنه يحدث نفسه :

- والذى بعثك بالحق ، ما علم هذا أحد غيرى ، وغيرها ٠٠ وانى لأعلم أنك رسول الله ٠٠

ولم يجد العباس سبيلا الا أن يطلب من مكة الفدية التى تطلق سراحه وأصحابه الثلاثة .. فدفعها :

واذا كانت تجارة قريش قد نجت قبل وقعة بدر ، وهى التى خرج المسلمون من المدينة يريدونها ، فان غنائم المعسكر الكبير وحاجات قريش التى صحبوها معهم ، وكان عددهم أكثر من تسعمائة رجل ، كانت شيئا كبيرا ، وفى توزيعها نزلت سورة الأنفال .. وزاد فى ثراء المدينة هذه الأموال التى نزحت من مكة كرها عن أهلها لتشترى بهم حرية سادتها وشبابها ، الذين وقعوا فى الاسر مثلما حدث .

* * *

الا أن واحدا من الأسرى ، وهو الذى كان فى بيت سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - كان دائم التفكير فيما سيحدث له - انه أبو العاصى بن الربيع .

لقد أنفق أياما وأسابيع ، يراقب هذه الحياة الجديدة التى يشهدها عن قرب .. حياة المسلمين من أهله وذوى قرباه .

كان أبو العاص يلقب « جرو البطحاء » .. وكان يقال له أيضا « الأمين » كان قبل بعثة الرسول ، قوى العلاقة بسيدنا محمد ، يغشى منزله دائما ، فان خديجة زوج النبى ، كانت خالته ، وأمه هالة بنت خويلد ..

روى ابن اسحق : كان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا ، وأمانة وتجارة .. وقبل بعث الرسول - عليه الصلاة والسلام - ونزول الوحى عليه، سالته خديجة أن يزوجه من بنتها زينب ، وكانت تعده بمنزلة ولدها ، وقد وافق النبى على ما طلبت ، فلم يكن يرد لها طلبا .. فلما نزل الوحى ، وبعث عليه السلام ، آمنت بنبوته خديجة ، وبناته منها .. ولكن أبا العاص - زوج بنته زينب - لم يسلم ، وظل على دين الشرك .

وحتى تكيد قريش لمحمد، ذهبن الى أزواج بناته وطلبن طلاقهن وارجاعهن الى أبيهن حتى يشغل بهن ، فيما زعمت أحلامهم المريضة . ذهب أشياخ قريش الى أبى العاص وقالوا له:
- يا أبا العاص فارق صاحبتك « زينب » ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت ..

ولكن أبا العاص كان شهما كريم النفس، لم يرض أن تكون علاقته الزوجية مما تتحكم فيه خصومات قريش ، حتى وان كان مايزال على دين أهلها . قال : لا أفارق صاحبتى وما أحب أن أعتاض بامرأتى امرأة من قريش وكان أبا العاص برا بزوجه زينب ، شديد الحب لها ، على الرغم من أنها أسلمت .

وعلى الرغم من أن قواعد الدين كانت تمنع زواج مسلمة من مشرك ، الا أن النبى - وهو فى مكة - لم يستطع أن يفصل أبا العاص عن زينب ، فقد كانت مغلوبة على أمرها .. وكانت الدعوة الاسلامية فى مكة ، تبشير وتحذير ، وقد أخذت صبغتها التنفيذية بعد الهجرة ..

علم أبو العاص ، أثناء مقامه فى الأسر ، الكثير من أمر الدعوة الجديدة ، مما كان خافيا عليه ، وشاهد كيف كانت العقيدة تسمو بأصحابها ، فبدأت نفسه ترق لهذا الدين الجديد ، وهو يراه فى التطبيق أروع ما يكون فى خدمة الفرد والجماعة وتنظيم أحوالها ..

كان أبو العاص بن الربيع يحتفظ بافكاره لنفسه ، ويمضى لياليه فى حديث مع المسلمين .. لا يلمون عليه فى أمر .. وربما تذكر صداقته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومؤاخاته له فى بيت خالته خديجة ...

وبينما الأفكار تأتى وتروح فى رأس الأسير ، اذا برسول يفد من مكة ، ويطلب مقابلة سيدنا محمد ، ومعه رسالة .. كانت الرسالة من بنته زينب ، ومعها مال يفدى زوجها أبا العاص ، ومع المال تذكار، يتحدث عن نفسه ، ويقول ما لا يقول افصح الناس ..

كان هذا التذكار « قلادة » مما يتزين به النساء ، أهدتها خديجة - زوج النبى - لزينب ، يوم زواجها ، وظلت تحتفظ بالهدية العزيزة من الخالة العزيزة ، حتى أودعتها دموعها ، وبعثت بها الى والدها فى مقامه بمكة ..

تكتفى كتب السيرة والحديث بأن تقول :
« فما رآها – القلادة – رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى رق لها رقة شديدة »..

وهذه الكلمات القليلة تحمل فى طياتها عالما كاملا من الذكريات .. ذكريات السنين التى عاش فيها النبى مع أول زوجاته وأول المؤمنات به ، خديجة – رضى الله عنها وأرضاها – .. ذكريات الوحى والجهاد .. ذكريات الحب والوفاء.. ذكريات ثلاثة عشر عاما قضاها النبى فى مكة أقلها وخديجة معه .. وأكثرها والمتاعب تحيط به من يمين وشمال فى سبيل كلمة الحق التى أجراها الله على لسانه وحيا يوحى ، وقرآنا يتلى ، ودعوة تحمل النور الى الدنيا بأسرها ..

ولعل رسول الله– عليه الصلاة والسلام– نشر القلادة أمامه ، واسترجع هذا كله أمامه .. فبلغ به التأثر ما بلغ .. ولعل عاطفته احتوت بنته الحبيبة زينب ، ففهم عنها رسالتها الصامتة المعبرة المؤثرة ..

وسكت الناس جميعا من حوله .. ورفع النبى رأسه ، ونظر لأصحابه وقال :

– ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها ، فافعلوا ..

وهتف الجميع :

– نعم يا رسول الله

وأسرعوا الى أبى العاص بن الربيع ، فأطلقوا سراحه ، وحملوه بما بعثت به زينب من مال .. وودعوه الى خارج المدينة .. فركب راحلته ، وانطلق ، وكل شىء من حوله يحدثه ، وحديث نفسه أقوى حديث ..

* * *

ولم يكن بد وهذا القرشى النبيل قد رأى ما رأى ، وسمع ما سمع الا أن يصدر عنه العمل الذى يرد به جميل رسول الله وصحابته .. فقد أبى عند عودته الى مكة .. أن يمسك زينب فى بيته أكثر مما أمسكها ، واتفق معها على أن ترحل الى أبيها حتى تستريح نفسه للاسلام ، فيقبل هو عليه طائعا مختارا ..

وفى سر – ما أمكن السر – تجهزت زينب للسفر الى المدينة ، تحاول أن تخفى أمرها .. ووكل أبو العاص لأخيه كنانة أن يصحبها فى الطريق الى المدينة حتى يلقاها أصحاب أبيها فى بعض الطريق ، فيقومون على حراستها .

وحاول نساء قريش من المشركات أن يكشفن من أمر زينب ما كانت تريد كتمانه . الا أن كنانة رفض المسير فى الخفاء الى مهمته .. ففى وضح النهار سار بزينب على هودجها .. خارجا من مكة .. واغتاظ بعض شباب قريش من هذه الجرأة على تحديهم ، فانطلقوا وراء الهودج ، استوقفوه وكادت تدور معركة بالسهام والرماح ، وروعت راكبة الهودج ، حتى قيل انها كانت حامل وسقط حملها .. وأسرع أبو سفيان – شيخ قريش – يحسم الأمر ، واتفق مع أبناء الربيع أن يعودوا بزينب ثم يحملونها سرا ، فان عهدهم بمذلة بدر وانكسارهم فيها ما يزال قريبا ..

ورضى الجميع بهذا الرأى ، وفى يوم تال سارت زينب ليتلقاها مبعوثوا النبى – عليه الصلاة والسلام – وتذهب الى المدينة .

* * *

ويحدث قبل الفتح بقليل ان يقع ابوالعاص ابن الربيع أسيرا فى يد المسلمين هو وقافلة عظيمة من تجارة قريش القادمة من الشام ، وهنا نجد زينب تتشفع فيه ، فيأمر رسول الله بأن ترد له تجارته ، وأن يطلق سراحه ، فقد قبل هو ، وقبل المسلمون شفاعة زينب، بعد أن استنجد بها ابن الربيع .

ونراه يعود الى مكة بتجارته ، ليوزع المال على أصحابه حتى لا يبقى فى ذمته لأحد شىء قل أو كثر ، ثم يعلن على الملأ اسلامه ، ويركب ناقته ، وينطلق الى المدينة مسلما موحدا ،وقد شرح الله صدره للاسلام . ويوافق النبى على أن تعود زوجه زينب له .. ليعيشا معا فى ظل العقيدة وفى ظل الحب وفى رعاية رسول كريم ورب رحيم .

وقد ادركت أبو العاص بن الربيع الوفاة فى خلافة أبى بكر ، وترك بنتا من زوجته زينب تزوجها على ابن أبى طالب .

الإحسان فى الإسلام

الأستاذ محمد عطية الابراشي

الاحسان شعار النفوس الكريمة ، وعنوان السجايا الرحيمة ، والهام من الله اللطيف الخبير ، أودعه قرارة النفوس فضلا منه وكرما ، ليمحو الشقاء من الوجود ، ويمسح دموع البائسين ، ويعيش الناس اخوانا متحابين ، لا تحاسد بينهم ولا تحاقد ، ولا اعتداء ولا بغضاء .. ولقد رغب الاسلام فى الاحسان وحث عليه فى كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .. وقد قرن الله التصدق بالأمر بالمعروف ، والاصلاح بين الناس ، فقال : « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف .. أو اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

بل جعل الله الانفاق وهو التصدق على الفقراء والمحتاجين من أبرز صفات المؤمنين ، فقال : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ... أولئك هم المؤمنون حقا » .

وقد أنبأنا النبى – صلى الله عليه وسلم – بأن التصدق ولو بالقليل كنصف تمرة وقاية من النار .. ولا ريب أن فى هذا ترغيبا أى ترغيب فى الصدقة ، وبيانا لما يجنيه صاحبها من ثمرات عظيمة ، ولو كانت الصدقة قليلة ضئيلة ، فقال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » وقال أيضا : « الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » ، وقال : « الزكاة قنطرة الاسلام » .

فلا يعد المسلم مسلما حقا الا اذا أدى الزكاة ، وقد حدد الاسلام مقدارها وزمانها ، وقال الامام على – كرم الله وجهه – : « صونوا ايمانكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة » أى احفظوا ايمانكم بالصدقة والاحسان الى المعوزين ، ونموا أموالكم بالزكاة .

من أجل هذا كثر المحسنون والمتصدقون فى العصور الاسلامية الخالية ، ووقفوا أموالهم على الأعمال الخيرية ، ابتغاء رضاء الله .. ولا تكون الصدقة مقبولة الا اذا خلت من المن والتعيير .. قال عز وجل :

« الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » .

بل ان الكلمة الطيبة تعتذر بها للسائل خير عند الله من صدقة تمن بها عليه ، وتؤذيه بها ، لأن فى ذلك مسا لكرامته ، واهدارا لانسانيته . قال تعالى :

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم » .

والرسول الكريم يقول : « الكلمة الطيبة صدقة » .

واذا أعوزك العطاء والاحسان فاعتذر للسائل اعتذارا جميلا ، ليس فيه ايذاء له ، قال تعالى :

« واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا » • أى اعتذر لهم اعتذارا جميلا •

وقد ذم الله تعالى الذين يعيبون على غيرهم قلة ما أعطوه مع أنهم بذلوا ما فى وسعهم ، فقال :

« الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ، والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم ، سخر الله منهم ، ولهم عذاب أليم » •

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: « دخلت على امرأة معها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندى شيئا غير تمرة ، فأعطيتها اياها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ علينا ، فقال : « من ابتلى من هذه البنات بشىء كن له سترا من النار ، أى من اختبر بذرية من البنات فقام بتربيتهن راضيا بنعمة الله عليه كن له حجابا ووقاية من النار •

ومع أن الدين الاسلامى رغب فى الصدقة وحث عليها ، وجعلها من أبرز صفات المؤمنين فانه دعا الى العمل ، قال تعالى : **« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه »** •

وان الدين الاسلامى قد أوصى الفقراء ألا يأخذوا الصدقة الا اذا كانوا فى حاجة اليها ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اليد العليا خير من اليد السفلى » • أى اليد التى تعطى خير من اليد التى تأخذ •• وفى هذا حث ودعوة الى السعى لكسب الرزق من طريق العمل •

غير أن هناك أناسا يقعد بهم المرض عن كسب قوتهم ، فيمدون أيديهم يطلبون عطف غيرهم وبره ، فهؤلاء يستحقون الاحسان والعطف والشفقة ابتغاء مرضاة الله •

وانه لمن قساوة القلب أن يتناول الانسان من ألوان الطعام ما يتخمه ، وجاره ينهب قلبه الجوع ، ويحول بينه وبين الهجوع ، أو يرفل فى حلل الحرير والديباج والصوف وذوو قرابته لا يجدون من رخيص الثياب ما يستر أبدانهم ، أو يتيه أولاده يوم العيد فى ثيابهم الجديدة وحولهم صبية وأطفال ما بين جائع عار ، أو فقير محروم ، أو شريد مطرود •

فيا أيها الأغنياء أدوا حقوق الفقراء ، واعلموا أن فى أموالكم حقا معلوما للسائلين والمحرومين فلا تغتصبوه •• فاذا اديتم لهم حقوقهم فزتم بجنة عرضها السموات والأرض أعدها الله للمتقين الذين يتصدقون فى السراء والضراء ••

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

فشاركوا فى تخفيف ويلات الانسانية ، وصلوا الرحم ، وأغيثوا الملهوف ، وساعدوا الضعيف ، وأعطوا المسكين ، فهذا قرض حسن يضاعفه الله لكم أضعافا كثيرة ، ويد بيضاء يردها الناس لكم فى المحن ، وجميل تسدونه فتجنون ثمرته حمدا وشكرا وثناء عطرا ••

وتسابقوا فى الخيرات ، وأنشئوا الملاجىء وأقيموا المدارس والمستشفيات والمصحات ، وسارعوا الى الاحسان ، وابذلوا أموالكم فى وجوه الخير بنفوس راضية ، وافئدة راغبة • وتذكروا قوله تعالى :

« وما تنفقوا من خير يوف اليكم ، وأنتم لا تظلمون » •

ومن الواجب أن نبث الروح الانسانى فى الشعب ، حتى يفكر الموسر فى المعسر •• ويفكر الغنى فى الفقير ، وننظم الاحسان تنظيما كاملا ، حتى نعين المريض اذا مرض ، والعامل اذا تعطل عن العمل ، والشيخ اذا كبرت سنه ، وصار عاجزا عن الكسب ، وننشىء من الملاجىء ما يكفى كل العجزة واليتامى والمشردين من الأطفال ، ومن المستشفيات ما يتسع لجميع المرضى •

واننا ننتظر منكم أيها الموسرون بذلا سخيا لا شحا وبخلا ، لتستلوا الأضغان من القلوب ، وتطبعوا النفوس على حبكم ، وتنالوا رضا ربكم •• والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه •

من وحي ذكرى .. المولد النبوي الشريف

الشعر في موكب الرسالة

الدكتور [illegible] الجيلاوي

بينماكان الناس فى شبه الجزيرة العربيه قبيل ظهور الاسلام بين سادر فى غفلتـه ، يسعى مع الساعين الى تقديس الأصنـام ، محاكاة للآباء والأجداد ، وبين متوقع لانقلاب يغير الأوضاع البالية ، التى ينفر منها العقل المفكر ، ويأباها الذوق السليم ... اذا هم يرون فتى من فتيـان قريش ، يسير بين دروبها، ويمشى فى أسواقها، عازفا عما يعكف عليه القوم من عبادات للاوثان ذميمـة .. وأحيانا كانوا يرونه نائيا عن مجتمعـاتهم ، يأنس الى الوحدة ، ويأوى الى أماكن بعيـدة عن أعينهم فى شعاب الجبال .

ومرت الأيام .. واذا الفتى محمد بـن عبد الله ، المألوف لهم بسماحته ، المشهور بينهم بأمانته ورجاحة عقله وأدبه .. يصعد الى الصفا وينادى أهله وعشيرته ، وسـائر المقيمين بمكة من القبائل ، ثم يوجه اليهـم عبارات تصل الى آذانهم ، وسرعان ما تخترق شغاف قلوبهم ، فيها وعد ووعيد ، وفيهـا نصح وارشاد ، لم يألفوا سماع مثلهـا من قبل ، واذا الداعى يعلن بصـوت قد ملأ اركان الكون جميعا : أنه قد أصبح منـذ الساعة مبشرا ونذيرا ، ورسـولا من رب العالمين الى كافة الناس عربيهم وأعجميهم ، أحمرهم وأسودهم ، كبيرهم وصـغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ... واذا الناس فريقان :

فريق السادرين فى الغفلة يقول : انهـا دعوة الى الفرقة والشقاق ، وتحقير ما كان عليه الآباء والأجداد ..

وفريق الراغبين فى الاصلاح يقول : انه لعلى صواب ، وينبغى أن نؤيده ونشد أزره ، وبعض هذا الفريق سارعوا الى الجهـر بما اهتدوا اليه من الايمان ، وانضـموا الى صفوفه ، وبقى البعض يخفون ايمانهم حينـا من الدهر .

ثم توالت الأيام ، واتسـع نطاق دعوة محمد ، وكثر أنصـاره ومؤيدوه ، ثم ترامت أخبار الدعوة الجديدة الى الأصقاع المجاورة لمكة ، ثم وصـلت الى يثرب وغيرهـا من البلدان ، واذا اليهود يقفون حيارى ، وقليل منهم صدق ما كان يجده فى التوراة ، ثـم ظهر فريق المنافقين الذين يأتون هؤلاء بوجه

.. وهؤلاء بوجه .. ثم كانت الهجرة الى يثرب ، وكانت الغزوات المتوالية ، وكان ذلك الصراع العنيف - الذى غير وجه التاريخ - بين عقيدتين :

عقيدة التوحيد ، وما يتبعها من نظم الاصلاح الاجتماعى .

وعقيدة الشرك وما علق بها من أوهام ، حتى أيد الله كلمته ، ونصر رسوله والذين آمنوا معه ، وجعل كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .. والله عزيز حكيم ..

ولقد كان محمد - عليه الصلاة والسلام - يصدر فى دعوته عن وحى السماء ، وآيات القرآن كانت تتوالى توضح عقيدة التوحيد ، وتنشر المبادىء الجديدة ، تبشر وتنذر ، وتعد وتتوعد ، وترسم أمثل الطرق ، لأعظم حياة ، وتحدد معالم السعادة والشقاء فى الدنيا والآخرة .

أما المشركون فلم يكن لهم سند غير تعصبهم الأعمى لما كان عليه الآباء والأجداد ، يستثيرون به الهمم ، ويحفزون العزائم ..

ولقد كان للشعر فى هذا الصراع العنيف مجال أى مجال ، فبينما كان لسان المسلمين الأول هو القرآن وآياته البينات ، كان لسان المشركين الأول هو الشعر وعباراته الرنانة ، التى تثير الحمية حمية الجاهلية ، ومن أجل ذلك نزلت آيات من القرآن الكريم فى شأن تهوين الشعر والشعراء ، ولكن فى دقة فائقة وأسلوب معجز ، اذ قصرت التهوين على شعراء المشركين وشعرهم ، حتى تخضد شوكتهم ، وتخف حدتهم ، وذلك فى آيات آخر سورة الشعراء وهى قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

لم تكن مناسبة نزول هذه الآيات شعر سوق عكاظ ، وانما قصد بها شعراء بعينهم مثل عبد الله بن الزبعرى ، وهبيرة المخزومى وأمية بن أبى الصلت وغيرهم . وقد روى أنها نزلت أولا الى قوله تعالى : « **ما لايفعلون** » فذهب الشعراء الاسلاميون وقالوا : يارسول الله ، انا قد هلكنا ، فالله تعالى يعلم أنا شعراء . فنزلت بقية الآيات : « **الا الذين آمنوا ..** » ففرحوا بذلك وطابت نفوسهم .

ولقد روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول لحسان بن ثابت :

« أجب عنى . اللهم أيده بروح القدس . ويقول لكعب بن مالك : « اهجهم . فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل » .

ولقد كان الشعر فى تلك الفترة من الزمان **يقوم مقام الاذاعة والصحافة ، وينشر أخبار** الصراع والمعارك والدعاية لكل فريق ، وقد كان أكثر المتصارعين من الفريقين شعراء من الطراز الأول ، جمعوا بين البطولة فى ميادين الحرب بالسنان والبراعة فى الوصف **واثارة النفوس باللسان فكان شعرهم تصويرا** لأحاسيس مصدرها الواقع لا الخيال .

ولا يتسع هذا المقال لعرض كل ما ورد من شعر فى موكب الرسالة من يوم أن أعلن النبى - صلى الله عليه وسلم - دعوته الى أن انتقل الى الرفيق الأعلى ، وسنعرض هنا بعض النماذج :

* * *

بعد أن جاهر النبى الكريم قومه بدعوته ، ووقفوا منه موقف العداء ذهب فريق منهم الى عمه أبى طالب يشكونه اليه ، ويناشدونه أن يكف ابن أخيه عن ذكر أوثانهم وتسفيه أحلامهم ، وهنا تحرج مركز أبى طالب لمكانه من القوم ، وعندما فاتح محمدا - عليه الصلاة والسلام - نظر اليه وقال عبارته المشهورة التى كانت بمثابة الانذار للقوم جميعا ، وفيها ما فيها من قوة ايمان محمد واصراره على المضى فى دعوته تلك العبارة التى أرغمت التاريخ أن ينصت وأن يبدأ صفحة جديدة من تاريخ الصراع ، وذلك حيث قال :

« والله يا عم .. لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ..

وهنا لم يجد أبو طالب بدا من اكبار محمد واعلان حمايته والدفاع عنه ، معتذرا عن اعلان اتباع دينه الجديد ، مجاراة لما كان عليه الآباء والأجداد ، ثم أنشأ أبو طالب قصيدة كبرى من أربعة وتسعين بيتا ومطلعها :

ولما رأيت القوم لا ود فيهم
وقد قطعوا كل العرا والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

* * * * * * *

* * * * * * *

ومنها :

فمن مثله فى الناس ؟ أى مؤمل
اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش
يوالى الها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجىء بسبة
تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة
من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا : أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد ذو أرومة
تقصر عنه سورة المتطاول

* * *

ولقد كان من أصداء الوعى الذى أحدثته تلك الهزة الكبرى بدعوة محمد أن بعض الشعراء أخذوا يفكرون فيما ذاع من أمر الوحى ، وحاولوا أن يوجدوا صلة ما بينه وبين ما يدعونه من شياطين الشعر فجاء أحدهم ـ وهو سواد بن قارب ، وكان من كهان الجاهلية ـ ينشد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شعرا ، مؤيدا دعوته ، زاعما أنه ألهم ذلك الشعر الهاما :

أتانى نجى بعد هدء ورقدة
ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة
أتاك نبى من لؤى بن غالب
فرفعت أذيال الازار ، وشمرت
بى العرمس الوجنا هجول السباسب
فأشهد أن الله لا شىء غيره
وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة
الى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك من وحى ربنا
وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لى شفيعا ، يوم لا ذو شفاعة
بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

* * *

ولم يقف العقلاء من الشعراء مكتوفى الأيدى ، بل راح بعضهم يلوم المعاندين على عدائهم ، ويستحث ذوى الرأى والمشورة أن يتدخلوا لحقن الدماء ، ومن ذلك ما أنشده حكيم بن أمية ، وكان سيدا مطاعا فى قومه .. ومما قاله :

هل قائل قولا من الحق قاعد
عليه ؟ وهل غضبان للرشد سامع ؟
وهل سيد ترجو العشيرة نفعه
لأقصى الموالى والأقارب جامع
تبرأت ـ الا وجه من يملك الصبا
وأهجركم ما دام مدل ونازع
واسلم وجهى للاله ومنطقى
ولو راعنى منه الصديق روائع

* * *

ولقد كان حادث تمزيق الصحيفة ـ التى تعاهدت فيها قريش وحلفاؤها على مقاطعة

محمد ، وكل من ينضم الى صفه فى سائر المعاملات - من الأحداث التى لفتت نظر بعض القوم وجعلتهم يعيدون التفكير فى موقفهم ، ولقد سجل عبد المطلب فى قصيدة طويلة ما كان من أمر هذه المعاهدة وما آل اليه أمرها من التمزيق بغير يد من المسلمين ومطلعها :

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا
لؤيا ، وخصا من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا
نبيا كموسى خط فى أول الكتب ؟

ومنها :

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا
لعزاء من ريب الزمان ولا كرب

ويقول من قصيدة أخرى

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا
على نأيهم ؟ والله بالناس ارود
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
وأن كل ما لم يرضه الله مفسد

الى أن يقول :

جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا
على ملأ يهدى لحزم ويرشد
قعودا لدى حطم الحجون كأنهم
مقاولة . بل هم أعز وأمجد
قضوا ماقضوا فى ليلهم ثم أصبحوا
على مهل ، وسائر الناس رقد
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا
وسر ابو بكر بها ومحمد

* * *

عندما عاد سراقه بن مالك - بعد أن عجز عن أن يلحق أذى بالرسول وصاحبه عند ما هاجرا الى المدينة - لقيه أبو جهل وأخذ يلومه ويعنفه فأجابه بقوله :

اباحكم : والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان ، فمنذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فاننى
ارى أمره يوما ستعلو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم
بأن جميع الناس طرا يسالمه

* * *

وعندما وصل ركب النبى الكريم الى المدينة استقبله أهلها بالنشيد المعروف : « **طلع البدر علينا** » .. ثم أخذ الشعراء يسجلون ذلك المقدم الكريم ويرحبون بالنبى الكريم ويعلنون التأييد .. ومن ذلك قصيدة لأبى قيس بن صرمة ومنها :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض فى اهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه
فأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وألفى صديقا ، واطمأنت به النوى
وكان لنا عونا من الله باديا
ونعلم أن الله لا شىء غيره
ونعلم أن الله أفضل هاديا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم
جميعا وان كان الحبيب المصافيا

* * *

أما فى الغزوات ، فقد لعب الشعر دورا كبيرا ، وكلما أنشأ شاعر من المشركين قصيدة أجابه شاعر اسلامى بمثلها ، على بحرها ورويها ، ولقد سجل تاريخ السيرة ذخيرة كبرى من ذلك اللون من الشعر .. ونذكر أنموذجا واحدا منه :

عندما كان القتال محتدما في غزوة بدر ، انبرى ضرار بن الخطيب ، من شعراء المشركين فأنشد قصيدة كبرى مطلعها :

عجبت لفخر الأوس ، والحين دائر
عليهم غدا ، والدهر فيه بصائر

فأجابه كعب بن مالك بقصيدة على نفس الوزن والقافية ، ومطلعها :

عجبت لأمر الله ، والله قادر
على ما أراد ، ليس لله قاهر

وفيها يقول :

شهدنا بأن الله لا رب غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها
مقاييس يذهلها لعينيك شاهر
بهن ابدنا جمعهم فتبددوا
وكان يلاقي الحين من هو فاجر
فكب ابو جهل صريعا لوجهه
وعتبة قد غادرته وهو عاثر
وشيبة والتيمي غودر في الوغى
وما فيهم الا بذي العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها
وكل كفور في جهنم صائر
وكان رسول قد قال : اقبلوا
فولوا وقالوا : انما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به
وليس لأمر حمه الله زاجر

* * *

واختتم هذه الكلمة بمرثية حسان بن ثابت للرسول الكريم عندما انتقل الى الرفيق الأعلى وهي واحدة من قصائد كثيرة .. ومطلع القصيدة :

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير ، وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهدى الذي كان يصعد
وواضح آثار ، وباقي معالم
وربع لها ، فيها مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها
من الله نور يستضاء ويوقد

ومنها :

فبوركت يا قبر الرسول ، وبوركت
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا
عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين
عليه ، وقد غارت بذلك اسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة
عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

ثم يختتم القصيدة بقوله :

تناهت وصاة المسلمين بكفه
فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند
أقول ، ولا يلقى لقولي عائب
من الناس الا عازب العقل مبعد
وليس هوائي نازعا عن ثنائه
لعلي به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره
وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

صلى الله عليك يا سيد الرسل ، وجعل لنا في سيرتك العطرة ما يدفعنا الى السير في طريق الرشاد ■

نفح العبير في مولد البشير النذير..

الأستاذ علي الجندي

ولد – صلوات الله وسلامه عليه – بجوف مكة عام الفيل ، فى شهر ربيع الأول . يوم الاثنين على الصحيح والمشهور بين العلماء ، لاثنى عشر يوما منه . وعليه عمل أهل مكة قديما وحديثا فى زيارتهم موضع المولد المبارك فى هذا الوقت : أى فى اليوم الثانى عشر .

ويشهد لمولده يوم الاثنين : أن سائلا سأله عن صوم يوم الاثنين فأجابه – عليه الصلاة والسلام – بقوله : **« ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزلت على فيه النبوة »** : أى الوحى .

من ارهاصات نبوته :

وكانت حادثة الفيل مقدمة قدمها الله لنبيه ولبيته الحرام ، وذلك : ان اصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، فدينهم خير من دين اهل مكة عبدة الاوثان ، ومع ذلك فقد نصرهم الله عليهم نصرا مؤزرا من صنعه تعالى وحده لا من صنع البشر ، على عجزهم وضعفهم واقرارهم بانهم ليسوا كفئا لجيش «أبرهة» عدة وعددا وحذقا !! فكان ذلك كله ارهاصا لنبوة خاتم الانبياء الذى أظل وقته !! وتعظيما للكعبة المشرفة قبلته وتكريما لبكة مسقط راسه ، ومهد طفولته !!

شهر الورد

وشهر ربيع الاول من الشهور القمرية الذى ولد فيه أكرم مولود ، يوافق من الشهور الشمسية السريانية شهر نيسان – بفتح النون – الذى يوافق ابريل من الشهور الرومية ، وهو شهر الورد !! شهر الحسن والاحسان !!

نور على نور ، وعرس يجتلى
عرسا يلف الكون فى سرائه
الزهر ينفح بالعبير مرحبا
والبلبل الصداح من بشرائه
والسعد والاقبال حلية تاجه
والورد والريحان وشى ردائه

برج المولد :

ويوافق ذاك أيضا « برج الحمل » – كما نقل عن أبى معشر البلخى – وبرج الحمل اشرف البروج الاثنى عشر عند العرب ، وأدلها على الحركة والحداثة ، والجاذبية ، فيشب الزمان بعد الهرم ، ويعتدل بعد الانحراف ، وينطلق بعد الجمود ، وفيه تحل الشمس أوج عليائها وأسنى مطالعها ، وما ألطف قولهم :

يا بعد ما بين برج الجدى والحمل

لان الجدى من بروج الشتاء ، والحمل من بروج الربيع .

نجم المولد :

ويقول القسطلانى : ان مولده – صلوات الله وسلامه عليه كان عند طلوع الغفر – بفتح الغين وسكون الفاء – من منازل القمر ،

ويتألف من ثلاثة نجوم صغار !٠٠ وهو مولد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام •

ربيع وربيع وربيع :

فمن العجائب والغرائب التى تسترعى النظر أن يكون مولد خاتم الانبياء ، وربيع الانسانية الأنضر، فى شهر ربيع الأول، الموافق فصل الربيع أعدل الفصول وأجملها والطفها وقرة الأعين ٠٠ وبهجة الأنفس ٠٠ ومسرة القلوب !!

لم خص ربيع بالمولد الشريف ؟!!

وقد أجاب العلماء العارفون عن ذلك بأشياء ، منها :

١ ـ أن فصل الربيع فى ذاته ليس من الاشهر ذوات الشرف والنباهة كالمحرم ورجب ورمضان ، فاختار الله لمولده شهرا عاديا ليشرف بالرسول الكريم لا أن يشرف الرسول به . ولو ولد فى الشهور ذوات الحرمة لتوهم أنه شرف بها ، وذلك من عناية الله بحبيبه وتكريمه له .

٢ ـ مولده ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى شهر ربيع ، يحمل اشارة ظاهرة لا تغيب عن ذوى الفطن ، بالنسبة لاشتقاق لفظة ربيع ، اذ فيه فأل حسن يفيض البشارة على الأمة ـ والتفاؤل له أصل فى الاسلام ـ ولكل شىء من اسمه نصيب ، سواء أكان انسانا أم زمانا أم مكانا ، ففصل الربيع يخضر الحياة وينضر الدنيا ، ويزين الايام ، ويحيى الارض بعد موتها ، ويذكر الخلق بأنعم الله ، ويروح نفوسهم بعطر الايمان ، وينذى قلوبهم بشاشة اليقين ، ويمدهم بضروب من النعم والخيرات والارزاق وألوان من النبات والزهر والثمر وكذلك مولد الرسول فى شهر ربيع يشير الى قدره العظيم ومكانته السامية ، ويبشر العباد والبلاد بأنه أرسل رحمة للعالمين ، وهداية للضالين ، ومنجاة للهالكين ، ونعمة للبشر أجمعين !!

٣ ـ وجود الشبه الدقيق بين الربيع والشريعة المحمدية ، ففصل الربيع معتدل فى جوه ، معتدل فى طول أيامه ولياليه ، سالم من العلل والامراض ، صاحى السماء ، ضاحى الشمس ، سافر البدر ، متألق الكواكب ، ناعش للابدان ، باعث للارواح ، مصلح للامزجة ، شارح للصدور ، وكذلك الشريعة الاسلامية ، سمحة فى ظاهرها وباطنها ، بيضاء ليلها كنهارها ، لا تعطل العقول ، ولا تميت القلوب ، ولا تقتل العواطف ، ولاتحمل الناس فوق طاقتهم ، وسط بين الشرائع ، لا تفريط ولا افراط ، ولا تعطيل ولا اجحاف ولا ضرر ولا ضرار ، آخت بين حاجات الاجسام والارواح ، وجمعت بين خير الدنيا والدين :

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم»

لماذا لم نؤمر فى شهر ربيع بالاكثار من العبادات والقرب ؟ :

قد يسأل سائل : لماذا لم نؤمر فى شهر ربيع بالاستزادة من العبادات ، والاجتهاد فى البر ، والتشمير للعمل الصالح ، والاكثار من الصدقات ، كما فى شهر رمضان ، والايام والليالى الفاضلة المشهورة ؟

وقد اجاب عن ذلك ابن الحاج بما يأتى :

١ ـ أن تلك الازمنة حصلت لها الفضيلة بزيادة الاعمال الفاضلة فيها . وهذا الشهر ربيع ٠٠ حصل له التشريف بظهور من جاءت الأعمال والخيرات التى حصلت بهـا الفضيلة لتلك الاوقات على يديه ، وبسببه صلى الله عليه وسلم •

٢ ـ أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما وصفه الله ـ عز وجل ـ فى كتابه العزيز حيث يقول فى صفته « بالمؤمنين رءوف رحيم »

فكان دأبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ طلب التخفيف عن أمته مهما قدر على ذلك ، ووجد السبيل اليه فعله •

فلما أن كان هذا الشهر اختص بظهوره عليه الصلاة والسلام - لم يكلف أمته زيادة عمل فيه، بل أشار الى ذلك بالتنبيه عليه .

٣ - ان اهل الآفاق قد حرم عليهم الصوم أيام التشريق، وما ذلك الا أن الحاج ضيف الله - تعالى - فوقعت الضيافة لاهل الاقاليم كلها كرامة لهم !! فكيف بالزمن الذى ظهر فيه من شرع الله ذلك على يديه - صلوات الله وسلامه عليه - !!

فكان عدم تكليف الاعمال الشاقة غالبا، وعدم الزيادة على المعتاد من العبادات، لان أمته فى الشهر الذى ولد فيه، انما هى فى ضيافة جوده - صلى الله عليه وسلم - وذلك رحمة منه، والرحمة تقتضى التوسعة .

بدعة حسنة :

ادعى الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي من متأخري المالكية : أن عمل المولد بدعة مذمومة وألف فى ذلك كتابا سماه : المورد فى الكلام على المولد .

وقد سئل شيخ الاسلام الحافظ أبو الفضل بن حجر عن عمل المولد، فأجاب بما نصه :

أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى فى عملها المحاسن وتجنب ضدها، كان بدعة حسنة والا فلا .

ثم أقام الدليل على أن ذلك عمل مشروع فقال : وقد ظهر لى تخريج ذلك على أصل ثابت، وهو ما ثبت فى الصحيحين : من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم، فقالوا : هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجى موسى، ونحن نصومه شكرا لله - تعالى - !!

قال : فيستفاد من ذلك فعل الشكر لله على ما من به فى يوم معين : من اسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة .

والشكر لله يحصل بانواع من العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأى نعمة أعظم من النعمة بظهور هذا النبي الكريم، نبي الرحمة فى ذلك اليوم .

وقد سبق الحافظ ابن حجر الى هذا التخريج الحافظ بن رجب، ومن ذلك يتبين أن قول اللخمي : بأن عمل المولد بدعة مذمومة على اطلاقه، قول هراء لايقام له وزن !!

ويقول القسطلانى : ولا زال أهل الاسلام بعد القرون الثلاثة، يحتفلون بشهر مولده - عليه الصلاة والسلام - ويعملون الولائم، ويتصدقون فى لياليه بانواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون فى المبرات، ويعتنون بقراءة قصة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم !!

وقد روى : ان ابا لهب يخفف عنه العذاب كل ليلة اثنين، لأنه اعتق جاريته « ثويبة » حين بشرته بولادة النبى - صلى الله عليه وسلم ولأنه أمرها بارضاعه !

وفى ذلك يقول ابن الجزرى الدمشقى : فاذا كان هذا الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى فى النار بفرحه ليلة مولد النبى - صلى الله عليه وسلم - فما حال المسلم الموحد من أمته، الذى يسر بمولده، ويبذل ما تصل اليه قدرته فى محبته ؟ اى من الصدقات .

وقد نظم ذلك حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر فقال :

اذا كان هذا كافرا جاء ذمه
وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائما
يخفف عنه للسرور باحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره
باحمد مسرورا ومات موحدا

بركة الاحتفال بالمولد :

ويقول ابن الجوزى فى مولده المسمى: عرف التعريف بالمولد الشريف : ومما جرب من خواص عمل المولد : انه أمان فى ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام !

وانا أقول عن تجربة صادقة مكررة : ان الاحتفال بالمولد الشريف فى نطاق الدين وكما يليق بصاحبه - صلوات الله وسلامه عليه - باب أمن وسعادة وهناءة ، ومفتاح غنى ويسر ونجاح وفلاح ، وحصن من الشرورو المصائب والاحداث !! فرضى الله عن ابن الجوزى فما أصدق قوله ، وأبر عمله وأذكى سريرته .

تكريم يوم المولد وشهره :

أشار الرسول عليه الصلاة والسلام الى فضيلة اليوم الذى ولد فيه بقوله لمن ساله عن صوم يوم الاثنين : **« ذلك يوم ولدت فيه »** كما سلف .

ولا مرية أن تشريف هذا اليوم ، متضمن لتشريف هذا الشهر الذى منه هذا اليوم ، فيجب على كل مسلم يحب نبيه ويجله ان يحب ويجل يوما وشهرا ولد فيه ، ويفضلهما بما فضل الله به الاشهر والايام والليالى التى عرف فضلها وشهرت كرامتها !!

وفضيلة الازمنة والامكنة لا ترجع لذاتها ، ولكن لما خصت به من انواع العبادات والمعانى السامية !!

ومن هنا كان واجبا اذا أقبل هذا الشهر الكريم، أن نعظمه ونحترمه ونملأ أيامه، ونعمر لياليه بالصيام والقيام والاعمال الصالحة والعبادات الروحية تقربا الى الله ورسوله ، ونتنزهه عن العبث واللهو والسماع المحرم والرقص والخلاعة والمجون الى غير ذلك مما يفعله الجهال وأهل البطالة فى ليلة المولد المباركة !!

بدء الاحتفال بالمولد :

ذكر السيوطى فى الحاوى : أن أول من احتفل بالمولد الشريف : الملك المظفر ابوسعيد ابن زين الدين على بن بكتكين صاحب «اربل» احد الملوك الامجاد ، والكبراء الاجواد .

وكانت للملك المظفر آثار حسان ، وهو الذى عمر الجامع المظفرى بسفح قاسيون .. وكان الى ذلك شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا .. وقد طالت أيامه فى الملك الى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة ، محمود السيرة والسريرة .

ويقول ابن كثير فى تاريخه وابن خلكان فى الوفيات : ان الملك المظفر كان يعمل المولد الشريف فى ربيع الاول ، ويحتفل به احتفالا هائلا . وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب بن دحية مجلدا فى المولد سماه « التنوير فى مولد البشير النذير » فأجازه عليه بألف دينار !! وقرأه عليه بنفسه !!

ويقول سبط بن الجوزى فى مرآة الزمان : حكى بعض من حضر سماط المظفر فى بعض « الموالد » أنه أعد فى ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم شواء ، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة فرس ، ومائة الف زبدية ، وثلاثين ألف صحن من الحلواء !!

وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية ، فيخلع عليهم ، ويطلق لهم البخور ويعمل لهم سماعا من الظهر الى الفجر ، ويرقص معهم بنفسه !!

وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ..

وكانت له دار ضيافة للوافدين من اى جهة ، على أى صفة ، تبلغ نفقاتها فى كل سنة مائة ألف دينار !!

وحكت زوجته « خاتون » بنت ايوب ،أخت السلطان صلاح الدين : أنه كان يلبس القميص من الكرباس الغليظ الذى لا يساوى خمسة دراهم !!

قالت : فعاتبته على ذلك ، فقال : لان ألبس ثوبا بخمسة دراهم وأتصدق بالباقى خير من أن ألبس ثوبا مثمنا وأدع الفقير والمسكين .

نسال الله ان يوفقنا لاحياء ايامنا الكريمة وذكرياتنا المجيدة ، فان فى احيائها بعثا للسلف ، ونهضة للخلف ، واشادة باعظم تاريخ حافل بالبطولات ، لاعظم أمة ختمت بها الرسالات !!

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

على هامش المولد

حب عارم

الأستاذ محمد أمين هلال

لم يظفر نبى من الأنبياء بمحبة خارقة للعادة بمثل ماظفر به صاحب الرسالة المحمدية صلوات الله وسلامه عليه . ولولا أن دينه الخاتم قام على عمد أهمها التوحيد بكل أطرافه ، لارتفع حب المسلمين الى درجة التقديس والتأليه . !

وآية هذا أنك لن تجد مسلما ، طائعا أو عاصيا ، شابا أو هرما ، رجلا أو امرأة أو طفلا اذا ماذكر اسم النبى الا اهتزت مشاعره ونطق لسانه بحالة لاشعورية مصليا ومسلما عليه - وقد نرى الثمل من شرابه والمتفحش فى سبابه، بل والمجرم فى تبابه : اذا ذكر بالنبى أو طرأ سمعه شىء عن رسوله ، سالت مدامعه واهتزت مشاعره ، وكأنه يتمثل الرسول أمام عينيه : فيطرق براسه خجلا ، ويسيل عرقه وجلا ، وكأنه يعتذر ويستغفر مما جره شيطان الاثم والفسوق الى ماكان فيه من العقوق . هذا مما كان موضع دهشة وعجب من « هانوتو » وزير خارجية فرنسا سابقا ، اذ يقول : « ان المسلمين ، حتى هؤلاء الذين يتلقون العلوم فى مدرسة برلين الجامعية أو يدرسون علوم السياسة فى باريس ييممون وجوههم شطر مكان واحد ، هو الأرض المقدسة التى تكتنفها الصحراء والتى عاش فيها « محمد » التى تتضمن جسمه المبارك فى قبر لايجسر أحد على الوصول اليه الا مغطى الوجه حياء وهيبة وجميع المسلمين عن بكرة أبيهم يرنون بطرفهم الى هذا المكان المقدس ويمدون اليه أعناقهم ، ولا يجدون لذة فى الحياة الا بأمل العودة اليه ، ومن مات منهم ولم يكن أدى الحج والزيارة مات على أسف وحسرة . وماقبر محمد فى يثرب الا كعود كهربائى يبث التوله فى رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر غريبة لاشعورية »

لم تكن هذه المحبة عبثا أو تقليدا أو تعصبا يعشى البصائر أو يخلط الفائز بالخاسر ، بل كانت عن وعى تام بمآثر هذا النبى على الانسانية : « وعى تناقلته القرون وحفظه الاولون ، وورثه عنهم الآخرون . تلك المآثر

قد امتزج ادراكها بالوجدان والضمير واختلط حبها باللحم والدم ، وامتزج أثرها بالروح والفؤاد فكانت كالماءفيه قوام الحياة ، وكالهواء يحرك الرئتين وينقى الدم ، وكالنور يهتدى به المدلجون فى ليل بهيم .

لقد وقر فى نفس كل منصف أن مولد هذا النبى كان مولدا لكل الفضائل الآدمية فى أمة تقطعت أرحامها وانحدر بها تغلب الأنانية الى ان جعلت مقياس الحياة هو الجاه والنسب لاعلم ينير البصيرة ولا فضائل تمحق الرذيلة - الى أن ولدت هذه المعجزة فى بيت هاشم وفى حجرة فى زاوية مهملة من الارض تكابد من شظف العيش ولذعة اليتم ، ما جعل المراضع تصد عن وليدها ولا تحفل بقطينها - وكانت معجزة الدهر ضحك لها وجه العبوس ، حيث مست ميت النفوس فأحيتها ورواقد الآمال فايقظتها ، وأزاحت تلك الظلم عن القلوب لتستقبل الحياة بعزم استوى عوده ، وقلب استكن فؤاده .

وبعد نحو الخمسين من ميلاد هذا النبى . تخللتها أحداث وآلام ومعارك تشيب لها النواصى وتجب القلوب . أذن الله أن هذه الحجرة الضيقة فى زاوية من زوايا هذه الأرض المجدبة. كانت مثوى هذا الوليد اليتيم الذى أخرج قيما من هذه الرمال والجبال قوما أولى بأس شديد ، فتحوا العالم فى ظل هذا الدين يحملون معهم المرحمة الانسانية والحضارة العمرانية ويبشرون برسالة ختم الله بها الرسالات . وتدهش الأمم المغلوبة : كيف استطاعت هذه القلة من الرجال التى انبتتها تلك الرمال أن تبلغ بجيوشها هذه الأرجاء المترامية الشماء ، وتبلغ بآدابها شغاف القلوب العاتية ، وتبلغ بحضارتها مشارف الشام ، وشرفات قيصر ، ومدائن كسرى ، وقمم الأهرام ، وجبال البرانس ، وحدود فرنسا وجزر المحيط وثغور الأبيض المتوسط وهياكل الهند وجدار الصين .

تلك من أسباب تعلق المؤمنين بهذا النبى وهديه وايثار محبته على ما يملك المسلم من أهل وولد ومال وقد حاول الكثيرون أن يحددوا هذه المحبة أو يصوروا حقيقتها على اختلاف ادراكهم وأزمانهم - ورغم تضليل الحاقدين وشبهات المستشرقين - لم يجدوا قولا ذا سعة ، معبرا عن هذه العظمة الرائعة . وحاول المصورون والرسامون أن يقربوا بريشتهم على ألواحهم وداخل اطاراتهم مدى هذا الاخلاص فلم يجدوا هذا اللون ليعطى هذه الصور حقها أو يحدد من الرسوم وضعها ووقعها ..

ثم يتابع المؤمنون ركب تلك الغزوات التى قام بها النبى وصحبه : ردا على الاعتداء او حماية للدعوة من الايذاء ، أو انتصارا لمن ظلم من الاولياء ، فوجدوها فتوحا كان الرفق قائدها والمحبة رائدها .. وكأن المجاهدين أخذوا من اسم الاسلام لفظه ومعناه فأنكروا ذاتهم وأمسكوها عن الشهوات والمنافع وراضوها عن المنشط والمكره لفروضها وواجباتها . وقبل أن يحملوا سيوفهم ورماحهم حملوا سيفا آخر أشد مفعولا ليس من الحديد وانما من طبيعة أخلاقه تسمو بالحق الى الخير العام ، تتدرج بالكمال والمحبة والسلام . وكأن نور النبوة يمشى بين أيديهم فيقتبسون منه روح الله المؤيدة . فكان النبى صلاة الله وسلامه عليه . كأنه نقطة المد التى يفور بحر الغزوات منها وكأن المسلمين أمواجه التى غسلت بها الدنيا . وكما قال الرافعى : « اتصلوا بنبيهم ثم بعضهم ببعض لا كما يتصل انسان بانسان بل كما تتصل الأمواج بقوة المد ثم كما يمد بعضها بعضا فى قوة واحدة » وكان لابد من نفوس طبع على قلوبها وسول لها الشيطان وأملى لها فكان لابد أن يتكفل السيف بتقويم معوجها والتحصين من شرها.

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وفى الحق لم تكن غزوات بل كانت بعثات تحرير وهداية وغرس لغريزة التوحيد

وخصيلة العدل والاحسان وتوجيه نحو محارب التثقيف والمعرفة . ولقد عجب الناس من أن يكون الرسول سيدا للخلق فى الهداية وسيدا لهم فى معاهد العلم والتثقيف وازداد عجبهم حين رأوا أنه يشرع فى أول انتصاراته تعليم الأميين ويجعل هذا فداء لمن يعرف من الاسرى القراءة والكتابة . الاسرى الذين أخرجوه واصابه من ديارهم وأموالهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . فهو عليه الصلاة والسلام يجعل للعلم مكانته وآثاره : يفتدى به الأسير نفسه من القتل أو الأسر أو المال حين يعلم عشرة من الرجال – فكان هذا نقطة البداية لهذا الدين فى أبواب العلم والحضارة التى أرسلت اشعتها الى الشرق والغرب وتركت فى دنيا الناس ماتضرب به الأمثال. ومازالت شواهد هذا العلم وتلك الحضارة ماثلة فى اوربا : فى الاندلس وفى مصر والفسطاط ودمشق والقيروان وطنجه وسواها من المدن العظيمة التى ما زال يحميها ظل الاسلام والتى انحسر عنها بتقصير أهليها .

واذا كان لابد من الكلام عن العلم فى مولد من أحسن غراسه وعطر انفاسه عليه الصلاة والسلام ، فقد يسمح لنا مجال الذكرى أن نقول : ان الاسلام ناصر العلم ، والعلم وليد المنطق والمنطق لايضيق به عقل وناصر العلم لأنه سبب للرفاهية ورغد العيش ولينه ، يسهل الحياة وييسرها ويجنى به الانسان خيرها اذ يجعل الحياة أكثر امتلاء وأكثر زمانا ورب سنة فى عمر المتعلم خير من عشرة فى عمر جاهل . وقد قالوا ان سنوات العمر كورق النقد تعلو وترخص يصيبها التضخم على انحطاط قيمه ويصيبها التقلص .

والعلم يفرض على الأرض أن تنتج الكفاية من الطعام والكفاية من اللباس والكفاية من ضرورة العيش وقلما شكا متعلم من ضيق عيشه : اذ له من أسباب العلم مايجعل الأرض له مراحا ولعوامل العيش اقبالا .ولكنه الطمع قليلا مايطيح بعقل متعلم ان يشقى وهو جذلان وبالجاهل المعدم أن يسعد وهو عريان .

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وقد كان للاسلام فى الفكر العربى مافتح نوافذه وعمق ادراكه وحرك همته الى الضرب فى متاهات الجهالة حتى وضحت والسير على أشواك الهمجية حتى تذلل مقادها وارتد طبعها وصارت أرضا ذلولا للمشى فى سبيل الحضارة البشرية . وناصر الفكر العربى كل العلوم والفنون على سطح هذه الأرض وجعل فيها حقولا شتى لمختلف مايعود على البشر من فضل ومنفعة ، فالعلم ونتائجه مما تتأسس على قواعده معانى الحياة وعقائد الحياة وما بعد الحياة ، وهو وحدة لا تتجزأ الا اذا تجزأت الروح الواحدة فى البدن الواحد فصاحبه وقتئذ لايموت ولا يحيا .وقد تضيق بعض النفوس بالعلم وبنتائج العلم فتطلب الترويح فى غيبته ، وتطالب الرفة بنفيه وابعاده وقديما نفى الناس العقول بالشراب ليتروحوا ولكن الى حين يعودون بعده الى ممارسة الحياة على العقل الواعى والقلب الصاحى . ثم طائفة قدامى خلطوا فى الأول بالعلم عملا صالحا وآخر سيئا ثم ضلوا أخيرا ضلالا بعيدا فجعلوا حقائق الأشياء غير ثابتة والعلم بها غير متحقق، وسموا فى محيط الفلسفة باللاارادية . والعلم الحقيقى لايخلو بين الأشياء . فهناك ادراك ثابت كما أن هناك حقائق ثابتة وهناك ظنون متحيرة حتى ترسو على احدى مرافىء العقل فيهديها نحو الميناء وهناك أشياء لم يمسها العلم لا بطن ولا بيقين فهى من خلق أصحابها والعلم لم يقصر فى أدواته ، وهى لاتزال الوزن والقياس اتخذها طالبو المعرفة منهاجا ساروا فى دوربه حتى بلغوا بالمعرفة حدا بعيدا حاولوا به ان يتخذوا فى كوكب المريخ عروشا وزاحموا الكواكب فى مجراها وسابقوا الأضواء فى مسراها وجاوروا الحيتان فى مقرها . ولا يزالون طامعين فى أن يصلوا الأرض بحركاتها بالكواكب الأخرى فى تبادل المنافع المادية والأخبار الكونية !!

واعل من المظاهر الواضحة عن تعلق المسلمين بنبيهم «ص» ومحبتهم له : هذا المولد

الذى يقام كل عام فى بلاد الاسلام : مدنها وقراها وكفورها ونجوعها ، اشادة بذكرى مولده الكريم وبرهانا على مدى محبته فى نفوسهم ومهما وقع فى بعض هذه المظاهر من الخروج عن الجادة فهى فى مجموعها دلائل على توثيق الرابطة الروحية برسولهم والعمل على التأسى به وترضية الشعور والعقيدة وتربية الضمير وتقوية النفس ، وبخاصة حين يستمع المحتفلون الى هذا الواعظ يذكر أو القارىء يرتل فتصفو القلوب وتنسل الأحقاد وتطهر الارواح وتبسط الأيادى بالبر والعطاء على الفقراء - دع الفوائد الاجتماعية : من التعاون والتعارف والاقتصادية من تحريك الأسواق وانفاق السلع وتبادل المصالح .

وقد نشأت هذه المظاهر الدينية بمصر وشمال أفريقيا حين تولى أمرها الفاطميون تأييدا لدعوتهم وتثبيتا لانتسابهم الى فاطمة بنت الرسول . فهؤلاء اقتطفوا من الدولة العباسية شمال افريقيا ومصر والشام والحجاز ، ثم نقلوا عاصمتهم من « القيروان » الى مصر .. وفتحوها بالسيف وملكوها بالذهب وأسسوا الأزهر « والقاهرة » التى اخذوها عاصمة لهم . وظفرت مصر يوم دخول المعتز خليفتهم الرابع بالاستقلال والأزهر ، وخفق العلم الأبيض على القاهرة منافسا للعلم الاسود فى بغداد والعلم الأخضر فى قرطبة ووجدت الآداب العربية والحضارة الاسلامية فى ظل هذه الأعلام الثلاثة سبيلا الى الانتشار ، ومساعدا على الازدهار ، ومعينا على النمو - ويتحدث شاعرهم «عمارة اليمنى» فى قصائد رائعة ، عن حفلاتهم وخيراتهم وبرهم بالفقراء والمساكين فى مواسم متعددة كهذا المولد وأول رمضان والأعياد وليلة عاشوراء ودار الضيافة، وسواها مما فاض به ديوانه المطبوع المشهور . ونأخذ منه ومما جاء فى « صبح الأعشى » ومانقله المقريزى : ان الخليفة الفاطمى كان يصدر أوامره بتوزيع الصدقات من مال الزكاة من أول ربيع الأول ويقول المقريزى : انه اذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الأول بدات الاستعدادات بالاحتفال بالمولد النبوى فيعمل فى دار الفطرة مقادير كبيرة من السكر اليابس حلواء يابسة وتعبأ فى أوعية ثم تفرق على أرباب الرسوم وارباب الرتب وغيرهم من الموظفين مثل قاضى القضاة وداعى الدعاة والقراء بالحضرة (الحاشية) والخطباء وائمة الجوامع فى القاهرة والمشاهد بالقرافة . وفى الاحتفال بهذا العيد سنة ٥١٦ عملت اربعون صينية من أصناف الحلوى دخل فى صنعها السكر والعسل واللوز والدقيق . وصدر الأمر بخمسماية رطل حلوة تفرق على الأئمة والقراء والفقراء - وقبيل زوال ملكهم على يد صلاح الدين بنحو نصف قرن اى فى سنة ٥١٧ وزع الخليفة على المساكين بالأزهر وعمرو ، والقرافة ، خمسة قناطير من الحلوى كما وزعت دار الفطرة على الأعيان والمستخدمين مقادير معلومة - فاذا مافرقت الحلوى السالف ذكرها . ويبدأ توزيعها من اول النهار الى الظهر وصليت صلاة الظهر ، ركب المهنئون من القضاة وغيرهم من أرباب الدولة مخترقين شارع بين القصرين الى قصر الخلافة ، وقد كنس الطريق ورشت بالماء وفرش أمام دار الخليفة الرمل الأصفر . وترجل الجميع عن دوابهم قبل الوصول اليها بخطوات . ويجتمعون تحت المنظرة (الشرفة) ليتشرفوا برؤية الخليفة وبعد ساعة تفتح احدى الطاقات (النوافذ) ويطل منها الخليفة ولا يظهر منه الا وجهه وماعليه من منديل ثم يظهر أحد خواص الخليفة مخرجا راسه من طاقة أخرى ويده اليمنى ويشير بها قائلا : أمير المؤمنين يرد عليكم السلام ثم يستفتح القراء بالقراءة فاذا انتهت تقدم خطيب جامع الحاكم فخطب خطبة لاتفترق عن الخطب المألوفة فى بدايتها الى ان يصل الى ذكر النبى «ص» فيذكر الحاضرين بأن هذا هو يوم مولده ويذكر لهم مامن الله عليهم من صلة الاسلام ورسالته ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة ويتلوه خطيب جامع الأزهر ثم خطيب الجامع الأقمر فاذا انتهت خطابة الخطباء

اخرج الحاجب راسه ويده فى كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فينصرف الناس - ولقد رأى المسلمون فى هذا الموسم اخيرا أن خير مايأكل ويتهادى به هى الحلوى بأنواعها من فطائر وكعب وخبيصة ولوزنج وغيرها ولايبقى عظيم ولا صغير حتى يبتاع منها لأهله وتمتلىء أسواق مصر وأريافها من هذا الصنف . والحلوى وهى لذيذة الطعم رمز لما تشعر به نفوس المسلمين من اللذة الروحية التى تخالطهم يوم ذكر نبيهم الذى أضفى على العالم النور والهداية وعلى النفوس اللذة والاعزاز - وجاءت الدولة الأيوبية بعد سقوط الفاطمية ، وقبض صلاح الدين على « عمارة اليمنى » الذى كان لايزال يردد محاسن الفاطميين ويشيد بعبراتهم واحتفالاتهم فأعدمه مع سبعة آخرين كانوا يتآمرون ضد الدولة الجديدة . ثم شغلتهم الحروب الصليبية التى استشرى شرها فى بلاد الاسلام فكان للايوبيين من هذه النار المشتعلة أكبر شاغل عن الاحتفال بالمولد . وقد احسنوا صنعا بل كانوا ابر بالدين ونبيه طاعة وأقرب رحما . فصد الخطر عن حمى الدين لايعادله شىء من عمل الفاطميين ! . وفى عهد المماليك كان الاحتفال يقام بقلعة الجبل مقر الحكم فيجتمع القراء والمنشدون والمدعوون وتقام الولائم وتضاء الأنوار . وقد نقلوا عن التاريخ . أن الظاهر برقوق أنفق على الاحتفال بالمولد فى سنة ٧٨٥ ، عشرة آلاف مثقال من الذهب مابين خلع ونفقات الطعام والشراب وأجور المغنين والمنشدين وغيرهم . وكان للسلطان قايتباى ولع شديد بالأمور الدينية وهو الذى أقام على القبر النبوى بالمدينة تلك القبة العظيمة الخضراء التى خلدت له اسما عاطرا . فلم يكن من الغريب ان يكون اهتمامه بالمولد عظيما . وكان يعد سرادقا بلغت نفقات صنعه واقامته أكثر من ستة وثلاثين ألف دينار . ويصف ابن اياس هذه الخيمة لأنها كانت كهيئة قاعة فيها لواوين ثلاثة . وكان الاتراك كذلك يحتفلون بمولد النبى .. حتى نابليون الفرنسى حين جاء الى مصر وتظاهر بانه مسلم - احتفالا وغدرا - اخذ يتحبب الى الناس وينقل « الجبرتى » عما كان يعمل فى سبيل تثبيت حكمه ، وانه : لما قرب موعد الاحتفال بالمولد النبوى سأل نابليون عنه ، ولماذا لم يعملوه كعادتهم وقد اعتذر اليه الشيخ البكرى بتعطيل الأعمال وتوقف الاحوال ، فلم يقبل عذره ومنحهمماية ريال فرنسى معاونة وامر بتعليق القناديل والحبال والأنوار واجتمع الفرنسيون وقاموا باستعراض قواتهم وصدحت موسيقى الاحتلال الفرنسى فى المولد النبوى واطلقو الصواريخ .

وعمل كليبر أكثر مما عمل نابليون ، فقد أطلق المدافع والصواريخ ليلا ونادى بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلا واسراج القناديل والخلاصة أن مصر والبلاد الاسلامية على اختلاف أقطارها وأجناسها وحكامها تهتم بهذا المولد اهتماما عظيما اذ تعتقد أن فى هذا الاهتمام ارضاء لله وعنوانا على المحبة لرسوله . ومن الملاحظ فى هذه السنوات فى هذا العهد المبارك أن تلك الموالد لم تعد مقتصرة على الزينة والحلوى بل أصبحت مواسم للعلم والثقافة ومعارض للمصنوعات اذ نجد الكتب وأنواع السلع بجانب مواعظ القراء والعلماء وتلاوة القراء . وقد حد من أضرار الدجالين والمشعوذين والحواة . اذ أقصوا عن ساحة المولد الى مكان بعيد ، مما سيضطرهم الى البحث عن عمل شريف مفيد .

حديث قانوني

العقوبات الجديدة

للأستاذ محمد فاوى عمر

منذ عدة أسابيع نشر أحد السادة الصحفيين تحقيقا صحفيا عن مشروع قانون العقوبات الجديد المزمع اصداره . وقد جاء به أن هذا التشريع مقصود به أن يحل مكان التشريعات الجنائية القديمة التى جاء بها نابليون منذ قرن ونصف قرن .

كما جاء به أيضا أن لجنة وضع القانون قد وضعت نصب عينيها كل قوانين الجريمة فى العالم كله . فمن الناحية الفنية والعلم الجنائى كان رائد الباحثين القانون الايطالى والألمانى والسويسرى . ومن ناحية الأهداف والسياسة الجنائية التشريعية قوانين الدول الاشتراكية .. الاتحاد السوفيتى ويوغسلافيا والمجر .

ثم أفاض التحقيق فى ذكر التعليقات على ما تضمنه مشروع القانون من مثل عليا . وفى اعطاء أمثلة لبعض أحكامه وخاصة فيما يتعلق بالعامل الأخلاقى الذى يربط العلاقات بين الناس والمجتمع ومنها عدم اغاثة الجار او مساعدة المصاب .

وقد قرأت هذا التحقيق أكثر من مرة لعلى اصل الى اشارة واحدة الى الشريعة الاسلامية كمصدر ـ على الأقل ـ من مصادر هذا القانون . أو حتى على استشهاد بما احتوته أحكامها من مثل عليا تتميز بها عن سائر التقنينات الوضعية .

واذا كنت قد دهشت كثيرا لهذا الاهمال الكبير فى حق الشريعة الاسلامية . وهى التى اعترفت بقيمتها المحافل القانونية الدولية . بل وأخذت عنها بعض القوانين الغربية بعض أحكامها . فاننى قد انتظرت أن يتقدم واحد أو أكثر من فقهاء القانون فى مصر بما يرفع الغبن عن القانون الاسلامى . وينير أمامه السبيل ويفتح له العقول النيرة الواعية ليأخذ مكانه الطبيعى فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر .

فنحن فى عهد يسعى الى تطوير وتحسين كل شىء . وفتح المجال لكل ما هو أحسن ليستقر فى حياتنا . ورفع الحجب عن تراثنا القديم أيا كان نوعه ليعود هذاالتراث علينا بالخير والبركة .

ويظهر أن رجال القانون والفقه الاسلامى لم يرغبوا فى التعليق على هذا التحقيق الصحفى أو الدخول فى جدل معه أو فى مناقشة مع واصف القانون اكتفاء منهم بما تضمنته كتبهم من أمان عريضة فى أن يأتى اليوم الذى تنال فيه الشريعة الاسلامية مكانها الطبيعى كقانون معمول به فى هذه المنطقة الحيوية من العالم .

وما زلت أكرر القول فى أن هذا العهد هو أكرم عهد للعلم الصحيح والعلماء المجددين الباحثين . وليس من شك فى أن مجال وضع قانون العقوبات ومناقشة اسسه وبعض مبادئه على صفحات الصحف أمام القارىء العادى ، هو مجال كبير أيضا لتفتيح الاذهان للشريعة الاسلامية وتعريف الناس بها كقانون بسيط متجدد متطور .

والشريعة الاسلامية غنية بأحكامها غنية بتطبيقاتها العملية والعلمية . أحاطت بكل شىء فى كل ما يخص الحياة الاجتماعية والقانونية للدولة والفرد . فقد عالجت كل مشاكل الحياة بما يحق أن نعتبرها صالحة لكل زمان وكل مكان . ففى أحكامها ما هو محدد ملزم فيما لايمكن الخلاف فيه بسبب زمان أو مكان . ومنها ما تركه الله لولى الامر يقضى فيه بما يحقق مصلحة الناس والمجتمع وبما يحفظ دين الله . وكان ذلك رحمة من الله بعباده وتوسيعا عليهم حتى يكون قانونهم متطورا مع مستلزمات حياتهم . يسندهم ويأخذ بيدهم لما فيه منفعتهم وخيرهم .

والشريعة الاسلامية ـ كقانون ـ كانت دائما محل بحث فقهاء القانون الغربى . ولها مكان الصدارة فى كثير من كتبهم .. وكثير منهم اقر بفضلها وسعة مجلدها . وأذكر أن مؤتمر القانون المقارن الذى عقد بلاهاى فى أغسطس سنة ١٩٣٩ قد جاء بقراراته مايأتى :

١ ـ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع .

٢ ـ اعتبارها حية صالحة للتطور .

٣ ـ اعتبارها قائمة بذاتها غير مأخوذة من غيرها .

ما ذكر أيضا أن المؤتمر الدولى للقانون المقارن قد اعترف بأن الشريعة الاسلامية تلبى حاجات المجتمع ولها ثروتها القانونية الضخمة وذلك فى الجلسة التى عقدت يوم ٧ يوليو سنة ١٩٥١ فى باريس ان المؤتمرين وقد أبدوا الاهتمام بالمشاكل المثارة أثناء أسبوع القانون الاسلامى . وما جرى فى شأنها من مناقشات أوضحت بجلاء ما لمبادىء القانون الاسلامى من قيمة لا تقبل الجدال كما أوضحت أن تعدد المدارس والمذاهب داخل هذا النظام القانونى الكبيرة انما تدل على ثروة من النظريات القانونية والفن البديع وكل هذا يمكن هذا القانون من تلبية جميع الحاجيات العصرية . يبدون الرغبة فى أن يواصل الاسبوع أعماله كل سنة ويكلف مكتب الاسبوع بوضع لائحة بالموضوعات التى يجب ـ عقب المناقشات التى جرت خلال الاسبوع ـ أن تكون موضع البحث أثناء الدورة القادمة . ويرجون تأليف لجنة لوضع قاموس للقانون الاسلامى من شأنه أن يسهل الاقبال على تأليف القانون الاسلامى وأن يكون موسوعة للمعارف القانونية الاسلامية مرئية حسب الاساليب العصرية .

وان كان ضيق المجال يمنع من ان اذكر ان بعض المفرضين من المستشرقين قد حاول فى دهاء وخبث أن يوحى بأن القانون الرومانى أصل للشريعة الاسلامية . ويكفى للرد عليهم ما جاء بكتاب أصول القانون للدكتور السنهورى والدكتور حشمت أبو ستيت .

لم تسلك الشريعة الاسلامية فى نموها الطريق الذى سلكه الفقه الرومانى . فان هذا القانون بدأ عادات ونما وازدهر عن طريق الدعوى والاجراءات الشكلية . أما الشريعة الاسلامية فقد بدأت كتابا منزلا ووحيا من عند الله . ونمت وازدهرت من طريق القياس المنطقى والأحكام الموضوعية .. الا أن الفقهاء المسلمين امتازوا على فقهاء الرومان ، بل امتازوا على فقهاء العالم باستخلاصهم أصولا ومبادىء عامة من نوع اخر . وهى أصول استنباط الاحكام من مصادرها وهذا ماسموه بعلم أصول الفقه .

هذا ـ وقد جاء بكتاب مصادر الحق للدكتور السنهورى فى مقدمته ما يأتى :

وهذه هى الشريعة الاسلامية لو وطئت اكنافها وعبدت سبلها لكان لنا فى هذا التراث

الجليل ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنـا وفى قضـاتنا وفى تشريعنا • ثم لأشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد فنضىء به جانبا من جوانب الثقافة العالية فى القانون •

ثم نراه يعيب على الذين يقصرون بحثهم على تقريب الشريعة الاســلامية من القوانين الغربية حيث يقول :

ولا يعنينا أن يكون الفقه الاسلامى قريبـا من الفقه الغربى • فانه لا يـكسب الفقـه الاسلامى قوة • بل لعله يبتعد به عن جانب الجدة والابتداع وهو جانب للفقه الاســلامى فيه حظ عظيم •

واخيرا فان الشريعة الاسلامية أوسع نطاقا من الشرائع الوضعية وبخاصة فيما يرجع الى الفضائل والرذائل • فجميع الفضـائل مأمور بها فى الشريعة ــ فهى واجبــة ــ والرذائل جميعها منهى عنها ــ فهى محرمة وفى أحكام كل من النوعين المعنى الخلقى والتعبدى فلهـا قوتها وشمولها بخلاف التشريعات الوضعية ، فانها مع جفافها تنظر الى الفضائل والرذائل الا النظرة المادية المجردة •

كما تمتاز الاحكام الشرعية بوجود الرقابة الدنيوية للدولة والرقابة العليا للخالق العليم وهذا من أقوى العوامل عن اطاعة وتنفيـذ أحكامه فى السر والعلن . كمــا وأن الفقه الاسلامى بجميع أحكامه قد عاش قرونا طويلة متلاحقة . الامر الذى لم يظفر به ولا يقـرب منه أى تشريع فى العالم . وقد لاقى مختلف العادات والتقاليد وجميع البيئات . وعاصر الرخاء والشدة والحضارة والتخلف وواجـه الاحداث فى جميع هذه الاطوار فكانت له ثروة فقهية ضخمة لا مثيل لها وفيها يجد كـل مجتمع أيسر حل لمشاكله .

وليس أحب الى نفسى من أن اختتم كلمتى بقوله سبحانه وتعالى :

وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون •

حياة المقر الشهابى بن فضل الله

تحويل « نهر النيل الخالد » من مجراه القديم الى مجراه الجديد ، وصف مؤلف الموسوعة « لمجراه القديم » والممالك والمدن التى يمر بها

***

نشرنا فى العدد الصادر فى يوم الخميس بتاريخ أول صفر سنة ١٣٨٤ (١١ يونية سنة ١٩٦٤) من مجلـة « منبر الاسلام » الوصف الرائع الذى كتبـه الكاتب البليغ ، والمنشىء العظيم « ابن فضل الله العمـرى » لنهر النيل الخالد .

وللمناسبة التاريخية السـعيدة ، وتسجيل التاريخ لها فى صفحاته المضيئة ، بتحويل « مجراه القديم » الى الابد ، الى « مجراه الجديد » بتاريـخ يوم الخميس الثانى من المحرم عام ١٣٨٤ هـ (الموافق ١٤ من مايـو سنة ١٩٦٤ م) بحضور السادة الرؤساء : « جمـال عبد الناصر » رئيس الجمهورية العربية المتحـدة ، وسعادة الرئيس « نيكيتا خروشـوف » رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى ، والرئيس « احمد بن بيلا » رئيس جمهورية الجزائر ، والرئيس المشير الركن « عبد السلام محمد عارف » رئيس جمهورية العـراق ، والرئيس المشير « عبد الله السلال » رئيس جمهـورية اليمن ، بعد ان شقت الايدى المصرية الجبارة « طريقا جديدا » وسط صخور الجبل الصلدة

وعلى مرأى من السادة الرؤساء المذكورين ، انتهت « المرحلة الاولى » من بناء « السد العالى العظيـم » بقوة وعزم وبطولة العمالقة العاملين فيه ، وهم الذين بذلوا الجهد والعرق والطاقة من أجل اقامته ، ليكون بعد اتمامه « هرما رابعا » لتخليد اسم ـ بعد عمـر طويل ـ رائد العروبة ، وقائدها المظفـر ، صـانع الانتصارات ، ومحقق المعجزات « **جمال عبد النـاصر** » ذلكم البطل العظيم ، الذى عندما وقف يضـغط على « الزر الـكهربائى » لينسف الســد الامامى ، ويحـول « **مجرى النيل الخالد** » ، كان فى (نفس تلك اللحظـة الميمونة يملى على التاريخ ، سطورا جديدة فى صـفحاته

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية في الجغرافيا والتاريخ والأدب

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

الناصعة ، المستقبل الزاهى الزاهر السعيد ، لشعب الجمهورية العربية المتحدة ، الصاعد الى المجد ، وتوفير الرخاء والخير ، كلمته الخالدة وحكمته الرائعة :

« ليست هناك بقعة من الارض تصور المعركة العظيمة للانسان العربى المعاصر فى ابعادها الشاملة ، كهذا الموقع الذى نقف أمامه على سد أسوان العالى » .

ويقول ـ حفظه الله وابقاه ـ :

« السد العالى ليس تخزين المياه ، وتوسيع رقعة الارض ، ولكنه بالنسبة لنا معركة المصير » .

وقد قامت لهذه المناسبة السعيدة ، الاحتفالات التاريخية المجيدة ، بأيام « السد العالى » العظيمة ، حيث أطلقت فيها « الصواريخ النهارية » ، وشاهدها عشرات الالوف من ابناء الشعب ومهندسى وعمال « السد العالى » وأبناء أسوان ، والضيوف الوافدين من انحاء العالم ، الذين اتجهت أنظارهم فى هذا اليوم السعيد الى « **السد العالى** » لتسجيل انتصار العزيمة العربية الجبارة ، على كل من وقف فى سبيل أمانيها وآمالها ، فخرج المشروع الى حيز التنفيذ ، وأصبح حقيقة عملاقة باستكمال مرحلته الاولى ، وهى التى تم فيها « **تحويل مجرى النيل الخالد** » وانطلاق تيار النهر فى « **مجراه الجديد** » ليفيض بالخير والرخاء والرفاهية على ربوع جمهوريتنا الناهضة .

وفى ختام الاحتفالات بأيام « **السد العالى** » الخالدة تحدث السادة الرؤساء : عبد الناصر وخروشوف وعارف وابن بيلا فى الحفل الذى اقيم مساء يوم السبت ٤ محرم سنة ١٣٨٤ (الموافق ١٦ من مايو سنة ١٩٦٤) فى استاد أسوان الرياضى ، ووزعت فيه الاوسمة والميداليات على الذين شاركوا بجهد أكبر ، وكفاءة ممتازة فى تحقيق المعجزة .

ونظرا لتحويل « نهر النيل الخالد » من مجراه القديم الى مجراه الجديد فى هذا العصر الذهبى الزاهر ، تذكر ما كتبه « ابن فضل الله العمرى » فى موسوعته العظيمة « مسالك الابصار » منذ ستمائة وخمسين سنة تقريبا عن اصول هذا النهر العظيم ومنابعه « ومجراه القديم » والممالك والمدن والبلدان التى يمر بها فيقول :

« ونحن نذكر كيف هو فتقول ـ والله أعلم ـ :

ان النيل ينصب عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم ، كل خمسة أنهار من شعبة ، ثم تتبحر تلك العشرة أنهار فى بحيرتين : كل خمسة أنهار تبحر بحيرة بذاتها . ثم يخرج من البحيرة الشرقية منها بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قاقولى . ويمتد الى مدن هناك . ثم يصب فى البحر الهندى .

ثم يخرج من تلك البحيرتين ستة أنهار . من كل بحيرة ثلاثة انهار . ثم تجتمع تلك الستة الانهار فى بحيرة متشعبة .

حديثه عن وصول آخر سلاطين بنى عبد المؤمن الى منبع النيل :

حدثنى أقضى القضاة شرف الدين ابو الروح عيسى الزواوى ، أن الامير أبا دبوس ابن أبى العلى أبى دبوس ووالده آخر سلاطين بر العدوة من بنى عبد المؤمن ، حدثه أنه وصل الى هذه البحيرة فى أيام هربه من بنى عبد الحق ، ملوك بنى مرين القائمين الآن .

وصفه للبحيرة التى يخرج منها النيل :

رجعنا الى ذكر مجتمع تلك الانهار الستة فى تلك البحيرة ، وبعضهم يسميها : البطيحة فنقول :

وفى تلك البطيحة تفريسة جبل : يفرق بها الماء نصفين : يخرج النصف الواحد من غربى البحيرة . وهذا النصف هو المعروف بنيل السودان . ويستقل نهرا يسمى بحر الدمادم . يأخذ مغربا

كتب أستاذنا العالم البحاثة المحقق المدقق المرحوم **احمد زكى باشا** تعليقا على نيل السودان فقال : هو المعروف فى الجغرافية الحديثة بنهر النيجر ـ ما بين سمغرة وغانة ، على جنوبى سمغرة وشمالى غانة . ثم ينعطف هناك منه فرقة ترجع جنوبا الى غانة ، ثم تمر على « مدينة برنسة » ويأخذ تحت جبل (جنوبها خارج عن خط الاستواء الى « رقيلة » . ثم يتبحر فى بحيرة هناك . وتستمر الفرقة الثانية مغربة الى « بلاد مالى » و « التكرور » حتى تنصب فى البحر المحيط شمالى « مدينة قلبتو »

ويخرج النصف الاخر متشاملا آخذا على الشمال الى شرقى مدينة « جيمى » ، ثم يتشعب منه هناك شعبة تأخذ شرقا الى مدينة « سحرتة » ، ثم ترجع جنوبا ، ثم تعطف شرقا بجنوب الى مدينة « سحرتة » ، ثم الى مدينة « مركة » ، منتهيا فى العود هناك الى خط الاستواء ، حيث الطول هناك خمس وستون درجة . ويبحر بحيرة هناك .

مرور النيل فى بلاد السودان :

ويستمر عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقى مدينة « شيمى » متشاملا آخذا على أطراف « بلاد الحبش » ، ثم يتشامل الى « بلاد السودان » الى « دنقلة » ، حتى يرمى على « الجنادل » الى « أسوان » الى « قوص » ، منحدرا يشق « بلاد الصعيد » شقا ، حتى يقابل قرية تعرف « بدروة سربام » . وقد تعرف الان ـ (عصر ابن فضل الله العمرى) ـ « بدروة الشريف » : نسبة الى الشريف ابن ثعلب ، الثائر فى الايام الظاهرية الركنية بالصعيد ، لمقامه بها .

ـ كتب أستاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم « **أحمد زكى باشا** » تعليقا على هذه القرية فقال : « هى بهذا الضبط فى معجم البلدان لياقوت ، وتسمى الان :

« دروط الشريف » ؛ (أو بهاء قبل الراء) وهو تصحيف يجرى على السنة العامة واستفاض -

بحر يوسف بمصر :

ويتشعب منه فى غربيه شعبة تسمى «المنهى» تستقل نهرا يصل الى « الفيوم » يقال ان يوسف (عليه‌السلام) احتفره أيام توليه لأمور ملك مصر · وهو يعرف الى الآن - (عصر ابن فضل الله العمرى) - : « ببحر يوسف » وهو نهر لا ينقطع جريانه فى وقت من أوقات السنة ، بخلاف بقية ما يتشعب بالديار المصرية من « خلجان النيل » ، فيسقى « الفيوم » عامة سقيا دائما لا ينقطع ثم يبحر فاضل مائه فى بحيرة هناك

مشاهدة مؤلف الموسوعة فى بحر يوسف :

ومن العجيب - وهو مما رأيته بعينى - أنه ينقطع ماؤه من فوهته أو أن انقطاع المياه من « خلجان الديار المصرية » ، وينَدى دون فوهته ، ثم يكون له بلل دون المكان المندى ، ثم يجرى جريا ضعيفا دون مكان البلل ، ثم يستقل نهرا جاريا لا ينقطع الا بالسفن · ويتشعب منه أنهار ، وتنقسم قسما تعم « الفيوم » تسقى قراه ومزارعه وبساتينه وعامة أماكنه .

عمود النيل فى الصعيد :

ثم نعود الى ذكر « عمود النيل » الممتد ، فنقول :

انه من « دروه سربام » حيث يتشعب « المنهى » يستمر فى بقية الصعيد ، يشقه شقا الى « مدينة الفسطاط » ، (وهى التى يسميها الان « عصر ابن فضل الله العمرى » عامة مصر بمصر)

- كتب أستاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم **أحمد زكى باشا** تعليقا على هذه المدينة فيقول : «واسمها الان : مصر القديمة ، ومصر العتيقة - · حتى يتعداها . ثم يتفرق فرقتين : تأخذ احداهما على « دمياط » والاخرى على « رشيد » ، وعندهما انتهاء النيل، ويصب فى « البحر الشامى » .

ومن مبدء هبوطه من « أسوان » مارا فى الصعيد الى ان تصب فرقتاه فى « البحر الشامى » ، تقسم منه البحار والانهار ، وتتشعب منه الخلج والمساقى ، وتجرى فى زيادته ، وتنقطع فى نقصه .

عالم مغربى أقام بالسودان ٣٥ سنة وأخبر مؤلف الموسوعة عن أصل النيل · وحدثنى الشيخ الثبت سعيد الذكالى (وهو ممن أقام بمالى خمسا وثلاثين سنة ، مضطربا فى بلادها ، مجتمعا بأهلها) ، قال : « المستفيض ببلاد السودان أن النيل فى أصله ينحدر من جبال سود تبان على بعد كأن عليها الغمائم ، ثم يتفرق نهرين : يصب أحدهما فى البحر الى جهة بحر الظلمة الجنوبى، والاخر يصل الى مصر حتى يصب فى البحر الشامى » .

كتب أستاذنا العالم الباحث المحقق المدقق تعليقا على « **بحر الظلمة الجنوبى** » فيقول : « هو المعروف فى الجغرافية الحديثة : بنهر النيجر » .

توغل هذا العالم فى الاسفار لمعرفة منبع النيل :

قال الشيخ سعيد الذكالى · « ولقد توغلت فى أسفارى فى الجنوب مع النيل ، فرأيته متفرقا على سبعة أنهر ، تدخل فى صحراء منقطعة ، ثم تجتمع تلك الانهر السبعة، وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا مجتمعا ، كلا الرؤيتين فى بلاد السودان ، ولم أره لما أجتمع بالصحراء لاننا لم ندخلها ، اذ لم يكن بنا حاجة الى الدخول اليها » .

اختلاف الاقوال فى أصل النيل :

قال مؤلف الموسوعة ما نصه :

قلت والأقوال فى أول « مجرى النيل » كثيرة ، ذكر فيها المسعودى وغيره ما لا فائدة فيه ؛

والشائع على السنة الناس أن أحدا ما وقف على أوله - بالمشاهدة ، وجعل كل واحد منهم سببا لعدم الوقوف على حقيقة أوله .

فقال بعضهم : انه انتهى أناس وصعدوا الجبل فرأوا وراءه بحرا عجاجا ، ماؤه أسود كالليل ، يشقه نهير أبيض كالنهار ، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله ويتشعب على « قبة هرمس » المبنية هناك · وزعموا انه « هرمس الهرامسة » ، وهو المسمى : «بالمثلث بالحكمة» ويزعم انه « **ادريس عليه السلام** » ، بلغ ذلك الموضع وبنى به قبة . قالوا · وسمى بالمثلث : لاجتماع الثلاثة له : **النبوة والحكمة والملك .**

وقال بعضهم : ان أناسا صعدوا الجبل ، وبقى كلما تقدم منهم واحد ، ضحك وصفق بيديه وألقى روحه الى ما وراء الجبل ، فخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك فرجعوا .

وزعم بعضهم أن أولئك انما رأوا « حجر الباهت » ، فبقى كل من رآه منهم ، ضحك وتقدم والتصق به ، حتى مات .

وذكر صاحب الجغرافيا عن ارسطو فى خاصية هذا الحجر .

روايات عن بحث ملوك مصر الاقدمين عن أصل النيل :

وقال بعضهم : ان ملكا من ملوك مصر الاول جهز أناسا للوقوف على أوله ، فانتهوا الى جبال من نحاس ، لما طلعت عليها الشمس وانعكست عليهم أشعتها ، أحرقت غالبهم ، فرجع البقية

وقال بعضهم : انهم انتهوا الى جبال براقة لماعة كالبلور ، فلما انعكست عليهم أشعة الشمس الواقعة عليها ، أحرقتهم . وقال بعضهم - وهو الصحيح - والله أعلم · انه لتوغل منبعه فى الخراب المتقطع من وراء « خط الاستواء » تعذر السلوك اليه : لبعد المسافة وشدة الحر .

فان قال قائل : فما منع قدماء الملوك ، مع ولعهم بمعرفة أحوال البلاد وحقائق ما هى عليه ، أن يجهزوا من يقف على حقيقة أوله ؟ قلنا له : وأى فائدة تفى بركوب هذا المهلك فى أرض لا ينبت فيها نبات ولا يعيش حيوان ؛ ولا يعرف مقدار ما يستعد له المسافر ، ولا ما يستظهر به الظهر .

كتب أستاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم **احمد زكى باشا** تعليقا على قول مؤلف الموسوعة ، وهذا نصه :

مما يجب ذكره فى هذا المقام ان سلطان مصر الملك نجم الدين الايوبى كان يشتهى أن يعرف أصل النيل .. فرسم بشراء عبيد صغار زنوج وما شاكلهم ، جلبت لم يستعربوا ، وسلمهم لصيادى السمك والبحارة ، ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك ، وأن يكون قوتهم من السمك لا غير ، فاذا مهروا فى ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها ويأتوه بخبر النيل (انظر مطالع البدور فى منازل السرور ج ٢ ص ٧٤ ، ٧٥) والظاهر أن هذا المشروع لم يتم نظرا للاضطرابات التى كانت حاصلة فى مصر فى ذلك الوقت أولا بهجوم الصليبيين ، وثانيا بانقراض السلالة الايوبية .

رأى مؤلف الموسوعة فى ان هذه الاقوال مبنية على النظريات العلمية لا على المشاهدة :

وانما غالب ما يقال فى هذا - والله اعلم - مما أظهره نظر العلم لا نظر العيان ، والله من ورائهم محيط

(للترجمة بقية)

حديث السيف

قتال مسيلمة الكذاب

الأستاذ محمد فريج

مسيلمة :

مسيلمة الحنفى من بنى حنيفة باليمامة ، اسمه هارون بن حبيب ، وكنيته أبو تمامة ، ولقبه مسيلمة ، وفد مع زعماء بنى حنيفة على النبى وأسلم معهم ، ولكنه عاد وارتد عن الاسلام ، وادعى النبوة ، وأرسل مبعوثين الى النبى ومعهما كتاب يقول فيه ، ان جبريل نزل عليه وأخبره بأن الله قد قاسمه النبوة معه وشاطره الملك والسيادة فى الجزيرة العربية « من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فانى قد اشتركت فى الأمر معك ، وأن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون » . وسأل الرسول مبعوثيه حين قرىء كتابه « أتشهدان أنى رسول الله) » قالا « نعم » قال « أتشهدان أن مسيلمة رسول الله) » قالا « نعم ، اشترك معك فى الأمر » ، فقال الرسول « لولا أن الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما » ثم كتب الرسول كتابا يرد به على كتاب مسيلمة « من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، وقد أهلكت أهل الحجر أبادك الله ومن صوت معك » .

وكان مسيلمة يشجع قومه ، واحل لهم كثيرا من المفاسد كالخمر والزنا .

وكان رجلا صاحب ذكاء ودهاء فيه خبث ومكر وقدرة على الاحتيال .

يقول الجاحظ « كان مسيلمة قبل ادعاء النبوة يدور فى الأسواق التى بين دور العرب والعجم كسوق الابلة وسوق بقة وسوق الانبار وسوق الحيرة ، يلتمس تعلم الحيل .. ومن حيله انه صب على بيضة خل حاذق قاطع ، فلانت حتى اذا مددتها استطالت واستدقت كالعلق ، ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها حتى انضمت واستدارت وعادت كهيئتها الأولى فأخرجها الى قومه ، وهم قوم أعراب » .

نهار الرجال :

ولما استمر مسيلمة فى ضلاله بعث اليه النبى الكريم أحد وجوه بنى حنيفه من المسلمين وهو نهار الرجال بن عنفوة ، وكان ممن أسلم وتفقه وقرأ القرآن ، فأمره الرسول أن يأتى قومه فيفقههم فى الدين ويقرئهم القرآن ويعلمهم أهداف الاسلام ويشد أمر المسلمين ويقاوم دعوة مسيلمة .

واستطاع مسيلمة أن يخدعه ويضمه الى جانبه ، فتابعه وشهد له بالاشتراك فى الرسالة مع النبى ، فكان بذلك اعظم فتنة على الاسلام من مسيلمة نفسه ، اذ أن الناس فى اليمامة حينما رأوا فقيها من رجال محمد يشهد لمسيلمة أقبلوا عليه يؤمنون به رسولا من الله الى بنى حنيفة واستطاع بعلمه ودهائه أن يحرك عوامل العصبية عند عقلاء قومه فتعصبوا وهم يعلمون كذبه ..

حدث عمير بن طلحة النميرى عن أبيه انه جاء اليمامة فقال « أين مسيلمة » فقالوا مه ! رسول الله) » قال « لا ، حتى أراه » فلما جاءه قال « أنت مسيلمة) » قال « نعم » فقال : « من يأتيك) » قال « رحمن » قال « أفي نور أم فى ظلمة ؟ » قال « فى ظلمة » قال « أشهد انك كذاب وان محمدا صادق ولكن كذاب ربيعة خير من صادق مضر » . وروى ان نهار الرجال قال « كبشان انتطحا فأحبهما الينا كبشنا » .

ولقد قال أبو بكر الصديق فى حق أهل اليمامة « لن يزالوا عن كذابهم فى بلية الى يوم القيامة الى أن يعصمهم الله تعالى » .

وعندما توفى الرسول عظم أمر مسيلمة ، وانضمت اليه جموع كثيرة فلما استخلف ابو بكر وبعث الجيوش لمحاربة المرتدين بعث اليه بعكرمة بن أبى جهل ، ثم ألحق بشرحبيل بن حسنة .

هزيمة عكرمة :

وشاعت رغبة عكرمة ـ وهو بطل مجرب وفارس مغوار ـ ان يكون له وحده فخار النصر على مسيلمة ، فلم ينتظر شرحبيل وانما قاتل مسيلمة فهزمه مسيلمة وشتت شمل جموعه .

وعلم شرحبيل وهو فى طريقه اليه بالهزيمة فأقام بالطريق ووصله أمر من أبى بكر ان يقيم حيث هو حتى يجىء اليه خالد ، فان أبا بكر حينما بلغه نبأ الهزيمة أدرك أنها معركة خالد وحده ، وأنه لايوجد بين قواد العرب من ينازل مسيلمة ويقضى عليه وعلى دعوته غير خالد بن الوليد داهية الحرب وعبقريها .

معركة خالد :

وأصدر أبو بكر امره الى خالد ان يتوجه الى قتال مسيلمة .. قال شريك الفزارى « أمرنى (يقصد أبا بكر) بالسير الى خالد وكتب معى اليه بوصايا وفى آخرها « ان اظفرك الله بأهل اليمامة فاياك والابقاء عليهم ، اجهز على جريحهم ، وأطلق مدبرهم ، واحمل اسيرهم على السيف وهول فيهم القتل ، واحرقهم بالنار ، واياك أن تخالف أمرى والسلام عليك » .

فلما انتهى الكتاب الى خالد وقراه قال « سمعا وطاعة » .

وتحرك خالد على راس جيش كثيف من صناديد المسلمين من المهاجرين والانصار ، وعلى راس المهاجرين أبو حذيفة بن اليمان وزيد بن الخطاب وعلى رأس الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن مالك ، وكان على راس كل قبيلة زعيمها .

وقبل ان يلتقى خالد وشرحبيل كان هذا قد أراد أن يفوز بفخار النصر كما أراد من قبله عكرمة ، فاصطدم بلوائه مع قوات مسيلمة فهزمته ، وعنفه خالد على فعلته هذه .

اللقاء :

وعندما بلغ مسيلمة دنو خالد منه خرج فى اربعين الف مقاتل ، واتخذ له معسكرا فى عقرباء ، وكانت جيوش مسيلمة تؤمن به وتتفانى فى سبيله ، وجعل مسيلمة على جانبيه محكم الرجال وانهار الرجال ، وكان ابنه شرحبيل يثير حمية القوم فيمر بينهم ويخاطبهم « يابنى حنيفة .. اليوم يوم الغيرة ان هزمتم تستردف النساء سبيات ، وينكحن غير محظيات ، فقاتلوا على أحسابكم وامنعوا نساءكم » .

واقبل خالد بقواته ونزل على كثيب مشرف على أرض اليمامة فضرب به عسكره ، وصف جنده فى وجه مسيلمة ، وأعطى رايات الكتائب نفرا من قواده الأبطال ، فأعطى راية المهاجرين زيد بن الخطاب ، وأعطى راية الأنصار ثابت ابن قيس بن شماس ، وجعل على الميمنة أبا حذيفة عتبة بن ربيعة وعلى الميسرة شجاع بن وهب ، وعلى الخيل البراء بن مالك ، وبقى خالد مع شرحبيل فى المقدمة .

الحرب الباردة :

يعرف خالد ـ وهو قائد له مكانته ـ قيمة الروح المعنوية فى الجيوش ويقدرها حق قدرها ولهذا قرر أن يثير حربا باردة ضد عدوه يحطم بها معنوياته ويوهن بها عزيمته ويضعف قوته ويكسر شوكته ، فدعا رجلا من سادات أهل اليمامة يدعى عمير بن صالح اليشكرى ، وكان قد اسلم وكتم عن أهله اسلامه وكان

راسخ الايمان قوى العقيدة وقال له « تقدم الى قومك فاكسرهم » .

محاولة أولى :

فأتاهم عمير وقال لهم « يامعشر اهل اليمامة ، أظلكم خالد بالمهاجرين والأنصار ، تركب القوم يتتابعون الى فتح اليمامة ، وقد قضوا من أسد وغطفان ، وأنتم فى أكفهم ، وقولهم لا قوة الا بالله ، انى رأيت قوما ان غلبتموهم بالصبر غلبوكم بالنصر ، وان غلبتموهم بالعدد غلبوكم بالمدد ، ولست والقوم سواء ، الاسلام مقبل والشرك مدبر ،صاحبهم نبى وصاحبكم كذاب ، ومعهم السرور ومعكم الغرور ، فالآن والسيف في غمده ، والنبل فى جفيره ، قبل ان يسل السيف ويرمى السهم سرت اليكم مع القوم عشرا » .

محاولة ثانية :

واسندت العملية من جديد الى رجل آخر من أشراف بنى حنيفة هو ثمامة بن اثال الحنفى ، مشى فى قومه خطيبا « ياأهل اليمامة اسمعوا منى وأطيعوا أمرى ترشدوا انه لايجتمع نبيان لأمر واحد ، ان محمدا صلى الله عليه وسلم لانبى بعده ولا نبى مرسل معه .. لقد بعث اليكم رجل لايسمى باسمه ولاباسم ابيه يقال له « سيف الله » معه سيوف الله كثيرة فانظروا فى أمركم » .

محاولة ثالثة :

وبذل خالد محاولة ثالثة مع محكم بن طفيل الأنصارى ، ولكنها فشلت لتمسك محكم بعصبيته ، وكان خالد قد أوحى الى زياد بن لبيد بن بياضة الأنصارى وكان صديقا لمحكم « يا زياد لو ألقيت الى محكم شيئا لكسره فانه سيد أهل اليمامة فبعث اليه زياد بشعر طويل جاء فيه :

يا محكم بن طفيل قد أتيح لكم
لله در أبيكم حية الوادى
يا محكم بن طفيل أنكم نفر
كالشاة أسلمها الراعى لآساد
ما فى مسيلمة الكذاب من عو
ض من دار قوم واخوان وأولاد
فاكفف حنيفة يوما قبل نائحة
تنعى فوارس شاج شجدها باد
لا تأمنوا خالدا بالبرد متعجرا
تحت العجاجة مثل الاغضف العادى
ويل اليمامة ويلا لا فراق له
ان جالت الخيل فيها بالقنا الصادى
والله لا تنثنى عنكم أعنتها
حتى تكونوا كأهل الحجر أو عاد

أسر مجاعة :

وقبل ان يبدأ الالتحام التقى خالد بجماعة من بنى حنيفة فيهم مجاعة بن مرارة الحنفى من سادتهم فسألهم خالد عن رأيهم فى الاسلام فكان جوابهم « نقول منا نبى ومنكم نبى » ، فأمر خالد بقتلهم الا مجاعة فقد استبقاه كرهينة وقيده بالحديد وجعله فى قبته وجعل زوجه ليلى أم تميم على حراسته .

بدأ الاشتباك وصبر الفريقان فى النزال .

قال عكرمة بن ابى جهل يصف الاشتباك : « حملت بنو حنيفة أول مرة كانت لها الحملة وخالد على سريره حتى خلص اليه فجرد سيفه وجعل يسوق بنى حنيفة سوقا حتى ردهم وقتل منهم قتلى كثيرة ثم كرت بنو حنيفة حتى انتهوا الى فسطاط خالد فجعلوا يضربون الفسطاط بالسيوف وأرادوا قتل زوجه أم تميم فأجارها منهم مجاعة بن مرارة

وتراجع المسلمون وقتلوا فى ارتدادهم كثيرا من بنى حنيفة وكان أول الذين قتلوا نهار الرجال ، ولم يفقد خالد رباطة جأشه ،فصاح فى جنده صيحة غضب : امتازوا أيها الناس ، لنعلم بلاء كل حى ولنعلم من أين نؤتى ، واستجابت الجموع لصيحته ، وثارت عزة رجاله وحميتهم ، وسما ايمان بنفوسهم الى ما فوق مراتب الحياة ، وتجلى الاستشهاد ، أمامهم يفتح لهم ابواب الجنة .

ووقف ثابت بن قيس يقول « بئسما عودتم انفسكم يامعشر المسلمين ، اللهم انى أبرأ اليك مما يعبد هؤلاء (وأشار الى أهل اليمامة) وابرأ اليك مما يصنع هؤلاء (وأشار الى المسلمين) ثم اندفع يقاتل بشدة وقوة وايمان وهو يقول « هكذا عنى حتى أريكم الجلاد » وظل يقاتل حتى مات ورزق الشهادة .

وثار ايضا البراء بن مالك وقال« اين يامعشر المسلمين ؟ أنا البراء بن مالك .. هلموا الى »

وقال زيد بن الخطاب ، والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكلمه بحجتى ، غضوا ابصاريم وعضوا أضراسكم أيها الناس ، وأضربوا عدوكم وامضوا قدما واندفع يقاتل حتى قتل وصاح أبو حذيفة « يا أهل القرآن ‥ زينوا القرآن بالفعال » ثم ألقى بنفسه فى الميدان يقاتل حتى قتل ، وكذلك استشهد سالم مولى أبى حذيفة . فبعد أن قال « بئس حامل القرآن أنا ان لم أثبت » اندفع الى القتال حتى مات .

قتل مسيلمة :

كان رجال مسيلمة يقاتلون فى عنف ويتساقطون حوله ، لايبالون بالموت فى سبيله ورأى خالد أن هناك طريقا واحدا للنصر هو قتل مسيلمة ولهذا قال « لا أوتين من خلفى » ثم صاح صيحة الحرب « يامحمدا » واخذ يداور ويحاور حتى أصبح أمام مسيلمة ‥ وجعل يستدرجه ليخرج اليه ولكن ركب الجبن مسيلمة ، ولما حاول أن يخرج الى خالد كما خرج بعض رجاله جبن لأنه راى بعينيه مصرع من خرج منهم بسيف خالد .

وشد خالد برجاله عليه وعلى أصحابه واطلقوا سيوفهم تعمل فى رقابهم فتولاهم الذعر وصاحوا فى مسيلمة «أين ماكنت تعدنا» فأجابهم وهو يولى هاربا «قاتلوا عن أحسابكم» وفر رجال مسيلمة الى حديقة الرحمن وتحصنوا بداخلها وأسرع خالد فحاصرها ثم اقتحمها مع رجاله والتحموا بأعدائهم فيها ، ولمح وحشى الحبشى مسيلمة ، فهز حربة ودفعها فأصابته ، ثم جاء رجل من الأنصار وضربه بسيفه ، ولكن الثابت أن وحشى هو قاتله ، فان امرأة شهدت مصرعه قالت «قتله العبد الحبشى » ويقول وحشى « قتلت خير الناس وأنا على جاهليتى وشر الناس وأنا على الاسلام » .

ودخل خالد حديقة الرحمن ، وترك قومه يقتلون رجال مسيلمة ، حتى أطلق على الحديقة بالنسبة لكثرة القتلى بها حديقة الموت .

محاولة أخيرة :

جاء مجاعة الى خالد وقال له «والله ماجاءك الا سرعان الناس ، وان الحصون لمملوءة رجالا فهل لك الى الصلح على ماورائى ، فقبل خالد وصالحه على أن يحتفظ المسلمون بما غنموا الا نصف السبى ، واستأذن مجاعة ليشاور قومه ، وذهب الى النساء وقال لهن « ألبسن الحديد ثم أشرفن على الحصون » وفعلن ما أشار به ثم عاد الى خالد وقال له ان قومه أبو ماتم عليه الصلح فنزل خالد عن نصف السبى الذى تصالح عليه ولما فتحت الحصون لم يجد خالد بها سوى نساء وصبيان وشيوخ فنظر الى مجاعة غاضبا وقال «ويحك خدعتنى فقال له « هم قومى ولم أستطع الا ماصنعت» فأجاز خالد الصلح .

ووصل الى خالد أمر من أبى بكر ان يقتل كل قادر على القتال ولكنه كان قد صالح مجاعة فكتب الى أبى بكر بالصلح ، انى لم أصالحهم حتى قتل من كنت أقوى به ، وحتى عجف الكراع ونهك الخف ونهك المسلمون بالقتل والجراح .

وجاء بنى حنيفة جميعا الى المعسكر الاسلامى فبايعوا رجوعهم الى الاسلام، فأرسل خالد وفدا منهم الى أبى بكر بالمدينة ، فلما قدموا عليه قال لهم « ما هذا الذى استذل منكم ما استذل » ، قالوا « يا خليفة رسول الله قد كان الذى بلغك مما أصابنا ، وقد كان أمرا لم يبارك الله له ولا لعشيرته فيه » .

١ ــ الايمان :

الدروس المستفادة :

يؤكد المؤرخون أن مسيلمة كان يحيط به قوم يؤمنون به ويتفانون فى سبيله وأنهم اجتمعوا حوله لنصرته ولتدعيم دعوته بالنبوة أمام قوات خالد ، حتى أنهم ذكروا أن ابنه شرحبيل كان يثير الهمة فى نفوس رجاله ويزكى الايمان بين جوارحهم فى مخاطبته لهم « يا بنى حنيفة اليوم يوم الغيرة ، ان هزمتم تستردف النساء سبيان وينكحن غير محظيات ، فقاتلوا على أحسابكم وامنعوا نساءكم » .

ويبدو ايمانهم ايضا فى نداء وجهه عاقلهم محكم بن طفيل اليهم « يامعشر أهل اليمامة انكم تلقون قوما يبذلون أنفسهم دون صاحبهم فابذلوا أنفسكم دون أصحابكم » .

وهذا الايمان هو الذى جعلهم ينتصرون فى أول لقاء، حتى وصلوا الى الفسطاط الذى كان به مجاعة بن مرارة أسيرا تحت حراسة أم ليلى زوج خالد، وحتى تمكنوا من قتل كثيرين من حفظة القرآن، ولقد صور خالد بطولة أهل اليمامة وايمانهم العميق بقوله: شهدت عشرين زحفا فلم أر قوما اصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها وأثبت اقداما من بنى حنيفة يوم اليمامة».

وكذلك لايختلف اثنان فى الايمان العميق الراسخ الذى ملأ قلوب خالد وجنده فى قتالهم لمسيلمة الكذاب، الا ان الكثيرين يعللون سبب الهزيمة التى حلت بالمسلمين فى أول الأمر بوجود عدد كبير من الأعراب فى جيش خالد، وهؤلاء كانت نفوسهم ضعيفة وأرواحهم متخاذلة وايمانهم قليل ويقول ابو الجهم فيهم «اولئك الذين لحقوا بخالد من الضاحية هم الذين كانوا انهزموا بالمسلمين يوم اليمامة وكانوا على المسلمين بلاء»، ولقد ادرك القادة فى جيش خالد امر هؤلاء، وعرفوا انهم سبب الهزيمة، فأشاروا على خالد بتنحيتهم، وقال ثابت بن قيس لخالد «أخصلنا» فاستجاب خالد لهم وعزل الأعراب ودفع بالمهاجرين والأنصار وأبناء القبائل من ذوى الايمان العميق الى المعركة التى انهاها ايمانهم بالنصر المبين.

٢ ــ أهمية القائد فى المعركة :

لاشك فى أن وجود القائد فى المعركة له اثره فى سير هذه المعركة.. لقد نظر خالد فرأى جنود مسيلمة يتفانون فى قتالهم ويسقطون حوله لايبالون بالموت، فأيقن ان النصر لن يتم الا بقتله، فداور برجاله وشد على مسيلمة، وعلى من حوله، واعمل فيهم السيف، ثم شد شدة أخرى، وادرك مسيلمة أنه سائر بجيشه الى هزيمة ساحقة فنادى فى قومه «قاتلوا على أحسابكم» ثم فر من الميدان الى داخل الحصن حيث قتل، وبموته ضعفت روح رجاله المحاربين، وأدى هذا الضعف الى هزيمتهم والقضاء عليهم.

٣ ــ الشجاعة :

خالد بن الوليد قائد عربى سجل له التاريخ فى صفحات البطولة والمجد صفحات كثيرة عن شجاعته وجرأته وقوته فى الطعن والنزال.. فعندما اشتد القتال وحمى وطيسه صاح خالد فى المسلمين «دونكم فلا تقيلوهم».. فحملوا عليهم حملة صادقة حتى أدخلوهم حديقة الرحمن التى اطلق عليها اسم حديقة الموت بالنسبة لعدد القتلى من رجال مسيلمة

ولقد ذكرنا فى حديثنا عن القتال صور البطولات الاسلامية التى كانت مثلا للشجاعة الرائعة ودليلا على الجرأة فى القتال ولا عجب فى ذلك فالجند يتشبهون فى كل أعمالهم وتصرفاتهم بقادتهم، وخالد كان المثل والرائد

وأبرز مثل على ذلك بطولة البراء بن مالك الذى صاح فى المسلمين «يامعشر المسلمين القونى عليهم فى الحديقة»، فتردد المسلمون خوفا عليه، فلما أعاد صيحته احتملوه والقوه وقاتل على باب الحديقة حتى فتحه وانساب منه جيش خالد كالسيل الجارف محققا أعظم انتصار فى تاريخ العرب.

٤ ــ تفتيت قوة العدو :

حاول خالد أن يفتت قوة عدوه قبل أن يواجهه فى الميدان وكان يرمى الى كسر شوكته حتى تضعف قوته وتهن عزيمته وتحطم معنوياته.. ولهذا وجه خالد عمير بن صالح اليشكرى الى أهل اليمامة وقال له «تقدم الى قومك فاكسرهم» فذهب اليهم عمير وقال ضمن ما قاله «لستم والقوم سواء، الاسلام مقبل والشرك مدبر».

وبذل خالد محاولة أخرى فبعث اليهم ثمامة بن أثال الحنفى فقال لهم «بعث اليكم رجل لايسمى باسمه ولا باسم ابيه، يقال له سيف الله، معه سيوف الله كثيرة».

وحاول خالد أيضا كسر محكم بن طفيل، وقال لزياد بن لبيد مبعوثه اليه «يازياد لو القيت الى محكم شيئا تكسره به فانه سيد اهل اليمامة».

وهكذا استطاع الصديق ابو بكر القضاء على رأس الفتنة مسيلمة الكذاب بفضل قائده المحنك خالد بن الوليد، والنصر دائما للحق

«وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا».■

التعايش السلمى .. والإسلام

الدكتور عز الدين فودة

اعتنقت الجمهورية العربية المتحدة مبدأ التعايش السلمى فى العلاقات بين جميع الدول ذات الأنظمة السياسية والاجتماعية المتباينة ، كنتيجة طبيعية لموقفها المضاد لحرب الدعايات المذهبية « **الحرب البـاردة** » بين المعسكرين المتناهضين ، وبحكم ايمانها بتخفيف حـدة التوتر الدولى واشاعة السـلام • وهى كذلك بحكم أنها **دولة اشتراكية** ، تسعى الى تطبيق اشتراكيتها عن طريق تجربتهـا الخاصـة ، تعارض كل وسائل وأساليب التسلل الأجنبى واستيراد المذاهب أو الضغط عليهـا فى هذا السبيل • فنحن كدعامة للاشتراكية العلمية بوصفها الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم ، نؤمن بحتمية الحـل الاشتراكى لمشاكلنا وقضايانا الداخليـة ، ولكننا نؤمن فى الوقت نفسه أن الطريق للوصول الى بناء الاشتراكية يختلف من بلد الى آخر ومن مذهب الى مذهب ، ومن ثم فنحن اذ نعارض قبـول النظريات الجاهزة أو المستوردة والاسـتغناء بتجربة أى شعب عن تجربتنا الوطنية ، نؤمن بأن الضغط أو محاولة التدخل بقصـد فرض نظرية بعينها أو شكل بعينه من أشكال التطبيق وأسلوبه لبلد معين ، أو بالتالى محاولة الابقاء على الأوضاع الرجعية والرأسـمالية المنهارة وفرض نظام اجتمـاعى متخلف يتنـافى والاشتراكية ، لن تكون له غير نتائج ضـارة بالتقدم الاجتماعى الطبيعى للشعب العـربى والسلام فى العالم • **فنجاحنا فى اسـتكمال تجربتنا الوطنية وبنائنا الاشتراكى يرتبط أشد الارتباط باستقرار السلام فى العالم، واستبعاد كافة أشكال التوتر الدولى عن طريق أن تعود الشعوب نفسها على أشكال جديدة من التعاون الدولى والتعايش السلمى الايجابى •**

وفكرة التعايش السلمى فى حد ذاتهـا بسيطة ، تعنى أنه :

١ ــ من الممكن ، بل من الضرورى أن تعيش البلاد ذات الأنظمة السياسية والاجتماعيـة المختلفة جنبا الى جنب ، وأن تعمل مع بعضها فى أمن وسلام •

٢ ــ وأن لكل دولة الحق فى أن تختـار نظامها السياسى ووضعها الاجتماعى وأن تسير فى سياستها فى المستقبل طبقـا للخطة التى وضعتها لنفسها •

وبهذا المفهوم لا يعدو التعايش السلمى أن يكون تعبيرا عن حقيقة موجودة بالفعل فى المجتمع الدولى المعاصر ، وهو وجود تباين فى النظم السياسية والاجتماعية الحاضرة ، ولكنه تعبير أحوط من هذا وأعمق، تعبير عن تشجيع وجود مثل هذا التباين والاختلاف الذى هو مدعاة لملكة الخلق والابتكار • فما تدعو اليه نظرية التعايش السلمى هو الوحدة فى الاختلاف، وحل المشاكل الناجمة عن الاختلاف المذهبى فى اطار هذه الوحدة ، أو بالأحرى ألا تؤدى الى الحرب والخروج عن الحدود والمبادىء المنتهى اليها للتعايش السلمى •

ومن ثم يمكن القول بأن مفهوم التعايش السلمى لا يعنى لدينا مجرد التغاضى عن وجود خلاف بين الأنظمة والمذاهب المختلفة من بعضها تجاه الآخر ، أو بالأحرى مجرد الاعتراف بالأوضاع الراهنة • لأن التعايش لا يعنى بأية حال مجرد المحافظة على الموقف الدولى الحاضر، ولكنه على العكس يبدأ بالمحافظة على الوضع الدولى الحاضر وعدم تطوره الى ما هو اسوأ ، ثم يتطور عن طريق اعتراف كل دولة بالنظام الاجتماعى للأخرى وتفهم ظروفها بروح الود والتسامح وتقبل وجهة نظرها المخالفة ، الى العزم على العيش الى جانبها فى سلام والعمل المشترك معها فى طريق التعاون الدولى وحل المشكلات والقضايا المعقدة على أساس من المساواة والمبادىء الديمقراطية •

فالتعايش اذن ليس موقفا أو عملا سلبيا ينتظر معه القضاء على التناقضات الدولية دون حركة ايجابية • وهو بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة وغيرها من دول عدم الانحياز لا يعنى الوقوف موقف الحياد السلبى من الصراع بين الدول الكبرى، وانما يعنى الايمان بوجوب تعايشها من أجل الرفاهية العامة ويعنى الوساطة بينها من أجل قبول هذه المبادىء والعمل بمقتضاها لانهاء الحرب الباردة • ومن ثم أيضا فهو لا يعبر عن مرحلة انتقالية أو عقد اتفاق مؤقت بين الدول المعترفة به ، بحيث يمكن نقضه فى المستقبل ، ولكنه اتجاه أكثر ايجابية ونشاطا واستدامة فى العمل من اجل توفير قدر مشترك من التعاون والتقدم الاجتماعى بين دول العالم ، والرغبة فى احداث تطور سلمى فى العلاقات بينها دون اثارة المخاوف والأحقاد والاستفزازات العدوانية •• وهكذا ستكون النتيجة الطبيعية لقيام ازالة كثير من العقبات التى تقف فى طريق السلام والتعاون الدولى سواء فى العلاقات الداخلية للأمم أو بين بعضها وبعض •

وقد اختارت الجمهورية العربية المتحدة هذا المبدأ فى تسيير علاقاتها الخارجية ، بعد أن عكفت على دراسته وقتا طويلا أثر مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ • فقد انطوى اعلان باندونج الخارص بتوكيد السلام والتعاون العالميين على الأسس الضرورية اللازم انتهاجها فى العلاقات بين الأمم كى تعيش فى سلام •

واتخذ الاتحاد البرلمانى الدولى فى دورته المعقودة بهلسنكى فى أغسطس سنة ١٩٥٥، قرارا بتبنى مبادىء التعايش السلمى • ثم أعقب ذلك قبول عدد كبير من البلاد لهذا المبدأ فى خلال سنة ١٩٥٦ ، وهى أفغانستان وبورما وكمبوديا ومصر وأندونيسيا ولاوس ومنغوليا ونابال وبولندا والمملكة العربية السعودية والاتحاد السوفييتى وفيتنام الديمقراطية ويوغوسلافيا • ولعل أول اعلان عن قبول مصر لهذا المبدأ كان فى التصريح المشترك الذى أصدره كل من الرئيسين جمال عبد الناصر وتيتو فى ٦ يناير سنة ١٩٥٦ ، لدى زيارة الرئيس تيتو لمصر زيارة رسمية •

ومن الواضح أنه لا يوجد ثمة جديد بالنسبة لفكرة أو نظرية التعايش السلمى • فهى ليست بفلسفة غريبة على سائر الفلسفات والديانات المعروفة • وليس فى الأخذ بها كاحدى مبادىء سياستنا الخارجية ما هو غريب على تراثنا الفكرى والروحى • يقول الله تعالى فى كتابه الحكيم : « **لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى** » • ويقول : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » • ويقول جل شأنه « **ومن أحسن قولا ممن دعا**

الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

بل اننا فى حقيقة الأمر لا نجد ثمة فارقا أساسيا بين نظرية التعايش السلمى المعاصرة ونظرية الشافعية فى دار الصلح ، عندما استقرت العلاقات بين دار الاسلام ودار الحرب .

وقد عبرت الجمهورية العربية المتحدة عن تمسكها بهذا المبدأ فى علاقاتها مع جاراتها العربيات ، كحجر الزاوية فى سياستها الخارجية . ففى خطاب العودة من دمشق فى ٢٠ مارس ١٩٥٨ قال الرئيس عبد الناصر « لا نعتقد أن اية فكرة يمكن أن تفرض بالقوة او بالأساطيل أو تفرض بالاستعانة بدول أجنبية ، أو تفرض بالمؤامرات او بالأموال أو بأية وسيلة من الوسائل . قلت فى دمشق أن وسيلتنا هى المحبة والثقة ، اشاعة الطمأنينة والمحبة والثقة للأمة العربية .. اننا لا نطالب الا بحقنا .. بأن نعيش وبأن يكون هناك تعايش سلمى بيننا وبين الجميع » .

كما عبر عن وجهة النظر الايجابية للبلاد غير المنحازة فى التعايش السلمى فى خطابه بالامم المتحدة حيث قال : « اننا - الدول غير المنحازة - نقدر على الدعوة من أجل السلام ، ونقدر على أن نصل الأطراف المتباعدة وصولا الى التعايش السلمى بين الدول ذات العقائد الاجتماعية المختلفة ، ونقدر على المساهمة فى خلق الجو الذى يساعد على تخفيف حدة التوتر ويشيع الطمأنينة » . ومن ثم نجد أن مبدأ التعايش السلمى يتمشى مع روح الاسلام ، ونظام الحضارات المختلفة المعاصرة ، وأنه ليس مستحيلا أن تعيش البشرية فى أمان وان اختلفت مذاهبها ..

دراسات فى التاريخ الإسلامى

رأينا - فى المقال السابق - ما فعله خالد ابن الوليد بأهل أليس بعد أن انتصر عليهم، وكيف كان وفاؤه بنذره « لئن منحه الله أكتافهم ليجرين نهرهم بدمائهم » حتى ليسرف بعض المؤرخين فيقول انه قتل منهم سبعين ألفا ، ثم نهض الى أمغيشيا فهدمها وخربها وكانت مصرا كالحيرة وكانت أليس من مسالحها .

يقف بعض المؤرخين من حوادث أليس وأمغيشيا يبدون الأسف أن تقع مثل هذه الفعال الوحشية من قائد عبقرى مثل خالد ويود المؤرخون المسلمون منهم لو أن ما روى عنها كان غير صحيح ، وان رجحوا صحته لتضافر رواة المسلمين على ذكره ، ويتخذ منه بعض المستشرقين المتعصبين ضد الاسلام دليلا على ما يريدون قوله من أن الاسلام دين دموى يقوم على حد السيف . ولا يهمنا هنا أن نقف عند ترجيح ما روى عن هذا الفعل من خالد أو عدم ترجيحه ، ولكنا نقف موقف السخرية والابتسام من نعتهم هذه الفعال بالوحشية ، لا انكارا لهذا النعت أو استنكارا له ، وانما لأننا نرى الحرب كلها وحشية ، وهى مع ذلك مسوغة فى نظر

الفتوح الاسلامية فى عهد أبى بكر
خالد بن الوليد فى العراق .

الأستاذ احمد ابراهيم الشريف

كل الأمم المتحضرة ، واذا كان المستشرقون يصفون الاسلام بالدموية لأن بعض قواده قاموا بهذا العمل ، فكيف يصفون المسيحية التى دعت فى جوهرها الى الاخاء والرحمة وحب الأعداء كحب الأصدقاء ، وهم يرون مقدار ما فعله قواد مسيحيون فى حروب شنت باسم المسيح وما قتل أكثر من هذا العدد من الآمنين من الرجال والنساء والصبيان والشيوخ يوم فتح الصليبيون — وهم يحملون شارة الصليب — بمنكور ، وأقرب مثل نضربه على ويلات الحرب ووحشيتها ما قام به الحلفاء فى الحرب العالمية الأخيرة من ضرب مدينتين من مدن اليابان بالقنابل الذرية فقتلوا أهلهما جميعا بما يزيد عن نصف مليون نسمة ، وقد قام بهذا الضرب رجال مسيحيون وبأمر قيادة مسيحية ، ومع ذلك برر الحلفاء عملهم هذا بأنه ضرورة حربية وأن قتل نصف مليون خير من قتل ثلاثة ملايين من الجنود كانوا سيدفعون حياتهم فى العمليات الحربية لو استطال القتال فهم بعملهم هذا يبغون تحطيم روح العدو المعنوية حتى يكف عن القتال فتنتهى الحرب • ويقبل المؤرخون هذا التبرير بل ويعدونه عملا حكيما صائبا من قيادة الحلفاء ، ويرون أن الالتجاء الى الحرب — وهى عمل وحشى — وارتكاب هذا العمل الفظيع أمر تسوغه قضية عادلة • اذا كانوا يرون هذا عملا له مبرراته السليمة فى حروب تقع للغلب مجرد الغلب والاستعمار بما عرف عنه من آثار سيئة بغيضة على الأمم التى وقعت تحت نيره، فاعتبار بعض هذا العمل أمام قضية تحرير الانسانية من أوهامها وأباطيلها وتحرير الشعوب من الظلم والعسف وسوء الحكم وتحكم الملوك والحكام ورجال الدين فى حياتها المادية والروحية والفكرية عملا وحشيا كلام يثير السخرية والضحك حقا • واذا كان خالد قد قام بهذا العمل ليحطم روح العدو المعنوية وليقصر من أجل الحرب فيخفف من ويلاتها ، فلا يصح الا أن يعتبره المؤرخون عملا ينطوى على الحكمة بل وعلى الرحمة قياسا على ما رضوا به من تبرير لأمثال هذا العمل وما هو أفظع منه آلاف المرات ، ولكنها الأحقاد والتهجم لا غير •

وحسبك أن تعلم أن انتصار خالد وفعاله قد حطمت الروح المعنوية فعلا فى قلوب الفرس ومن والاهم من العرب ، فانكمشوا ولم يفكر أحد منهم فى الثأر بعد أليس ، كما أرادوا من قبل أن يثأروا للمذار وللحفير •

ولقد بلغت هزائم الفرس من نفس كسرى اردشير فلم يطق أن يقاوم المرض الذى ألم به فمات غما وكمدا ، ولم يفكر أحد رجاله من بعده — ولمدة طويلة — أن يوجه جيشا آخر لقتال خالد ، بل تشاغل الفرس بموت ملكهم وتشتت العرب الموالون لهم فى البادية وفى جزيرة ما بين النهرين ، وانقطع كل نبأ عن التهيؤ للحرب أو العمل على اجلاء المسلمين عن البلاد •

فتح الحيرة :

لم يكن خالد بالقائد الذى يبطره النصر ، أو يلهيه سكوت العدو عن التفكير فيما يطويه الغد فى ضميره ، فقبائل العرب فى العراق هى التى حرضت الفرس على القتال فى أليس ••

وهذه القبائل ان سكنت اليوم فانما لتغدر فى غد ، فان لم يقض خالد على كل أمل لهـــا فى الثورة أو فى الغدر ، وان لم يؤمن كل طريق يؤدى الى شبه الجزيرة العربية ، تعرض هو ورجاله الى المكروه ، وعنـد ذلك لا يلومن الا نفسه ، وخالد قائد عبقرى محنك لم يفتــه الحساب لكل صغيرة وكبيــرة فى يوم من الأيام • لهذا حسب للموقف حسابه ، وكان أيسر هذا الحساب عنده أن يحتل الحيــرة عاصمة العرب ، وأن يضع يده على منازلهم غرب الفرات الى حدود شبه الجزيرة •

وكانت الحيرة عاصمة العراق العربى ومقر حكم اللخميين ، قد تقلص سلطانهـــا فى ذلك العهد بعد أن كانت قبل خمس وعشرين سنة قوية الجانب مسموعة الـــكلمة ، ذلك أن اللخميين الذين أنشأوا الملك فى الحيرة منذ القرن الثانى للمسيح وقاموا على حكمها قرونا متوالية ، اختلفوا مع الطائيين اختلافا أدى الى نشوب الحرب بينهم ، وكان الفرس قد غيروا سياستهم نحو المناذرة (اللخميين) بعد أن قدم لهم هؤلاء أجل الخدمات فى قتالهم ضد الروم حتى استنفدوا طاقتهـــم ، فلما وقع الخلاف بينهم وبين الطائيين انتهز كسرى هذه الفرصة فنصر الطائيين على النعمان بن المنذر ملك الحيرة ثم قبض عليه فحبسه وقتلــه ، وأقام اياس بن قبيضة الطائى حاكما للحيرة وما يقع فى سلطانها بعد أن حولها كسرى الى ولاية تابعة للفرس تبعية كاملة • وبعد سنوات من ولاية اياس هزم بنو بكر بن وائل جيشا من الفرس يؤيده أنصار اياس فى موقعة ذى قار ، فأطاحت هذه الهزيمـــة بحكم اياس وطوعت لكسرى أن يقيم من لدنه مرزبانا من لدنه حاكما للحيرة • وبذلك زال نفوذ الحيرة وانحل سلطانها ، لكن مكانتها لم تزل من نفوس العرب فظلوا مع ذلك يرمقونها بعطفهم وينالونها برعايتهم • ولهذا خشى خالد حين رأى حقد القبائل العربية فى العراق عليه ، أن يتضافر بنو بكر بن وائل مع الطائيين وسائر العرب المقيمين بالحيرة وفيما حولها على مقاومته أو قطع الطريق عليه ، فعـزم على مهاجمتهـــا والاستيلاء عليها واتخاذها مقرا لقيادته وقاعدة لنشاطه •

وكان حاكم الحيرة فى ذلك الوقت مرزبانا فارسيا يسمى آزاذبه ، ولم يكن هو وأهـل الحيرة يشكون فى مقدم خالد عليهم وحصاره اياهم بعد أن استفاضت أخبار أليس وأمغيشيا وانتصار المسلمين عندهما وفعال خالد فيهما ، وقدر آزاذبه أن خالدا سيركب النهر اليــه متخذا من سفن أمغيشيا مطيته ، لذلك نهض فى عسكره الى خارج الحيرة ، وأمر ابنه أن يسد قناطر الفرات ليمنع مسيل الماء فيمـــا وراءها وليعوق بذلك سير السفن اليه •

ولم يخطىء آزاذبه فى تقديره ، فقد ركب خالد وجيشه سفن أمغيشيا واندفعوا بهـــا شمالا الى ناحية الحيرة ، وما راعهم الا السفن تجنح وترتطم بقاع النهر ، وسأل خالد الملاحين عن السبب فعلم منهم أن أهل فارس ســدوا القناطر .وحولوا الماء فلم يبق منه بالنهر مـا يحمل السفن • لذلك خرج خالـــد بفرقة من فرسانه ففاجأ ابن آزاذبه ورجـــاله وهم فى مأمنهم فقتلهم ، وأعاد الماء يجرى فى النهـر وأقام مع فرسانه يحرسه ، وعادت السفن الى المسير وحملت الى خالد جيشه فسار به الى قصر الخورنق حيث اتخذه مركزا لقيادته يعد منه عدته لفتح الحيرة •

وضع خالد يده على قصرى الخورنق والنجف وكانا مصيف أمراء الحيرة ، على حين عسكر جيشه أمام أسوار المدينة .أما آزاذبه فقد فرر هاربا من غير قتال متأثرا بما أصاب ابنه وبما أصاب فارس من اضطراب بعد موت أردشير • لكن أهل الحيرة لم يتأثروا بفرار آزاذبه ، وانما تحصنوا بقلاع المدينة الأربعة وبأسوارها، واتخذوا للدفاع عنها عـدته بما استطاعوا وقدروا عليه من عدة وسلاح •

لكن ماذا يجدى السلاح والحصـــون أمام عبقـرية خالد أمام استماتة المسلمين وتصميمهم على النصر مهما عز مناله، فلقد أثار الخورنق وأثار مرأى الحيرة خيال المسلمين وبعثا فيهم ذكرى النعمان الأكبر وذكرى قصره العظيم وما قيل من الشـعر فيه والحديث

بعظمته ، فزادهم ذلك قوة على قوتهم وعزما على عزمهم ، وهم قوم يطلبون دائمـا احـدى الحسنيين فاما شهادة ينالون بها جنات ربهم ورضاه عليهم وحسن الذكر من بعدهم ، واما نصر ينالون به جنات الدنيا وعزها وفخرها • وهم فوق ذلك كما قال عنهم خالد « يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة » •

ولقد أبى اهل الحيرة أن يسلموا وألحوا فى ابائهم ، فوزع خالد قواته على حصـون الحيرة وأبوابها يحاصرونها ، وعهد اليهـم أن يبدءوا عداءهم بالدعوة الى التسليم فـان أجابوا اليه قبلوه منهم ، وأن أصروا أجلوهم يوما ثم قاتلوهم وقتلوهم • ودعـا قـواد المسلمين اهل الحيرة الى واحدة من ثلاث : الاسلام، أو الجزية، أو المنابذة . وختار زعماء القوم المنابذة ، واقتحم المسـلمون الحيرة وفضوا الدور على أهلها وأكثروا القتل فيهم • وكان بأديار الحيرة عدد عظيم من القسيسين والرهبان ما لبثوا حين رأوا المذبحة أن نادوا « يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم » ورأى أهل القصور المقاومة عبثا فنادوا « يا معشر العرب ! قد قبلنا واحدة من ثلاث ، فكفوا عنا حتى تبلغونا خالدا » •

وخرج مندوبو كل قصر الى قواد المسلمين فأرسلوهم الى خالد بينما أقاموهم على مواقفهم• وخلا خالد بأهل كل قصر دون الآخر ، وقال لهم : « ويحكم ! أأنتم عرب ، فما تنقمون من العرب ؟ أو عجم فما تنقمون من الانصـاف والعدل ؟ » وكان جوابهم « بل عرب عـاربة وأخرى متعربة » • قال خالد : « لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا » • وأجابوا : « ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان الا العربية » • قال خالد : « فاختاروا واحدة من ثلاث : أن تدخلوا فى دينا فلكم ما لنـا وعليكم ما علينا ، ان نهضتم وهاجرتم وان أقمتم فى دياركم • أو الجزية • أو المنابذة والمناجزة • فقد والله اتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة » • وأجابوا « بل نعطيك الجزية » •

وعجب خالد منهم لالحاحهم على نصرانيتهم، وقال لهم : « تبا لكم ! ويحكم ! ان الكفر فلاة مضلة ، فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان أحدهما عربى فتركه واستدل الأعجمى » • لكن هذا الكلام من خالد لم يغيـر من اصرار القوم على دينهم ، ولعلهم فعلـوا ذلك متأثرة نفوسهم باعتبار الكرامة الانسانية التى تحول بين المرء والرجوع عن عقيدة يؤمن بها لأنه غلب على أمره ، ولعله كان يرجع عن معتقده فى ظروف أخرى يحس فيها أنه غير مضـغوط عليه أو غير خائف أن يقال عنه انه غير عقيدته خشية القوة أو تملقا لها • ولعلهم كذلك كانوا متأثرين بأن المسلمين فى أول أمرهم بالعراق وليس يدرى أحد أيطمئن لهم الأمـر فيه أم تجليهم الحوادث عنه •

وصالح خالد القوم على أن يدفعوا للمسلمين كل سنة تسعين ومائة ألف درهم وكتب بينه وبين نقبائهم الذين اختاروهم كتابا عاهدهم فيه - برضا أهل الحيرة وأمرهم - على هذه الجزية يدفعونها كل سنة على أن يتولى المسـلمون حمايتهم ومنعهم من عدوهم ، فان لم يمنعوهم فلا جزية عليهم • أما ان غدروا بفعل أو بقول فذمة المسلمين منهم بريئة •

وأهدى القوم الى خالد هدايا بعث بها وبنبأ الفتح والمعاهدة الى أبى بكر بالمدينة ، فأجاز الخليفة المعاهدة وقبل الهدايا ولكنه احتسبها من الجزية وكتب بذلك الى خالد •

ولما تم لخالد فتح الحيرة صلى برجاله صلاة الفتح ثمانى ركعات لم يسلم فيهن فلما أتمهن التفت الى رجاله يقول : « لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع فى يدى تسعة أسياف ، وما لقيت قوما كمن لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس قوما كأهل أليس » •

وأقام خالد بالحيرة وجعلها مركز قيادته ، فكانت بذلك اول عاصمة اسـلامية خارج الجزيرة العربية ، ولكنه ترك أمر ادارتهـا للزعماء من أبنائها ، لذلك استقرت أمورها ونشر هؤلاء جوا من السكينة حوله فأخذ يرتب لاستقرار الأمر فى العراق ولتتمة فتحه ، وهو ما سنتناوله فى مقالنا اللاحق ان شاء الله •

من ذخائر المكتبة الإسلامية

وسطية الإسلام

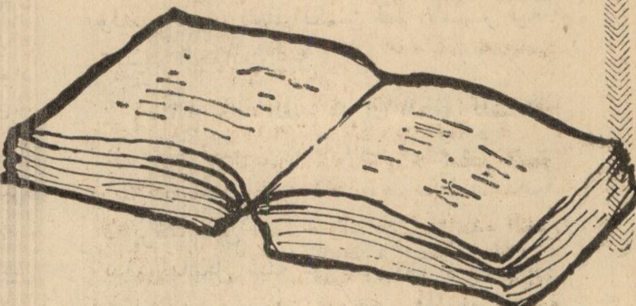

عرض وتلخيص

الأستاذ محمد يحي الدين سالم

الاسلام دين الفطرة والمساواة والعدل ، جاءت شريعته سمحة ينهل منها كل من اراد ان يضع ضوءا فى طريق البشرية ، أو اراد ان يحكم العقل كيما يصل الى كنه هذه الحياة وموجوداتها ؛ بل المعانى السامية التى جاء بها الاسلام فأصبحت دستورا قديما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

مع استاذنا فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى نعيش كتابه « وسطية الاسلام » حيث بدأه بما يدور فى خلده ككاتب مسلم عن معنى آية من آيات قرآننا الكريم :

« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » درسها دراسة واعية هدفها معنى هذه الوسطية اى عدالة ماجاء به الاسلام من احكام ومبادىء ومثل فايمان المسلمين فى أن أحكامهم هى الاحكام الصالحة للحياة وبأن عقائدهم ومبادئهم ومثلهم هى ميزان التعديل ومنهج الحكم وعناصر الشهادة الصادقة المطابقة للمصلحة ، هو أيضا واجب عينى على كل فرد فى الامة الاسلامية بحكم القرآن .

ولهذا بين مؤلفنا للناس أن احكام الاسلام ومناهجه ومثله هى مقاييس العدل وموازين الحق ومعايير الفضيلة وأنها فى الوقت نفسه سبل السعادة والامن والرضى .

ولنقف عند هذا الحد لنجد مؤلفنا وقد مهد لنا الطريق عندما شرح لنا اسلوب البحث بقوله :

« ان القضايا التى تبحث فى ظلال التحمس تتعرض عادة لشك القارىء ، وربما لاساءة الظن بالباحث » .

« لذلك سيجد القراء أننا تحقيقا لهذا الانصاف المنشود افصحنا عما يراود الافكار من شبه . ومايلابس كثيرا من القضايا من شكوك فقررناها واضحة كما نعرفها فى اذهان اصحابها ، ثم نظرنا فيها فان ذلك مصارحة ومكاشفة وهما اجدر أن يوصلا الى التفاهم الصحيح المستقر لا الى مجرد التقبل الظاهرى والاذعان الجدلى » .

ولعلنا نتساءل عن معنى الوسط ..؟

فهو لغة اسم لما بين طرفى الشىء .. « وان اوسط الشىء افضله وخياره » .

ومن الحديث .. « خيار الامور اوسطها » .

وقد مدح الله تعالى التوسط فى مواضع كثيرة من كتابه مثل قوله :

« والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » . « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » لذا كان وصف الله سبحانه وتعالى لامة محمد - صلى الله عليه وسلم - بأنها امة وسط .. تلك كانت لفتة من المؤلف تبين لنا قصد السبيل من دراسته لمعنى الوسطية فى الاسلام .

مظاهر الوسطية :

اقتضت حكمة الله تعالى ان يخلق الانسان مركبا من روح وجسم حتى يكون صالحا للماديات والمعنويات معا ، ولم يجعله كالملائكة روحانيا صرفا لانه عمارة هذا الكوكب الذى نعيش فيه تقتضى هذا اللون من الخلق المزدوج الطبيعة .

لذلك خلق الانسان - بهده الحكمة - على هذا النحو الجامع بين المادية والروحية فكان لابد له بالاعتراف بحقوق فطرته وميوله وعواطفه . فالفطرة تأبى ماينافيها وهى الباقية فى الانسان الراسخة فيه ، وكل ما سواها فهو طارىء عليها متأثر بها لا يستطيع ان يزيلها ، ولا يقوى على أن يحيلها .

ولقد قامت الشريعة الاسلامية على رعاية هذه الفطرة فى كل ماجاءت من أحكام سواء فى جانب العقيدة أو فى جانب المناهج ، والشرع العملية والخلقية ورسوم العبادات

وهذا الروح الذى يسيطر على جميع الاحكام هو الوسطية اى الاعتدال والتوسط بين الاطراف وهو الـذى يلائم الطبيعة المزدوجة للانسان • ولذلك وصف الاسلام بأنـه دين الفطـرة تعبيـرا عن هذا المعنى واخذا من قولـه تعالى :

« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » •

ومن تامل فى اى حكم من احكام الشريعة استطاع ان يجد فيه هذا الروح ، وأن يرده الى هذا الاصل •

ولقد ضرب مؤلفنـا امثلة تدل على بساطة العقيدة ويسر التكليف منها : أن العقيدة الاسلامية فى الله جـل جلاله ، قائمة على وصفه تعالى بكل جميل ، وتنزيهه عن عن كل قبيح ، وقد امرنا بأن نفكر فى آثار الله ولم نؤمر - بل نهينا - أن نفكر فى ذاته - لأن آثار الله فى الخلق والايجاد والتصرف واضـحة يمكن أن نراها بعقولنا كما نراها بعيوننا •

يقول الله عز وجل فى حض العبـاد على التفكر فى خلقه وآثاره ، وماله من تصريف وتدبير •

«ان فى خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »

ومن ذلك ايضا التوسـط بين الزاعمين بأن الانسان مجبور ظاهرا وباطنا والزاعمين بأنه خالق لكل فعل من أفعال نفسه دون دخل الله •

وفى القرآن آيات يستدل بها هؤلاء وآيات يستدل بها هؤلاء ، والنقـاش والجدال بينهما طويل ولكن المتأمل المنصف الخالى من التعصب يستطيع ان يعلم الحـق وأن يراه واضحا فى كتاب الله •

وكما يقال هـذا فى العقائد الاسلامية يقال فى العبادات التى كلفنـا الله اياها ، والمعاملات التى رسم لنا طريق السلوك فيها •

فالصـلاة انقطاع عن المادة واتصال بالروح الاعلى ، ولكن فى أوقات مناسبة محصورة بحيث لا ينخلع الانسان من حياته وأعماله ونشاطه ، ولا ينخرط فيها انخراطا كليا فتظلم نفسـه ويتبلد حسه ، والصوم ليس حرمانا كاملا بالليـل والنهار ، أو قصرا على بعض المبـاحات دون بعض ، وانما هو حـرمان وقتى لساعات محدودة لك بعدها أن تتناول كل ماتريد من المباح ، وأن تلابس ماأحل الله لك فيجتمـع لك من هذا وذاك تربية الروح وتلبية الجسم ، وقل هذا فى العبادات الاخرى •

وهناك آيات كثيرة تـدل دلالة واضـحة على معنى الوسطية كقوله تعالى :

« يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكـلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين • قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قـل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيـامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون »

فهاتان الآيتان الكريمتان جاءتا على مبدأ الوسطية ، فهما تقرران حق الانسان فى الأكـل والشرب واللباس والزينة والطيبـات من الرزق على حسب النـاموس الذى يستقيم عليه شـأنه فردا وجماعة ، والذى يؤدى به حظ الجسم والروح معـا وهما فى الوقت نفسـه توحيان ببعض القواعد والاصـول التى تؤدى الى تيسير الحياة على الناس • والى ترقية المستوى البشرى فى الجانب الروحى •

هـذا هو منهج الاسلام فى اللباس والزينة والطعام والشراب والطيبات من الرزق عامة ، لا تحريم لما أخرج الله لعباده ، ولا اسراف ، ولا التماس لغير الطيبـات ولا تحرج من تطلب المتـاع الحسن بوجوهه المشروعة ، ولا باس بالتنـافس فى سـبيل التقـدم والـرقى تنافسا شريفـا من شانه ان يرفع مستوى البشر ، ويحقق الى جانب ذلك سـموهم الروحى وكمالهـم الخلقى

كذلك من الاصول المقررة فى الشريعة الاسلامية تلك القاعدة التى تضمنها قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء مانوى» وهى قاعدة ذات أثر فعال فى التوجيه والتربية ، وفيهـا نفـع عظيم للمجتمـع ، ويرتبط بهـا الحكم الشرعى فى الجمهرة العظمى من أفعال المكلفين ، وبيان ذلك يرجع الى مايأتى :

القرآن الكريم والسنة المطهرة متضافران على تقرير هذه القاعدة واثباتها أصلا من أصول الشريعة المحكمة ماورد فى القرآن الكريم قوله :

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصـا له الدين ألا لله الدين الخالص » •

« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » •

فهذه الآيات وكثير غيرها واضحة فى أن أساس الاعمال هو الاخلاص والنية الصالحة •

وبهذا يتبين أن الشريعة الاسلامية قد قررت بهذا الاصل مبدأ يقوم على أساس من العـدل والوسطية ويؤدى الى تقويم خلقى للافراد يترتب عليه صـلاح كبير للمجتمع وتخفيف كثيـر من مآرب أصـحاب الغـايات الفاسدة المفسدة •

ولقد دأب مؤلفنـا فى دراسته الواعية على تبيـان أهم ما تتميز به شريعتنا الغراء من وسطية ففى هـدى الاسلام فى الزواج والطلاق يقول :

« ان الزواج سنة من السنن الطبيعية التى لا بد منها لبقاء النوع الانسانى ، ولذلك هيأ الله تعالى كلا من الرجل والمرأة على طبيعة تحبب اليهما الاجتماع والتقارب وامتن على الناس منبها اياهم الى أنه آية من آياتـه الدالة على قدرته وحكمته فقال سبحانه :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحـمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » •

وهذا يدلنا على أن القرآن الكـريم ينظر الى سنة التزاوج والارتباط بين الرجال والنساء كأمر عظيم لـه خطره الكونى ، وله قيمتـه الـكبرى التى لا تقل فى اعتبارها ، ولا فى ايحائها بعظمة الله تعالى عن السموات والارض واختـلاف الليل والنهار ، واختلاف الألسنة والالوان ولذلك يعتبر الله تعالى هـذه الرابطة العظمى رابطة مقدسـة وتتفق كل الرسالات التى جاء بها أنبياء الله فى ذلك فتقديسها ليس من الامور التى تتغيـر بتغير الرسالات ، وليس مما ينسـخ فى شريعـة من الشرائع ، ولا مما يدخـل تحت تغير الزمن أو المكان ، أو يخضع لفلسفة نظرية أو واقعية تحاول ابطاله أو تشكيك الناس فيه •

ولقـد كان من الطبيعى أن يأتى التشريع الاسلامى الذى هو تشريع الفطرة والرحمة متمشيا مع روح المحافظة على هذه الرابطة ••

وهذا الميثاق الغليظ ، وكان من ذلك أن الشرع افادنا بأن فصم هذا الميثاق الغليظ ليس مما يحبه الله وأنه وان كان أباحه تقديرا لما يمكن أن يقع بين الزوجين من نفور أو فساد فى العلاقة لايمكن معهما أن يقيما حدود الله

فانه اباح بهذا القدر فقط مع كثير من التحفظ ومع وضع كثير من العقبات فى سبيل تمامه ، ومن ذلك ان الله تعالى جعل الطلاق المشروع على ثلاث مراحل وجعل للزوج ان يراجع زوجته فى كل من المرحلتين الاولى والثانية ، اما بعد الثالثة فقد حرم عليه امرأته الا اذا تزوجت بغيره ثم طلقها .

فى ذلك كله ابعاد للنهاية السيئة التى لا يحبها الله وهى انفصام عقدة النكاح .

وهذا هو السر فى أن الشريعة الاسلامية تعتبر عقد النكاح عقد دوام واستقرار ، وأن فسخه خلاف الاصل وحكمة الحظر ، وانه انما يلجا اليه حين يكون استمرار العلاقة الزوجية مستحيلا او مفضيا الى ما حرم الله ، وان الرحمة فى مثل ذلك تقتضى ان يمنح كل من الزوجين بالتفريق فرصة جديدة لاستئناف حياة زوجية جديدة غير هذه الحياة التى لم تعد صالحة .

والخلاصة ان الزواج سنة فطرية اقام الله عليها العالم وجعلها نعمة من نعمه العظمى على الناس . وأن الدين يعطى هذه الرابطة ماتستحقه من قداسة ، وان الله يحب لهذه الرابطة الدوام ، وان تظل مصدر سعادة وتعاون على البر والتقوى للزوجين ، ومصدر نفع للناس ، وانه تعالى يكره أن تنفصم عروة هذا الرباط فيضع الحواجز فى سبيل هذا الفصم ولا يبيحه الا بعد بذل جهود كثيرة للحيلولة دونه ، وبعد تمكين من الفرصة تلو الفرصة لمراجعة النفس وانه بعد هذا يبيحه مراعاة لواقع الحياة فى بعض ظروفها رحمة بالناس وتخليصا للمجتمع من علاقة أصبحت فاسدة سيئة لا تجدى على اصحابها ، وتمكينا لكل من الزوجين ان يجرب زوجية جديدة لعلها تكون احسن حالا وانفع للمجتمع .

وما ان نصل الى هذا الحد من الكتاب حتى نجد بابا مكملا لما سبقه بعنوان : تحديد الوضع الاجتماعى لكل من الرجل والمراة يقول المؤلف فيه :

« ان الانوثة مظهر طبيعى له مقتضياته ولوازمه ولايمكن ان ينسخ ويزول من الواقع ولو اجتمعت كل العوامل الصناعية او التكلفية على نسخه وازالته . وليس فى الاسلام ما يوحى بان الانوثة يلزمها عدم الذكاء او عدم المعرفة او عدم الفطنة .

ان الانوثة فى ذاتها لا يمكن ان تكون سببا مباشرا لضعف عقلى او عملى او دينى .

وكم رأينا من النساء عالمات عاقلات حكيمات متدينات عابدات .

والقرآن الكريم يفرض ذلك ويدل على امكانه . بل على وجوده ، والتاريخ يحفظ من الذكريات الطيبة لكثير من النساء مايعد فخرا وشرفا .

وليس فى الاسلام مايمنع النساء التفقه فى الدين وفى مختلف شئون الحياة على شريطة ان يحتفظ لهن وللمجتمع بوسائل الصون والعفاف ورعاية الفضيلة ، بل ان الاسلام يحب ذلك ويأمر به ويؤكده ويحث عليه ، ولهذا كان الاسلام منطقيا حين اراد ان يجعل احد الزوجين صاحب القوامة والرياسة تحقيقا للنظام الذى يقضى بذلك فى كل مجتمع فاختار الرجل وجعله قواما على المراة ونظر فى ذلك على انه اصلح الشريكين لهذا المركز فقال :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من اموالهم » فهو تفضيل قائم على مبداين :

أ - الاصلح للعمل هو الاقوى عليه وهو الاولى به

ب - الاكبر مسئولية هو الاولى بالسلطة ، ولو ان الاسلام عكس الامر فجعل المراة هى القوامة على الرجل لكان غير منطقى مع مبدئه المقرر فى اختيار الاصلح والامثل ، ولا مع القواعد الطبيعية .

وحين جعل للرجل حق الولاية فى الشئون العامة لم يجعل هذا الحق للمراة ابتداء ، وذلك لسبب واضح هو ان الرجل اقدر على التفرغ له ، واصبر على تبعاته ومقتضياته .

وينبغى ان نشير هنا الى امرين :

اولهما : ان ذلك من شان الولاية العامة اى الولاية التى لها طابع توجيهى وتنفيذى عام .

وثانيهما : اننا نقول ان الاسلام لم يجعل للمراة هذا الحق ابتداء .

ومن هذا يتبين ان موقف الاسلام فى هذه القضية وغيرها من القضايا التى تحدد الوضع الاجتماعى لكل من الرجل والمراة لا تعنت فيه ، بل هو الموقف الذى لا بد منه .

ولا يعد هذا انتقاصا للمراة ، او تمييزا للرجل ، وانما هو وضع للامور فى نصابها . وحكم عادل صادر عن درس لنفسية المراة بحسب ما تزاوله من الاعمال ، وطبيعة مركزها فى المجتمع ،ذلك المركز القائم على الضن بها ان تمتهن وتبتذل .

فلا ينبغى ان يؤخذ من التكريم معنى التنقيص ، ولا ان تجعل الصيانة والحفظ نزولا بمركز المراة ، وهما عين التكريم لها والتقديس لشانها .

وفى نهاية جولتنا مع هذا الكتاب الشيق يستوقفنا بحث فى اصول الاحكام قسم الى :

أ - القطعيات والظنيات فى الشريعة

ب - أسلوب الشرع فى العقائد والعبادات والمعاملات

ج - مجىء التكاليف فى حدود الاستطاعة ، وهو المعبر عنه بنفى الحرج .

القطعيات والظنيات فى الشريعة .

هناك نوعان من المسائل والاحكام يستطيع الناظر فى علم الشريعة ان يفرق بينهما ، وان يهتدى بهذا التفريق فى بحثه ودرسه .

النوع الاول : الاحكام القطعية التى قام الدليل على انها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان او المكان ، ولايجوز الاختلاف فيها وهى تخضع فى ثبوتها ونفيها لاجتهاد المجتهدين .

ويمكننا ان نرجع هذا النوع الى ماياتى :

أ - العقائد القاطعة التى يجب الايمان بها لقيام الدليل اليقينى فى ثبوته ودلالته عليها ، وعلى انها الحد الفاصل بين المسلمين وغير المسلمين ، ومن جحد شيئا منها فقد خرج من ربقة الاسلام

وذلك كالتوحيد وارسال الرسل . وانزال الكتب وختم النبوة بمحمد - صلى الله عليه وسلم - والبعث بعد الموت ، والجزاء على الاعمال فى الدار الآخرة ... الخ

فليس لاحد ان يجتهد فى ذلك ، وامثاله لانه ليس محلا للاجتهاد اذ هو حقائق متعينة ثابتة باقية لا تتغير مهما تغير الزمان او المكان الى يوم الدين ، وليس هناك احتمال ما لثبوت تغيرها او بطلانها .

ثانيا الاحكام العملية التى جاءت بها الشريعة بطريقة واضحة حاسمة فى جانب الايجاب أو المنع او التخيير وذلك مثل وجوب الصلاة والزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا .

ثالثا : القواعد الكلية التى اخذت من الشريعة بنص واضح ليس فيها ما يعارضه تقريرا أو تفريعا او استنبطت بعد الاستقراء التام ، وعلم أن الشريعة تجعلها

أساسا لاحكامها وذلك مثل « لا ضر ولا ضرار » « وماجعل عليكم فى الدين من حرج » .

« الحدود تدرأ بالشبهات » .. لا يعبد الله الا بما شرع » .

« المعاملات طلق حتى يثبت المنع » .. ونحو ذلك

النوع الثانى :

احكام او نظريات لم تجىء على هذا النحو الواضح القاطع فى وروده ومعناه ولكنها جاءت أو جاء مايدل عليها او يشير اليها على نحو صالح لان تختلف فيه الافهام ، وتتعدد وجهات النظر اما لامر يتعلق باصل الورود أو بالدلالة والافادة

وهذا النوع هو الذى جعلته الشريعة موضع اجتهاد المجتهدين وجعلت منه مجالات للنظر والتفكير والموازنة والترجيح ، والاستقراء والتتبع وتقدير المصلحة والعرف وتغير الحال .. الى غير ذلك من وجوه النظر واسباب الاختلاف .

ومن هذا القبيل فى جانب المعارف الكلامية وفى جانب الاحكام الفقهية وفى جانب القواعد الاصولية أو الفقهية التى تفرع عليها الاحكام .

والحكمة فى ورود هذين النوعين من الاحكام فى الشريعة الاسلامية .

ان أمر الناس لا يصلح اذا جاءت الاحكام والمسائل كلها على نمط واحد .

فلا يصلح فى امور العقائد واصول الدين ان يترك الناس لعقولهم وأفهامهم وظنونهم ، كما لا يصلح ذلك فى حقائق العبادات وصورها ورسومها ، ولا فى اصول المعاملات التى تقوم عليها فكان من رحمة الله بالناس ان وقاهم شر التفرق فيها ورسم لهم دائرة محدودة واضحة المعالم يعرف من دخلها ، ومن خرج عنها وسما بالحقائق الواقفة عن ان تكون محل خلاف أو تنازع

اما الفروع التى لايضر الاختلاف فيها سواء أكانت فى الجوانب النظرية ام فى الجوانب العملية فلم يكن يصلح امر الناس على توحيدها ، ولو انها وحدت لجمدت العقول ولاصطدمت الشريعة فى كل زمان ومكان بما يجد للناس من صور المعاملات ، وبما لابد منه من مراعاة المصالح ودرء المفاسد لذلك كان من رحمة الله بالناس وحكمه فى التشريع لهم أن يفتح للعقول مجال النظر وأن يجعل من ذلك مددا لا ينضب معينه لما يجد من القضايا والصور ، ولما تساير به الشريعة المصالح .

ويتبين من هذا ان الاسلام توسط فى تشريعه من حيث رعاية مايجب الاتفاق عليه ، ومايجوز الاختلاف والاجتهاد فيه . فلم ينكر حق العقول فى النظر والبحث والتطور وملاحظة اختلاف العرف والامكنة والازمنة وهى دواعى الاجتهاد كما لم ينكر حق الجماعة فى أن تاتلف على امور تجمعها وتكون بها أمة مترابطة متفاهمة على اصولها

اسلوب المشرع فى العقائد والعبادات ، والمعاملات :

ان الشريعة الاسلامية لها ميادين ثلاثة فى حياة الناس تصول فيها وتجول ، ولها فى كل ميدان من هذه الميادين اسلوب يختلف عن أسلوبها فى غيره :

أما الميادين الثلاثة فهى :

١ - ميدان العقائد

٢ - ميدان العبادات

٣ - ميدان المعاملات

واما اسلوبها فى كل ميدان من هذه الميادين فهو على الترتيب :

١ - أسلوب المخبر الواصف

٢ - اسلوب المنشىء المحدد

٣ - أسلوب الناقد المهذب

فالعقائد التى يفرض علينا الدين ان نؤمن بها ماهى الا حقائق ثابتة فى نفسها لها وجود واقعى ، وهى تفترق فى هذا عن المبادىء والاحكام التى هى من قبيل الانشاء ، والتى تشرع للناس بعد أن لم تكن ، وتتغير احيانا بتغير الزمان والمكان .

أما العبادات فهى تختلف عن العقائد فى انها انشاءات أنشأها الله تعالى ، ورسم حدودها ، وهيأها على صور خاصة ، وطلب من عباده أن يعبدوه بها .

فالصلاة عبادة منشأة مؤلفة من افعال خاصة واقوال خاصة على ترتيب خاص .

والصيام امساك عن الطعام والشراب وجميع الشهوات فى زمان مخصوص . والحج مناسك معينة لها رسومها واوقاتها وامكنتها واركانها وشروطها .

واما موقف المشرع فى ميدان المعاملات فانه يختلف اختلافا جوهريا عن موقفه فى كل من ميدان العقائد ، وميدان العبادات ..

ان الشريعة ليست هى التى انشأت للناس صور التبادل والتعاون والتعامل ، ولكنها جاءت فوجدت صورا يتعامل الناس بها فكان لها موقف منها ، غير موقف الانشاء والرسم وغير موقف الاخبار والوصف ، وذلك الموقف هو موقف الاقرار . أو التعديل أو الالغاء وهو الذى سميناه فى اول هذا الباب « اسلوب الناقد المهذب » .

وهى لاتتدخل فى هذا الميدان الا بمقدار ماتحمى مثلها ومبادئها التى جاءت بها من العدل والتيسير ، والرحمة ودفع اسباب التشاحن والبغضاء وربط افراد المجتمع برباط من المحبة والتعاون على البر والتقوى ، لا على الاثم والعدوان .

وثمرة هذا البحث أننا نستطيع أن نرسم على ضوئه منهجا فقهيا فى دراسة المعاملات الحديثة ، يقوم على دعامات ثلاث :

الدعامة الاولى : ان من حق المجتمع الاسلامى ان يبتكر ماشاء من الوان المعاملات وأن يجارى النشاط الاقتصادى العالمى بالمساهمة فيه حسب الطرق الحديثة دون تحرج

الدعامة الثانية : ان الاصل فى المعاملات الاباحة فلا يجوز المسارعة الى تحريم صورة من صور المعاملات حتى يتبين ان الله حرمها .

الدعامة الثالثة : ان اشتمال المعاملة على ناحية من نواحى المنع والتحريم لا يكفى فى القول بتحريمها .

وهذا يشرح لنا نظرة الاسلام المتوسطة بين هذه النواحى المختلفة من التشريعات فهى نظرة تقوم على ادراك الواقع واعطائه مايناسبه من أساليب المعالجة والدرس ، وهى فى الوقت نفسه نظرة تعطى العقائد الاصلية حقها فى الثبات والاستقرار وأن تاتلف القلوب عليها ، وتعطى العبادات حقها فى أن تكون مستمدة من المعبود لانها رسوم شكره هو ، وتعظيمه هو ، فلا تستمد الا منه ، كما لو تصورنا ملكا يجعل لمقابلته وزيارته مواعيد وتقاليد لا يجوز الخروج عليها . « ولله المثل الاعلى » وتعطى - أخيرا - المعاملات حقها فى ان تتطور وتتجدد وملاحظة فى أمرها مايصلح به الناس ، وتتيسر به الحياة وذلك مظهر عظيم من مظاهر الوسطية فى الاسلام .

مجىء التكاليف فى حدود الاستطاعة :

واما مجىء التكاليف فى حدود الاستطاعة البشرية ، وهو ما يعبر عنه اهل الشرع « بنفى الحرج » فهو اصل

من الاصول المقطوع بها ، ولا خلاف عليه ، بين علماء الشريعة .

ويدل عليه فى القرآن الكريم آيات كثيرة منهـــا قوله تعالى :

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » . « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

وهناك امثلة كثيرة تبين لنا مدى تيسير كثير من التكاليف على سبيل المثال :

انه سبحانه وتعالى كلفنا بالوضوء والغسل من الجنابة وشرع التيمم عند فقد الماء او عدم القدرة عليه .

« أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

وامره الازواج بأن يمتعوا زوجاتهم « على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، متاعا بالمعروف » ورسم فى شئون الوالدات نهجا لا ضرر فيه ولا ضرار « وعلى المولود لـه رزقهن وكســـوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده »

وايضا فقد حرم اشياء فى حال السعة ، واباحها فى حال الضرورة :

« انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله ، فمن اضـطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم »

« ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلـغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك » .

ومنهـا انه يعـطى الطبائع حقها ولا يلزم بما ينافيها ، فالطيبات مباحة وزينة الله التى اخرج لعباده مباحـة ، والرهبانيــة ممنوعة ، واعتــزال النساء فى المحيض واجب ، والرفث الى النساء ليلة الصيام حلال ، والرجال قوامون على النســاء ، وللذكر مثل حظ الانثيين ، ومواعدة المطلقة بالزواج اثناء العدة محرمة ، والجمع بين الاختين ممنوع ، وحرام على الرجال التزوج من الام او الاخت او العمــة او الخــالة ففى الزواج منهــن امتهان لهن ، وحرام على الرجال زواج الاماء الا فى حال الضرورة ، والرهن مشروع ، والمعسر منظر .. وهكذا

من هـــذا يتبين ان التكاليف كما روعيت فيها طاقة الفرد فى الواجبات العينية وامثالها ، لوحظت فيها ايضا طاقة المجتمع فى الواجبات الكفائية وامثالها .

اما بعد :

فهذه هى شريعتنا السمحة ، وهذه هى مظاهر عدالتها وتوسطها التى تجعلنـــا نفهم حق الفهم معنى قولـــه تعالى :

« وكذلك جعلناكم امة وســطا لتكونوا شهداء على الناس »

فليست هذه الوســـطية الا المنهج القويم العدل الذى يلاحظ الفطرة ، ويعالج الطبيعة ، ويرد المجتمع الى اليسر مع التماسك ويبعده عن الفساد والانحلال مع الرحمة به والتخفيف عنه ، وان هذا لهو الصراط المستقيم الذى علم الله عباده ان ينشدوه .

وهكذا تنتهى جولتنا مع كتاب أصدره المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ليصبح احدى ذخائر الفكر الاسلامى الهادف الى اسعاد البشرية جمعاء .

الاحتفال

كان عصر النبوة هو مستهل الرســالة السماوية ، ومطلع شمس البعثة المحمدية ، ومبدأ نشر الدعوة الدينية ، فلم يكن الوقت يتسع لتفكير فى احياء مولـده صلوات الله عليه .

ثم جاء بعده عصر الخلفاء الراشدين عليهم رضوان الله ، وقد انصرفوا الى توطيد أركان الدين ، وتثبيت قواعده فى أنحاء الجـزيرة العربية ، ثم النهوض بعد ذلك ببث الدعـوة فى الأمم المجاورة ، والشعوب المتاخمة ،وطرقْ أبواب الفتوح لادخال النــاس فى دين الله أفراجا ، لذلك لم يفـكروا فى احيـاء هـذه الذكرى الكريمة ولم يجر الاحتفال بها اطلاقا.

ثم جاء بعد ذلك عصر الدولة الأموية التى شغل رجالها بمنازعة خصومهم من العلويين ، ومجالدة منافسيهم من الزبيريين ، ثم نهضوا لمحاربة الخوارج والمتمردين ، ثم بعث البعوث وبث السرايا الى أقاصى البلاد للفتح والغزو، ونشر راية الاسلام ، فلم يفكر أحد منهم فى الاحتفال بالمولد ، كما لم يجر ذلك فى خاطر، أحد ممن تفردوا بانشاء الدول فى البلاد التى تدين بالاسلام ، كبلاد الأندلس وافريقية .

ثم جاء بعد ذلك عصر الدولة العباسية ، فكان أكبر همهم فى أولاهم انتزاع الملك من آخر

بالمولد النبوى فى التاريخ ..

الأستاذ حسن الشيخة

الملوك المروانيين : مروان بن محمد ، ومناجزة الناجمين من أبناء عمومتهم العلويين والطالبيين والتنكيل بكل من يظن فيه الخروج عليهم ، ثم حشد الجيوش الى الأطراف ، والى الثغور والمسالك ، واعداد القوى المستطاعة للطوارىء ورد عادية الجيوش المغيرة ، وكبح جماح الطامعين من الدول الأوربية ، والأمم الاسيوية والاجناس الافريقية ، ولذلك لم يفكر أحد من رجالها فى الاحتفال بالمولد الكريم .

وكذلك الحال فى الدول الاسلامية التى قامت على ضعف الدولة العباسية ، وقص اطرافها مثل ملوك بنى بويه فى بغداد والطولونيين والاخشيديين فى مصر ، وهكذا الى أن توطنت الدولة الفاطمية فى مصر ، وقبل ان أذكر كيف كانت بداءة المولد النبوى فى هذه الدولة .. أذكر بعض مقررات استنتجتها ، ومسائل هدانى اليها البحث .

١ - ان المولد النبوى معروف وقته ، وهو شهر ربيع الأول من كل عام ، وهذا شىء لاينسى اطلاقا لأنه يتعلق برأس الدولة الاسلامية ، فهو معروف من زمن النبى صلوات الله عليه الى الوقت الذى احتفل به فى عهد دولة الفواطم ، فاذا لم يحتفل به فى هذه الأزمنة الطويلة العريضة فليس ذلك الا للشواغل التى أجملتها فيما سبق ، اضف الى ذلك أن الاحتفال به لاتجرى عليه الأحكام الشرعية من فرضية أو وجوب أو سنية وانما هى ذكريات طيبات ، وعادات مستحسنات ، فاذا كان لم يحتفل به ، واذا كان أئمة الاسلام لم يدخلوه فى أى باب من أبواب الأحكام الشرعية ، فان ذلك هو سبب كبير من أسباب اغفال شأن الاحتفال به ، والا فان رسول الاسلام صلوات الله عليه كانت اشارة منه الى الصحابة فى حق هذا الاحتفال تجعله أمرا مقررا ، وكذلك أى عبارة من الخلفاء الراشدين .

على أن ذكرى صاحب رسالة الاسلام ماثلة دون احتفال ، فى قلوب المسلمين ، من القرآن الكريم ، ومن أعماله وأقواله ، ومن تاريخه الحافل بالعظات ، والآيات البينات ، فاذا احتفل بمولده بعد ذلك فان هذا لايعدو أن يكون مطابقة المظهر للمخبر . وانسياق ماتكن القلوب مع ما تعمل الجوارح ، فى حدود الآداب والشريعة المطهرة ، والبعد عما يشين الاحتفال من الأعمال والأقوال .

٢ - ان فى مثل الاحتفال الشرعى بالمولد النبوى تعويدا للناس على الاجتماع على الفضائل ، وتقريبا لقلوبهم التى قد تكون متباعدة ، وتكثيرا للصدقات ، وتيسيرا للقيام بالمكرمات ، واحياء لذكر الله تعالى **« الا بذكر الله تطمئن القلوب »** ، وأعيادا للطبقات الصوفية التى تنتظر مثل هذا الاحتفال فى كل عام ، بخيراته ومبراته ، واحساناته .

٣ - رواج الحركات التجارية ، من بيع وشراء ، وأخذ وعطاء ، وهى مزية اجتماعية لانراها الا فى مثل هذا المولد الكريم ، ومايأتى بعده فى الدرجة مثل موالد الامام الحسين والسيدة زينب ، والسيد احمد البدوى ، وما ماثلها ، وللفوائد الاجتماعية التى يجنيها الأهلون - نراهم يستقلون باقامة الموالد دون ان تقيمها الحكومة ، اللهم الا فى الليالى الختامية التى تشارك فيها الأهلين .

٤ - ان الذى دعانى الى الكتابة فى الاحتفال بالمولد النبوى هو أنه موضوع الوقت والساعة التى نحن فيها ، وشهور العام اثنا عشر شهرا

نكتب فيها من الموضوعات الاسلامية العامة ماتسوقنا اليه الخواطر ، على أن أولية هذا الاحتفال هى التى لا يعرف كل الناس وقتها بالدقة ، وربما ظن بها أنها كانت فى الصدر الأول للاسلام ، لأن مظهرها الدينى مظهر طيب ، لاينافى ان يكون قد وقع فى صدر الاسلام كما هو معتقد الكثيرين ، ممن لم يتصفحوا تاريخه .

ان أولية الاحتفال بهذا المولد ترجع الى دولة الفواطم فى مصر ، وعنها أخذت جميع الأمم الاسلامية ، فكيف كان ذلك .

بعد أن استقر الأمر فى مصر للمعز لدين الله الفاطمى اراد أن يسير فى الطريق الذى يؤلف القلوب حوله ، لأن مذهبه الشيعى كان جديدا على مصر وأهلها ، فهداه تفكيره وتفكير رجاله الى أن يحدث فى الأمة حدثا جديدا ، هو الاحتفال بمولده صلوات الله عليه وقد ضم اليه خمسة موالد، هى مولد الامام على بن أبى طالب ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء ، ومولد ولديها الامام الحسن والامام الحسين ، ومولد الخليفة القائم من الدولة الفاطمية ، وقد قدر المعز لكل شىء قدره من المبرات والخيرات ، فى هذه الاحتفالات ، لأنه يبدو أنه كان واسع التفكير ، سليم التقدير ، وهو أن الحسنات يذهبن السيئات ، وان الانسان يستعبده الاحسان كما قال الشاعر:

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

ولم ير سوقا تروج فيه الخيرات والصدقات أكثر من الاحتفال بالموالد ، وقد ساعده على ذلك ان البلاد كانت فى محنة مجاعة فى نهايات الدولة الاخشيدية ، كما ساعده أكثر وأكثر أنه حضر الى مصر ومعه سبائك الذهب تحملها المئات من الجمال ، كل سبيكة قدر رحى الطاحون ، حتى أن الجمل لايستطيع حمل أكثر من اثنتين،وذلك بخلاف المسكوكات والذخائر والتحف ، حتى ضرب بثرائه المثل، فقالوا : **سيف المعز وذهبه** . ويريدون بذلك انه كان يحيط نفسه اما برهبة السيف للتخويف ، واما بالرغبة فى الذهب فيشترى ضمائر الناس ، وعلى هذه السنة التى سنها المعز جرى أولاده وأحفاده من بعده ، وتنبهت الأمم الاسلامية الى هذا المظهر الدينى، فاقتدى به ملوك الدول الاسلامية ، وكان أكثرهم عناية به : **الشام والجزيرة ، والموصل ، واليمن ، وافريقيه (تونس) ، والمغرب .**

الى هنا عرفنا أولية الاحتفال بالمولد النبوى فى مصر وفى غير مصر ممن اقتدى بها من الدول الاسلامية فى هذه الأولية ، وهو ما أردت التعريف به اليوم ، أما اننى أتتبع هذا الاحتفال فى كل دولة بعد الفواطم الى عصرنا فهذا مالم أرده فى كلمتى ، لأنه حديث طويل قد يحتاج الى كتيب ، واقرر فى نهاية كلمتى ان هذا الاحتفال قد تقلبت عليه الاحوال بعد دولة الفواطم ، من حفاوة به ،الى اغفال لشأنه حتى وصل الى أيامنا قائما محتفلا به ،لاسيما فى أيام ثورتنا المباركة التى نرجو لها المضى والثبات فى طريقها ونهضتها .

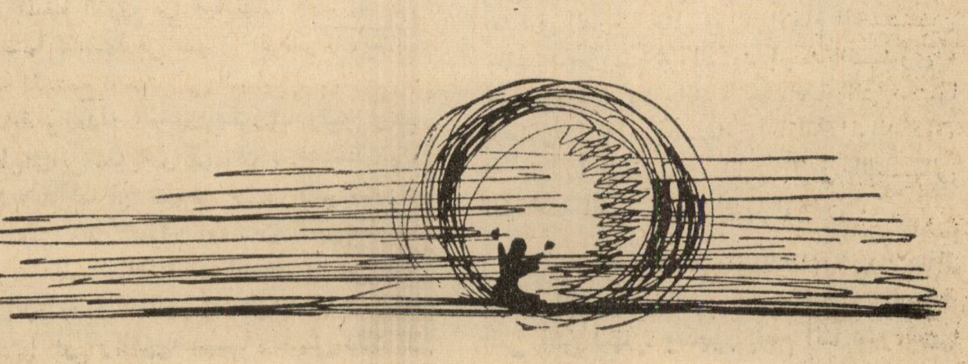

دروس في الثورة المصرية

٤ - القضاء على الاستعمار وأعوانه

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان روح هذا الشعب لم تستسلم وانما استطاعت تحت المحن العصيبة ان تختزن طاقات تحفزت لاطلاقها فى اللحظة المناسبة »

« من الميثاق »

كان القضاء على الاستعمار واعوانه هو الهدف السياسى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كما كان المبدء الأول من مبادئها الستة التى اختطتها لنفسها فى سبيل الوصول بالبلادالى اقامة المجتمع الاشتراكى السليم ، مجتمع الكفاية والعدل ٠٠ فلكى تصل الثورة بسفينة الوطن الى بر الحرية والديموقراطية والاشتراكية كان لابد لها أن تخوض حربا شعواء على المستعمر وعلى أعوان الاستعمار لكى تمهد الطريق لنفسها لتواصل الزحف الى الأمام ، ولتستطيع بعد ذلك ان تحقق أهدافها الأخرى التى وضعتها نصب عينيها علامات مضيئة على الطريق ٠٠ يقول عبد الناصر فى ذلك :

« كان أول هدف هو التخلص من الاستعمار وأعوانه لأن الاستعمار لم يتمكن من أرضنا الا حينما تعاون مع الخونة ولهذا آمنا بأن القضاء على الاستعمار يجب أن يكون فى نفس الوقت هو التخلص من أعوانه »

وبمعنى آخر نستطيع أن نقول أن الاستعمار وأعوانه كانوا عقبة كأداء فى سبيل توفير الرفاهية والرخاء لأفراد الشعب ٠٠ وكان الاستعمار يتمثل ــ قبل قيام الثورة ــ فى وجود قوات الاحتلال الانجليزية بمنقة القنال لتدعيم مركزه فى البلاد ٠٠ فكانت الخطوة الأولى التى تحتم على الثورة أن تخطوها هى اجلاء هذه القوات عن البلاد ــ وفى نفس الوقت ــ تحطيم ادوات الاستعمار وقد بذل الانجليز

محاولات كثيرة ودبروا مؤامرات عـــدة فى سبيل تأجيل هذا الجلاء والمساومة عـلى انجازه . ولكن الثورة المصرية المتمثلة فى رسول السلام وقفت لهم بالمرصاد وقال عبد الناصر فى حزم لايلين :

« ان هذه الثورة قامت لتحرير مصر واخراج قوات الاحتلال »

« ان مصر لن يشتت لها خـــاطر ، ولن تخرجها مؤامرة عن القصد الذى عقدت عزمها على الوصول اليه ، ولن تلهيها المسرحيات المختلفة ـ مهما كانت محبوكة الأطراف ـ عن الحقيقة الكبرى فى كفاحها ، وهى أن على أرضها جيشا غريبـا يجب ان يرحل واعتداء على حريتها ينبغى ان ينتهى »

كانت جميع المهاوى والمساوىء التى انزلقت اليها البلاد وعانى منها الشعب المصرى كثيرا نتيجة طبيعية لوجود الاستعمار . تــواطىء أعوانه معه ضد مصلحة الشعب ومصلحة الوطن فكان لابد ان نتخلص منه أولا لنستطيع بعد ذلك أن نسير بالبلاد قدما الى الأمام نحــو الرفاهية والعدل الاجتماعى .. فقد كانت الأوضاع الاجتماعية الفاسدة من أحـــزاب متنافرة تتجر بالشعارات الزائفة المضللة ، وانتشار الرشوة بين المسئولين عن حيـــاة الشعب ومقدراته وتزوير الانتخابات وتزييفها والاستغلال ، والاقطاع ، والاحتكار وغيرهما من المتاعب ، انعكاسا حتميا لوجود الاستعمار كما كان أعوان الاستعمار سندا قويا ودعامة متينة لتحقيق اغراض الاستعمار وتنفيــذ مؤامراته واغراضه ضد مصالح الشعب وأفراده وقد عبر قائد الثورة عن ذلك بقوله :

« لقد تطوع نفر من أبناء الوطن ينسبون اليه ظلما ، لخدمة الاحتلال وتحقيق اغراضه لقاء عرض زائل ، وقد تسابق هذا النفر على اذلال الأمة وتمزيق كلمتها واستغلال ثروتها، واتلاف معنوياتها ، وحرفوا كفاح الشعب مع الغاصب الأجنبى الى مايشبه الحرب الداخلية فأصبح كل منا عدوا لأخيه ، لايضمر الا الحقد والكراهية ، وتضاءلت الاهداف الوطنية حتى باتت مغانم حزبية ومصالح شخصية تسترها عناوين قومية وتخفيها هتافات دستورية .

لقد أغلق الاحتلال مصانعنا وقص اجنحة جيشنا وقضى على اسطولنا وسد باب الشرف فى وجهنا ، لذلك آلت الثورة على نفسها أن تحرر البلاد من الاحتلال ومن عوامل الاحتلال»

هكذا كان الاستعمار واعوانه هو المسئول الأول والأخير عما وصلت اليه البلاد من حال .. كما كان السبب الرئيسى لانتشار الفقـــر والجهل والمرض بين أفراد الشعب ـ وكانت هذه سياسته ـ كان الاستعمار يهدف الى ان يظل الشعب ـ على الدوام ـ فريسة لهذه الآفات ليكون فى شاغل عن وجوده وسرقاته بدفع ما يحيق به من كوارث ينزلها به اعداؤه الثلاث .. الفقر والجهل والمرض .. تلك الافات التى فرضها الاستعمار فرضا على أفراد الشعب من خلال خطة منظمة ، رسمهـــا الاستعمار وعمل على تنفيذها ـ بكل دقة واخلاص ـ عملاؤه وأعوانه ..

فكيف حقق الاستعمار خطته ؟ وكيف حطم معنويات الشعب وتحكم فى مقدراته ؟

لم يكن الاستعمار فى بلادنا استعمـــارا عسكريا فقط ، بل كان استعمارا عسكريـا وسياسيا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا .

فمن الناحية العسكرية عمل الاستعمـــار على تفتيت جيشنا واضعافه ومنع عنه السلاح وحرمه من التدريب ليصبح لاحول له ولاقوة هذا بالاضافة الى وجوده قواته فى منطقـــة القنال كمركز ثقل له فى البلاد وكأداة يستعين بها اعوانه ـ اذا اقتضى الأمر ذلك .

ومن الناحية السياسية ، كانت مصر مرتبطة بسياسة انجلترا ، لاتستطيع أن تخطو خطوة فى ميدان السياسة الدولية بمفردها ، ولا يمكنها أن تتجاوب أو تتفاعل مع أى حدث من أحداث العالم الا بعد استئذان بريطانيـــا والرجوع اليها ومشاورة حليفاتها دول المعسكر الغربى .. ومن هنا فقدت مصر شخصيتهـــا واستقلالها السياسى .

ومن الناحية الاجتماعية ، عمل الاستعمار على خلق الفوارق بين الطبقات وعزلها بعضها

عن البعض لتمتلىء النفوس بالأحقاد والضغائن وساعد على ذلك وجود الأحزاب المتنافرة مما جعل جمع الكلمة بين أفـراد الشعب من المستحيلات •

أما من الناحية الاقتصادية فقد مكن الاستعمار لنفسه ولأعوانه من خيرات البلاد وثرواتها ، فحرمت البلاد من مواردها الطبيعية بعد ان اغتصبها الاستعمار ووزع بعضا منهـا عـلى عملائه ، وبواسطة الاستعمار تحولت مصر الى مزرعة كبيرة للقطن تمد مصـانع انجلترا بحاجتها من الأقطان المصرية ، لتعود مرة اخرى الى البلاد وتباع لافراد الشعب بأثمـان خيالية • وكذلك أصبحت مصر مزرعة تمد بريطانيا ومستعمراتها بالمواد الغـذائية التى حرم منها أبناء الشعب الذين بذلوا العـرق والدم فى انباتها ورعايتها •

وكذلك حرص الاستعمار على انهيـار الاقتصاد المصرى وجعل مصر – على الدوام – تعتمد على انجلترا وحليفاتها من دول الغرب فيما تحتاج اليه من آلات ومعدات ‥ بل أن الاستعمار احتكر لنفسه ولأعـوانه بعض الصناعات الهامة فى البـلاد ، ليتحكموا من خلالها فى اقتصاديات البلاد يسيرونها حسبما يرون وبما يتفق ومصلحتهم وحرم الاستعمار البلاد أيضا من انشاء أية صناعة يحتمل ان تمنح البلاد استقلالا اقتصاديا فى ناحية من النواحى ‥ بل وحارب بشدة أى اخطار أو اتجاهات تنادى بالصناعة والتصنيع •

وظل الاستعمار على هذه الحال حريصا على ان تظل مصر – الى الأبد – بلدا زراعيا ، بل وحاول تأكيد هذا المعنى بأن نشر – عن طريق تغلغله الفكرى – فى ابناء الأجيال المتعاقبة ، أن مصر كانت – وليست سوى بلد زراعى ‥ وكأن الصناعة حلم لايجوز لمصر ان تتطلع اليه ‥•

وهكذا نرى أن الاستعمار كان قد تغلغل فى جميع المجالات ، الاقتصادية والفكـرية والسياسية الداخلية ، وبالتالى سيطر عـلى جميع مرافق الدولة بما يكفل له الوصول الى اغراضه والمحافظة على مركزه كقوات احتلال وبذلك سيطر سيطرة كاملة على سلطات الدولة – حتى النواحى التعليمية – ليبث افكـاره بين صفوفنا ، الأمر الذى يدعم مركزه ويهيىء له فرصة التحكم فى البلاد – وهكذا حـرم ابناء الشعب من كل شىء •

وكذلك نجح الاستعمار فى التقاء بأعـوان له يساندونه فى تحقيق أهدافه فتآمروا على مصالح الشعب • وزود الاستعمار هـؤلاء الأعوان بالأسلحة المختلفة من مادية ومعنوية ضد الشعب المصرى البطل ليحارب – عن طريق هؤلاء الأعوان – المخلصين من ابنـاء الشعب الداعين الى القضاء على الاستعمار نفسه وعلى أعوانه لأنه لاحياة للاستعمار بدون اعوانه ولا حياة لأعوانه بدونه وكذلك لتعارض مصالح الاستعمار ومصالح الشعب القومية الوطنية تعارضا تاما ، وكان لابد من التضحية بمصالح واحد منهما لتنتصر مصالح الآخر •

كانت هذه هى الحال حين قامت الثورة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وكانت الطريـق واضحة ناصعة ‥ منذ اليـوم الأول ‥ فالقضاء على الاستعمار وأعوانه هو السبيل الوحيد لانفساح المجال لتحقيق مصالح الشعب والوصول بأهدافه الى غايتها المرجوة ، لان وسائل الاصلاح لايمكن ان تصل الى نتيجة أو تحقق مكسبا أو مغنما مادام الاستعمار وأعوانه يقفون سدا منيعا أمام الشعب وتطوره •

لذلك حرصت الثورة على أن تحقق هذا الهدف ، بل وعلى ان يكون هو أولى الأهداف التى يجب عليها أن تحققها وتحقق الجـلاء التام عن البلاد بمقتضى اتفاقية الجلاء فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٤ بل ان الشعب المصرى استطاع أن يجلى الانجليز مرتين عن أرض بلاده المرة الأولى جلاء قواته عن القنال بمقتضى هذه الاتفاقية والمـرة الثانية حين طرد ذليـلا محسورا بعد هزيمته النكراء فى حـرب السويس عام ١٩٥٦

وبذلك نستطيع القول بأن القضاء على الاستعمار وأعوانه – كما كان هدفا من أهداف الثورة – فانه أيضا كان سببا من الأسباب التى ادت الى قيامها •

فلسطين..

مهبط الأنبياء

لشاعر الثورة الجزائرية ...!!

الأستاذ على الجبلاطى

أهدى الى شاعر الثورة الجزائرية الاستاذ (مفدى زكريا) ديوانه الشامخ (اللهب المقدس) وقد بهرنى منذ الصفحة الاولى اذ قال فى اهدائه (الى الدقيقة الواحدة من فاتح نوفمبر ١٩٥٤ الى أول أصبع جزائرية حركها الازل وضغط بها القدر الرابض على زناد البعث لتطلق القذيفة المسحورة الاولى فتسعر اللهب المقدس فى دروب بلادى الحالمة وأحراشها السكرى ورمالها العطشى وجبالها الغضبى • أهدى ذوب كبد تحترق فى أتون اللهب المقدس) وهو حقا ديوان الثورة الجزائرية بواقعها الصريح وبطولاتها الاسطورية وأحداثها الصارخة بل هو (شاشة تليفزيون) تبرز ارادة شعب استجاب له القدر •

وقد كنت أعرف الشاعر المناضل فيما أقرأ له بتوقيع (ابن تومرت) وأعرف مما قرات عنه أنه ولد فى ابريل عام ١٩١٣ وتلقى علومه متنقلا فى مختلف المدارس والمعاهد ابتداء من كتاتيب الجزائر وانتهاء بمعهد الزيتونة بتونس وانه أسهم اسهاما ايجابيا فى النشاط الادبى والسياسى فى بلاده ثم انضم الى جبهة التحرير الوطنى الجزائرى ودخل السجن خمس مرات متتالية الى أن فر منه فى فبراير عام ١٩٥٩ وكذلك سمعت اسمه يتردد مع نشيد الثورة الجزائرية الذى نظمه فى سجن (بربروس) فى ابريل عام ١٩٥٥ والذى استهله بقوله :

قسما بالنازلات الماحقات
والدماء الزاكيات الدافقات
والبنود اللامعات الخافقات
فى الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات
وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

وسمعت اسمه يتردد كذلك مع نشيد جيش التحرير الذى نظمه فى سجن « البروافيه » بلغة شعبية جزائرية وكان ينشده جنود جيش التحرير فى ساحات القتال وسمعت اسمه مع نشيد الشهداء الجزائريين وسائر الاناشيد الثورية التى تعبر عن مختلف أوجه نضال الجزائر الاسطورى ويتغنى بها شعبها الباسل •

وعرفت مما قرات عنه ايضا انه قد أنجب فتاتين هما (عايشة استقلال وصالحة فدا) وان له ابنا وحيدا هو (سليمان صلاح الدين) وقد ترك ابنه دراسة الحقوق وهو فى الثامنة عشرة من عمره ليلتحق بصفوف جيش التحرير الوطنى الجزائرى فى نوفمبر عام ١٩٦٠ وذلك لما كان يبثه فيه والده وهو فى اعماق سجنه من الوعى العربى والحماس الوطنى

فى رسائل يرسلها اليه ليريه كيف يصنع تاريخ المجد ويرفع من سمعة قومه وعند أول لقاء بين الشاعر الثائر وابنه المغامر فى تونس فى يونية عام ١٩٥٩ بعد فرار الشاعر من السجن وبعد فراق خمس سنوات قال لابنه مقطوعة متوفزة استهلها بقوله :

هكذا يفعل أبنـــاء الجـزائر
ـ ياصلاح الدين ـ فى أرض الجزائر

سر الى الميدان مأمون الخطى
وتطوع فى صفوف الجيش ثائر

انت جندى بساحات الفـدا
وأنا فى ثورة التحـرير شـاعر

زغـردى يا أمه وافتخـرى
فابنك الشـهم فدائى مغامـر

وقد حلقت مع الديوان الفذ فى سماوات العروبة وفوق أرض البطولات بين شعاليل من نار ونور هى اللهب المقدس لمعركة مسحورة الهمت الاجيال وصنعت التاريخ وكلما انتهيت من قصيدة رائعة الى اخرى أروع منها أحسست احتفاء الشاعر الفدائى بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقى بريشة من عروق قلب غمسها فى جراحاته المطلولة فكانت ألحانه الهاما لافنا وعفوية لا صناعة فى صدق تعبير وواقعية واضحة وأحسست أيضا أن الديوان واقع ثورة وتاريخ حرب وعصارة قلب شاعر عاش أحداث بلاده فى السجون والمعتقلات وشهد رءوس الفدائيين تحصد على المقصلة الاستعمارية فى ساحة سجن (بربروسى) الرهيب وغيره من المعتقلات فكانت كل كلمة من هذا الشعر شواظا من (اللهب المقدس) المستعر على أرض الجزائر العربية المكافحة وكل وطن عربى مناضل وقد حرص الشاعر على أن يضع لكل مجموعة من قصائده المتشابهة فى الهدف عنوانا يكون ارهاصا لما تتضمنه هذه الروائع وأولها (من اعماق بربروس) ثم (تسابيح الخلود) ثم (نار ونور) ثم (تنبؤات شاعر) واخيرا (من وحى الشرق) وفى هذه المجموعة الاخيرة من قصائده المجنحة وضع قصيدته العصماء (قل ياجمال) التى بدأ نظمها فى أكتوبر عام ١٩٥٦ فى الاعتداء الثلاثى فى سجن بربروس وحين عثر الحراس على ما نظمه منها مزقوه ثم قادوا الشاعر الى زنزانة العذاب وعوقب بالجلد والجوع والاشغال الشاقة وقد أتمها الشاعر عام ١٩٦١ حين كان يطبع ديوانه هذا ببيروت وفيها يقول :

لن يخزى الله شعبا فيه (ناصره)
ولا كبا وطن تسـمو به القيم

ولا تلاشى نداء العـرب فى وطـن
لباه ـ فدخانه الانصار ـ معتصم

يارائد الوحـدة الـكبرى وقائدها
لا يأس فالوحـدة الكبرى ستنتظم

فما انتـكاستنا الا لتجـربة
أرادهـا الله تجلى بعـدها الظلم

عهـد العروبة ركن من عقيـدتنا
وللعـروبة فى أصـلابنا رحم

وقد شاء القدر أن أفرغ من قراءة هذا الديوان المشبوب فى صبيحة يوم الخامس عشر من مايو فى يوم ذكرى اغتصاب فلسطين اكبر مأساة شهدها العصر الحديث وحيث انتهى الديوان بمطولة حوارية سامقة (فلسطين على الصليب) فأحسست بأن هناك اتفاقا شاءه الله سبحانه لاجعل من هذه القصيدة الفريدة نموذجا لعرض هذا الديوان وشعرت بصلة رحم وثقى بين الذكـرى والقصـيدة كما أحسست بينهما تجاوبا صادقا مع مشاعر العروبة الزاحفة فى كل بلد عربى يقدر مالكلمة (عروبة) من عظمة وجلال فقد ساق الشاعر الملهم منظومته الكبرى فى حوار بين (الشاعر وفلسطين والعرب) بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لتقسيم فلسطين وفيها يروى لنا قصة هذا اليوم العبوس الذى تشردت فيه أمة وضاع فى مسائه وطن وانتحبت فى ساعاته أمجاد العرب والاسلام ، ذلك اليوم المشئوم فى تاريخنا الحديث الذى تم فيه سلب حقوقنا وارتفعت أعلام شذاذ الافاق فوق جزء غال من وطننا وقد احتلت الاشتات الدخيلة من الصهاينة أرض الرسالات السماوية والبطولات العربية وظهرت دولتهم الشؤمى كالخنجر

المغروس فى قلوبنا فشردت أكثر من مليون عربى بعد أن غدا وطنهم أسلابا مغتصبة بل أصبح قلعة استعمارية عدوانية فى قلب العالم العربى . هذا اليوم هو ذكرى العار الاسود فى فلسطين .. ذكرى خيانات عدد من ملوك العرب لشعب عربى وأرض عربية كانت ضحية أصحاب التيجان والعروش فى سبيل مآربهم ومطامعهم الشخصية .

كل هذه الآمال والمآسى هزت مشاعر الشاعر العربى الثائر فجاء حواره المحلق نفحة من روحه ونبضة من قلبه وقبسا من لهبه المقدس بدأها بمناجاة على لسان (الشاعر) تغمر فيها أريج الورود رائحة البارود يقول فيها :

اناديك فى الصرصر العاتيـة
وبين قواصـفها الذارية

وأدعوك بين أزيز الـوغى
وبين جماجمهـا الجاثيـة

فلسطين يا مهبط الانبيـاء
ويا قبلة العـرب الثانية

ويا قدسـا باعـه آدم
كمـا باع جنتـه العاليـة

فلسطين والعرب فى سكرة
قد انحدروا بك للهـاوية

والقى بك الدهر شـذاذه
ومن لم تؤدبه (ألمانيـة)

وصب بك الغـرب أقذاره
ورجس نفـاياته الباقيـة

وحط ابن صـهيون أنذاله
بأرضـك آمرة ناهيـه

فيالك من قبـلة كدسـوا
بمحرابهـا الجيف الباليـه

ويالك من حـرم آمن
جياع ابن آوى به عاويه

وهنا ترد (فلسطين) الذبيحة على الشاعر بانها غدت كالسائمة تباع وتشرى وانها تشنق بحبل المستعمرين وتصلب على يد الجلادين وترسف فى محنتها وقومها لاهون لم يزوروها الا بالصلوات والخطب والشعر وانه لن ينقذها الا كفاح الشعب وكأنه وقف ينادى بالـكيان الفلسطينى والوحدة سبيل العودة فيقول فى الحوار :

أيا شاعر العرب ذكـرتنى
وهجت جراحاتى الداميـة

لقد كان لى سبب للبقـا
فقطـع قـومى أسبابيـه

وفرقنى الخلف أيدى سـبا
وشتت فى الأرض أوصـاليه

وفى سـكرة ضيعوا عزتى
ولم يغن عنى سـلطانيه

فلو كان لى أمـر تدبيرها
لما احترت فى أمرها ثانيـه

وكنت الجزائر فى زحفهـا
وحققت بالشـعب آماليـه

وناديت بالدم عـدل السما
وقـدمت للنـار قربانيـه

وخلدت (حطين) فى مقدسى
وجـددت غزوة « انطاكية »

وناديت - ان خذلوا ثورتى -
من (القادسية) أنصـاريه

وجندت من (خالد بن الوليد)
و (سعد بن وقاص) أبطاليـه

هو الشعب لا السادة المترفون
يحقق للنصر أحـلاميه

وهنا يشترك المواطن العربى فى الحـوار ويعلن « ابن يعرب » انه لم يدرك من غفـوته أخطار الصهيونية العدوانية وقد فوض أمره للحاكمين فاضاعوه ثم يناشد فلسطين الاتيأس فانه وقد استيقظ وجدانه سيصلح أخطاءه ويأخذ مصيره بيده ويثأر لهـا ويقفو أبطال الجزائر فى زحفهم وغضبة الليوث فى القنال ومجاهدى تونس فى بنزرت والساقية ويختم

حواره بأن يناشدها ألا تجزع فان السماء ستساند جهاده حتى النصر فهو من الشعب العربى الحر الذى لا ينثنى حتى يبلغ الظفر فيقول فى حواره :

وقال ابن يعرب لما تيقظ
لما أدر - من سكرتى - ماهية

وفرضت أمرى للحاكمين
فضيع قدسى حكاميه

فياليتى لم أخن ثورتى
ولم أطف نيرانها الحاميه

وياليتها لم تكن (هدنة)
وياليتها كانت القاضيه

فلسطين لا تيأسى اننى
سأصلح - فى الشرق - أخطائيه

تيقظ فى الدم العربى
وطهرنى - اليوم - ايمانيه

لئن نام - من قبل - فى الضمير
وأخلد للموت احساسيه

فان العروبة تربأ بى
وينهانى - اليوم - قرآنيه

مصيرك آخذه بيدى
وأدعو الى الثأر اخوانيه

فلسطين لا تقنطى فالحمى
سينصفه - اليوم - أحراريه

أنا العربى الكريم الجدود
أنا النور فى الليلة الداجيه

أنا الشعب والشعب لا ينثنى
أنا الحر ان حلت الداهيه

ويختتم الشاعر حوار هذه المطولة الفذة بقوله : انه ابن الجزائر ابن الامة الباسلة التى ترتقى على ذوب أكبادها وتسير للكفاح فوق جماجمها بل انه شاعر الثورة فألحانه من النار والنور ومن أرضه الطيبة المناضلة ستكون نقطة الانطلاق ثم نسير فى وحدة شاملة لنحرر فلسطين العربية وهنا يشير الى قول رسول الله عليه السلام **(يد الله مع الجماعة وانما تأكل الذئب من الغنم القاصية)** وان المعركة لابد آتية وسيتم وعد الله بالنصر فيقول فى الحوار :

أنا ابن الجزائر من أمة
على دمها تصعد الرابيه

فلسطين فى صلبنا لحمة
جراحاتها فى الحشى ثاويه

عروبتنا فى ضمير البقا
وشائج راسخة راسيه

فلسطين فى أرضنا بعثها
ومن أرضنا تزحف الحاميه

عقيدتنا فى الورى (وحدة)
وأسمى العقائد وحدانيه

(محمد) أبقى لنا عبرة
من (الذئب والغنم القاصيه)

فمدوا يدا نحم أوطاننا
وننقذ حمانا من الهاويه

فان تنصروا الله ينصركم
وينجز أمانيكم الغاليه

ولن يخلف الله ميعاده
ولا ريب ساعتنا آتيه

وبعد فاننا مؤمنون بما آمن به شاعر الثورة الجزائرية (مفدى زكريا) بأن النكبة لن تكون أبدا نهاية القضية بل ان وحدة القوى العربية وصلابتها ووعيها ستبقى البلد لأهله وستبقى الشعب لبلده وان القومية العربية طريق العودة واننا حين نحتفل بذكرى مرور عام جديد على اغتصاب فلسطين فاننا نحتفل به لقضاء عام جديد يقرب موعد العودة الى فلسطين عودة فلسطين الى أهلها وعودة أهلها اليها خلف رائد الزحف المقدس وناصر العروبة ومحرر الوطن العربى الاكبر رئيسنا المفدى جمال عبد الناصر الذى حدد النصر والعودة فى قوله : (ان المعركة بيننا وبين الصهيونية لم تنته بعد بل لعلها لم تبدأ بعد فان لنا ولها غدا قريبا أو غدا بعيدا نغسل فيه عارا ... ونحقق أمنية .. ونسترد حقا)

حول الامبراطورية الاسلامية والأماكن المقدسة

الدكتور جمال الدين الرمادي

هذا كتاب جديد لم يتح له القدر أن يرى النور الا منذ فترة وجيزة ، بل أن القدر لم يأذن له بالظهور الا بعد أن انتقل مؤلفه الى جوار ربه وفاضت روحه الى بارئها .. وهو كتاب قيم يضم الى سلسلة كتبه الاسلامية التى أثرى بها المكتبة الاسلامية اثراء عظيما .

أما الكتاب فهو « الامبراطورية الاسلامية والاماكن المقدسة ، أما المؤلف فهو المؤرخ الراحل المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل .

والدكتور هيكل له أياد بيضاء على التاريخ الاسلامى وسير أعلام المسلمين ، ومن أشهر آثاره العلمية كتاب « حياة محمد » الذى أرخ فيه حياة سيد المرسلين ، وتناول فيه سيرته منذ ولادته حتى بعثه الله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، ثم تعرض لكفاحه فى سبيل تحقيق رسالة السلام وغزواته وسريانه حتى تم له الفتح المبين . والنصر المؤزر العظيم وأتم نعمته ، ثم فارق الدنيا بعد أن ترك دينا وطيد الاركان ، متين الدعائم وكتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وحماة لهذا الدين . يستشهدون فى سبيله ويفدونه بالمهج والارواح .

ومن مؤلفاته ايضا « كتاب » الصديق ابوبكر الذى تناول فيه سيرة أول الخلفاء الراشدين . ودرس البيئة السياسية والاجتماعية التىعاش فيها ودوره فى محاربة المرتدين والمارقين واعزاز كلمة المسلمين ، وكتاب « الفاروق عمر » الذى تعرض فيه لسيرة الامام العادل عمر بن الخطاب ، وصوره فيه أروع تصوير وحلل شخصيته وأعماله أبدع تحليل .

والكتاب الذى نتحدث عنه اليوم هو كتاب « الامبراطورية الاسلامية والاماكن المقدسة » . وقد تعرض فيه الدكتور محمد حسين هيكل للمبادىء العامة لنظام الحكم ، وخرج منها الى حقيقة هامة لابد من اجلائها وهى أن نظام الحكم الذى يتفق مع مقررات الاسلام هو النظام الذى تكفل فى ظله الحريات ويتخذ لنفسه أساسا من رضا المحكوم عن الحاكم وحق المحكوم فى مراقبة الحاكم ومحاسبته .

كما تعرض فيه المؤلف لفكرة الاشتراكية الديمقراطية فى الاسلام ، وخلص الى أن الاشتراكية الاسلامية هى التى تقوم بالنفس على أنها من فرائض الايمان فضلا عن أن الاسلام نادى بألا اكراه فى الدين انما لا بد أن يتم الايمان عن اقناع واقتناع .

ويقول المؤلف أن الاشتراكية الاسلامية تناقض الشيوعية وتحاربها ، فهى على خلاف الشيوعية تعتبر الملك والاسرة والميراث نظما أساسية فى الحياة الاجتماعية ، ولكنها ترى الغنى الفاحش مصدر طغيان يخشى خطره ، ولذلك عملت للحيلولة دون قيام الملكية الكبيرة على أساس غير المجهود الذاتى .

ويقول المؤلف أن النظام الاقتصادى فى الاسلام مزاج من الفردية والاشتراكية فهو يقرر الملك والاسرة والميراث ، وهو يقيم طائلة من القيود والحدود تخفف من التفاوت بين الناس فى حظهم المادى ، وهو يجعل قواعد الخلق القائمة على أركان الايمان الاسلامى أساس هذا النظام .

ويسرد لنا المؤلف نماذج منتقاة من التاريخ الاسلامى لتوضيح وجهة نظره ، والتدليل على رأيه فيقول ان رجلا من أهل المدينة سأل محمدا « أى الاسلام خير » ؟ فأجابه « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »

وكان رسول الله يرى الفقر فخره ، ويرى فى ادخار المال مالا يتفق ومقامه من الرسالة .

وكان عنده أول ما اشتد به المرض الذى أعقبته وفاته سبعة دنانير ، خاف أن يقبضه الله وماتزال باقية عنده

فأمر اهله ان يتصدقوا بها لكن اشتغالهم بمرضه انساهم تنفيذ امره ، وسأل عنها قبيل وفاته ، فلما ذكرت عائشة أنها ما تزال عندهم طلب اليها ان تحضرها ، ووضعها فى كفه وقال « ما ظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذه » ثم تصدق بها على فقراء المسلمين .

واضاف المؤلف الى هذه الرواية التى تدل على عدالة رسول الله رواية أخرى تفيض بعدالته وتنضح بمروءته وتنم عن انصافه .

فقد حدث حين قسمة النبى فى « حنين » أن كان الخمس من الفىء والغنائم يرد الى رسول الله بحكم القرآن الكريم غير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى أعقاب حنين أن يتألف خصومه من اهل الطائف وغيرهم بأن يرد اليهم ماغنمه المسلمون منهم .

وفى عهد الصديق أبى بكر اكتشف منجم للذهب على مقربة للمدينة فى أراضى بنى سليم فسار ابوبكر فى تقسيم الذهب المستخرج منه سيرته فى تقسيم مابقى من الذكاة واخماس الفىء والغنائم .

فكان يسوى فى قسمته بين السابقين الاولين والمتاخرين فى الاسلام ، وبين الحر والعبد ، والذكر والانثى .

وقيل له : ألا تقدم أهل السبق على قدر منازلهم ، فكان جوابه « انما أسلموا لله ووجب أجرهم عليه يوفيهم ذلك فى الاخرة ، وانما هذه الدنيا بلاغ »

اما عمر بن الخطاب فانه فضل السابقين الى الاسلام فى توزيع ما للمسلمين من حق فى بيت المال على غيرهم كما فضل نساء أمهات المؤمنين ، ثم فضل اهل بيت النبى وذوى قرباه .

وعدل عمر بن الخطاب عن توزيع الخمس الذى لبيت المال فى الغنائم والفىء وكان يقول « لا اجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه »

والواقع ان عمر بن الخطاب كان يتوخى فى خطته العدالة الاجتماعية أولا وقبل كل شىء كما كان متاثرا برأى الجماعة قبل أن يكون متاثرا بالنواحى الفردية .

وكتب الى سعد بن ابى وقاص يقول حين فتح العراق بعد أن امره أن يقسم المال بين من حضر من المسلمين .

« واترك الأراضى والانهار لعمالها فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شىء » .

وان اعتبار الصدقة فريضة تعبدية ، وجعل مافى بيت مال المسلمين منها حقا مقررا لمن فرضه الاسلام لهم هو الذى يؤكد معنى الاشتراكية الاسلامية .

وكما كان المسلمون يبنون المساجد للعبادة ويرونها حقا مشتركا للجميع لا ينازع فيه منازع كانوا يبنون المدارس للجميع يتعلمون فيها بلا مقابل ، ويرون التعليم حقا مشتركا للجميع لا ينازع فيه منازع ، كما كانوا يقيمون موارد للماء يشرب منها كل ظامىء .

وكانوا يعتبرون هذا كله وما اليه حقا مسلما به لذوى الحق فى الصدقة ممن ورد النص عليهم فى آيات القرآن الكريم .

ويضيف المؤلف الى هذه الافكار قول أن الاشتراكية متحققة من العبادات . فمعنى الاشتراكية واضح فى صلاة الجماعة وفى الصوم كما ان فريضة الحج تنطوى على معانى الاشتراكية الاسلامية حتى لا يبالغ من يقول انها أوضح مظهر لهذه المعانى جميعا .

والفصل الثالث من كتاب الدكتور هيكل خصصه للمبادىء الرئيسية للحرية الشخصية التى قامت على اساسها مواثيق التنظيم الدولى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مبينا مابين هذه المبادىء وبين مقررات الاسلام من صلة التقارب أو التباعد بين الطرفين .

كما اوضح مايترتب على وجود هذه الصلة من مسئوليات جسيمة وتبعات عظيمة فى بناء المجتمع الدولى المعاصر .

اما الجزء الاخير من كتاب الدكتور محمدحسين هيكل الآنف الذكر فهو خاص بالاماكن المقدسة فى الشرق الاوسط ، وقد تعرض فيه المؤلف الى اثر هذه المعالم الدينية فى الحياة الروحية فى العالم .

وحديثه فى هذا الجزء يذكرنا بكتابه المعروف «فى منزل الوحى » الذى تناول فيه الاماكن الاسلامية المقدسة غير أنه فى هذا الكتاب لا يقصر الحديث على المعالم الاسلامية انما يتناول أيضا الاماكن المسيحية المقدسة مثل كنيسة المهد ببيت لحم وكنيسة القيامة .

وقال ان مولد عيسى معجزة فى الاسلام كما انه معجزة فى المسيحية فقد نفخ الله من روحه فى مريم فحملت فولدت عيسى فكان ذلك آية من آيات الله كما تناول الدكتور هيكل « مبكى اليهود » وصورة الحداء .

وقال الدكتور محمد حسين هيكل ان فكرة التوجه الى الله بالتوبة وطلب المغفرة هى التى ابقت الاماكن المقدسة جديدة أمام كل جديد .

وهى التى انشأت تلك الاماكن أول أمرها .

وهى الاساس لنشأة أقدم هذه الاماكن واكثرها قدسية .

فمنذ فجر الاسلام كان الطواف بالكعبة يجمع كل معانى التوجه لله من شكر الى رجاء الى توبة الى استغفار .

ومن ثم كان شعور الحجاج اذ يبلغون هذه الاماكن المقدسة قويا فياضا ، بمعان روحية جليلة لا سبيل الى تصورها فى غير هذه الاماكن .

وقد حض الله تعالى على تبجيل الاماكن المقدسة فى الاسلام ، فكان مما قاله فى مقام ابراهيم

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى »

كما قال تعالى فى الصفا والمروة « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا ، فان الله شاكر عليم »

هذا قليل من كثير مما تضمنه هذا الكتاب القيم الذى دبجته براعة المؤرخ الراحل محمد حسنين هيكل وانه لمن أمتع ما ألفه الفقيد ، وأروع ماصدر فى تاريخ الاسلام .

النقد الذاتي في الإسلام ..

الأستاذ محمد محمد الشرقاوي

النقد الذاتي .. يعني التصدي لكل صاحب فكرة أو رأى .. كائنا من كان .. لمناقشته فكرته ، ومساءلته رأيه .. لتوضيح جانب خفى عليه أمره ، أو لتصحيح وضع اشتبه عليه وجهه ، أو لاسداء نصح وجب اسداؤه ، وذلك بقصد الوصول الى وجه الحق عن طريق التفاهم الحسن والتعاون المثمر البناء .

وهو بهذا الاعتبار .. تعبير صادق عن طبائع الأشياء ، وانبثاق فطرى عن فلسفة المجتمعات .. اذ أن دعوى الكمال المطلق لانسان ـ أيا كان لونه ـ تتناقض مع حتمية التعايش الاجتماعى .. الذى يهدف الى التفاعل .. والتكامل مع الآخرين فكرا وعملا ومن أجل ذلك كان الانسان مدنيا بطبعه .. لا يمكنه البقاء والارتقاء .. الا ضمن هيئة انسانية منسقة الأعمال .. محددة الأهداف .

والنقد الذاتى يشكل من الناحية السياسية الاطار الذى تبدو فيه حرية الكلمة بأجلى مظاهرها والتى هى حجر الزاوية فى صرح الحرية الحقيقية لانها تعنى حرية الفكر وحرية الرأى وحرية العقيدة وحرية الاجتماع .. وهذه فى مجموعها تمثل مشاعل الهداية والتوجيه على طريق العمل الجاد ، وتورث الحذر والأمن من مفاجآت المستقبل المجهول .

وحرية الكلمة أثمن ما تمخضت عنه جهود المكافحين .. لتخليص الانسان من رواسب الماضى الذى كانت تدين فيه الشعوب بتأليه الحكام ، وعصمة الولاة ، وانحدارهم من سلالات ما وراء الطبيعة ، وتقرر الحقيقة الكبرى وهى أن العصمة لله وحده وأن أى انسان عرضة للطيش والنزق .. ويخامره السهو والنسيان ، ويعتريه الغرور والزهو والكبرياء المزعوم .

وتعاليم الاسلام تقرر حق النقد الذاتى فى كل مجال .. ومع أى انسان ، وتثبت قواعد الرقابة الفكرية والتنفيذية فى المجتمع ، وتمنح العقل حق الاعتراض والمناقشة ، وتحترم ما قد تتبلور عنه الآراء الحرة المبنية على التجارب الصادقة أو المنطق السليم وفى الحديث الشريف ((ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن)) .

وفى الميثاق الوطنى تأييد وتأكيد لحق النقد الذاتى وكفالته لكل مواطن يستهدف

التوجيه والبناء وقد تحدث الميثاق عن المناقشة الحرة باعتبارها واحدة من قدرات ثلاث لابد منها لتسليح الثورة العربية فى انطلاقتها الكبرى والتى هى أداة النضال العربى الآن وصورته المعاصرة وقد سرد الباب الثانى من الميثاق تلك القدرات وأولها : **الوعى القائم على الاقتناع العلمى النابع من الفكر المستنير والناتج من المناقشة الحرة التى تتمرد على سياط التعصب أو الارهاب .**

ومن هذا القبيل الاشادة بحرية الصحافة التى تمثل المرآة العاكسة للرأى العام المستنير بآرائه الحرة ، ونقده البناء وقد نص فى الميثاق : **على أن تكون الصحافة ملكا للشعب بعيدا عن تحكم رأس المال لتكون حريتها بدورها امتدادا لحرية الشعب ، كما ذكر فى الباب** السابع : **« ان الانسان الحر هو أساس المجتمع الحر ، وأن حرية كل فرد فى صنع مستقبله وفى تحديد مكانته فى المجتمع وفى التعبير عن رأيه ، وفى اسهامه الايجابى فى قيادة التطور وتوجيهه بكل فكره وتجربته هى السبيل الوحيد لتحقيق آمال الأمة » .**

ولقد شهد عصر النبوة صورا مشرقة للشجاعة الأدبية ممثلة فى توجيه المناقشة والنقد البرىء الى صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم الذى مهد لذلك بالآيات القرآنية الكريمة **« وشاورهم فى الأمر » .. « وأمرهم شورى بينهم »** .. فكان للنقد الذاتى مجال فسيح وكلمة مسموعة .. وذلك بعدما قرر الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه بشر ككل البشر ، وأنه فيما يتعلق بالقضاء بين الخصوم .. قد يبنى احكامه على ما يظهر له من خلال الحجج والبراهين التى يدلى بها الفرماء ، وأنه قد يستعجم عليه بعض الحقائق وحينئذ فمن الواجب على المتخاصمين أن يرجعوا أولا الى ضمائرهم ووجدانهم يستفتونها ويستلهمونها الحق .. قبل ان يلقوا بآذانهم الى اقوال الحكام ، واحكام القضاة وقد روى فى الصحاح قوله عليه الصلاة والسلام : **« انكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذه .. « انما اقتطع له قطعة من النار » .**

وقد أدرك الصحابة بفطرتهم القويمة أن شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام تمثل أربعة جوانب .. يختلف كل منها عن الآخر :

فهو كرسول .. مبلغ وناقل عن ربه ومن هنا لا تتأتى معارضته ولا نقده فيما يبلغه عن ربه كما فى تبليغ الصلاة وتبيين مناسك الحج ونحو ذلك .

وهو كمفت : يخبر ايضا عن ربه .. لكن بواسطة ما يجده فى الأدلة من أحكام ولذا لا يمكن نقده فيما يبلغه عن ربه بواسطة النظر والاستنباط .

ولكنه حين يتصدى للقضاء والفصل فى الخصومات فى ضوء ما يدلى به المتقاضون من حجج وبراهين .. وكذلك حين يتصدى لتوجيه السياسة العامة للأمة . ويزن أمور الدولة بمقاييس الحاكم العام الذى يأخذ فى اعتباره ملابسات الزمان والمكان والحال .. يرحب بهذا اللون من النقد الموجه ، ويراه ظلا للبشرية المتكافئة مع سائر البشر فى الأخذ والرد ، والحل والعقد ، والنقض والابرام .. قال صاحب كشف الأسرار : **« ان الرسول كان ينتظر الوحى .. فاذا لم يوح اليه فى حكم الوقائع عمل برأيه واجتهاده ، واجتهاد الرسول وان كان يحتمل الخطأ لكنه لا يحتمل الاقرار عليه .. فهو صواب لا محاله .. بخلاف اجتهاد غيره من الناس فانه يحتمل الخطأ والقرار عليه » .**

وقد اجتهد الرسول فى أسرى بدر .. فنزل العتاب ، واجتهد فى الاذن للمنافقين ، فنزل قوله تعالى : **« عفا الله عنك .. لم أذنت لهم .. »**

وهناك وقائع محددة فى فجر الدعوة الاسلامية تلقى ضوءا على مدى احترام الاسلام للرأى الحر النابع من نصيحة محضة .. فمن ذلك :

أن سعد بن معاذ ، وسعد بن عباده رضى عنهما اعترضا على ما كان الرسول يرتئيه من دفع نصف ثمار المدينة للأحزاب الذين تحزبوا لقتاله .... وقالا : **« يا رسول الله انهم لم ينالوا**

فى الجاهلية من ثمار المدينة الا بشراء أو قرى « ضيافة » فاذا أعزنا الله بالاسلام لا نعطيهم الدنية .. فليس بيننا وبينهم الا السيف » فنزل الرسول على رأيهما .

وحينما أراد الرسول النزول بالجيش بعيدا عن موارد الماءيوم بدر - اعترض الحباب ابن المنذر أو أسيد بن حضير وقال للرسول : **« ان كان عن رأى فانى أرى أن ننزل على الماء ، ونأخذ الحياض »** فوافقه الرسول على ما رأى ، وارتحل الى حيث أشار .

ولما دخل الرسول مكة فاتحا قال : **« حرم الله عز وجل مكة فلم تحل لأحد من قبلى ولا من بعدى .. أحلت لى ساعة من نهار .. لا يختلى خلاها (لا يقطع حشيشها الرطب) ولا يعتضدشجرها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها الا لمعرف » فاعترض العباس رضى الله عنه على قطع الأشجار وقال : الا الازخر (نبات طيب الرائحة) لصاغتنا وقبورنا) فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الا الاخر »** .

وقد ذكر الدارمى فى كتاب الرؤيا : **«قالت الأنصار : رددنا على النبى رأيه »** وذكر البزدوى أن الرسول كان يقول لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما : **« قولا .. فانى فيما لم يوح الى مثلكما »** .

وفى القرن الثانى للهجرة نشطت حركة النقد الذاتى بصورة لم يشهدها تاريخ الملل والنحل فى سالف العصر .. فلقد ظهر فى محيط الأمة الاسلامية دخلاء على الملة .. انتهزوا فرصة قبول الناس لحديث الرسول بسهولة .. وراحوا ينفثون سمومهم ويدسون أحقادهم ممثلة فى خرافات مموهة ، واسرائيليات محبوكة لا تلائم روح الدين ، ولا تتمشى مع مبادىء الاسلام وأهدافه وراحوا يروجونها بالحديث وسرعان ما تصدى لهؤلاء الدخلاء نقاد أحرار .. مازوا الخبيث من الطيب ، وفرقوا بين الغث والسمين بما أظهروه من شجاعة فى الرأى ، وجراة فى الحق ، وصلابة فى الدفاع وكان لهذا أكبر الأثر فى نضوج الشخصية الاستقلالية فى الفكر الاسلامى ، وانطباعها بملامح خاصة غير مستوردة ، ولا منقولة .

فمن ذلك حركة رجال الحديث الذين بدءوا بنشر أحاديث الرسول التى تحرم الكذب عليه مثل الحديث الذى رواه أكثر من ثمانين صحابيا وهو : **« من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »** .

وكذلك حركة الشعراء الذين ضمنوا أشعارهم معانى السخرية والتهكم من مختلقى الحديث وفضحوا الاعيبهم فى بحور الشعر .. وقد زخر كتابا الأغانى والف ليلة وليلة بهذا اللون من النقد اللاذع ومنه ما ذكره صاحب الأغانى من شعر محمد بن مناذر :

وجدت فى الآثار فى بعض ما ... حدثنا الأشياخ فى السند

مما روى الأعمش عن جابر ... وعامر الشعبى والأسود

وما روى شعبة عن عاصم ... وقال حماد عن فرقد

وصية جاءت الى كل ذى ... خدخلا من شعر أسود

على أن أهم تلك الحركات وأشملها ما قام به رجال السند من البحث عن أحوال الرجال الذين رووا الحديث ، وضبط عدالتهم وأحوالهم وتواريخ حياتهم ووصفوا فى ذلك **المؤلفات الضخمة منها : كتاب الثقات لابن** حبان ، وكتاب الضعفاء للبخارى ، وكتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى ، وكتاب الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى ، وقد عرضوا فى هذه الكتب لكل صغيرة وكبيرة فى ذات الراوى ، وتحليلها على ضوء الواقع والتاريخ فنقدوا فى الرجال خلقهم ، ودينهم ، وصلتهم بحركات الابتداع فى عصرهم ، ومدى حبهم لفضيلة الصدق ، ومبلغ استمساك عقولهم بما **يحفظون مما يسمعون ، ومؤهلاتهم للشهادة** العامة ، وخلعوا على كل حال من تلك الأحوال الوصف المميز مثل : ثقة .. ثبت .. حجة .. عدل .. ضابط .. حافظ .. صدوق .. محله الصدق .. لا بأس به .

ووضعوا صفات دون ذلك مثل : صالح الحديث .. غير كذوب ، لين الحديث ، ليس

بقوى .. ضعيف .. متروك الحديث ... كذاب .. وهذا ما يسمى فى عرف علماء الحديث « **الجرح والتعديل** » وأبرز مؤلف فيه كتاب « الجرح والتعديل » لأبى حاتم الرازى وجزء منه مخطوط فى باريس ، وجزء فى مصر ، وآخر فى استامبول .

وقد أثارت هذه الشجاعة العلمية فى النقد الذاتى حفيظة ارباب البدع حتى قال ابن القطان : **ليس فى الدنيا مبتدع الا وهو يكره اهل الحديث** » .

ومن اروع استدلالات العلماء فى هذا الفن استشهادهم بالتاريخ فقالوا مثلا : رواية قابوس بن ظبيان عن أبيه عن سلمان ردها الامام البخارى لأن سلمان لم يعش فى وقت يستطيع ظبيان سماعه فيه ، وقالوا ايضا : رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل مردودة ايضا لأن معاذا مات سنة ١٧ هـ وهى نفس السنة التى ولد فيها عبد الرحمن .

وهكذا بهذه العناية الفائقة وتلك الشجاعة الأدبية استطاع المسلمون الأولون أن يجعلوا لحرية الكلمة محرابا مقدسا ، وأن يفسحوا للنقد الذاتى مكانا فى صفوفهم فحفظوا للدين قدسيته ، وردوا على المضلل دسيسته .. وكان هذا الصنيع منبثقا من روح الاسلام ونصوصه التى تدعو الى المجاهرة بالرأى النضيج والفكرة الصائبة وحسبنا فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة قالوا لمن .. قال : لله ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم » .

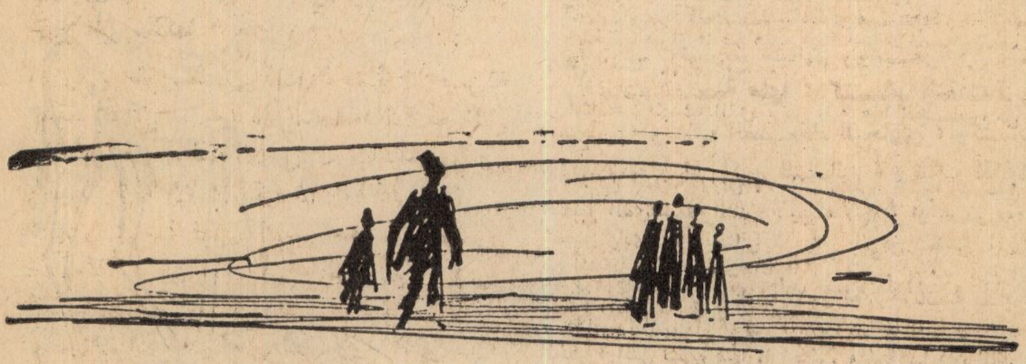

قصة يوسف الصديق بين القرآن الكريم وبين كتب العهد القديم

للأستاذ بهاء الدين القباني

- ٤ -

نحن الان على ابواب المرحلة الرابعة من قصة يوسف الصديق ، تلك التى تبدأ من رفض يوسف الخروج من السجن حتى خروجه منه بعد ان استبانت براءته ..

ولقد عودنا القارىء أثناء المراحل الثلاثة السابقة ان يتدرج معنا فى كل مرحلة ليتابع مقارنة بناء القصة فى كل من سفر التكوين والقرآن الكريم .. فتارة يرى فى المرحلة الواحدة صورا وحوادث تختلف وتتشابه من بعض الوجوه وردت فى كل منهما .. وتارة اخرى يفتقد الصورة أو الحادثة افتقادا فى سفر التكوين ، بينما يجدها تنتظم بناء القصة فى القرآن .. ولاشك أن القارىء ينتظر منا عقد المقارنة التى عهدها فى بحثنا وآلفها منا ، فيحكم عقله وعلمه وثقافته فيما نورد من أوجه .. ولكننا هنا فى هذه المرحلة الرابعة من قصة يوسف لن نستطيع عقد المقارنة على الاطلاق .. وسنكتفى بايراد ما جاء عنها فى القرآن الكريم .. فان سفر التكوين قد أسقط المرحلة الرابعة من القصة اسقاطا !! وأغفلها اغفالا !! لم يذكر عنها فقرة واحدة فقط نستطيع معها احتذاء ما حذوناه فى المراحل السابقة .. وقد يعن لمتسائل : قد تكون المرحلة الرابعة من قصة يوسف من الضحالة وعدم الاهمية التى يمكن القول معها باسقاطها ؟؟ ولكننا نطمئن القارىء أن المرحلة الرابعة تضم اروع نقاط جوهرية يمكن ان تنبنى عليها قصة متكاملة .. اذا نحن اغفلناها فان القصة جميعا تصبح غائمة وفى فوضى شاملة لا ضابط لها .. بل لا ينبغى أن نعدها قصة فى القصص ! أما كيف لم يأت بها سفر التكوين وهو الكتاب المفروض فيه انه موحى به من الله تعالى ؟؟ فهذا هو السر المستغلق الذى نود ان يكشفه لنا المتعمقون فى دراسة سفر التكوين .. ان كان هناك متعمقون فى دراسته !!

هذه المرحلة الرابعة بالذات قد بينها القرآن تبيانا معجزا يضم ثلاث نقاط هامة : الاولى : براءة يوسف الكبرى .. وتاثيرها على أحداث القصة ..

الثانية : ابراز عناصر هامة من عناصر شخصية يوسف كبطل للقصة ..

الثالثة : الهدف الذى يرمى اليه هذا الجزء من القصة ..

اما عن النقطة الاولى .. فان تعبيرا خطيرا كهذا التعبير الذى سمعه الملك عن رؤياه لا يمكن أن يصدر عن شخص عادى .. وبالتالى لا يصدر الا عن شخص اوتى من الحكمة والذكاء قدرا خارقا .. فتعبير يوسف للرؤيا لم يكن مجرد اتيان بالطرف الاخر لمعادلة رياضية بحتة .. وانما كان يحمل فى ثناياه علاجا شافيا للمشكلة الخطيرة التى تنبىء عنها الرؤيا .. وعلى هذا فان الملك حيال شخص يبز جميع معبرى الرؤيا فى مملكته .. بل ويعبر هذه الرؤيا على وجه يدعو الى الدهشة والاستغراب .. الى جانب منطقيته واقناعه .. وعلى هذا فهو حقيق بان يصافح الملك عليه نظرة فاحصة .. ويتطلع الى ذلك الشخص الذى يصرح بان الرؤيا تتوعد ارض مصر بالخراب الشامل طوال مدى قوامه سبع سنين .. وتتوعد بتدمير مليكها وجند مليكها .. بل ويكون عهد هذا الملك اما عهدا يكتبه التاريخ بسحائب من ظلام .. واما بسطور من نور .. ولا توسط بينها !! ولابد من أن ينشط الملك لملاقاة السنين السبع الشداد الطوال اللائى سيقرنهن التاريخ باسمه وبعهده .. ما لم يعدوا للامر عدته بتخزين الحب طوال سبع سنين مخضرة !

هذا التوعد الرهيب امسى كالسيف المصلت على رقبة الملك مما حدا بالملك ان يرسل رسولا يستدعى بـــه يوسف من السجن على الفور .. ليتفاهم معه راســا .. وما أن بلغ الرسول الى يوسف رســـــالة الملك باستدعائه .. حتى دهش الجميع من رفــض يوسف الخروج من السجن .. ومن رفعه راية العصيان فى وجه الملك .. ونستطيع ان نذكر أن الرفض من يوســف جاء نتيجة علمه بان الملك يتحرق شوقا الى رؤيته .. بـل ويتلهف اليه .. فأراد يوسف أثناء اشتياق الملك ولهفته تلك أن يطلب من الملك مطلبا يسيرا .. فان الملك الملىء بانفعالات الرضا والغبطة الممزوجتين بانفعالات الرهبة والاشفاق من عظمة تعبير الرؤيا .. ومن نتائجها البالغة الخطورة لا يمكن ان يرفض ليوسف مطلبا مهمـــا كان عزيزا .. بل ان الملك سينزل على رغبة يوسف فى كل ما يعن له .. والا .. فكيف ياتمر الملك بأمر سجين نزيل فى السجن دون محاكمة ودون ذنب محدد يمكن القــول بانه سجن من أجله .. ويتزل على رغبة ذلك السجين ويتجاهل كبرياء الملوك وعظمة السلطان وينفذ – فورا – لعبد بسيط ما يطلبه منه .. وهو الملك أولى له فاولى ان يترك يوسف يقاسى الحرمان من الحرية فى سجنه دون أن يعيره أدنى انتباه .. ما لم يكن الملك قد رأى بفكره الثاقب أن الأمر أخطر من أن يتجاهله الملك .. وأبعد فى مغزاه عن مطلب يسير كمطلب يوسف .. وأن هذا السجين ليس امرءا عاديا بأى حال .. ولا شخصا مثل الشخوص التى تتكون منها حاشـــيته وأهله .. وليس بمستبعد ان يكون الملك قد اعتقد بنبوة يوسف الامر الذى يعده معه ذكيا غير عادى .. ومــا لم يكن يوسف نفسه يعلم بان نفسية الملك قد تغيرت .. وأن الملك محتاج ليوسف أضعاف أضعاف ما يحتاج يوسف للملك .. هذا المطلب اليسير العميق هو أن يعــرف يوسف فلسفة قطع النسوة لأيديهن بالسكين أثناء المأدبة التى أعدتها امرأة العزيز لهن منذ سنين..وبالتالى حتى يكون الملك هو الاخر على بينة منها .. هذه الفلســفة العميقة اذا ما تعهدها الملك بالبحث .. فان يوسف سيصل حتما الى تبرئة ساحة نفسه مما نسب اليه منذ سنين .. وهو غرضه الأجل .. فيخرج عزيزا كريمــا .. وفى هذا يقول القرآن بعد أن نقل الساقى تعبير يوسف للملك : « وقال الملك ائتونى به ، فلما جــاءه الرسول قال ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم » – يوسف آية ٥٠ – .. وهذا عود بليغ موجز من يوسف الى الوراء .. لم يزد يوسف على أن جاء بنتيجة حدث ضخم وقع منــذ سنين وهو تقطيع النسوة لايديهن بالسكين اثناء المأدبة التى أقامتها امرأة العزيز لهن .. وترك مقدمة ذلــك الحدث تأتى هى من تلقاء نفسها لتستبين فى الحاضر .. وكانه لم يمسك طرف الخيط من البداية .. وانمــا أمسك اليسير من النهاية . وعلى هذا فان المطلب البليغ الذى طلبه يوسف الى الملك لابد له من اجابة منطقيــة سريعة فعالة من جانب الملك .. وتكون هذه الاجابة – بداهة – بأن يجمع الملك النسوة اللائى أشار اليهــن يوسف وأن تكون بينهن امرأة العزيز ويســـألهن عن فلسفة مخادعتهن ليوسف ... فيبعث بهذا ما طــواه الزمن تحت كاهل بضع سنين .. والنسوة لا شــك أثناء مثولهن بين حضرة الملك – وسماعهن بالأمــر – سينفين جنس السوء عن يوسف .. فانهن وقد مضت عليهن بضع سنين منذ وقوع تلك الحادثة المشهورة .. لابد وأنهن قد رجعن الى عقولهن بعد انطفاء جــذوة شهوتهن .. فخطان أنفسهن بانفسهن .. واعترفن امام أنفسهن بأنهن كن غريرات فى مراودة يوسف عن نفسه .. وهن – بلا شك – متألمات بزجهن بريئا عفيفا فى السجن هو يوسف ! .. وكذلك الحال فى امرأة العزيز .. فلابد أن مضى سنين ويوسف بعيد عنها قد أطفأت من جذوتها المشتعلة .. وانها لابد قد عاتبت نفسها على مابدر منهــا حيال يوسف ومن مراودته عن نفسه .. ومن تغليقهــا للابواب .. ومن تدللها عليه أنها تجهزت له .. وذلــك بخلوها الى نفسها فى بيتها .. حيث تجتر الانثى ما مر بها من الحوادث والذكريات فتحكم عليها حكما يتدخل عقلها فيه دون قلبها .. فلابد اذن من أنها ستعترف بالحقيقة .. وسيعلم زوجها العزيز كيف أنها لم تخنه أثناء غيابه .. وستتعلل بأن النفس الأمارة بالسوء هى التى كادت توقعها فى المحظور .. وهى لابد أن ضميرها قد وخزها مرارا على سجن يوسف دون ذنب اقترفه أو اقترفه أو جرم اتى به .. فحدثتها نفسها باخراجه من السجن .. ولكن كبرياءها وخوفها من الوقوع مــرة أخرى فى المحظور جعلاها تحجم عن طلب الافراج عنه

وعلى الفور .. واختصـارا للوقت .. لشدة تلهف الملك الى لقاء يوسف .. وتلبية لمطلبه اليســير الذى أصبح عزيزا لدى الملك .. أراد الملك ان يتحقق الأمر بنفسه ويستجوبهن وقد جمعهن الملك فعلا – كما دار فى خلد يوسف – وبدأ الملك فى استجوابهن :

« قال : ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه ؟

قلن : حاش لله .. ما علمنا عليه من سوء !

قالت امرأة العــزيز : الآن حصحص الحق !.. أنا راودته عن نفسه

وانه لمن الصادقين ، ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائنين ، ومــا أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى .. ان ربى غفور رحيم . » (يوسف ٥١ – ٥٣)

وكان هذا الاعتراف صريحا للغاية يستحيل معه وجود شك فى براءة يوسف . هذه البراءة لم تأت عفــوا أو مصادفة .. وانما مهدت لها القصة القرآنية تمهيــدا بليغا فى بناء محكم ينتظم مواضع متعددة منها .. ولابد لنا من الالمام بها الماما سريعا لنتعرف على مدى ارتباط الحوادث وتاثير بعضها على البعض الاخر فى البنـــاء القصصى :

أولا : أعرض يوسف عن امرأة العزيز فمزقت قميصه من الخلف : « واستبقا الباب .. وقدت قميصه من دبر » (يوسف ٢٥) ثانيا : شهادة الذى هو من أهلها وتخطئته لامرأة العزيز : « ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر .. قال : انه من كيدكن .. ان كيدكن عظيـــم . يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انككنت من الخاطئين» (يوسف ٢٦ – ٢٩)

ثالثا : اعتراف امرأة العزيز أمام النسوة اللاتى اقامت لهن المــأدبة بقولها « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم (يوسف ٣٢) رابعا : جاءت شهادة النسوة أمام الملك بعدذلك تنفى السوء عن يوسف عندماقلن : «حاش لله ما علمنا عليه من سوء » .. (يوسف ٥١) خامسا: وضحت البــراءة تماما عندما اعترفت امرأة العزيز أمام

الملك بقـــولها : « الآن حصحص الحق !. أنا راودته عن نفسه .. وانه لمن الصادقين » .. (يوسف ٥١)

هذه البراءة الكبرى التى لابد منها ليوسف لاستعماله على خزائن الارض وجعله حاكما عاما عليها ـ كما سيجيء ـ أسقطها مترجم سفر التكوين اسقاطا يمكن القول معه بأن المترجم قد تنكب الطريق القويم للترجمة .. وعلى ما يبدو ان المترجم أول ما تعلم الترجمة تعلمها فى قصة يوسف فى سفر التكوين فجاءت تجربته غير ناضـجة اطلاقا .. ومشوهة تشويها شديد الانحدار .

هذا .عن أولى النقاط الثلاث .. أما عن ثانيها وهو الخاص باظهار عناصر شخصية البطل .. ففى القصـة الطويلة لابد لنجاحها من دراسة وافية لشخصية البطل وتبيان عناصرها المحددة .. لتتكون عند القارىء فكرة أو صورة واضحة لجميع جنباتها .. فلا يختلط الكلام عن البطل مع الكلام عمن له دور ثانوى فى القصة .. وقد يكون اظهار هذه العناصر بطريق مباشر وهو محمود .. ما دام القصاص يراعى عدم الخطابية فى السرد وعدم رص الصفات رصا كالطوب فى الجدار .. وقـد يكون هذا الاظهار لعناصر شخصية البطل بطريق غير مباشر وهـو اتقن الانواع بل وأروعه وأعمقه .. فان القصاص المبدع يأتى بالحادثة أو الصورة فيستخلص القارىء منها بعض صور شخصية البطل كالشجاعة والجبن .. والعـزة والضعة .. والغيرة وما اليهـــــا .. او يمكن كذلك التوسط بين المباشر وغير المباشر ..

ولقد جاء القرآن بدراسة وافية لشخصـية يوسف بالطريق الثانى غير المباشر ليس هذا مقام تبيانها جميعا .. ولكننا سنقتصر على ذكر عنصرين منها فقط يتعلقان بما نحن بصدده من الرحلة الرابعة هما الاخلاق ... والأمـانة ..

أما عن الأخـلاق فان الانبيـــاء جميعا يتســمون بالاخلاق الفاضلة .. قـال الله عن يوسف : « انه من عبادنا المخلصين » (يوسف ٢٤)

وقال الله لموسى : « ولتصنع على عينى » (طه ٣٩)

وقال الله عن عيسى : « وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين (آل عمران ٤٥)

وقال الله لمحمد : « وانك لعلى خـــلق عظيـــم » (القلم ٣)

هذه الاخلاق الكريمة ظهرت جليا فى شخصية يوسف فى مرحلتنا هذه عندما رفض يوسف الخروج من السجن وقال للرسول الذى جاءه : « ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم » (يوسف ٥٠)

نستخلص من هذه الاية ثلاثة ادلة على تادب يوسف وأخلاقه الفاضلة :

الاول : أن يوسف أشار على الرسول أن يرجع الى الملك فيسأله عن شأن النسوة ، بمعنى ان الملك لابد وانه يعلم بكل صغيرة وكبيرة فى أنحاء مملكته ، وبالتـــــالى فهو يعلم ما حدث من هؤلاء النسوة فيطلب من الملك أن يجيبه عن حالهن .. ولم يطلب الى الملك أن يفتش عن ذلك وفى هذا ما فيه من غفلة الملك عما يجرى فى مملكته .. وهذا تجرؤ عليه .. ذلك القول دعا الملك أن يستظهر الحقيقة مع الأسباب التى قدمناها آنفا .. وأن يجمع النسوة ويقول لهن : « ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه ؟ » (يوسف ٥١)

الثانى : ان يوسف لم يتعرض لامرأة العزيز .. ولم ينسب اليها أى اتهام أمام الملك تادبا وتكرما مع أنهـــا اصل ما نزل به .. هذا الأدب حملها على الاعترافـ بمـا كان منهـا .. ونزاهتــه وعفته فقـالت : « أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين . » (يوسف ٥١)

الثالث : ان يوسف لم يصرح للملك بمراودة النسوة له ولم ينسب اليهن الفساد مكتفيا بقوله : « ان ربى بكيدهن عليم . (يوسف ٥٠) مما دعاهن على الفور ان يبرئن ساحته بقولهن « حاش لله ما علمنـــا عليــه من سوء » (يوسف ٥١) .

أما من ناحية الامانة فقد امهرها القرآن ليوسف فى مواضع متعددة من القصة جميعا .. ولكننا ســنكتفى بذكر ما جاء عن أمانته عليه السلام فى المرحلة الرابعـة التى نحن بصددها :

ان يوسف لم يشأ أن يخون ســيده العزيز فى امرأته .. فهذا السيد الذى ولاه على جميع شئونه خليق أن يحترمه وأن يكف أى أذى قد يلحق بامرأته .. مع أنه كان فى مقدوره ان لا يدخل السجن اذا هو نفذ ما أشـارت عليه به امرأة العزيز .. ولكنه دخل السجن خوفا من هذه الخيانة وقد أثابه الملك اثابة ضخمة فقال ليوسف « أنك اليوم لدينا مكين أميـن . » (يوسف ٥٤) أى مؤتمن على كل شىء ..

ونأتى الى النقطة الثالثة وهى الخاصة بالهدف الذى ترمى اليه هذه المرحلة الرابعة .. فان القصة المتكاملة لابد من ان توجه القارىء وجهة معينة صـــالحة . أى تعظه وتنصحه ولكن ليس فى الاسلوب الابوى عند مـــا ينصح الاب ولده مثلا .. وانما فى اسلوب مشــوق وجذاب .. ومستترة أثناء سير الحوادث حتى لا يشعر القارىء انه أمام كتاب ملىء بالنصائح والحكم فيشعر بالسأم .. فيوسف رفض الخروج من الســجن حتى تستبين براءته أولا .. لانه لا يريــــد أن يقف مواقف التهم .. فاذا هو لبى نداء الملك وخرج مسرعا دون أن تستبين براءته فقد يشير اليه الناس بالبنان انه كان فى السجن وحبس لأجل كذا .. ويكون محلا للتنـــدر والسخرية .. وتزيد اشاعات الناس من حوله .. وبعد أن تكون الاشاعة على نطاق ضيق اذ بها تتسع فتشــمل جنبات متعددة من حياته مما قد يعرقلها فيما بعد .... فقول يوسف للرسول الذى جاءه السجن من قبل الملك « ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعـن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم . » (يوسف ٥٠) دليل على انه لم يرتض لنفسه أن يشك فى أمره وهو الطاهر الذيل العفيف النبيل .. فاراد تبرئة ساحته ليقطع كل لسان قد يتقول عليه فى المستقبل ..

وقد روى الآلوسى : « ان الزمخشرى كان ســـاقط الرجل قد أثبت على القضاة أن رجله لم تقطع فى جنـاية ولا فساد بل سقطت من ثلج أصابها فى بعض الاسفار .. وكان يظهر مكتوب القضاة فى كل بلد دخله خوفــا من تهمة السوء » ..

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من كان يؤمن بالله تعالى واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم »

والى المرحلة الخامسة من هذه القصة الحكيمـة فى العدد القادم ان شاء الله ..

الإسلام بين العقل والنقل

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (آل عمران ١١٠) .

الأمة العربية أمة قديمة ذكرت فى جميع الكتب سواء التاريخية أم الدينية قديما وحديثا ، وهى من الجنس الأبيض أرقى الأجناس البشرية ، وكان أوائل العرب وان كانوا قبائل عدة الا أنهم فى عمومهم وعلى كثرة قبائلهم ينقسمون الى قسمين كبيرين :

أولهما : بنوقحطان بن عابر ويسكنون اليمن ، وثانيهما بنو اسماعيل عليه السلام فهم العرب الاسماعيلية أو العدنانية ، وهم يسكنون الحجاز ونجد وأواسط جزيرة العرب .

وكان بنو قحطان يسمون بالعرب العاربة وبنواسماعيل يسمون بالعرب المستعربة وقد باد من العرب قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وغيرهم ، وهم من العرب البائدة . وفى العرب من القديم قابلية عظيمة للارتقاء لأنهم كما قدمنا من الجنس السامى الأبيض ، والناظر الى الأمة العربية قبل بعثة النبى - صلى الله عليه وسلم - مباشرة كان يرى أن فى ماضيهم من اباء وشمم واعتزاز بالحياة القبلية مايمنعهم من أن تقوم لهم حكومة رئيسية مسيطرة تحكمهم لما أشربوه فى أنفسهم من التفاخر بالقبيلة والعشيرة وذهاب كل قبيلة منهم الى الرأى بأنها أولى بالسيادة . أو على الأقل يرى العقل أن تكوين أمة واحدة من أولئك العرب كجماعة متوحدة تخضع لها جميع الطبقات من المستحيل وان حدث كان أمرا خارقا للعادة لم يحدث فى أمة من الأمم السالفة .

ومعلوم ان الأمة العربية قبل البعثة المحمدية كانت قبائل متعادية لا تربطها رابطة وطنية ولا جنسية ولا دينية ، وكانت من العلم والتعليم فى أمية محضة وجاهلية مفرقة وكانت كما قدمنا فى الدين على أحط أشكال الوثنية . وكان لكل قبيلة الهها ، أو صنمها الذى تتخذه زلفى الى الله .

ولكن هذه الأمة الشموس المتفرقة المذاهب والآراء والجماعات والنحل قد جمعها الاسلام ودفعها الى الرقى فكان رقيها اسرع رقى ظهر فى أمة منذ نشأت البشرية ، فرقيها المفاجىء فى قليل من السنين وسيادتها للامم يعتبر أمرا خارقا للعادة أو قل انها معجزة بعد المعجزة الكبرى وهى معجزة القرآن وتكون ثالثة المعجزات بهذا الصدد أمية محمد بن عبدالله خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم - . ذلك الرسول الكريم الذى أرسله الله للناس اجمعين وقد خلق أميا وربى يتيما ، وولد عليه الصلاة والسلام سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح وعلى أرجح الأقوال وقد سمى العام عام الفيل وتوفى أبوه قبل أن يولد ثم توفيت والدته وهو فى السنة السادسة من عمره فاحتضنه جده عبد المطلب ثم توفى بعد ذلك الجد الكريم بعد سنتين فكفله عمه أبو طالب فتربى كما يتربى كل طفل عربى فى ذلك العهد على الأمية المحضة وفى وسط لا يثقف من قوى العقل والنفس الا بمقدار ما يثقف الأطفال أمثاله المحرومون من مصادر العلم والتعليم والكتابة وقد عاش عليه الصلاة والسلام فى قومه على هذا الحال وفى ذلك الوسط أربعين سنة ولم يؤخذ عليه فيها من قومه كذب أو خيانة ولم ير عليه أنه كان فى نيته أن يقودهم أو يسودهم أو أن يتنبأ بينهم وفقط كان من طهارة النفس وعلو الهمة بحيث لقب بالأمين ، وكان يدفعه علو همته الى أنه كان يتعبد أحيانا فى غار بجبل حراء بقرب مكة وكان يمكث فيه أياما ثم يعود الى أهله على مثل ما تركهم عليه .

غير أنه كان عليه الصلاة والسلام ممتلىء الجسم قوى البنية بعيدا عن الأوهام والخيالات والوساوس وسيئات الأخلاق ولم ير أنه كان مكثارا فى القول أو مذريا على قومه ما كانوا فيه بل كان يعيش فيهم كأحدهم غير أنه ما سجد لصنم قط ولا رؤى أمام كاهن أو عراف قط كما كان شأن غيره من العرب .

ودام هذا النبى الكريم والرسول العظيم على ذلك اربعين سنة .

وعلى حين فجاة بعد الأربعين فاجاه الوحى وهو يتعبد فى غاره فقال له حامل الوحى وهو جبريل عليه السلام : « اقرأ » فقال : « ما أنا بقارىء » أى أنى لا علم لى

بالقراءة او الكتابة فقال له جبريل : « اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » فقرأها ثم اعتراه مايعترى الطبيعةالبشرية منالدهشوالتعجبوبعض الرعب لرؤية كائن لكائن روحى يفاجئه ويقرئه وهو لم ير حالا مثل ذلك من قبل فرجع الى أهله خائفا مذعورا وهو يقول لهم « زملونىزملونى » أىغطونى وقد ظن ان قديكون الذي فاجأه شيطانا من الشياطين التى كان يسمع أنها تنزل على الكهان العرافين فطمانته خديجة بقولها « أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك تصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » .

ثم تتابع عليه الوحى بعد ذلك فتيقن أن الذى ينزل عليه هو الناموس الالهى الأعظم الذى كان ينزل علىجميع رسل الله من قبله وأن الخالق قد اختاره لانقاذ قومه وبنى نوعه من الضلالة ودفعهم الى الهدى فقام يدعو الناس الى الله ثلاثا وعشرين سنة بعد الاربعين لم يقصر خلالها فى تذكيرهم وارشادهم وجمع شملهم ولم ينتقل الى جوار ربه حتى كانت جزيرة العرب كلها بلد اسلام وقد صار العرب كلهم أمة واحدة تربطها رابطة واحدة وتجمعهم جامعة واحدة وهى الاسلام فكان لهم من تشريعه قانون عام ودستور ثابت ولهم شريعة قائمة على أخص وأعظم مبادىء الحرية والمساواة .

وقد نزل عليه – صلى الله عليه وسلم – قبل موته قول الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » فايقن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اذ ذاك أنه ملاق ربه وأنه على موعد من اليقين الاكبر فخطب فيهم خطبة الوداع وكان من جوامع حكمها « انى قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنة رسوله .

فالأمة العربية من هذه الجهة قامت على غير السنة الطبيعية فى قيام الأمم الراقية وما ارتقت أمة من الأمم خلال التاريخ الا بعد محاولات وتجارب وثورات وحروب قرنا بعد قرن قبل ذلك .

فالأمة المصرية مثلا أخذت فى أسباب الترقى أجيالا قبل رقيها الكامل حتى هبط اليها نبى الله ادريس عليه السلام وهو «هوروس الأكبر» «هرمس» عند اليونانيين . و «أخنوخ» عند العبرانيين وادريس عليه السلام فى لغة القرآن الكريم وقد كون جماعة أو مدرسة حكمت البلاد فيما بعد تحت اسم حكم « الحرشوش » أو تلاميذ هوروس وذلك قبل ميلاد المسيح بما يقرب من خمسة آلاف سنة أى قبل مينا أو ميناس أو مصرايم الذى جمع بين الوجهين الجنوبى والشمالى وأسس حكومات العائلات .

وما زالت تتدرج خلال الأجيال فى الرقى درجة بعد درجة حتى سادت ما حولها من الأمم التى كانت تعاصرها وتستمد رقيها منها كالبابليين والأشوريين والكلدان .

وكذلك الأمة اليونانية مثلا تكونت بواسطة أمة أسيوية وتدعى أمة التيتانيين رحلت اليها قبل رقى اليونان بعدة قرون وأدخلت اليها النظام والحكم شيئا فشيئا ثم انقرضت فوقعوا فى الهمجية مرة ثانية مدة من الزمان حتى جاءهم المصرى « سكرورس » فأسس مدينة «أثينا» وعلمهم الزراعة والبناء وشيئا من المعارف الضرورية ثم قدم عليهم « قدموس » الصورى بشىء من آثار المدنية الفينيقية وهكذا ترقت أمة اليونان تدريجيا بحسب سنن التاريخ .

وكذلك الأمة الرومانية وكان أصلها أخوان «روموليس» و«روموس» كانا يرأسان طائفة من القراصنة أدت بهم رحلاتهم الى تلك الجهة التى أسست فيها روما الباقية الى الآن فبنوا لأنفسهم أكواخا وأحاطوها بسور ثم قتل رومولوس أخاه واستبد برئاسة تلك الفئة من الناس ولم يكن معهم نساء فأرادوا مصاهرة جيرانهم من قبيلة أخرى فأبوا عليهم فأضمروا لهم الشر وأعدوا لهم مأدبة دعوا اليها جيرانهم مع نسائهم فلما انتظم حشدهم اخترط الرومانيون سيوفهم بضيوفهم فتلاوسبوا نساءهم واخذوا فى الترقى حتى تأسست أمة الرومان سنة ٧٥٣ قبل الميلاد .

وقد تكونت الأمة الاسرائيلية على هذه السنة التى تكونت عليها كل أمة فى الأرض وما أرسل اليهم موسى عليه السلام الا وهم أمة تجمعهم رابطة الجنسية والقومية وتربطهم بالدين روابط وكذلك أرسل عيسى عليه السلام الى بنى اسرائيل وهم أمة ذات دين ورابطة قوميةومدنية .

وقد قدمنا لك أن الامة الاسلامية هى الامة الوحيدة التى تكونت كمعجزة تحت تعاليم الوحى الالهى وكان واضع أساسها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – محمد على أعظم وأشرف وأطهر المبادىء المعروفة وفى قمتها التوحيد والسلام فاندفعت الى الامام حتى سادت الشعوب والأمم فى قليل من السنين ولم تجار الأمم الأخرى فى تدرجها للرقى مدة أجيال حتى تتمدن أو تسود ، والأمة الاسلامية قد ولد قانونها معها كاملا وهو القرآن وسنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقامت من مبدئها على أكرم الاصول وأفضل التشريعات الدستورية ومتمتعة بأفضل النظم الاجتماعية كالشورى والحرية فعاشت الأمة على ذلك وعاش أهلها قدوة لسائر الشعوب والأمم حتى تحقق قول الله تعالى « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » مريم « ٥٩ » .

والشبيبة الاسلامية اليوم معرضة لتأثير مدنية أوروبا وما تحمل فى طياتها من غث وثمين وحق وباطل ورقى وانحطاط مما تتذبذب معه الأفكار وتتضعضع المبادىء وتتشكك العقول حالة ان الاسلام كتابا وسنة دائرة واسعة الاطراف تسع سائر أدوار الانسانية للرقى لأنه كتابها أنزل لسائر البشر لا لطائفة بعينها من الخلق فانه دين الله وناموسه الأعظم جاء ليقيمهم على أعدل المناهج وأكرم المذاهب وأقوم الطرائق .

وقد استقامت الأمة تحت تعاليم القرآن طول عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبعده فكانت خير مثال للامم فى معالمها الداخلية ومراميها الخارجية وقد جمعت فى تقاليدها وتعاليمها تحت راية القرآن وسنة الرسول كل خير يتوق الى تحقيقه أو تحقيق بعضه مصلحو الأمم جميعا وقد استمر هذا الحال الكامل مدة أبى بكر وعمر وعثمان ثم استحال فى عهد على ومعاوية الى حروب أهلية سفكت فيها دماء طاهرة من خواص المسلمين وتفرق المفتونون منهم الى مذاهب وشيع وان كان ما زال فى المسلمين من القوم الى الآن الفرقة الناجية كما وعدهم الله فى قوله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » النور « ٥٥ » .

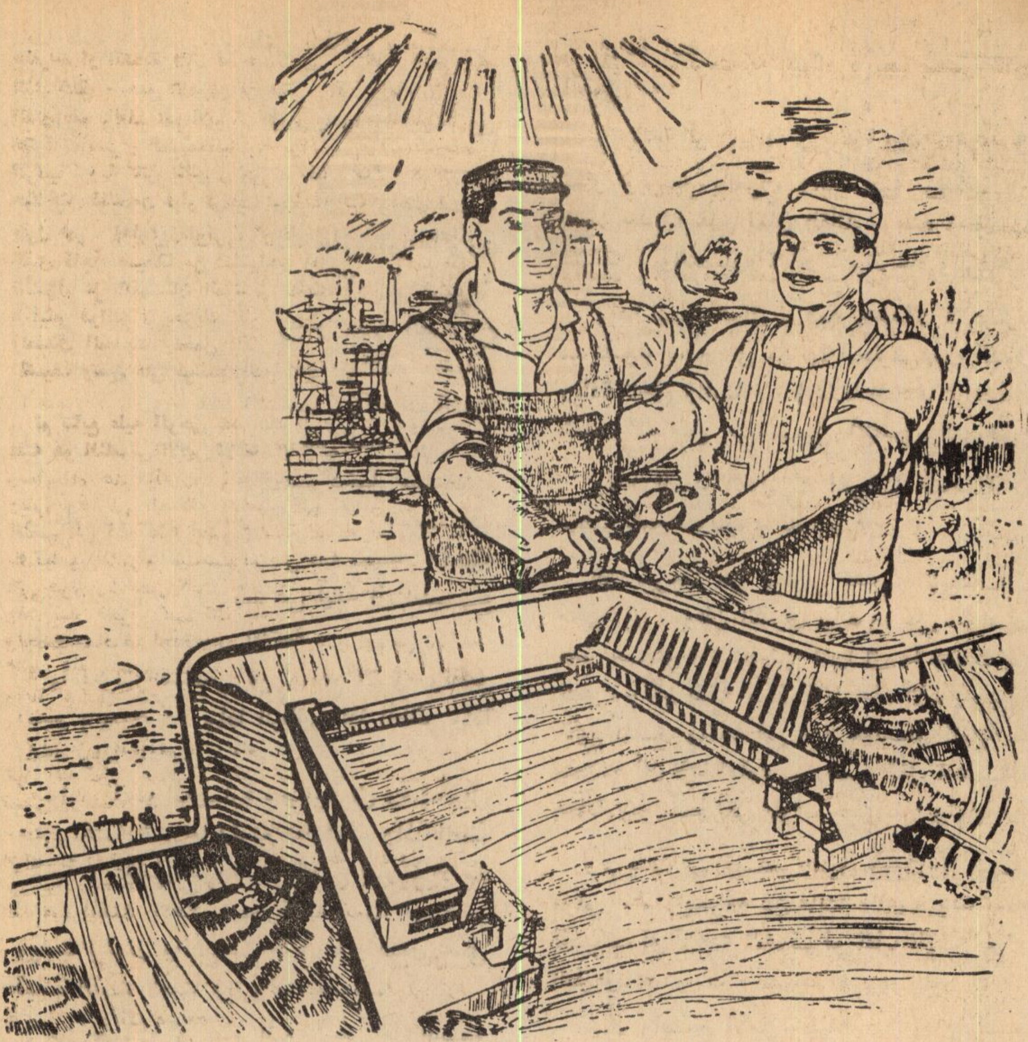

عصر السد ..

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز حسن

كانت مصر الماضى رمز المدنية ، ومهد الحضارة ، وقبلة الأمم ، تتعلم منها ، وتتلقى عنها ، وتسير فى ركابها ، وكانت مصر تبسط جناحيها الضافيين على أمم الأرض بالمعرفة وبالحكمة وبالخير ، وترسل مع كل مطلع شمس خيوطا من النور صافية ، تربط بالحب والتعاون والسلام بين العالمين ..

ومضى الماضى وبقيت شواهد منه شامخة تحكى عنه ، وتذكر به ، وتعيد رؤاه ، وتسجل ماكان تسجيلا لايعبث به مر الأيام ولا توالى العصور ..

ومرت أيام أحلك من ليالى الشتاء على مصر ، وهنت فيها قوتها ، وتفرقت جماعتها واستبد

بها طمع الطامع ، وبطش الطاغى ، وكيد المبطلين ٠٠

أتى زمان على مصر تقدمت عليها فيه أمم لم تكن شيئا يوم كانت هى ملء السمع وملء الوجود ، ونشأت حضارات وأهلوها ، يجترون الذكريات فى شبه غفوة ،ويتذاكرون فيما بينهم امجادا سوالف فى الايام الخوالى٠٠

ثم جاء عصر الذرة وجاء عصر الصاروخ والأقمار وانتفض الغبار وهب عملاق الحضارة الكامن فى روح هذا الشعب ليؤكد أن الغفوة لم تكن موتا وأن الوهن لم يكن فناء ٠

جاء هذا العصر وفى مصر دخيل مستعمر، وطغاة أذناب ، وافقار واذلال ، وأضعاف وتجهيل ٠٠ والشعب ينفض عنه لحظة ٠٠لحظة غبار السنين ٠٠ ويتطلع فى لهفة الى النبع الغائض والى الشمس الملثمة ،

وأسفرت الشمس عن أسطع الضوء وتفجر النبع بالحياة ٠٠ واذا البطل واذا الطائر واذا المنقذ واذا الناصر ٠٠٠

واذا كانت الحضارة محتاجة الى وقتطويل حتى تكتمل ثمارها وتينع قطوفها ، واذا كانت المدنية لايتكامل أمرها ولا تتضح آثارها الا مع الزمن الممتد ، فان المعجزة قد تمت فى مصر وبدت الثمار واتضحت الآثار ولما يمض على قيادة القائد لأمتنا غير وقت قصير ٠

من يصدق أن مصر اليوم وهى ملءالسمع والبصر والفؤاد ، وحديث العالم كله شرقيه وغربيه كانت تحت نير الاحتلال سنة ١٩٥٦ م

من يصدق أن مصراليوموقد كان هذا شانها من قريب تستطيع أن تجعل لعصرنا اسما جديدا يزاحم أسماءه ويسلط عليها منضوئه مايبهتها ٠٠ من يصدق ان مصر استطاعت أن تؤكد أن عصرنا لم يعد عصر الذرة ، ولاعصر الصاروخ ٠٠ وانما عصر ٠٠ السد

من يصدق أن مصر التى كان يقال عنها كما زيف المزيفون ، بلد الزراعة ليس الا ٠٠ يمكن ان تقيم فى شهور قلائل هذا العمل المجيد المعجز ، بسواعد أبنائها وتدبير خبرائها

من يصدق أن اسوان كان يمكن ان تكون كما هى اليوم ٠٠ ولكنها همة القائد واخلاص المنقذ ، واصرار الناصر ٠٠

ارادة التغيير قالها ثم أتبعها الدليل العملى ٠٠٠

وبدأ السد العالى معجزة القرن العشرين يعلو ويرتفع بالعرق والتضحية والكفاح دليلا جديدا على ايمان القائد بوطنه وحبه لشعبه ، وانتصاره للخير ، والرخاء والرفاهية

وبدأ السد العالى ــ قمة الاحداث فىعصرنا ــ يصعد بمصر الى مكانها الحقيقى بين الدول ريادة للحق والسلام ، واعلانا صادقا عننضال شعبنا الباسل فى سبيل التقدم والنهوض٠

وبدأ السد العالى ــ أهرامنا الحديثة ــ فيضا للمجد وينبوعا للحياة ٠٠

لقد خرجنا من تجارب تدعيم الاستقلال مجهودين ، وظن الشرق والغرب على سواء أن مصر ستغفو ، ستطمئن كثيرا الى ما حققت من نصر ، ولكن يقظة جمال قائد هذه الأمةوحبيبها تابع المسير واتجه فى عزم صلبالى الغاية ــ متعددة أطرافها أمامه ــ راسما لكل احتمال خطته وموضحا لكل طرف خطة بدء١ ونهاية٠٠

ولم يثنه عن قصده تعويق معوقولا كيد موتور ، ولم يحرفه عن غايته ، أى صوت بحه الضعف أو أوهنه الخوف أو ثقل عليه طول الطريق ٠

سار وأصبح الأمل حقيقة ٠٠ وقام السد العالى ٠٠ للشعب بالشعب صفحة جديدة للتعمير وقمة شامخة للتغيير ٠٠ ومعبرة ، راسخة الى ذروة الخلود ٠٠

عصرنا عصر السد بناه جمال ومن خلفه الشعب كله ، سواء منهم من أسهم بساعده وعرقه ، أو خبرته وعلمه ، أو أمله ودفعه

عصرنا عصر السد بناه جمال ومن خلفه الشعب كله ، تأكيدا للخير والحق ، وتدعيما للسلام والعزة ومحبة للنضال والتغيير الانسانى ٠٠

عصرنا عصر المعجزة ٠٠ عصر السد ٠٠ لنا وللأجيال القادمة فى مصر وغير مصرايذانا للعالم كله بالحرية ٠٠ والانتصار على أعدائها ٠٠ وبالسلام القوى ٠٠ وبالايمان بارادة الانسان تحوطها ارادة الله بالتوفيق والتأييد

مواقيت الصلاة

الأيام	ربيع أول ١٣٨٤	يوليو ١٩٦٤	فجر د	فجر س	شروق د	شروق س	ظهر د	ظهر س	عصر د	عصر س	مغرب د	مغرب س	عشاء د	عشاء س
الجمعة	١	١٠	١٦	٤	١	٦	٠	١	٣٦	٤	٥٩	٧	٣١	٩
السبت	٢	١١	١٧	٤	١	٦	٠	١	٣٦	٤	٥٩	٧	٣١	٩
الأحد	٣	١٢	١٨	٤	٢	٦	٠	١	٣٧	٤	٥٩	٧	٣١	٩
الإثنين	٤	١٣	١٩	٤	٢	٦	١	١	٣٧	٤	٥٨	٧	٣٠	٩
الثلاثاء	٥	١٤	١٩	٤	٢	٦	١	١	٣٧	٤	٥٨	٧	٢٩	٩
الأربعاء	٦	١٥	٢٠	٤	٣	٦	١	١	٣٧	٤	٥٨	٧	٢٩	٩
الخميس	٧	١٦	٢١	٤	٤	٦	١	١	٣٧	٤	٥٧	٧	٢٨	٩
الجمعة	٨	١٧	٢١	٤	٤	٦	١	١	٣٧	٤	٥٧	٧	٢١	٩
السبت	٩	١٨	٢٢	٤	٥	٦	١	١	٣٧	٤	٥٧	٧	٢٧	٩
الأحد	١٠	١٩	٢٣	٤	٦	٦	١	١	٣٨	٤	٥٦	٧	٢٦	٩
الإثنين	١١	٢٠	٢٤	٤	٦	٦	١	١	٣٨	٤	٥٦	٧	٢٦	٩
الثلاثاء	١٢	٢١	٢٥	٤	٧	٦	١	١	٣٨	٤	٥٥	٧	٢٥	٩
الأربعاء	١٣	٢٢	٢٦	٤	٧	٦	١	١	٣٨	٤	٥٥	٧	٢٤	٩
الخميس	١٤	٢٣	٢٧	٤	٨	٦	١	١	٣٨	٤	٥٤	٧	٢٣	٩
الجمعة	١٥	٢٤	٢٧	٤	٨	٦	١	١	٣٨	٤	٥٤	٧	٢٢	٩
السبت	١٦	٢٥	٢٨	٤	٩	٦	١	١	٣٨	٤	٥٣	٧	٢٢	٩
الأحد	١٧	٢٦	٢٩	٤	٩	٦	١	١	٣٨	٤	٥٣	٧	٢١	٩
الإثنين	١٨	٢٧	٣٠	٤	١٠	٦	١	١	٣٨	٤	٥٢	٧	٢٠	٩
الثلاثاء	١٩	٢٨	٣١	٤	١١	٦	١	١	٣٨	٤	٥١	٧	١٩	٩
الأربعاء	٢٠	٢٩	٣١	٤	١١	٦	١	١	٣٨	٤	٥١	٧	١٩	٩
الخميس	٢١	٣٠	٣٢	٤	١٢	٦	١	١	٣٨	٤	٥٠	٧	١٨	٩
الجمعة	٢٢	٣١	٣٣	٤	١٢	٦	١	١	٣٨	٤	٥٠	٧	١٧	٩
السبت	٢٣	أغسطس ١	٣٤	٤	١٣	٦	١	١	٣٨	٤	٤٩	٧	١٦	٩
الأحد	٢٤	٢	٣٥	٤	١٤	٦	١	١	٣٨	٤	٤٨	٧	١٥	٩
الإثنين	٢٥	٣	٣٦	٤	١٤	٦	١	١	٣٨	٤	٤٧	٧	١٤	٩
الثلاثاء	٢٦	٤	٣٧	٤	١٥	٦	١	١	٣٨	٤	٤٧	٧	١٣	٩
الأربعاء	٢٧	٥	٣٨	٤	١٦	٦	١	١	٣٨	٤	٤٦	٧	١٢	٩
الخميس	٢٨	٦	٣٩	٤	١٦	٦	١	١	٣٨	٤	٤٥	٧	١١	٩
الجمعة	٢٩	٧	٣٩	٤	١٧	٦	١	١	٣٨	٤	٤٤	٧	٩	٩
السبت	٣٠	٨	٤٠	٤	١٧	٦	١	١	٣٨	٤	٤٣	٧	٨	٩

الإمام الزمخشرى

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

هو محمود بن عمر الزمخشرى صناجة الادب ونسابة العرب طود العلم الراسخ الذى كانت تضرب اليه أكباد الابل وتحط بفنائه رحال الرجال وتحدى باسمه مطايا الآمال أستاذ الدنيا فخر خوارزم الذى اتفقت على اطرائه الالسنة وتشرفت بمكانه وزمانه الامكنة والازمنة مضرب المثل فى النحو واللغة والادب حتى قيل فيه لم يتمكن فى دهره واحد من جلاء غامض النظم والنثر الا بالاهتداء بنجم فضله والاقتداح بزند عقله فجواهر الكلام من نثار فيه ومن دلائل التوفيق وحسن الاقبال اختياره أشرف الأماكن حيث لازم بيت الله الحرام فسمى بجار الله لتلك الملازمة .

مولده ولد رضى الله عنه بزمخشر خوارزم يوم الاربعاء السابع والعشرين من رجب الاصم سنة سبع وستين وربعماية وزمخشر قرية من قرى خوارزم ببلاد خراسان .

نشأته : كان أبوه اماما بقرية زمخشر فقال يوم اصيب ابنه فى احدى رجليه أعلمه الخياطة لأنه صار زمنا مبتلى فقال لأبيه احملنى الى البلد واتركنى بها فحمله الى البلد فرزقه الله رزقا حسنا ومنحه العلم فدخل على الشيخ أبى على الضرير الاديب فأخذ عنه ثم جاء الشيخ أبو مضر الخوارزمى النحوى فأخذ عنه علم الاعراب وهو الذى قال فيه الزمخشرى مرثيته التى منها هذان البيتان وهما :

وقائلة ما هذه الدرر التى
تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت هى الدر التى قد حشا بها
أبو مضر أذنى تساقط من عينى

ثم ترقت به همته العالية فى العلوم العربية حتى بلغ درجته ما راى مثل نفسه فيها ثم صادفه التوفيق حتى صار الامام ركن الدين محمود الامولى وكان الامام أبو منصور من تلامذته فى علم التفسير فكان يقرأ عليه ويأخذ منه علم الاصول ويأخذ هو علم الفقه من الشيخ السديد الخياطى وبذلك أصاب حظه من العلوم وهو فى الحادى والاربعين من عمره فنادم الوزراء والملوك ومدحهم وتنعم فى الدنيا حتى أراه الله رؤيا كانت سبب انقطاعه عنهم واقباله على أمر دينه وسبب انابته وتوبته فكان من الورع وقيام الليل وتدريس العلم فى الرتبة العليا ووقف بعرفات سبع مرات .

انتقاله الى مكة المكرمة . ثم حط رحاله فى البلد الحرام خمس سنين وتصانيفه بين زمزم والمقام شاهدة بفضله ولذلك سمى جار الله لمجاورته البيت الحرام فقرأ بمكة على ابن وهاس الذى يقول فيه :

ولولا ابن وهاس وسابق فضله
رعيت هشيما واستقيت مصردا

وحينما نزل مكة وجد بها الشريف السيد الفاضل أبا الحسن على بن حمزة الحسينى فعرف قدره ورفع أمره وأكثر الاستفادة منه وأخذ عن الزمخشرى ، وأخذ الزمخشرى عنه ونشطه لتصنيف ما صنف وتأليف ما ألف . وكان الزمخشرى أعلم فضلاء العجم بالعربية فى زمانه وأكثرهم اطلاعا على كتبها ، وبه ختم فضلائهم ، وكان متظاهرا بالاعتزال حتى نقل عنه أنه كان اذا قصد صاحبا

له واستأذن عليه فى الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن قل له أبو القاسم المعتزل بالباب وأول ما صنف كتاب الكشاف كتب فى فاتحة خطبته الحمد لله الذى خلق القرآن فقيل له متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب فيه أحد فقير ، بقوله الحمد لله الذى جعل القرآن وجعل عندهم بمعنى خلق .

انتقاله الى بغداد . قدم الزمخشرى بغداد فسمع الحديث على علمائها وتفقه وبرع فى فنونه وصار امام عصره فى عدة علوم فأخذ الأدب عن أبى الحسن على بن المظفر النيسابورى وأبى نصر الاصبهانى وسمع من ابى سعد الشفتانى وشيخ الاسلام أبى منصور الجواليقى الحارثى وجماعة .

الزمخشرى الاعرج وفيه يقال لولا الاعرجان لذهبت بلاغة القرآن فالاعرج الأول السكاكى والثانى الزمخشرى وحين دخل بغداد سأله الدامغانى الفقيه الحنفى عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك اننى فى صباى امسكت عصفورا وربطته بخيط فى رجله وانفلت من يدى فأدركته وقد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى الخيط فتألمت امى لذلك وقالت قطع الله رجل الابعد كما قطع رجله فلما وصلت الى سن الطلب رحلت الى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وعملت عملا أوجب قطعها وكان اذا مشى القى عليها ثيابه الطوال فيظن من يراه انه اعرج فيقال انه اتخذ محفرا فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على ذلك خوفا من أن يظن أنها قطعت لريبة فيه وكان وهو فى بغداد يتردد على أبى منصور الجواليقى فيقرأ عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ويستجيزه لانه لم يكن له على ماعنده من العلم لقاء ولا رواية وكان يجاهر بمذهبه شديد الانكار على المتصوفة اكثر من التشنيع عليهم فى الكشاف وغيره .

الحافظ السلفى يكتب اليه من الاسكندرية
كتب اليه الحافظ السلفى وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله تعالى يستجيزه فى مسموعاته ومصنفاته فرد عليه بما لايشفى الغليل فعاود الكتابة فكتب اليه الزمخشرى يقول ما مثلى مع اعلام العلماء الا كمثل الهامع مصابيح السماء والبغاث مع الطير العتاق والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثانى الرواية وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاه أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الاسناد لم تستند الى علماء نحارير وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها ولعل الذى غرهم منى ماراوا من حسن النصح للمسلمين وعزة النفس والبعد بها عن الدنايا فغلطوا فى ونسبونى الى مالست منه فى قبيل ولا دبير .

الزمخشرى والميدانى : بعدماالف الزمخشرى كتابه المستقصى فى الامثال وقع فى يده مجمع الأمثال للميدانى فنظر فيه وأطال النظر فأعجبه جدا فندم على تاليفه المستقصى لكونه دون مجمع الامثال فى حسن التاليف وجمال الترصيف ودقة السبك وكثرة الفوائد فحسد الميدانى عليه وزاد فى لفظة الميدانى نونا قبل الميم فصار النميدانى ومعناه بالفارسية الذى لا يعرف شيئا فعمد الميدانى الى بعض كتب الزمخشرى فجعل الميم نونا فصار الزنخشرى ومعناه بائع زوجته والظاهر ان التنكيت من زن خشرى وخشرى فى استعمال العجم بمعنى المراة غير الجيدة لان خشر يستعملونه بمعنى الطائفة المجتمعة من الاوباش فالمراة المنسوبة اليهم غير صالحة .

نهايته وبعد ما طوف فى آفاق الارض وافاد واستفاد حط رحاله فى وادى العدم وكانت وفاته ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى وقد رثاه أحد الفضلاء بأبيات منها :

فأرض مكة تذرى الدمع مقلتها
حزنا لفرقة جار الله محمود

وكان أحد الادباء قد أنشد هذين البيتين بمدينة حلب فحين سمعهما الزمخشرى أوصى أن يكتبا على لوح قبره وهما :

الهى قد اصبحت ضيفك فى الثرى
وللضيف حق عند كل كريم
فهب لى ذنوبى فى قراى فانها
عظيم ولا يقرى بغير عظيم

وكانت خاتمة حياته بمدينة جرجانية قصبة خوارزم على شاطىء جيحون بلل الله ثراه وأنزل عليه غيث رضاه .

ذكرى

مولد الهدى والنور

فضيلة الشيخ عبد الحميد بليع

منذ أربعة عشر قرنا تقريبا خرج عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم من مكة الى الشام فى تجارة لأبيه ، وخلف وراءه زوجه آمنة بنت وهب ، وكانت لاتزال فى ثياب العرس ، وقد حفلت أحشاؤها برمز السعادة وأمل الوجود وفى عودة عبد الله من رحلته التجارية نزل به مرض أقعده عن مواصلة السير مع قافلته واضطره الى التخلف بيثرب عند أخواله ريثما يتم برؤه من هذا المرض ، ولكن عاجلته منيته فى ريعان شبابه الغض ودفن حيث وافاه أجله المحتوم ولم يعد الى مكة ولم يشأ الله لزوجه العروس أن تتم لها الفرحة ولا أن تستأنف به المتعة ، بل انطفأ أملها واظلم من نوره بيتها ولم يشأ الله كذلك أن يترك هذه الزوجة هدفا لعوامل الأسى ولا غرضا لدواعى الحزن لفقدان زوجها بل جعل لها من حملها سلوى عمن فقدت وسكينة لما تجده من نار وألم . فقد كانت رغم فداحة الخطب وعظم المصاب تشعر شعورا وجدانيا بفيض غامر من السعادة يجدد فيها النشاط والمرح حتى أصبحت كأن لم ينزل بها ملم ولم يفجأها حادث مدلهم ..

والعجيب أن هذا الشعور لم يكن عند آمنة ومضة تمضى بمضى وقتها بل كانت تنميه فيها وتدعمه لديها هواتف تتوارد عليها بين لحظة وأخرى يقظة ونوما بأن أملا باسما ينتظرها وخيرا كثيرا سيغمر حياتها ، ومضت أيام الحمل مع هذه البشائر تترى وجاءت ساعة الوضع ، وهنا نترك المقام للسيدة آمنة تتحدث عن نفسها وعن مولودها فتقول «لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الأرض معتمدا على يديه رافعا رأسه الى السماء» وتقول زوجة أبى العاصى ممن حضرن ولادة آمنة « لقد شهدت ولادة آمنة بنت وهب ليلة ولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما

شيء أنظره فى البيت الا نور ولقد رأيت النجوم تدنو ثم تدنو حتى لقد خشيت أن يقعن على » ويحدث الرسول عن نفسه فيقول **«من كرامتى على ربى أن ولدت مختونا ولم ير سوأتى أحد» ثم أخبرت به جده عبد المطلب فسر به وسماه محمدا .**

ولد محمد واستقبله الناس واستقبله الوجود ، استقبله الناس استقبالا عاديا كأن لم يكن فى مكة حدث ولم تتمخض الليالى عن أمر عجب رغم أن محمدا هذا من أكرم قبيلة وأقدم بيت وأعرق نسب عرفه التاريخ وعلى خلاف عادتهم فى الحفاوة بوليد الأكرمين لم يحفل به احد منهم الا أمه وجده عبد المطلب ــ حفل به جده لأنه ضمد له جرحه فى فلذة كبده ؛ ونفس عنه لوعة الحزن الذى أخذه لفقده ولده عبد الله والد هذا المولود ــ وفرحت به أمه لأنه سلواها عن زوجها الذى لم تطل متعتها بوارف ظله وعزها الذى توارى عنها وانزوى عن بيتها فى بدئه فكان فى محمد السلوى لجده وأمه ، وكان فى محمد العوض لأمه وجده عمن فقداه ــ من أجل هذا حفلا به ولأجل هذا فرحا بمولده ، أما بقية الناس فلم يسترع اسماعهم نبأه ولم يأخذ ألبابهم ذكره فغفلوا عنه أو أغفلوه ، ثم أغفله الناس ولكن ما أغفلته السماء فقد عرف الله به الأنبياء والمرسلين السابقين وبشرت به الكتب السماوية الأولى بشر به التوراة وبشر به الانجيل وقبل ذلك دعا به ابراهيم عليه السلام لأهل مكة ــ حكى الله ذلك كله فى القرآن الكريم فيقول فى دعاء ابراهيم هذا **« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم »** ويقول فى بشارة عيسى برسول الله **« يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد »** ويقول فى آية أخرى **« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر »** والرسول يقول فى هذا المعنى **« أنا دعوة ابراهيم وبشر بى عيسى انا محمد وأحمد وأنا رسول الرحمة وأنا الماحى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى » .**

ويذكر العلماء أن المراد بالرسول فى قوله تعالى **« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .**

قال العلماء ان الرسول الذى أخذ الله ميثاق النبيين ليؤمنن به ولينصرنه هو محمد صلى الله عليه وسلم فلفضل محمد عرفوه قبل وجوده ولفضل محمد أخذ العهد على الأنبياء بالايمان به قبل ظهوره وهكذا شأن العظماء تسبقهم ذكراهم والزعماء يسير مسير الشمس نبأ مسعاهم ، ومن أجل هذا الفضل ومن أجل هذه العظمة استقبل الوجود محمدا استقبالا ينم عن جلاله وخطره ويعلن عن عظمته فى مهمته فقد روى كتاب السير أنه فى ليلة وضعه فاجأ الله العالم بأحداث جسام دهشت لها نفوسهم وتحيرت فى تعليلها عقولهم ، فهذا ايوان كسرى أنوشروان أصابته ليلة مولد الرسول وجة عنيفة صدعت أركانه وأسقطت كثيرا من شرفاته ، وهذه نار فارس التى كانوا يعبدونها قد أخمدت فى هذه الليلة وسكن أوارها وهذه بحيرة ساوه قد غاض ماؤها ــ يذكر المؤرخون أن كل هذا حدث ليلة وضعه وشاع بين الناس أمره ولم يجد العقل البشرى القاصر سبيلا لتعليل هذه الأحداث المروعة ولم يدر بخلد أحد منهم هذا الوليد وماخبأه له القدر من شأن وفضل وكأن الله العليم بما لهذا المولود من شأن فعل ذلك تمهيدا للدعوة التى سيضطلع هذا المولود بأعبائها لينقذ بها البشرية مما تلاقى من عنت وظلم وما تعيش فيه من فوضى عقدية وخلقية نشرت أطرافها فى أنحاء العالم وخاصة فى الجزيرة العربية حتى كانت الجزيرة مضرب الأمثال فى الاختلال وهكذا أغفل الناس عن محمد وعن ميلاد محمد ولم ينبه وعيهم اليه الا غرابته فى أطوار حياته وماظهر فيه من مخايل النبل والعظمة فى أقواله وأعماله فى والعجيب أن محمدا استقبل حياته

يتيما فقيرا فمن أين له التبلّ وأين له العظمة ومعلوم أن كل من اتصف باليتم والفقر لاتسلم نفسه من الصغار ولا خلقه من الضعة والابتذال ولا سلوكه من الانحراف والانزلاق.

اما اليتم ففيه انطواء وذل أو تدليل وزهو وانا لنرى المجتمع يهمل اليتيم أو ينبذه ان كان فقيرا أو يدلله ان كان غنيا فيشب اليتيم الفقير على الانطواء والعزلة وينشأ ضعيف النفس مهيض الجناح واهن العزم عديم الرأى ويشب اليتيم الغنى على التدليل والدعة فينشأ مائعا فى رجولته غير منضبط فى معاملته يألف اللهو ويعزف عن الجد ولا يعرف الاعتماد على النفس ، والتاريخ بين ايدينا يقول ان محمدا لم يكن فى شىء من هذا أو ذاك بل كان محمد هو اليتيم الذى اعتز بنفسه واليتيم الذى أخذ نفسه الى موارد الكمال والأدب وصدف بها عن مواطن الصغار والعبث ولا تعجب فان الله تعهده فى طفولته بالتربية الصحيحة ووجهه الى الأدب الانسانى الرفيع ووهبه مارفعه فى خلقه وأدبه عن مستوى المجموعة الانسانية وخاصة البيئة التى يعيش فى أحضانها ، وقد نقل أصحاب السير انه - صلى الله عليه وسلم - حدث عن تأدب الله فقال :

« لقد رأيتنى غلاما فى غلمان قريش ينقل الحجارة لبعض مايلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى حيث أخذ ازاره على رقبته يحمل عليه الحجارة وانى لأقبل كذلك وأدبر اذ لكمنى لاكم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال شد عليك ازارك فشددته حتى سترت عورتى » .

وها هو ذا تاريخ حياته العبق يملأ سمع الدنيا بأن محمدا فى جميع أطوار حياته الأولى - وهى أطوار الرعونة والطيش فى مثل هذا السن - كان فيها مثلا أعلا فى الخلق وقدوة حسنة فى الأدب هدفه الفضيلة ورائده الحق وضالته نشر العدالة والمساواة وغايته شيوع ألوان الخير وحليته الصدق والأمانة .

اما الفقر ففيه انكماش وضعة وفى الفقر حرص وشح وفى الفقر تبذل وهون ولكن لم ينل محمدا شىء من مستلزمات هذا الفقر فكان هو الفقير العزيز وكان هو الفقير السخى وكان هو الفقير الأبى وقد ابت عليه نفسه ان يعيش كلا على موائد الأقربين فأخذ يعمل بيده مايوفر لنفسه لقمة العيش من كده وكفاحه ، وكان مع ذلك يبذل من نفسه ومن قوته ماتدعو اليه حاجة الناس حتى اشتهر بينهم بالسخاء والجود والمروءة والنجدة فى ايامه الأولى قبل البعثة فهاهى ذى خديجة بنت خويلد زوجه تنعته بكل ماهو فضيلة معددة محاسنه الخالدة التى سجلها له تاريخه وحفظها له عارفوه وعشراؤه قبل بعثته فتقول له مهدئة نفسه مطمئنة روعه مما لقيه من مفاجأة الوحى له فى غار حراء **« والله لايخزيك ابدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق » وفى رواية « وان فيك من صفات الخير مالايجعل للشيطان سبيلا الى نفسك » .**

ولقد نمت فيه هذه الخلال الكريمة على مر الأعوام وظهرت فيه بوضوح بعد البعثة فكان اجود الناس وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من ليالى رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ، وقد كثر ماله بعد البعثة وتعددت موارده بالغنيمة تارة وبالفىء أخرى وأصبح هذا المال الوفير فى حوزة نفس راضية وتحت يد سخية تعطى منه عطاء من لا يخشى الفاقة. جاءه رجل فسأله شيئا فقال له « ما عندى شىء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شىء قضيناه » فقال عمر : ماكلفك الله مالا تقدر عليه يارسول الله ، فكره النبى ذلك حتى رئى فى وجهه ، فقال رجل من الأنصار : يارسول الله أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا . فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال : **« بهذا أمرت »**

ومن أجل الانفاق فى وجوه البر ومن أجل التيسير على المعسر ومن اجل اعانة المقل كان الرسول يحب المال وماكان يحب المال لذات المال ولا لاستمتاعه به فقد كان أزهد مايكون فى الشىء وهو تحت يده وقد يؤثر به غيره وهو فى حاجة اليه ، واستمع الى عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم و هى

تقول : ((ما شبع الرسول عليه الصلاة والسلام من خبز شعير يومين متواليين وماشبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقى الله ولو شاء لشبعنا ولكنه كان يؤثر على نفسه ، ولقد مات عليه السلام ومافى بيتى شىء تأكله ذوكبد الا شطر شعير فى رف لى ».

والحديث يطول بنا فى سرد خصائصه ولا نأتى على ماوهبه الله من اخلاق وآداب نبهت له وعى قومه واسترعت نظر عشيرته وكان بها محل تقديرهم واعجابهم وموضوع حديثهم فى انديتهم بأن له شأنا ولقبوه فيما بينهم بالصادق الأمين ، كيف وقد شهد له العزيز الحكيم بقوله ((**وانك لعلى خلق عظيم**)) ولقد شهد له بذلك خصومه واعداء دعوته والفضل ما شهدت به الأعداء .

قال احد المستشرقين كان محمد موفقا توفيقا فريدا فى بابه فقدجمع بين زعامات ثلاث زعامة الشعب وزعامة الدين وزعامة الدولة، وبرغم انه كان اميا فقد جاء بكتاب جمع بين البلاغة والتشريع والعبادات هو الآن موضع احترام اكثر من سدس العالم كمعجزة هى دليل العقل والحكمة اكثر من أى معجزة سواها .

صلوات الله وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله ، اختارك الله امينا على وحيه وجعلك وسيطا بينه وبين خلقه فشمل فضلك وعم عدلك وعظمت على الناس منتك ، واجهت العالم بالحق ودعوته بالحكمة الى الهدى والى طريق مستقيم ، طهرت قلوب الناس من أدران الشرك وأرجاس الوثنية وخلصت نفوسهم من العبودية لغير الله الواحد القهار ونظمت شئون حياتهم تنظيما يخلد على الزمن وتدوم معه الحياة ، ولا عجب فلقد دعوتهم الى توحيد الله ليعبدوا الها واحدا تقدست ذاته له الحول والطول وله الخلق والأمر عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ثم بعد ذلك نظمت العلائق بين الناس ورتبت الحقوق على نحو يكفل نظام الحياة على أبدع وجه وأكمله فدعوتهم الى الاخاء والوحدة لتعالج بذلك مرضا اجتماعيا له خطره هو الاثرة وحب الذات والأنانية والانفراد بمتع الحياة فقلت : ((**انما المؤمنون اخوة**)) وقلت ((**وكونوا عباد الله اخوانا**)) ودعمت هذا الاخاء فدعوت الى المساواة لتذيب الفوارق جنسية وشخصية بين الناس وتقضى على نظام الطبقات حيث أبنت لهم أن الناس جميعا لآدم وآدم من طين وقلت :((**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم**)) ودعوت كذلك الى التعاون وبذر الود والحب قال تعالى ((**وتعاونوا على البر والتقوى**)) وقال الرسول ((**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه**)) وحافظت على هذا الاخاء من الانحلال أو التمزق فقلت ((**المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه ولايحقره**)) ونهيت عن الغيبة والنميمة وعن السخرية بالناس فناديت بقول ربك ((**لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن**)) ونهيت عن الاصغاء الى النمام وتصديقه فيما نقل ، وناديت بقول الله ((**يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**)) .

نظمت الأسرة ورتبت الحقوق ، حق الوالد على ولده وحق الولد على والده وحق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها وأبنت أن النساء شقائق الرجال وللرجال على النساء درجة ودعوت كلا من الرجل والمراة يعمل لحياته وعمل كل منهما يكمل عمل الآخر فالمراة للبيت تديره وللولد تربيه وتكفله والرجل يعمل خارج البيت لتحصيل الرزق ومايحفظ على الأسرة حياتها وكرامتها وشرعت ما يؤكد عدم جواز اختلاط المراة بالرجل الأجنبى .. لذلك لم توجب على المراة صلاة الجمعة ولم تدعها لصلاة الجماعة ونهيتها عن تشييع الجنازة وأمرتها بالقبوع فى عقر دارها الا لضرورة قاضية كما منعت الخلوة بين الرجل والمراة مهما كانت الأخلاق فى القوة ومهما كان العمل فى حاجة ملحة وقلت مامعناه ((**ماختلى**

رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما » وهذا تشريع يساير الفطرة ويوافق الطبيعة فان بين الرجل والمرأة قوة جاذبة لاتدفعها الا عصمة الله وعصمة الله لم توجد الا فى طائفة الأنبياء والمرسلين ـ وقد ورد أن سيدنا عبد الله بن أم مكتوم استأذن على رسول الله وعنـده زوجتان من أزواجه فقال لهما احتجبا عنه . فقالتا انه أعمى ، فقال « **أفعمياوان أنتما** » .. وكما ان بين الرجل والمرأة قوة جاذبة يخشى ضررها ومن أجلها حرم الله الاختلاط والخلوة كذلك فى الرجل غيرة على المرأة يثور من اجلها وتدفعه نخوته على القتال دونها وفى تشريـع الرسول عصمة من هذا كله لو روعى ونفذه الرجال لكان فيه اطفاء نار الفتنة وتحطيـم نوازع الشر وسلامة الفرد والمجتمع من خطر داهم وشر مستطير .

هذه هى رسالتك يارسول الله وهى رسالة الحياة ورسالة البناء والتكوين ، رسالة السلام والنظام ، لذا عبؤها ثقيل وأداؤها خطيـر وعرضها على الناس شـديد وعنيف ، ففى الناس جهل وجموح ، وفى الناس ميل الى كل رذيلة واعراض عن كل فضيلة ، فى النـاس رغبة فى التحلل من كل قيد واقدام على اشباع شهوة النفس فكيف يقبلون على دعوة محمد وكيف يتلقون ماجاء به من مبادىء وتعاليم ؟ مشكلة ليس لها الا الله الذى أرسله هو القدير على تذليل كل عقبة فى سبيل دعوته ، وقـد وعده بهذا « **يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالتـه والله يعصمك من الناس** » « **ان عليك الا البلاغ** » **وأعطاه مع ذلك مايعينه على فتح مغاليق هذه القلوب من عظيم خلقه ورجاحة عقله وبديع حكمته** « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » .

بهذا نجحت الدعوة وتأسست الدولـة وبات علمها خفاقا على ربع المعمورة فى زمـن وجيز ، والأمة الاسلامية الآن فى حاجة ماسة اليها كى تستعيد مجدا سبق وعزا تحطم والله المستعان على مانرجو .

صلوات الله وسلامه عليك سيدى يارسول الله بقدر ما أضفيت على الدنيا من خير ومـا خلعت على الانسانية من احسان وبر وماخلفت وراءك من قانون عادل مرن يساير العصـور وينساب فى جداول الدهور ، نفحة من نفحاتك يارسول الله وقبسا من نورك يهدى السراة والمدلجين ، وفق الله أتباعك للأخذ برسالتك والعمل بمبادئك والقيام بشريعتك انه ولى التوفيق .

من أعلام الإسلام

المهلب بن أبي صفرة

"٧ - ٨٣ هـ ٦٢٨ - ٧٠٢ م"

الأستاذ عبد العزيز الاسلامبولي

وصفه الخليفة عبد الله بن الزبير ، فقال: « هذا سيد أهل العراق » ويرى أهل التاريخ والسيرة ، أن قواد العرب المسلمين، لم يستطيعوا الثبات لحرب الخوارج ولا الظفر بهم ، اللهم الا المهلب بن أبى صفرة ، الذى استطاع كسر شوكتهم ، ذلك بأنه أخذ يطاولهم آنا ، ويصابرهم آنا ، ويجالدهم مرة ويكابرهم مرة ، يغاديهم القتال يوما ، ويراوحهم يوما ، وهم من لا تفل لهم شوكة ، ولا يصطلى لهم بنار ، حتى أوهن قوتهم ‥ وشل شوكتهم ، وأتى على آخرهم ، وأخلى منهم بلاد المسلمين ، وأراح أهل الاسلام من فتكهم ، بعد ان بذل فى ذلك تسعة عشر سنة ، هى أنضر سنوات العمر شبابا وفتاء، وقوة وفتوة ‥

والخوارج قوم باعوا أنفسهم فى سبيل عقيدتهم ، وتمكنت من قلوبهم وعقولهم أشياء لصقت بهم ، واندفعوا يحاربون دونها ، حتى أبادتهم ، وهم - على رأيهم مصرون - ولمذهبهم متعصبون ، وفى سبيله مستميتون ، يدلك على ذلك قول عيسى بن فاتك الخارجى ، فى وصف الحرب التى قامت بينهم وبين جيش عبيد الله بن زياد ، وقد بلغ عدده الفى رجل لم يثبتوا أمام أربعين رجلا من الخوارج ‥ وهو قول مملوء بالسخرية والمرارة ‥ يوجهه الى كافة المسلمين ، يوم آسك ، مكان الموقعة :

ألفا مؤمن فيما زعمتم
ويهزمهم بآسك اربعونا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم
ولكن الخوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة غير شك
على الفئة الكثيرة ينصرونا

أطعتم أمر جبار عنيد
وما من طاعة للظالمينا

ومن ثم ندرك رأى من قالوا : ليس للخوارج غير الملهب ، بل ندرك قول الحجاج الثقفى ، لأهل العراق : « يا أهل العراق ، كلكم عبيد

المهلب » ... فلا نعجب حين نقرأ هذه الأبيات التي ينسبها الدينوري الى ابن عراوة وهي :

وليس لهـا الا المهلب انه
ملء بأمر الحرب شيخ له شأن

اذا قيل: من يحمى العراقين؟ أومئت
اليه معد بالأكف وقحطـان

فداك امرؤ أن يلقهم يطف نارهم
وليس لهـا الا المهلب انسان

ولقد حدث في احد المرات التي صعد بها الى المنبر ، وكان ذلك في يوم عيد الأضحى ، وقد اعتزم أن يخطب الناس خطبة العيد » فسمع بمقدم جيش من الخوارج ، فقال :

« سبحان الله ! أفي مثل هذا اليـوم يأتوننا ؟ ما أبغض الى من المحاربة فيه ، ولكن الله تعالى يقول : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

ونزل من على المنبر ، وخف لقتالهم ، وكان يرأسهم في ذلك اليوم أحد فرسانهم ، وهو عمرو القنا ، وقد اتجه الى المهلب يقـول له مرتجزا :

نحن صبحناكم غـداة النحـر
بالخيل أمثال الوشيج تسرى

يقدمها عمرو القنا في الفجر
الى أناس لهجـوا بالكفـر
اليوم أقضى في العدو نذرى

قال صاحب الأخبار الطوال ، ما ملخصه ان الفريقين اقتتلوا قتالا شديدا حتى جن عليهم الليل ، وبعضهم يردد قول قطرى بن الفجاءة :

ألا أيها البـاغى البراز تقربن
أساقيك بالموت الزعاف المقشبا

فما في تساقي الموت في الحرب سبة
على شاربيه فاسقني منه واشربا

ولم يدع لهم المهلب فرصه للافلات من بين يديه ، فقد كان يتبع آثارهم في كل مكان

حطوا فيـه ، أو طريق ساروا عليـه ، أو معقل انتهوا اليه ، حتى قال قائلهم :

حتى متى يتبعنـا المهلب
ليس لنا في الأرض منه مهرب
ولا السماء أين أين المذهب !؟

وشق ذلك على قطرى بن الفجاءة حين سمع ذلك فبكى ، ووطن نفسه على الموت .. فارتجز يقول :

حتى متى تخطئنى الشهادة
والموت في أعناقنـا قلادة
ليس الفرار في الوغى بعادة
يا رب زدنى في التقى عبادة
وفي الحياة بعدها زهادة

ولقد أسلفنا أن هؤلاء القوم ، كانوا شديدى التعصب لمذهبهم، ولسنا ننكر ماكان عليه بعضهم من زهد وتقشف ، ولا أنهم ضربوا مثلا عاليا في الثبات والنزال، ولذلك ظلت حروبهم تسعة عشر عاما ، ذاقوا فيها عرق القربة ، الا أنا نأخذ عليهم ما أحدثوه من فرقة وخصام ، ولدد وجدال ، وفتنة ومتاعب للخليفة الامام على بن أبى طالب ، - رضى الله عنه - وقد اضطر الى محاربتهم ، بعد أن شقوا عليه عصا الطاعة .. ولا سيما بعد ما كان من أبى موسى الأشعرى وعمرو ابن العاص ، في شأن التحكيم ، فقد خطب أهل الكوفة فقال :

« الحمد لله وان أتى الدهـر بالخطب الفادح والحدثان الجليل ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، أما بعد ، فان المعصية تورث الحسرة وتعقب النـدم ، وقد كنت أمرتكم في هـذين الرجلين وفي هذه الحـكومة أمرى ، ونحلتكم رأيى ، لو كان لقصير أمر ، ولكن أبيتـم الا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم ، كما أخو هوازن :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

أمرتهـم أرى بمنعرج اللـوى
فلما عصونى كنت منهم ، وقد أرى

مكان الهدى ، أو أنني غير مهتـد
وهـل أنا الا من غزية ان غوت
غويت ، وان ترشـد غزية أرشد

الا أن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين ، قد نبـذا القرآن وراء ظهورهما ، وأحييـا ما أمات القرآن ، واتبع كل منهما هواه بغير هدى من الله ، فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية ، واختلفا في حكمهما ، وكلاهما لم يرشد فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين • استعدوا وتأهبوا للمسير الى الشام ، وأصبحوا في معسكركم ان شاء الله ٠٠

وكتب الى الخوارج بالشخوص معه لحرب أهل الشام ، وقد فعل ذلك ، لأنهم كانوا كارهين للتحكيم ، وقد خرجـوا على الامام علي - رضي الله عنه - لقبوله مبدأ التحكيم ، فلما قرأوا كتابه - رضي الله عنـه - ردوا عليه قائلين :

« أما بعد ، فانك لم تغضب لربك ، وانما غضبت لنفسك ؟٠٠ فان شهدت على نفسك بالكفر ، واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، والا فقد نابذناك على سواء ، ان الله لا يحب الخائنين » •

وليس أدعى للعجب من موقف هـؤلاء الخوارج ، ولا أشد فتنة وضلالا من ذلك الصنيع المريب ، ومن ثم كانت الحرب ضد هؤلاء الجفاة عن الكتاب ، ولم تخب نارهـا حتى أتت عليهم جميعا ، وتم النصر للقائد المظفر ، المهلب بن أبي صفرة ، وهو يحمل عليهم مترجلا ومعـانقا ومبارزا ، ويتلو في حماته قول الله عز وجل : « قاتلوهم حتى لا تكون فتنـة ويكون الدين كله لله » ٠٠ ثم كتب بالنصر الى الحجاج ، وأرسل الكتاب مع بشر بن مالك الحرسي ، فلما وقف أمام الحجاج ، أنشـد يقول في الأزارقة ، وهم غلاة الخوارج •

قد حسمنا داء الأزارقة الدهـ
ـر فأضحوا طرا كآل ثمود

بطعان الكماة في ثغر القو
م وضرب يشيب رأس الوليد

وبعد ذلك ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان ، فقدمها سنة ٧٩ هـ ، ومات فيها • وكانت ولادته في دبا ونشأته بالبصرة ، وقدم المدينة مع أبيـه في أيام عمر - رضي الله عنه - •

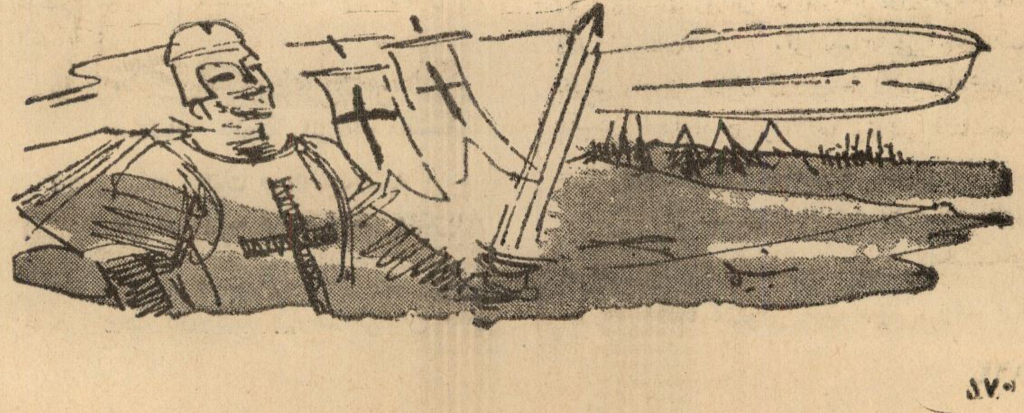

من الميثاق

مصر قلب العروبة النابض وقلعتها الحصينة

الأستاذ محمد فتحي محمود

مازالت مصر تقوم بدورها التاريخي في هذه المنطقة العربية .. وتلتزم بأعباء مركزها كموضع القلب في جسم العروبة .. ولم يحدث على التاريخ أن تخلت مصر عن القيام بهذا الدور : فكانت دائما مركز التجميع والدفع في كل حركة نهضة وانهاض للوطن العربي الكبير ، ولقد وقفت هذا الموقف الحاسم في مشاكل المنطقة وواجهت كل التحديات التي طرأت عليها بروح الشجاعة والقوة التي يتطلبها الموقف في كل مرة وامام كل حدث تاريخي وعلى مستوى مركزها بصفتها تمثل القلب من جسم العروبة

واذا كان القلب من جسم الانسان يتلقى الغذاء من كل أجهزة الجسم الأخرى فانه يدفعه دما نقيا قويا الى جميع الأطراف يحمل اليها القوة والحيوية والنماء ، اذا كان القلب من الجسم يقوم بهذه الوظيفة الطبيعية بالنسبة لجسم الانسان ، فان مصر قامت وتقوم بهذه الوظيفة بالنسبة للوطن العربي كله ، فهى دائما تتلقى منه امكانياته خامة صالحة لتبعثها فيه من جديد هضيما متفاعلا قادرا على الاحياء والانعاش وبعث القوة واشاعة الحياة ثم اذا كان القلب موضع الاحساس والوجدان والضمير - فكذلك كانت مصر موضع الفكر والعاطفة والوجدان في ضمير العرب وفي عواطفهم واحساساتهم ، فهى تنبض كل يوم بالاحساس العام العربي .. تجمعه وتتأثر به وتؤثر فيه .

لقد كان احساس مصر بالتحدى الصليبي والمغولي والاستبداد التركي والاستعمار الاوربي قويا وشديدا وكان تفاعلها مع المشاكل قويا . فكأنما كانت تشعر بكل وخزة في جسم العروبة وبكل ضربة تصيب طرفا من اطرافها فتستجيب لها وتقدر أثرها وترتب لنتائجها ، فتسعر دائما لتجميع قوى الدفاع ، ثم تضم امكانياتها اليها لتجعلها قوة فعالة مؤثرة ثم توجهها وتقودها لتقابل بها هذا التحدى في قوة وعزم وتصميم .

فمصر هى التى واجهت التحدى الصليبى حين جمعت قوى العرب ووحدت صفوفهم ثم قادتهم فى معركة حطين فهزمت جموع الصليبيين ثم مازالت تتعقبهم حتى قضت عليهم وأخرجتهم من هذه المنطقة خاسرين ، وفى سبيل القيام بدورها هذا تحملت مصر اعباء ثقالا وقدمت تضحيات بالغة ، وصمدت للعدو يوم أن وجه اليها ضرباته المباشرة فى حملاته المسعورة عليها ليضربها فيضرب بذلك قلب العروبة فى الصميم .. ومن الحق أن نقول ان اطراف المنطقة استجابت للقلب وتفاعلت مع نبضاته الدافقة فأمدته بما احتاج اليه من قوة وذخيرة .

وواجهت مصر التحدى المغولى ، وكان احساسها به شديدا وعميقا ، فجمعت شتات قوة العرب .. ووقفت بكل امكانياتها فى وجه جحافل المغول ومازالت بهم تقارعهم حتى غلبتهم فى عين جالوت ثم تعقبتهم بعدها حتى نفت خبثهم عن جسم العروبة بعد ذلك وردت وباءهم عن هذا الوطن العربى .. بل حمت عالم الحضارة من هذه الهمجية المدمرة .

ومصر هى التى ظلت تنبض بالحياة حين أوشك الاستبداد التركى ان يقتل الحياة فى جسم هذه الأمة العربية فكانت ثورة مصر لتحرير المنطقة كلها فى عهد ـ على بك الكبير ـ ثم بعد ذلك فى حركة الاحياء فى عهد ـ محمد على ـ ولولا أن الحاكم كان أجنبيا لم يدرك روح العروبة ولم يستطع أن ينصهر بتفاعله مع الشعب ، لولا تضافر العدو وتكتله لكانت وحدة العروبة تمت منذ بداية القرن التاسع عشر .

ومصر هى التى واجهت الاستعمار الغربى فى العصر الحديث وثارت عليه وأشعلت بثورتها مشاعل الثورات الأخرى التى قامت فى كل أجزاء المنطقة منذ ثورة عرابى ومنذ ثورة سنة ١٩١٩

ومصر هى التى افتتحت عهد الثورات حتى الآن منذ قامت بثورتها الكبرى فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فتمخضت ثورتها عن تحريرها ثم تحرير معظم أجزاء الوطن العربى وكانت بداية لسلسلة ثورات كانت استجابة لثورة مصر فى العراق وفى تونس وفى الجزائر وفى اليمن وفى كل ركن من أركان الوطن العربى .. بل تعدتها الى أجزاء أبعد من الوطن العربى فى افريقيا .. وآسيا .

بل وفى العالم البعيد فى أمريكا .

والنضال الشعبى فى مصر كان حافزا للنضال الشعبى فى كل ركن من أركان الوطن العربى لا للتحرر من العدو الخارجى فحسب بل للتحرر من رواسب الماضى كلها بما حوت من ظلم واستبداد وتحكم وفساد فى اجهزة الحكم وفى مقدرات الحياة

ومصر هى التى ظلت تحمل مشعل التقدم الفكرى والثقافى طوال قرون أوشك الفكر فيها على الجمود ورانت على العقول سحب الجهل والتأخر فكانت بأزهرها الشريف ثم كانت بمدارسها وجامعاتها وعلمائها ومثقفيها، منار الهداية ومصباح العلم ورائد الفكر وينبوع المعرفة .. ثم هى الآن المصدر الذى يمد اخوانها من العرب بالأساتذة والمعلمين والأطباء والمهندسين والفنيين ، روادا ومعلمين فى كافة مجالات المعرفة والتقدم الفكرى والمادى على السواء .

ثم مصر هى التى تبذل من ذات امكانياتها المادية من صناعة وتجارة لتسد النقص وتوفر العجز .. ثم هى التى تمد يدها بالعون من امكانياتها المادية على شدة حاجتها لتدعيم اقتصادها وللقيام بمشروعاتها .

ومصر هى التى تسعى دائما للم الشعث وجمع الفرقة وتوحيد الكلمة تؤلف بين القلوب وتجمع بين العواطف وتوحد بين الصفوف .. **وتعمل جاهدة لجمع شمل يحرص العدو المتربص على تفرقته ، وهى فى سبيل ذلك تتنازل عن الكثير من ذات نفسها وتحرص على**

الكثير من خير العرب .. ومن الحق أن نقول : ان شعوب العرب تحس بهذا الموقف وتتجاوب معه أشد التجاوب وتنفعل به أشد الانفعال. ولقد بدا هذا التجاوب واضحا لا مرية فيه ولا مراء حين دعا رئيس الجمهورية العربية المتحدة وزعيم العروبة السيد الرئيس جمال عبد الناصر الى اجتماع الملوك والرؤساء فى القاهرة لتصفية الجو العربى مما يكدره ولتوحيد الصف بعد أن وضحت وحدة الهدف ، فلم يتأخر أحد ولم يستطع التردد فى استجابة النداء أحد .. لأنه نداء صادر من قلب العروبة ،

نابع من أعماقها فتمثل مع احساسها .. فكان التقاء الجميع دليلا قويا على أن القلب ينبض بالحياة الدافقة ويزخر بالأحاسيس الفياضة وأن الأطراف متعاطفة متعاونة تشعر بما ينبض به القلب .. فكان العرب كالجسم الواحد الحى حقا .. اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد ، واذا دعا منه عضو استجاب له الجسد كله .

وفى عضو من جسم العروبة مادة غريبة ومكروب خبيث يتكاثر ويهدد بأن يستشرى خطره ويعم ضرره . وانه لطعنة وجهت لجسم العروبة توشك أن تتحول الى طاعون .. ذلك المكروب الخبيث هو اسرائيل التى حلت بارض فلسطين : وهى « الحقنة » القاتلة المحملة بالداء الوبيل والتى وخز بها الاستعمار جسم العروبة حين اضطرته قوى العروبة الى الرحيل .. ويحاول المرض ان ينتشر ويحاول أن يمكن لنفسه ليقوى فيستطيع أن يقتل الجسد كله ومن هنا كان احساس القلب به ومن هنا كان تداعى الأعضاء كلها بالسهر والحمى فكانت الدعوة الى الاجتماع .. وكانت الاستجابة السريعة ، ثم كان الاجماع بعد الاجتماع .. ومن سلامة جسم العروبة ومن قوة حيويته ومن علامة حجته وفتائه ، ما شهدناه من انقشاع سحب التفرقة سريعا ، وتبددها وكأنها سحابة صيف عارضة ثم ما تلا ذلك

من اتفاق سريع وتحذير واضح للأهداف . واجتماع عليها ثم اتخاذ الخطوات اللازمة الكفيلة بتنفيذها فى قوة وعزم وتصميم . ثم ما كان أجمله وأحكمه أن يقرر المجتمعون تكرار الاجتماع لتوطيد العلاقات وابعاد الدسائس والاحتفاظ بجو العروبة سليما نظيفا من كل غبار

واذا كانت الوحدة العسكرية خطوة .. واذا كان التبادل الثقافى خطوة واذا كان التعاون الاقتصادى خطوة .. واذا كان الاجتماع مرة أو مرتين كل عام خطوة .. واذا كانت فلسطين هدفا لتحريرها واعادتها الى أهلها والى جسم العروبة .. وكل هذه الخطوات تتجه مبدئيا نحو هذا الهدف فان الخطوات تتقدم سريعا لتصل الى الغاية الكبرى وهى الوحدة الشاملة لنكون كما كنا وكما نحس دائما .. أننا أمة واحدة يزول بيننا ماوضعه اعداؤنا من حدود مصنوعة وقيود زائفة موضوعة ، وفرقة ليست من صنع أيدينا ولكنها فرضت علينا فرضا فخالفت ارادتنا

أيها القلب النابض ان الجسم ينتظر منك نبضات قوية فوق العادة وأيها الجسم الحر : ان القلب ينتظر منك استجابة فوق العادة فان الموقف يبدو فوق العادة ،ففلسطين الجريحة تئن أنينا موجعا ، وشعوب العروبة تتحرق الى النضال تحرقا شديدا وترتقب يوم الجهاد فى شوق وتلهف وتنتظر يوم الوحدة بصبر نافد .

فالى فلسطين الجريحة ننقذها .. والى الوحدة نكملها ونبرزها وفى قلعة العروبة الحصينة تجمع الجنود . وفى قيادتها العليا تجمع القواد .. وبقيت اشارة الانطلاق يرسلها يوم الجهاد فى شوق وتلهف وتنتظر يوم تاميم القناة .

فالى الجهاد .. والى النصر .. والى الوحدة ان شاء الله .

ضوء على انتشار الاسلام

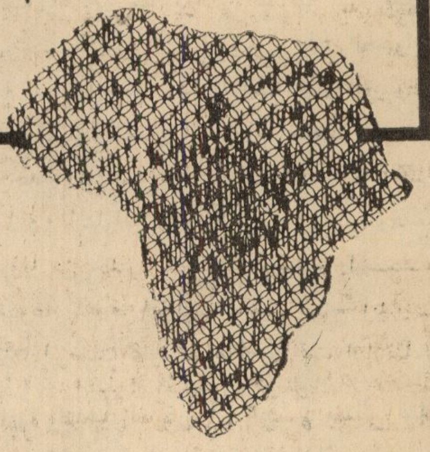

فى افريقيا

الأستاذ عبده بدوى

لقد أسعدنى الحظ حين أتاحت لى مجلة « منبر الاسلام » كتابة سلسلة عن الدول الاسلامية فى افريقية ، وقد رأيت من خلال هذه الدول التى قدمتها أن الاسلام قد استطاع فى الماضى أن يضع بصماته على الشمال ٠

وأنه لم يقف مترددا أمام الصحراء الافريقية **الكبرى ، ولكنه ثقبها واستقر فيما وراءها ، وما زال يتحرك فى دوائر كبيرة ، فانه اذا كان قد أصبح دين « ثبات » فى آسيا ، واذا كان قد « جمد » فى أوربا ، فانه فى افريقية دين « حركة » ٠٠**

فمستقبل الاسلام فى افريقيا لا يجادل فى ازدهاره أحد ، وبخاصة اذا عرفنا أنه ضاعف نفسه خلال العشرين عاما الأخيرة ، وأنه فى هذه القارة يغطى الصحراء ، ويتعلق بالسهل ولا تستعصى عليه المرتفعات ، وفى الوقت نفسه ينساب فى اقليم الأشجار الصغيرة ، ويطرق الغابة ٠

لقد كسب الاسلام « **الأرض القديمه** » فى الشمال « **بالفتوح** » ، ثم كانت عمليات الكسب الأخرى التى قام بها أصحاب الطرق الصوفية والتجار ، والذين اصطلح على تسميتهم «**بالدعاة**» ، والذين كانوا يمثلون « **فدائية** » روحية ، وجسارة جعلتهم عن طريق « **الكلمة** » يكسبون الأنصار ، ويتألفون قلوب السود ٠٠ وبهؤلاء السود أنفسهم كانت تفتح البلاد بعد البلاد ، والقلوب بعد القلوب !

ومع أنه قد رفع فى افريقية السيف فترة من الزمن ، الا أن الكسب الحقيقى للاسلام تحقق حين أغمد هذا السيف ، وحين أصبحت « الكلمة » هى السلاح الذى يدخل القلب ، ويتغلغل فى الوجدان ٠

وما تريده افريقية الآن هو « الكلمة الزكية الواعية » ٠٠ والسلوك الحى الذى يعتبر قدوة فى كافة مجالات الحياة ٠

لقد عبد الجندى الغربى الطريق ـ فى أكثر الأحيان ـ أمام المبشر المسيحى ، وأقيم ستار حاجز بين القوى المسلمة والقوى المسيحيه ،

وأصـــدرت الأوامر بعدم القيام بعمليات تبشيرية باسم الاسلام ، ومن ذلك فقد كان الاسلام يأخذ طريقه الى القلوب •

ولسنا هنا بصدد الاجابة على سؤال « لماذا يتفوق الاسلام على المسيحية فى افريقية ؟ » ، ولكنا هنا بصدد الحديث عن كيف نعمل على نشر الاسلام فى افريقية ، فى هدى الآية التى تقول :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظـــة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » •

ومعنى هذا أن يخطط لهذا الأمر من جهــة عليا على ألا تلقى المســئولية على كاهل دولة اسلامية دون أخرى ، وانمـــا يجب أن تكون الدول الاسلامية شركاء فى هذا الأمر •

فاذا تم هذا أرسلت الوفود الى افريقيــه ، **ولست أعنى هنا أن ترسل كل دولة عددا من رجال الدين ، ولكن ما أعنيه هو دراســـة احتياجات افريقية المعاصرة فى كافة المجالات ثم ارسال من يغطون هذه الفراغــات فى كافة شئون الحياة** ، على أن يكون فى وعى الطبيب والمهندس والمعلم ورجل الدين أن رسالته ذات شقين الأول يدور حول مساعدة الافريقيــين فى مجالاتهم الحيوية ، والثانى اعطاء صـورة عملية عن الاسلام •• **وذلك بتنظيم اللقاءات المستمرة ، واعطاء صورة حقيقية عن جوهـــر الدين ••**

ثم انه لا بد فى هذا المجال من استقبال عدد وفير من الافريقيين الى البلاد الاسلامية ، **وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة ، ولا شك** أنه يجب علينا أن نفكر فى انشاء جامعة تحت اسم « **جامعة الشرقيين** » بحيث تســتطيع استيعاب هؤلاء الافريقيين فى كافة متطلبات الحياة ، وكم يكون مفيدا لو أسهمت البــلاد الاسلامية فى انشاء هذه الجامعة بالقــاهرة ، على أن تكون المناهج فى هذه الجامعة فى خدمة الدين والحياة •

هذا هو الجانب الواضح للقضية ، ولاشك أن هناك جوانب أخرى فرعية يمكن أن تخدم الاسلام وافريقية •

على أن يكون كل هذا فى ضوء « **ايديولوجية اسلامية » معاصرة ، ولتحقيق هذا لا بد أن يدور حوار حاد وعميق لتحقيق الاطار الذى** يمكن أن يخدم هذه القضية . هذا العصر هو عصر الأفكار ، وعصر « الايديولوجيات » بمفاهيمها الحديثة ••

فالاسلام اليوم لن يستطيع أن يقـــوم به الفرسان القدماء الذين يتمثلون فى الصوفيين ، والدعاة ، والتجار ، وانما الذى يستطيع أن يقوم به من نسميهم « **المثقفون الواعون » بقضـــايا العصر وحاجة الانسان ، ونظرية الاســــلام المتكاملة عن الحياة •**

•• بهذا الفهم الذكى نستطيع أن « نسوق » افريقية بالمآذن ، وأن نضع بذور الاسلام فى افريقية الجديدة ، ونستطيع أن « نضاعف » الا كل عشرين ســنة ، ولكن فى كل عشر سنين !

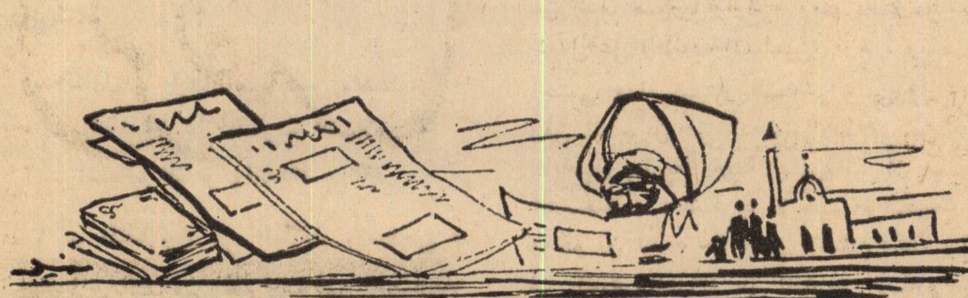

مؤامرة على التاريخ الإسلامى

الدكتور أبو الوفا أحمد عبد الآخر

موضوع حيوى. لا أريد للباحثين والمفكرين المخلصين أن يكفوا عن البحث فيه •• ولا أريد للمسلمين جميعا أن ينصرفوا عن التنبه اليه ، والتفكير فيه ، حتى يتم الوصول ـ بتوفيق الله ـ الى التاريخ الاسلامى الصحيح ، الذى هو حق من حقوق الدعوة الاسلامية على أهل الفكر والدعاة من المسلمين •• وضرورة ملحة لعودة هذه الدعوة السامية الى سالف عهدها خالصة نقية، بارزة قوية، عزيزة عند راغبيها ، مرموقة لدى المتطلعين اليها ، كريمة لدى منافسيها مهابة لدى أعدائها ••

وسأتناول ـ بايجاز ـ نقطتين ، هما :

١ ـ المتآمرون على التاريخ الاسلامى •

٢ ـ أسباب التآمر وأهدافه •

١ ـ المتآمرون على التاريخ الاسلامى :

لقد جار كثير من المؤرخين على التاريخ الاسلامى فى العصور المختلفة اما عن قصد ، واما عن غير قصد ومازال التاريخ الاسلامى ضحية التآمر بالافتراء والتشويه •• وبعض المتداول من التاريخ الاسلامى والمنشور فى بعض أمهات الكتب التاريخية ـ قديمها وحديثها ـ التى تدرس فى معاهد العلم ، وكيثرا مما تتناقله الأفكار والأقلام كلها من مخازى هذا التآمر ، وهى سموم فكرية تسربت الى كثير من العقول •

وهناك طرق كثيرة سلكها منذ القدم ، ويسلكها أعداء الاسلام لتشويه التاريخ الاسلامى ، ودس الأخبار الكاذبة عليه ، فمنهم من أسلم صوريا وأرخ ، ومنهم من ادعى العمل على انصاف المسلمين وأرخ ، ومنهم من احتمى وراء ستار البحث العلمى وأرخ •• ومن المتآمرين على التاريخ الاسلامى من يدس الأباطيل بطريقة خفية نسميها ـ ان صحت التسمية ـ « أسلوب الايحاء الخبيث » ، ومنهم من أعماه حقده على الاسلام فكان سافرا فى كذبه وافترائه على التاريخ الاسلامى •• وبذلك تخلى عن دقة المؤرخين ولجأ الى تخرصات المبشرين ••

والمتآمرون على التاريخ الاسلامي هم :

١ ـ المجوس : من أهل فارس أهل الشرك وعبدة النار ، وكانوا من أنشط الطوائف كيدا للاسلام وتحريفا للتاريخ الاسلامي •• وقد بدأوا حملتهم مبكرين ، ودسوا على التاريخ الاسلامي ـ فى صدر الاسلام ـ كثيرا من الأخبار الكاذبة التى تناقلتها الأجيال •• فأصبحت بقوة التكرار صحيحة ومصدقة عند بعض الناس •

٢ ـ اليهود : من أهل الجزيرة العربية ، ومنهم عبد الله بن سبأ وتلاميذه الذين تظاهروا باعتناق الاسلام ، وقد أدخلوا على التاريخ الاسلامي ما ليس منه ، وبذلك جنى هذا اليهودى الآثم على الانسانية بأن اشترك فى تشويه التاريخ الاسلامي مما يحتمل معه الابتعاد عن الدعوة الاسلامية •

٣ ـ المستشرقون : وهم جماعة من الدول غير الاسلامية درسوا اللغة العربية وعلوم العرب وتاريخهم ، ودرسوا العلوم الدينية ، واندمجوا فى الأوساط العربية ، وتظاهر بعضهم باعتناق الاسلام •• وقد كتب هؤلاء عن الاسلام والمسلمين بدعوى البحث العلمى ، ومنهم من تظاهر بانصاف المسلمين ، ولكنهم ملئوا كتبهم بالاخطاء والاباطيل ، سالكين فى كتاباتهم طريقة الايحاء الخبيث •• فمنهم مثلا من يختلق مطاعن على الاسلام ثم يناقشها ويفندها بأقوال ضعيفة هى الى الاثبات أميل ، ومنهم مثلا من يتحدث عن « الرسول » عليه الصلاة والسلام ، كمنصف ولكنه يكتب عنه كعبقرى أو زعيم محاولا اخفاء أهم مميزات الرسول وهى « النبوة » ••

ولقد كان قصورهم اللغوى كباحثين ـ لا كمتحدثين ـ وكانت مشاعرهم الغير عربية ، وكانت تصوراتهم الذهنية المتولدة عن بيئتهم الغير اسلامية ، كان كل هذا من أقوى الاسباب فيما وقعوا فيه من اخطاء الفهم وسوء التخريج •

٤ ـ الغربيون : وهم نفر من كتاب أوربا ، اقحموا أنفسهم وكتبوا عن الاسلام والمسلمين تحت ستار البحث العلمى الحر •• هؤلاء الغربيون هم من رجال الفكر فى الحملات الصليبية الحربية والفكرية ، وهم حملة لواء التعصب الدينى الذى اوجدوه بأوربا ولم يكن من قبل •• ومما يدعو الى الأسف الشديد ان ينقل عنهم بعض المسلمين فى كتاباتهم عن التاريخ الاسلامي وعن الاسلام

٥ ـ بعض العرب من غير المسلمين قدامى ومحدثين : ممن امتلأت قلوبهم حقدا على الاسلام ، وممن ابتأسوا لانتشار نور الاسلام فى البلاد العربية •

٦ ـ المسلمون من أهل الغفلة والهوى : قدامى ومحدثين الذين اعتمدوا فى تأريخهم على كتب الأدب وأسفار الأخبار ، ومؤلفات الفرنجة وأعداء الدين من المستشرقين والغربيين ••

٧ ـ أهل الأدب : وقد غلبت عليهم صناعة الأدب فمالوا الى كل غريب من الأخبار دون أن يتحروا الصدق أو يهتموا بالرواية والاسناد ، وأعملوا خيالهم فى تاريخ المسلمين فجاءوا بمجموعة من القصص المؤلفة والحكم والأمثال وقطع الشعر والنثر والبلاغة ، ومن ذلك كتب الجاحظ ، ودواوين الشعر والنثر مثل « كتاب الأغانى » •

ويقول القاضى « أبو بكر بن العربى » فى كتابه « العواصم من القواصم » « هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط ••• » ويقول : « •• انما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق ، وخاصة المفسرين ، والمؤرخين ، وأهل الأدب فانهم أهل جهالة بحرمات الدين أو على بدعة مصرين ، فلا تبالوا بما رووا ولا تقبلوا رواية الا عن أئمة الحديث ، ولاتسمعوا لمؤرخ كلاما الا للطبرى (ومع ذلك فالطبرى ذكر مصادر أخباره وسمى رواتها لتكونوا من أمرهم على بينة) ••• »

ويقول: فاذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول ، سلمتم من هذه الحبائل ••• »

« للمقال بقية »

الاحتفال بالمولد النبوي

بدعة حسنة وعمل محمود
وباعتبار آخر بدعة واجبة
تحقيق من ناحية المذهب والتاريخ

سماحة السيد مبشر الطرازي الحسيني

يحتفل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، بالمولد النبوى ، أعنى بيوم ولادة من بعثه الله للناس كافة ، وأرسله للعالمين رحمة ، منقذ البشرية ، وهادى الانسانية ، محمد بن عبدالله ، صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ، وذكراه العطرة .

ذكرى لما قبل بعثته من أزمان وأيام ، وما قبل رسالته من عهود وأعوام . أيام تراكمت فيها الحروب (بأتفه الأسباب) بين قبائل العرب ، حيث ضعفت فيهم دواعى حسن التفكير والأدب ، بل انهارت الخصال الانسانية والأخلاق ، وتفككت عرى الوحدة وأواصر الأخوة والاتفاق ، أعوام ساد فيها الضلال والفساد ، على كل شأن من شئون العباد ، وفقدت دول العالم نظامها ، وخسرت الملل قوامها ، واستولى القوى على الضعيف ، وتحكم النذل على الشريف ، وسقطت حقوق الانسانية تحت التعرض والاستعمار ، والتدخل والاعتداء والاستهتار ، حتى عمت الفوضوية على الحياة البشرية ، فتبدلت الى حياة جاهلية بربرية .

فاقتضت حكمة الله الحكيم ، ظهور مصلح عظيم ، بوحى من كتاب كريم ، ذكرى ليوم ولد فيه مولود عربى ، وبدىء للوجود هاشمى قرشى ، فتكهنت الكهانة والرهبان ، وبشرت الهواتف من الجان ، بقرب يوم الهناء والسرور والسعادة ، وعهد القضاء على فوضى النظام وذميم التقاليد والعادة ، فكانت ليلة المولد ليلة كما وصفها شاعر النيل ، البوصيرى الجليل (رحمه الله) وهو يقول :

ليلة المولد الذى كان للديـ
ـن سرور بيومه وازدهاء

وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء

مولد كان منه فى طالع الكفـ
ـر وبال عليهم ، ووباء

ذكرى لذلك الانقلاب العظيم ، والحدث العالمى الجسيم ، الذى أنتجته بعثته وأحدثته رسالته ، فأخذت الدنيا تخرج من حضيض الجهالة الى ساحة العلم والعرفان ، والحكمة والتعقل والبرهان ومن الظلمات الى النور ، ومن المصائب الى النعم والسرور ، ومن ضلالة الشرك والكفران ، الى هداية التوحيد والايمان ، ومن الظلم والاجحاف ، الى العدالة والانصاف ، ومن التنازع والنفاق ، الى الاخوة والاتفاق ، ومن التفرق والالحاد ، الى الوحدة والاتحاد ، وقد تحررت الأفكار والعقول ، وتقدمت نحو حرية التفكير والهدف

المعقول ، ألا وهو السعادة فى الدنيا والآخرة التى تعد أسمى غاية ومأمول •

نعم يحتفل المسلمون فى هذا الشهر العربى لهذه الذكريات ، وغيرها من الكرامات والمعجزات ، التى تتوفر فيها العبرة لمن تفكر ، والتذكر لمن استمع الى الحق وتذكر

غير أن طائفة من العلماء المعاصرين ينكرون هذا الاحتفال ، ويتبعون سخيف الآراء وضعيف الأقوال ، فاقدين طريق السداد والصواب ، وما يذكر الا أولو الألباب •

ويتمسك المنكرون بحديث « وكل بدعة ضلالة » الذى جاء فيما رواه الامام مسلم فى صحيحه ، قائلين : ان هذا الاحتفال بدعة ، ونحن نقول : انه بدعة بمعنى انه لم يعهد فى الصدر الأول ، ولكن الحديث عام خص منه البعض ، فالمراد من البدعة التى تؤدى الى الضلالة (فى نص الحديث) انما هى البدعة السيئة التى تخالف الكتاب أو السنة أو الاجماع ، فان هناك بدعة حسنة ، بل بدعة واجبة أيضا ، والاحتفال بالمولد النبوى بدعة حسنة وعملٌ محمود ، وبدعة واجبة باعتبار آخر • كما سنبين بتوفيق الله عز وجل •

قال العلامة على القارى فى مرقاة المفاتيح شرح مشكواة المصابيح :

« أى كل بدعة سيئة ضلالة ، لقوله عليه الصلاة والسلام من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، وجمع أبوبكر وعمر القرآن وكتبه زيد فى المصحف وجدد فى عهد عثمان رضى الله عنهم

قال النووى : البدعة كل شىء عمل على غير مثال سبق ، وفى الشرع أحداث ما لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقوله كل بدعة ضلالة عام مخصوص

قال الشيخ عزالدين بن عبد السلام فى آخر كتاب الواعد : البدعة اما واجبة كتعلم النحو لفهم كلام الله ورسوله وكتدوين أصول الفقه والكلام فى الجرح والتعديل • واما محرمة كمذهب الجبرية والقدرية والمرجئة والمجسمة ، والرد على هؤلاء من البدع الواجبة ، لأن حفظ الشريعة من هذه البدع فرض كفاية ، وأما مندوبة كأحداث الربط والمدارس ، وكل احسان لم يعهد فى الصدر الأول ، وكالتراويح أى بالجماعة العامة ، والكلام فى دقائق الصوفية ، واما مكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف يعنى عند الشافعية ، واما عند الحنفية فمباح ، واما مباحة كالمصافحة عقيب الصبح والعصر ، (أى عند الشافعية أيضا والا فعند الحنفية مكروه) والتوسع فى لذائد المآكل والمشارب والمساكن وتوسيع الأكمام ، وقد اختلف فى كراهة بعض ذلك أى كما قدمنا •»

قال الشافعى رحمه الله : ما أحدث مما يخالف الكتاب أو السنة أو الأثر أو الاجماع فهو ضلالة ، وما أحدث من الخير مما لايخالف شيئا من ذلك فليس بمذموم •

وقال عمر رضى الله عنه فى قيام رمضان « نعمت البدعة » هذا هو آخر كلام الشيخ فى تهذيب الأسماء واللغات ، وروى عن ابن مسعود ما رأوه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن

أقول : يريد من رواية حديث « من سنّ فى الاسلام الخ •• أن هناك بدعا حسنة تستوجب الأجر لمن أبدعها ، وللعاملين بها كما ذكر بعضها والاحتفال بالمولد النبوى من هذه البدع الحسنة التى يؤجر عليها ، فقد سنه بعض المصلحين (بعد القرون الثلاثة) وعمل به المسلمون فى أنحاء العالم ، ولا يزالون يعملون به الى تاريخنا هذا ، وقد جاء فى الأحاديث الصحيحة مما رواه الامام مسلم فى صحيحه : « لا يجتمع أمتى على الضلالة » كما سيأتى بيانه •

ويدل ما رواه عن الامام الشافعى رحمه الله من قوله « ما أحدث مما •• الخ •• على أن الاحتفال بالمولد النبوى عمل محمود ، لأنه خير كله ما لم يكن فيه بعض الخرافات والبدع السيئة التى أبدعها بعض الملوك وأهل الأهواء

ويثبت مما رواه عن ابن مسعود رضى الله عنه وهو قوله : « ما رآه المسلمون حسنا ، فهو عند الله حسن » ان هذا الاحتفال بدعة حسنة (كما قلناه آنفا) فانه مما رآه المسلمون حسنا •

ومما يثبت ما قلناه ، ما رواه الامام الهمام الشيخ محمد نووى الجاوى فى شرح منظومة البرزنجى رحمهما الله ، حيث يقول « قال القسطلانى فى المواهب : فرحم الله تعالى امرء اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعيادا ، ليكون ذلك أشد علة على من فى قلبه مرض وأعيى داء » • وقال الجاوى أيضا « وفى مطلع الأنوار للشيخ محمد بن المنير : قال ابن الجوزى من خواص قراءة المولد الشريف انه أمان تام فى ذلك العام ، وبشرى عاجلة نبيل البغية والمرام

أقول : ولا يخفى ما فى قول الامام القسطلانى (وهو المحدث الموثوق به) من ترغيب المسلمين الى الاحتفال بالمولد النبوى ، واشارة الى أن هذا الاحتفال مما لا ينكره الا من فى قلبه مرض • وأما ترغيب ابن الجوزى الى قراءة المولد الشريف مع تأييد مشروعية أصل الاحتفال فلأنه يشتمل على سيرة رسول الله وخصاله وسننه ، مما فيه نفع لعامة المسلمين وتذكير للمستمعين ومزيد محبة واتباع لرسولهم صلى الله عليه وآله أجمعين •

وفى صفحة ٢٠٩ من « الذكرى المحمدية » منشورة جمعية الهداية الاسلامية ببغداد سنة ١٣٥٦ ما نصه : « وقد أطنب الفقهاء رحمهم الله فى محاسن هذه السنة المحمودة ، وما لها من التأثير على النفوس المؤمنة ، قال الامام أبو شان الشافعى : ومن أحسن ما ابتدع فى زماننا ما يفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم ، من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وجلالته فى قلب فاعل ذلك • وشكر الله تعالى على النعمة المحمدية وعلى ما من به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله رحمة للعالمين • وقال السيوطى : ان ذلك من البدع الحسنة التى يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم واظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف ، وقال ابن الجوزى : من خواصه انه أمان فى ذلك العام ، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام » وقال حافظ بن حجر فى كتابه (حسن المقصد ، فى عمل المولد) « أن عمله محمود ومثاب عليه بشرطه » انتهى •

أقول : وفى قول ابن حجر رحمه الله ، تأييد لما قلناه (آنفا فى الاستنباط عن قول الامام الشافعى) : أن الاحتفال بالمولد النبوى عمل محمود لأنه خير كله ما لم يكن فيه بعض الخرافات والبدع السيئة التى ابتدعها بعض الملوك وأهل الأهواء •

هذا هو اجمال الكلام والآراء ، وخلاصة أقوال المحدثين والفقهاء ، من ناحية المذهب فى موضوع الاحتفال بالمولد النبوى •

وأما من ناحية التاريخ : فان التاريخ يثبت أن المسلمين ابتدعوا هذا الاحتفال بعد القرون الثلاثة الأولى ، واجتمعوا عليه ، ورأوه حسنا وسنوه وعملوا به الى تاريخنا هذا • مما يدل على أنه عمل محمود يثاب عليه •

وهنا سؤال وهو : لماذا لم يحتفل المسلمون الأولون بالمولد النبوى ؟

والجواب : ان هذا الاحتفال عبارة عن ذكرى لرسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، من يوم ولادته الى مبعثه ورسالته ، وتأدية أمانته ، فى دعوة عشيرته ثم أمته ، وهداية البشرية الى هدى من سنته وشريعته ، ومن المعلوم المبرهن ان المسلمين الأولين كانوا يعيشون فى خير القرون ، المفعم بالايمان الكامل والأعمال الصالحة ، وبمحبة الله ورسوله ، وبالجهاد والجهود بالأموال والأنفس لاعلاء كلمة الله •

فقد روى الامام البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عمران بن حصين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » نعم : انهم كانوا خير الناس يعيشون فى اطاعة الله ورسوله اطاعة كاملة ، والاعتصام بالكتاب والتمسك بالسنة • وذلك فى كل شأن من شئونهم الدينية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية ، متيقنين بأن اتباع تعاليم الدين الاسلامى الحنيف هو الذى يؤدى بهم الى

السعادة فى الدنيا والآخرة لاغيره » « ومن **يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين** » فكأن المسلمين الأولين كانوا فى ذكرى مستمرة لاتختص بتاريخ المولد المحمدى ، بل تعم السنين والشهور والايام ، لا تفوتهم فى خلواتهم ماطالت الأعوام ، فلم تكن هناك حاجة ماسة لاقامة احتفال للذكرى ٠

وأما بعد مضى القرون الثلاثة المباركة ، فتعددت فى عقائد بعض المسلمين وأعمالهم دبيب الضعف ، وكان أول السبب فى ذلك حبهم للدنيا وانهماكم فى ملذاتها ،وتكالبهم على عروشها الزائلة ومناصبها المائلة ،ومظاهر هذه الحياة الدنيا ، وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور ٠

نعم : كان السبب الأول فى ذلك حب الدنيا ، وهو رأس كل خطيئة التى حذر عنها نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام عامة أمته وأتباع ملته ، وكان هذا التحذير حكمة ونبوءة « ومابنطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى » ٠

فقد روى رزين عن حذيفة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **الخمر جماع الاثم والنساء حبائل الشيطان وحب الدنيا رأس كل خطيئة** » كما رواه الامام البيهقى فى شعب الايمان عن الحسن مرسلا ٠

وعند ذلك اقتضت المصلحة الاسلامية العامة ، اغتنام الفرصة القيمة فى هذاالتاريخ واقامة هذا الاحتفال ، لتذكير المسلمين بسيرة منقذ البشرية ، وسنة مرشد الانسانية ،فخر الأمة العربية ، وعز الملة الاسلامية ، النبى العربى الكريم ، والرسول العالمى العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ولدعوتهم نحو تعاليم دينهم المبين ، وشريعة رسولهم الامين

ولهذا فان التاريخ الصحيح يشهد أن الاحتفال بالمولد النبوى قد أحدث فى القرن الرابع الهجرى ، فقد قال السخاوى : « ان عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ، ثم لازال أهل الاسلام فى سائر الأقطار ، والمدن الكبار ، يعملون المولد ، ويتصدقون فى لياليه بانواع الصدقات ، ويعتنون بقراءة مولده الكريم ، فيظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم » ويدل التاريخ على أن ملوك الفاطميين كانوا يحتفلون بالمولد النبوى بمصر وأول من أحدثه منهم المعز لدين الله سنة ٣٦٢ هـ ودام الاحتفال به الى أن أبطله الأفضل أمير الجيوش الذى تولى الامارة سنة ٤٨٧ هـ ولما ولى الخلافة الأمر بأحكام الله بن المستعلى بالله سنة ٤٩٠ هـ أعاد الاحتفال ٠

وأما شكل الاحتفال فقد كان فى أبهى مايكون من ناحية الكرم والاهتمام ، والسخاء وحسن النظام وما يلقى فيه من الخطب ، والكلمات ، والايات البينات ، مع بيان من علامات النبوة والمجعزات ، مما لا يسعه المجال فى هذا المقال ٠ وقال الامام الجاوى فى شرح منظومة البرزنجى ما نصه « أول من أحدث فعل المولد الملك المظفر ابوسعيد ، فكان يعمله فى ربيع الأول ، ويصرف على المولد كل سنة ثلاثمائة ألف دينار » انتهى

أقول : لعل قوله : « ان أول من احدث ٠٠ الخ » أى فى العراق والا فان الفاطميين بمصر قد سبقوا عليه حيث بدأوا باقامة هذا المولد فى القرن الرابع الهجرى ٠ كما جاء فى الذكرى المحمدية : كان الملك الأعظم مظفرالدين صاحب اربيل ، يقوم بعملية الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم على نحو مدهش يجلب الاعجاب ، وقد نصب للحكم سنة ٥٦٣ ٠ ووصف العلامة ابن خلكان حفلات المولد على عهد المظفر ٠ فقال واما احتفاله بمولد النبى صلى الله عليه وسلم فان الوصف يقصر عن الاحاطة به ، لكن نذكر طرفا منه «الى آخره» ومازال الملك المظفر مواظبا على هذه الاحتفالات النفيسة طيلة حكمه ٠ ولما قدم عمر بن الحسن المعروف بأبى الخطاب بن دحية الى اربيل سنة ٦٠٤ وهو متوجه الى خراسانة ،وشاهد أعمال مظفر الدين فى هذا الشأن صنع له مؤلفا سماه « التنوير فى مولد البشير النذير » انتهى بالاختصار وفى الصفحة ٥٠٢ من المجلد الأول لكشف الظنون مانصه : « التنوير فى

مولد السراج المنير ، لأبى الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية الكلبى المتوفى سنة ٦٣٣ هـ . ألفه بأربيل سنة ٦٠٤ هـ وهو متوجه الى خراسان ، بالتماس الملك المظفر « الايوبى » وقد قرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار ، غيرما أجرى عليه مدة أقامته »

هذا ماأردنا تحريره فى هذا الموضوع من ناحية المذهب والتاريخ مما لايدع أى شك « لدى المؤمن المنصف » فى أن الاحتفال بالمولد النبوى بدعة حسنة وبعبارة أخرى : احسان لم يعهد فى الصدر الأول ، وعمل محمود يؤجر عليه ، وقد اجتمع عليه المسلمون « الأمة المحمدية » واستمروا فى اقامته منذ ألف سنة « تقريبا »

ونحن اذا نظرنا الى هذا الاحتفال نظرة صحيحة ، فاننا نجد فيه « مع ماأسلفناه من تصريحات الفقهاء والمحدثين » فوائد كثيرة تعود لخير الاسلام والمسلمين . نذكر منها أولا

مزيد من ذكر الله سبحانه وهويقول « يأأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا » ويقول « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ثانيا : مزيد المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى من شروط الايمان كما ينص عليه حديث « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين » رواه الامام البخارى ومسلم . ثالثا : كثرة الصلوات والتسليمات عليه صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول : « ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يأأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » مع ما وردة من الأحاديث الصحيحة .

رابعا : تقوية العقيدة بتعاليم الاسلام ومزيد الرغبة الى اطاعة الله ورسوله .

خامسا : التربية الروحية والأخلاقية الاجتماعية للمستمعين ودفعهم نحو المثل العليا بما يلقى عليهم من نواحى السيرة النبوية ، والله سبحانه يقول « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

سادسا : ايجاد فرصة لاجتماع جماعة من المسلمين « شيوخا وشبابا » والتعارف « أو مزيده » والتفاهم المتبادل ، وتحكيم أواصر الأخوة بينهم ، مما يؤدى الى مصلحة الاسلام العامة .

هذا : ولا أكون مغاليا اذاقلت : ان الاحتفال بالمولد النبوى بدعة واجبة ، اذا صحت النية فى اقامته ، و «انما الأعمال بالنيات» (الحديث) وقصد به الوعظ والتذكير والقاء مزيد من الضوء على العقيدة ومبادىء الاسلام ودفع الشبه واصلاح المجتمع ودعوة العالم الاسلامى نحو سياسة السلف ألا وهى سياسة الأخوة والاتحاد والتكتل و « لايصلح أخرهذه الأمة الا بما صلح به أولها »

ولامرية فى أن المسلمين (فى ظروفهم الراهنة) فى أمس حاجة الى مثل هذاالاحتفال وكيف لا ؟ وقد تسللت فيهم المذاهب المختلفة الهدامة فى كل قطر من اقطار العالم ،ويهددهم الاستعمار وأذنابه هنا وهناك مع فساد الأخلاق والانحراف عن طريق الحق الذى يشاهد بين كثير من العباد فى كل بلد من البلاد . ومن أصول الافتاء فى الفقةالاسلامى معرفة أهل الزمان واعتبار حالاتهم ، وقد جاء فى شرح عقود رسم المفتى لابن عابدين رحمه الله « من لم يعرف أهل زمانه فهو جاهل ، وان حفظ كتب ابى حنيفة كلها »

وفى الختام : من واجبى ان اعترف بحسن انظام هذا الاحتفال المبارك وصحة أهدافه فى مصر ، وقد عدل فى برامجه بعض التعديلات ، وجرد عن بعض الخرافات والبدع الدخيلة فيه وذلك فى ظل حكومة الجمهورية العربية المتحدة حفظها الله سبحانه من كل سوء .

أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الشهر المبارك دائما مزيد بركة وعزة ونجاح وتقدم لعامة الشعوب الاسلامية ولجميع أبناء الاسلام فى أنحاء العالم .انه قريب مجيب

من إعجاز القرآن ..

الإعجاز البياني

الدكتور حفنى محمد شرف

بعد أن طوفنا بفكرة الاعجاز البيانى للقرآن الكريم خلال القرون الأربعة الأولى من تاريخ الاسلام العام نحب أن نكمل مابدأناه فننتقل الى القرن الخامس حيث يتاح لنا أن نميز فيه اتجاهين مختلفين يمثل ابن سنان الخفاجى أحدهما ويمثل ثانيهما عبد القاهر الجرجانى .

وما دمنا التزمنا منذ البداية مراعاة الترتيب التاريخى لرجال فكرة الاعجاز البيـانى فلا مندوحة اذن من أن نبدأ كلامنا هنا بالحديث عن الأول وفق المنهج الذى ارتضيناه .

التقيت بأبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى فالفيته اديبا نابها وعالما فاضلا بالاضافة الى الشاعرية المجيدة والامارة الطموحة .

وهو من بنى خفاجة الذين كانوا ينزلون اعمال حلب وقد كان أبوه من اشرافها تلقى العلم على علماء عصره وان بدا تأثره واضحا فى نهجه طريق أبى العلاء المعرى نلمح هذا مما قيل عنه من نزوع نفسه الى الثورة والسخط والنقمة على أولى الامر ويقال انه طمع فى ضيعة يتولاها وينفق من ريعها وكان ذلك سببا فى اثارة السخط عليه والغضب منه وتأليب الناس ضده . ولكنه مع هذا بل ورغم هذا كانت تبدو عليه الصراحة فى اعماله وأقواله فلم تلن قناته ولم يمل عوده رغم هذا الهبوب العاصف والزوابع الهوجاء .

وكم كان يتمنى ان يصلح شيئا من مفاسد عصره ولكن هيهات . تلك المفاسد التى لخصها فى قوله :

أستغفر الله لا مال ولا شرف
ولا وفاء ولا دين ولا أنف
كأنما نحن فى ظلماء داجية
فليس ترفع عن أبصارنا السجف

واجملها فى قوله :

من مبلغ اللوام أن مطامعى
صارت حديثا بينهم وقصائدا

ولكن القدر لم يمهل الخفاجى طويلا فمات مبكرا وقيل انه مات مسموما ولم يحقق شيئا من مطامعه وكان ذلك سنة ٤٦٦ هـ .

هذا وقد كان للوضوح الذى تخلق به الخفاجى والصراحة التى انطبع عليها أثر بالغ فى كتابته وآرائه وكتابه «سر الفصاحة» خير دليل على ذلك .

فأسلوبه أدبى علمى ممتاز لا يطغى فيه ذوق الاديب على ذوق العالم كعبد القاهر الجرجانى ولا ذوق العالم على ذوق الاديب كالسكاكى مثلا .

والخفاجى لم يؤلف كتابا فى اعجاز القرآن ولكن لمساته وتلميحاته فى كتابه «سر الفصاحة» تكاد توضح لنا رأيه فى هذا المجال .

لقد أقام كتابه على التفرقة بين الفصاحة والبلاغة فجعل الاولى مقصورة على وصف الالفاظ والثانية عليها مع المعانى فلا يقال فى كلمة واحدة ــ لاتدل على معنى يفضل عن مثلها ــ انها بليغة وان قيل فيها فصيحة فكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا .

وفى أثناء هذه الدراسة نكاد نتحسس رأيه فى بلاغة القرآن التى يقصد بها : الوصول الى اعجازه فهو يحث الاديب على معرفةالفصاحة حتى يستطيع من وراء ذلك قول الكلام ونقده وليستطيع من وراء ذلك فهم النصوص الشرعية ومعرفة لماذا كان القرآن خارقا للعادة .

وعناصر العمل الادبى فى نظر الخفاجى كما جاءت بصفحة ١٠٢ من « سر الفصاحة » هى : الموضوع . الصانع . الصورة . الآلة . الغرض .

والموضوع هو الكلام المؤلف من الاصوات . والصانع هو الذى يؤلف الكلام بعضه مع بعض والصورة : الفصل للكاتب والبيت للشاعر والآلة : طبع الناظم والعلوم التى اكتسبها بعد ذلك . والغرض : بحسب الكلام المؤلف فان كان مدحا كان الغرض به قولا ينبىء عن عظم حال الممدوح وان كان هجوا فالبضد .

والموضوع أو اللفظ عند ابن سنان الخفاجى فى المرتبة الاولى أما التأليف والنظم فليس الا جمع هذه الالفاظ التى تحمل خصائص جمالية يطلق عليها : الفصاحة . فالفصاحة اذن وصف مقصور على الالفاظ .

ويقسم الكلام قسمين : متلائما ومتنافرا وينكر على الرمانى جعله القرآن متلائما فى الطبقة العليا وغيره من كلام العرب فى الطبقة الوسطى ويرى أنه لا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار فى ناحية الفصاحة .

ويرى أن القرآن معجز بوجهين فقط : احدهما : أنه خرق العادة بفصاحته التى وقع التزايد فيها موقعا خرج عن مقدور البشر ويرى أن الفصاحة التى هى الوجه الاول متفاوتة فى القرآن الكريم فبعضه أفصح من بعض وذلك حيث يقول :

ص ٢٦٣ من كتاب سر الفصاحة : **« .. أما زيادة بعض القرآن على بعض فى الفصاحة فالامر فيه ظاهر لا يخفى على من علق بطرف من هذه الصناعة .. وما زال الناس يفردون مواضع من القرآن يعجبون منها فى البلاغة وحسن التأليف كقوله تعالى : «وقيل يأرض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى .. الآية فلو كانوا يذهبون الى تساويه فى الفصاحة لم يكن لاقرارهم هذه المواضع المعينة المخصوصة دون غيرها معنى .. وليت شعرى أى فرق بين أن يخلق الله وجهين : أحدهما أحسن وأصبح من الآخر وبين أن يحدث كلامين : احدهما ابلغ وافصح من الآخر وهل يفرق بينهما الا مفترح »**

وثانيهما : أنه معجز بالصرفة ، ولا علاقة لنابها هنا وان كان هو يعتمده ويفضله متأثرا بالشريف المرتضى الذى يرى الاعجاز بالصرفة .

وما دام الوجه الاول هو الذى يعنينا فى هذا المجال فلنتمم ذلك فنورد رده على من ينكر كون القرآن بعضه أفصح من بعض وذلك حيث يقول :

« هل تستطيع أن تمتنع من القطع على أن القرآن فى لغته أفصح من التوراة والانجيل فى لغتهما لان هذه الكتب لم تكن معجزة لخرقها للعادة وان كان الجميع كلام الله تعالى فما المانع من أن يكون بعض كلامه أفصح من بعض حتى تكون آية منه أفصح من آية والجميع كلام الله ؟ »

ولا شك أن هذا الرأى لا أساس له من الصحة ولكنا نورده هنا لنبين رأى ابن سنان فى الفكرة بأكملها حتى نستطيع أن نضع هذا كله نصب أعيننا حين نقارن فى مجال فكرتنا بين شخص وشخص أو بتعبير أدق بين رأى وآخر .

وبالجملة نقول : ان هذا أحد الاتجاهين اللذين أنجبهما القرن الخامس الهجرى . أما الاتجاه الثانى فهو كما قلنا ممثل فى شخصية عبد القاهر الجرجانى الذى نقف الآن على عتبة هيكله حيث نتأهب للارتياد .

عبد القاهر الجرجانى
والاعجاز البيانى للقرآن الكريم

نحن الآن أمام شيخ البلاغة العربية وامامها

الذى رفع قواعدها وأحكم بناءها : أمام عبد القاهر الجرجانى صاحب الاحساس الفنى الصادق ورجل الذوق الادبى الرفيع الذى شرع قلمه واخلص جهده فى ميدان البلاغة والبيان فكشف ماغمض واوضح ماستبهم بل وقوم ما انحرف فكان طرازا فريدا بين علماء العرب الاقدمين .

ورغم شهرة هذا العالم الجليل فى شتى المواطن ومختلف الميادين الا أن النفوس البشرية فى شوق الى تعرف أمثال هاتيك الشخصيات وتجسس أخبارها وتنخل اصواتها لماذا ؟ لا ندرى سوى أنه سحر العظمة وبريق العبقرية .

واشباعا لهذه الرغبة - ليس للناس فحسب بل لنا أولا وقبل كل شىء - نحب أن نجتزىء بذكر لقطات عن حياة هذا العالم الكبير .

لقد عاش عبد القاهر فى القرن الخامس الهجرى وهو الوقت الذى كانت فيه الحركة العلمية منذ بداية العصر العباسى الاول قد آتت ثمارها وبلغت كامل نضجها ونشاطها .

وعلى كثرة المراجع العربية ووفورها الا أن الدارس لايكاد يظفر بترجمة وافية مفصلة لتاريخ حياة هذاالنابغة العظيم . ان كلماذكره المؤرخون عنه لايعدو ان يكون اشارات هنا ولمحات هناك لاتكاد تشفى العلة ولا تنقع الغلة اذ هى لا تعطينا صورة واضحة المعالم بينة القسمات لامام البلاغة العربية الشهير .

ونحن لا نلقى القول على عواهنه .. كما لا نقول ذلك جزافا فها هى ذى الحقائق تتكلم والتاريخ يسجل أن المراجع العربية خلو من تلك الصورة التذكارية التى كم كنا نتمنى ان تصل ايدينا لعبد القاهر حيث نضعها بين العين والفؤاد ..

فالمراجع لاتحدد العام الذى فيه ولد .. ولا تتحدث فى قليل أو كثير عن الأسرة التى انحدر منها ولاتذكر شيئا عن البيت الذى شب فيه وترعرع .

ولعل السبب فى ذلك يعود - كما رجح الدكتور أحمد بدوى فى كتابه « عبد القاهر الجرجانى ص ٥ » الى رقة حال أسرته وضعف نصيبها من الجاه مما قعد به عن التنقل فى البلاد لارتشاف العلم من يد علمائه ، ونحن ندرك من هذا السبب أيضا الاجابة عن هذا التساؤل : لماذا تلقى العلم عن أهله وارباب واكتفى بالقراءة وحده والدرس بمفرده فى كتب النحو والأدب ؟

على أن فرصة اللقاء بالعلماء لدى عبدالقاهر لم تفته نهائيا فان من الثابت تاريخيا أنه أخذ النحو عن محمد بن الحسين الفارسى ابن أخت ابى على الفارسى النحوى المشهور

وقد ذكر ياقوت الحموى فى ترجمة محمد ابن الحسين هذا أنه استوطن جرجان وقرأ عليه أهلها ، ومنهم عبد القاهر الجرجانى ، وليس له أستاذ سواه ، فى حين أنه يذكر فى ترجمة القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى أن عبد القاهرة قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وهذا تناقض واضح لا شك فيه . ومن هنا فانى أنكر الروايه الأخيرة لياقوت لأن القاضى الجرجانى توفى سنة ٣٩٢ هـ ، على ما ذكره هو نفسه ، وعبد القاهر توفى سنة ٤٧١ أو سنة ٤٧٤ هـ على خلاف فى ذلك ، فالفارق الزمنى بينهما يبلغ نحو ثمانين عاما ، ولكى نثبت اللقاء والتلمذة المباشرة علينا أن نفترض أن عبد القاهر كان فى سن تبلغ الخامسة عشرة على الأقل .

ومعنى هذا انه عمر طويلا وفارق الحياة عن نحو قرن من الزمان ، وهذا ما لم يثبته التاريخ او يشير اليه .

وأيا ما يكون الأمر ، فقد راد عبد القاهر مناهل العلم على صفحات الكتب وامتاح مواردها من بطون الأسفار . فقرأ وفهم ونظر ووعى حتى استوى عوده واستبان طريقه ، وقد يدهش المرء اذا هو علم أن الرجل قد قضى على نفسه بعيشة المقلين الذين رغبوا عن الدنيا وزهدوا فيها الى ابعد الحدود حتى جر ذلك عليه الضيق والعسر ، ولكن تلك الدهشة قد تزول نهائيا اذا أنت علمت أن الرجل كان عزيز النفس معتصما بالشرف والكرامة لا يداهن ولا ينافق ولا يمالىء من أجل طمع فى مغنم أو تأميل فى وفرة مال ..

وعلى آية حال فان ما يهمنا من جوانب

هذا الرجل هو الناحية العلمية والأدبية ليس غير ، فلنكمل تلك العجالة القصيرة بالاشارة اليها والتنويه بها قصدا للغاية ، وتمهيدا للموضوع الذى نحن بصدده •

آثاره العلمية :

لسنا هنا نهدف الى حصر لتلك الآثار بمقدار ما نهدف الى التعريف فى ايجاز باشهرها ، وعلى رأس هذا الشهير نذكر كتابيه القيمين « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » اللذين جلى فيهما عبد القاهر حقائق البيان بأسلوب يجمع بين القوة والوضوح والسهولة والعمق فى براعة بارعة وحجة صادعة ، وتصوير قوى أخاذ ، وهو يكثر من الأمثلة والشواهد على ما يقول معقبا عليها بشرح أدبى جميل ، وتحليل نقدى دقيق ، حتى صار الكتابان آية فى البلاغة وتطبيقا عمليا لما يسوق كاتبهما من قضايا وأحكام ، والذى يهمنا هنا بصفة خاصة هو كتاب « دلائل الاعجاز » مضافا اليه « الرسالة الشافية » وهى له أيضا •

وانما يهمنا هذان الكتابان « دلائل الاعجاز » و « الرسالة الشافية » لأن عبد القاهر قد وجه عنايته فيهما الى دراسة القرآن الكريم من حيث التحدى وفكرة الاعجاز البيانى وعجز العرب عنه وما الى ذلك •• الأمر الذى من أجله نكتب فى هذا الميدان •

تناول عبد القاهر فى الرسالة : تفضيل العرب على غيرهم من سائر أصحاب اللغات الأخرى فقال :

« معلوم أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل وان للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن بعض ، ومنازل يعلو بعضها بعضا وان ذلك علم يخص أهله وأن الاصل والقدوة فيه للعرب ومن عداهم تابع لهم وقاصر عنهم » ••

وقد سوى بين المتأخرين والمتقدمين أو المعاصرين لنزول القرآن فى عجزهم عن الاتيان بمثله وصدق ما قاله خالد بن صفوان فى المعاصرين للنبى — صلى الله عليه وسلم — « كيف نجاريهم وانما نحكيهم ، أم كيف نسابقهم وانما نجرى على ماسبق الينا من أعرافهم » ••

هذا مع بيانه الحكيم فى أن العرب قد عجزوا وسلموا بالاعجاز صاغرين معترفين للقرآن بالفضل والسبق بالاضافة الى أن رسول البشرية قد قرعهم بأنه بشير ونذير وأن دينه ناسخ لكل الشرائع السابقة ، وأنه بذاته الشريفة خاتم النبيين والمرسلين •• وحجته فى ذلك هذا الكتاب العربى المبين الذى يعرفون ألفاظه ويفهمون معانيه، ولكنهم لا يقدرون على الاتيان بمثله ولا بعشر سور منه ، ولا بسورة واحدة ولو جهدوا واجتهدوا واجتمع معهم الجن وجميع مخلوقات الله من الآدميين •

ثم أخذ يقيم الحجة البينه على التحدى وعدم المعارضة مستشهدا بأقوال أعداء القرآن أنفسهم الذين كانوا ينحون باللائمة على رسول البشرية فى مجيئه بهذا القرآن ، وهم هم أنفسهم الذين كانوا يتلاقون فى الليل وتحت جنح الظلام يتلاومون ويتعاتبون فى أن ما جاء به هو الحق ، ولكنهم مكابرون ، فهل تليق بهم المصارحة ؟ مغرورون فهل يعنفهم اللوم ؟

هذا هو المغيرة وعتبة والنضر وغيرهم كثير ، يعترفون بان ماجاء بههو الحق ولكن أنى لهذا الاعتراف أن يظهر أو يكون له أثره الايجابى ؟

لقد بين عبد القاهر هذا كله فى جلاء ووضوح وبين أنهم مع هذا كله لم يعارضوا القرآن — وما كان لهم أن يفعلوا — لأنهم لو عارضوا لادعوا ذلك ولو ادعوه لذكر لهم ونقل عنهم ، وهذا لم يدونه التاريخ فيما دون ••

ثم ان من عادات الناس وطبائعهم أن الواحد منهم تواتيه العبارة ويطيعه اللفظ فى صنف من المعانى ويمتنع عليه ذلك فى جنس آخر منها •• فمثلا قد يكون الرجل فى المديح أشعر منه فى الغزل أو العكس ، وقد يستطيع فى الاوصاف والتشبيهات أن يفتن ويبدع عنه فى غيرها — أقول اذا كانت هذه حال الواحد من الناس فكيف يجمع بين المحاسن كلها الا اله قدير •

وموعدنا لاتمام الحديث العدد القادم — ان شاء الله

محمد المجاهد

الأستاذ عبد العال شعيب

لعل هذا العنوان يثير فى نفوس الحاقدين بعض الريب . اذ يظنــون ان نبى الاسـلام عليه أفضـل الصلاة والسلام قد جاء بشرعة تدعو الى القتال والحرب ولا تدعو الى الاحسان والسلم ، وهذا خطأ محض وضلال مبين . فان سيدنا محمدا قد جاء بالشرعة الهادية بالحجة والموعظة الحسنة، ولذلك قال له ربـه فى القرآن الكريم (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين . وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وماصبرك الا بالله ولا تحزن عليهـم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والـذين هم محسنون)

وقد امره ربه ايضا ان يكون حسن الخطاب والجدل مع مخالفيه فى الـدين فامره مثلا ان يقول لهـؤلاء (وانا او اياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين) (فستعلمون من اصحاب الصراط السوى ومن اهتدى)

ولكن هناك اناسا ينكرون الشمس وهى ساطعـة ، ويتجاهلون البدر وهو فى تمامه . ويعرفون الحق كمـا يعرفون ابنـاءهم ثم ينكرونه وهم عامـدون وهؤلاء من شميتهم البغى الطغيان والعناد والكفران، ولايصلح مع هؤلاء حجة او برهان، او هداية الى دلائل ايمان . وانما يصلح معهم السيف يتحكم فى رقابهم ليردهم عن طغيانهم وبهتانهم ، وليعيدهم الى صراط الحق والهدى ويثاب المرء رغم انفه ورحم الله الامام البوصيرى حينما خاطب الرسول متحدثا عن تلك الناحية فقال .

(فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم)

لذلك كان لابد للرسول - صلى الله عليه وسلم - ان ينتقل من مرحلة البرهان الاقناعى الى مرحلة الجهاد الحسى حتى يؤدب اولئك الذين اضطهدوا دعوته واخرجوه من دياره بلا ذنب او جريرة مع قومه ، وكل تهمتهم عند اولـئك المشركين . انهم يقولون لااله الا الله .

وقد اذن الله سبحانه وتعالى لرسوله فى القتال باول آية كريمة تقول :

(اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)

وكذلك روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى .

ولقد اكثر الرسول المجاهد من خروجه الى الغزوات حتى روى كتاب السيرة فى مختلف كتبهم ومصادرهم ان عدد المغازى التى غزا فيها الرسول عليه الصلاة والسلام كانت سبعا وعشرين . وكانت سراياه التى بعث فيها ولم يخرج خلالها بنفسه سبعا واربعين سرية .وكان ماقاتل فيها بشخصه تسع غزوات : هى بدر ، واحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف . فى بعض الروايات انه قاتل فى بنى النضير ايضا .

ومما يدل على ان محمدا كان مجاهدا خير الجهاد استعداده بالسلاح وادوات الجهاد . فقد كان له سيف اسمه ماثور ورثه من أبيه وقدم به المدينة . وكان له سيف اسمه (العضب) أرسل اليه به سعد بن عبادة عند توجهه الى بدر ، وكان له سيف اسمه (ذو الفقار) وكان فى وسطه فقرات مثل فقرات الظهر غنمه فى غزوة بدر وكانت له ثلاثة اسياف اخرى اخذها من سلاح بنى قينقاع .

وكانت له درع يقال لها (ذات الفضول) لانها كانت طويلة وقد قدمها اليه سعد بن عبادة وكانت له درع تسمى (ذات الوشاح) وثالثة تسمى (ذات الحواشى)

وكانت عنده اقواس كثيرة منها الروحاء والصفراء والبيضاء والزوراء والكتوم وكانت له جعبة يضع فيها النبل والسهام . وكانت له حربة تسمى (النبعة)

وحربة صغيرة اخرى تسمى (العنزة)

وكان له مغفر يسمى (الموشح) واخر يسمى (المسبوغ) وكانت له راية تسمى (العقاب) وكان له لواء مكتوب عليه . لااله الا الله محمد رسول الله وكانت له جملة خيول يركب عليها منها (المرتجز) وقد سمى بذلك لحسن صهيلة كانه ينشد رجزا . وكان ابيض وهو الذى شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته شهادة رجلين . ومنها (الورد) اهداه له تميم الدارى فاعطاه له عمر بن الخطاب فحمل عليه فى سبيل الله ثم وجده يباع برخص فقال له . لاتشتره . وانما اقتصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - على هذه الادوات وتلك الانواع من الاسلحة لانها هى التى كانت معروفة فى زمانه ولو وجد فى زمانه غيرها من وسائل الدفاع او الهجوم النافعة لاتخذها واستخدمها حتى يعز كلمة الله فى الارض . وحتى يدفع باس الكافرين عن المسلمين . فان الله سبحانه امر بالاستعداد بكل وسيلة فقال سبحانه وتعالى فى سورة الانفال يخاطب المسلمين :

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)

والقوة تتمثل فى كل شىء يجلب النصر والفوز ،ومما لاريب فيه ان النبى - صلى الله عليه وسلم لوعاش فى زماننا لسارع الى استعمال الطائرة والغواصة والبارجة والدبابة وغيرها من اسلحة الحروب الحديثة لانه لايفل الحديد الا الحديد . لان النبى - صلى الله عليه وسلم - قد قال . الا ان القوة الرمى . الا ان القوة الرمى . الا ان القوة الرمى .

والرمى معنى يتحقق فى كل سلاح يرمى به مايصيب الهدف . وينكل بالعدو ويصل بالمحارب الى شاطىء الفوز والانتصار .

صلوات الله على رسول الله . لقد عاش مجاهدا ومات مجاهدا وكان خير قدوة للمجاهدين . الذين لايريدون بجهادهم سلطانا او تكبرا ولكن يريدون ان تكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم .

التعاون في الاسلام

أساس الحياة السليمة

الأستاذ منصور حامد نسيم

منذ فجر الاسلام .. يوم أن وضع محمد ابن عبد الله اللبنة الأولى فى صرح الدعوة الاسلامية الشامخ ، والاسلام بتعاليمه الحنيفة يتغلغل فى نفوس معتنقيه تغلغلا ملك الحواس وارهف المشاعر ، واكد السماحة وحسن المعاملة ، حياة كريمة تقوم على أساس تبادل المنفعة ، والتعاون المثمر ، المبنى على حرية الرأى وحرية الاختيار .. قوانين ثابتة قامت على حفظ الترابط ، وتثبيت دعائم الاخوة بين المجتمع البشرى دون تفرقة أو تفضيل ، ومن هنا كان للمسلمين من خلقهم الذى تربى فى رحاب الدوحة الاسلامية العاصم والموجه ، ومن وعيهم الاسلامى ، والمامهم بتوجيهاته السامية سياج من المنعة وقاهم شر الانحراف او التردى فى مهاوى الرذيلة .. وكان المسلمون الأول فى كل نهج يسلكونه يضعون نصب أعينهم مراقبة الله تعالى لجل تصرفاتهم ، مؤمنين عن عقيدة بقوله جلت قدرته .. **مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم »** ..
ومن هنا اتسمت الأعمال صغرت أو كبرت بخطة الاسلام ومنهجه ، وكان التجاوب الملموس مع أهداف الشريعة ومثلها العليا .

وسارت المدرسة الاسلامية تخطو بخطى حثيثة ، يقودها معلم البشرية ، تبث فى النفوس أسس الحياة القويمة ، وترسم منهاجها السليم مقتدية بقول الرسول الكريم **« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »** فكان ذلك جمعا للحياتين فى اطار ضمان المستقبل ، والنزوع بكل الطاقات الانسانية الى النافع فى كلا الحالتين ، ولم تنبث تلك التوجيهات حتى سرت مسرى الدماء من أصحابها ، فعمق ايمانهم ، وصفت قلوبهم ، وتهيأت مشاعرهم للقبول فأقدموا عن طيب نفس يعبون من معين الاسلام الفياض ، وقد وجدوا فيه ضالتهم المنشودة ، وحياتهم الهادئة ، وماحرموا منه طوال حياتهم السابقة وما اعتراها من متناقضات وانحرافات ، واصبحت الاخوة الاسلامية الرباط المقدس الذى ربط الجميع فى اطار المحبة الصادقة والوفاء الكامل ، دون مغالاة ودون معاناة فالمسلم الذى يدفعه ايمانه الى أن تجود نفسه عن طيب خاطر الى التنازل عن نصف ممتلكاته لأخيه المهاجر نهج بلغ القمة فى التضحية والايثار ، وخطة فعالة فيها العمل المثمر والنتيجة الايجابية لحياة التضامن والأخوة فى أرقى صورها قال تعالى **« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »** .

ولعلنا هنا وبلا تفكير عميق نلحظ التطبيق العملى للاشتراكية الاسلامية فى أجلى مواقفها، اشتراكية قامت على دعامة الاحساس الواجب وماتفرضه طبيعة التعاون من سماحة وتجاوب تجاه قوم عمقت عقيدتهم وتفاعلت أفئدتهم مع الدين الجديد ، ولا أدل على ذلك من التضحية البريئة بكل مايملكون من عرض الدنيا ، والتسلل بعقيدتهم تاركين وراءهم الأهل والوطن .. وبالمقارنة نلحظ من أول وهلة مدى التقارب بين احساس نوعى المسلمين كل فى تصرفاته ، التضحية متقاربة يجمعها الهدف الواحد ، ويقودها المسلك المؤدى الى النتيجة الواحدة .. دين وعمل وعقيدة متأصلة واخلاص لهذه العقيدة ..

وينزل بالمسلمين ضيق وفقر تطول مدته ، وتهفو النفوس متطلعة فى نهم الى القوت الذى يسد الرمق ويحفظ على الجسم حياته ، وترد الأنباء معلنة وصول تجارة الى عثمان بن عفان ويبيت الجميع يحلمون بانفراج الأزمة وانتعاش الحركة ، ويتوافد المشترون أملا فى صفقة رابحة لاسيما فى تلك الظروف العصيبة التى تدفع الى رفع الأسعار .. وتبدأ مباراة المزايدة فى حرص وحذر حتى يبلغ السعر أضعاف الثمن الأصلى ، ثم يسقط فى يد المجتمعين حينما يعلن صاحب التجارة أن مشتريا أعطاه عشرة أمثال الثمن ، ويتلفت الجميع يتساءلون عن هذا المشترى ،ويتفقدون انفسهم .. الكل حاضر .. فمن ياترى اذن ذلك المشترى) ويأتى الجواب شافيا مقنعا مخيبا للآمال، لقد وعدنى ربى: الحسنة بعشر امثالها .. ثم توزع التجارة على الفقراء .

ويتبرع أبو بكر الصديق بكل ماله لتجهيز جيش المسلمين ، وحينما يسأل : ماذا تركت لأهلك وولدك ؟ يأتى الرد المفعم بالايمان المقنع عن يقين : تركت لهم الله ورسوله .ويستدعى عمر بن الخطاب عمرو بن العاص واليه على اقليم مصر ، ليتقصى حقيقة مابلغه من أن ابنه ضرب أحد رعايا المسلمين مدعيا انه ابن الأكرمين ــ دون جريرة أو ذنب ــ اعتمادا على مكانة أبيه كحاكم ، ويأمر عمر بالاقتصاص دون اى اعتبار الا المساواة المطلقة ، وتنفيذ مبدأ العدالة ، ويقول قولته المشهورة التى سارت مسير الشمس « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا »

والرسول الكريم ـ صلوات الله عليه ـ يوم وقف منه أصحابه وقد قسموا العمل فيما بينهم لاعداد الطعام فيقول : وانا على جمع الحطب .. درس عملى اراد به صاحب الرسالة أن يضع به أسس الكرامة الحقة للتعاون المشترك ، وعدم التعالى أو الاتكال على الغير ، معطيا بذلك الدليل العملى على المساواة الكاملة ..

وبقدر ماكان ذلك التجاوب ، وهذا الانفعال والانصهار ، انتشر الوئام بين جماعة المسلمين وباتوا جميعا وقد أمنوا المكائد والمؤامرات فيما بينهم ، أسرة واحدة قوامها التعاون وتبادل المنافع امتثالا لارشاد الدين وتوجيهه قال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى » . وقول رسولنا الكريم .. المؤمنون فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

وعلى هذا النمط قطع المسلمون الأوائل الشوط الى نهايته ، مؤسسين بذلك أصول أرقى الحضارات التى عرفتها البشرية فى تاريخها الحافل بالنهضات ، العريق بالتطورات ، وليس غريبا أن يكون الغرب فيما يدعيه اليوم من تقدم عالة على حضارتنا ، فبينما كانت حضارة العرب وثقافاتهم الاسلامية تنشر لواءها على ربوع الكون ، كان الغرب يعج فى متاهات التأخر والجهل ، وهاهى اغلب قوانينهم الوضعية التى يدعون ابداعها واختراعها اقتباس من التعاليم الاسلامية المحضة بعد أن أضفوا عليها من طلائهم البراق مايحول دون تحديد موضع الاقتباس من أول نظرة ، واليوم نرى والفخر يملأ قلوبنا انه لاعاصم للانسانية من الانزلاق فى متاهات الضلال والحروب الطاحنة الا بتدبر التوجيهات الحكيمة والأخذ بقوانين السماء العادلة ، وان يكون للمرء الرادع القوى من نفسه وضميره ، وبذلك تسير قافلة الحياة تشق طريقها يحدوها التعاون ويدفعها الاخلاص .

باب العلم

الماء العذب من ماء البحر

الدكتور أنور عبد العليم

سبق أن ذكرنا أن البحار والمحيطات تحتوى على نحو ٩٨ ٪ من كمية المياه كلها الموجودة على سطح الأرض . واذا أضفنا الى ذلك أن الانسان لم يستطع حتى الآن أن يتحكم فى اسقاط الأمطار فى الزمان والمكان المطلوبين وأن جزءا كبيرا من المناطق الجرداء فى العالم لا يتيسر تحويل مياه الأنهار اليها ، كما أن الكثير من هذه المناطق يجاور البحار والمحيطات ومنها : الصحراء الكبرى فى الشمال الافريقى ، والصحراء الشرقية وسواحل شبه الجزيرة العربية التى تمتد على البحر الأحمر وعلى المحيط الهندى وكذلك الأمر بالنسبة للكويت التى تقع على الخليج العربى ومنطقة جنوب كاليفورنيا التى تقع على المحيط الهادى ، وكل هذه المناطق وغيرها تعانى القحط لعدم وجود الماء العذب ، وذلك على الرغم من أن أمواج المحيطات والبحار تتكسر على شواطئها طول الوقت .

ومن ثم اتجهت الأنظار الى امكان استخلاص الماء العذب من ماء البحر فى تلك المناطق لتعميرها ، وبعث الحياة فى أرضها من جديد .

والواقع أن فكرة الحصول على الماء العذب من ماء البحر هى فكرة قديمة عرفها الكيماويون العرب من قرون وتتلخص فى تسخين ماء البحر فى أنبيق خاص فيتحول الماء الى بخار ثم يكثف البخار عند الطرف الآخر من الانبيق ويتبقى الملح فى قاع الاناء .

ولا تزال كثير من السفن التى تمخر عباب المحيطات فى الوقت الحاضر تستعمل طريقة التقطير المذكورة للحصول على الماء العذب من ماء البحر . ولكنها طريقة غير اقتصادية وتكاليفها باهظة ، وهى طريقة لا بأس بها اذا أريد استخدام الماء العذب فى أغراض الشرب فقط ، أما اذا أريد الحصول على كميات كبيرة من الماء العذب المقطر من ماء البحر لأغراض الصناعة أو الزراعة ، فان تكاليف الوقود المستخدم للتسخين تقلل من شأن هذه الطريقة .

ومن ثم اتجهت جهود العلماء وبخاصة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية لايجاد مصدر أرخص من الطاقة يمكن استخدامه فى تبخير ماء البحر أو الماء المالح لاستخلاص الماء العذب منه ، أو العمل على تحسين كفاءة المكثفات نفسها ، أو ابتكار طرق أخرى يمكن بواسطتها تلافى كثير من عيوب طريقة التقطير نفسها التى تعتمد على التسخين بالحرارة .

وقبل أن نستطرد فى ذكر هذه الطرق يجدر التنويه بأن أهم عيوب المكثفات التى تعتمد

علىٰ تسخين ماء البحر لدرجة الغليان تتلخص فى عيبين رئيسيين هما :

١ ـ ترسيب الأملاح على قزانات التسخين ، الأمر الذى يقلل من كفاءتها ويتطلب استخدام مزيد من الوقود •

٢ ـ تآكل الأنابيب المعدنية التى يمر فيها ماء البحر الساخن •

والآن يمكننا تلخيص الطرق المستخدمة فى استخلاص الماء العذب من ماء البحر ونجملها فيما يلى :

أولا ـ الطرق التى تعتمد على تسخين مـــاء البحر لتحويله الى بخار :

وهذه الطرق بدورها تعتمد على مصـــادر مختلفة من الوقود أو الطاقة لتحويل ماء البحر الى ماء عذب • ويستخدم زيت البترول كوقود فى الكويت وغيرها من الأماكن التى توجد فيها آبار الزيت ولا يتطلب نقله تكاليف كثيرة

ثم رؤى استخدام الطاقة الشمسية كمصدر طبيعى للحرارة وبخاصة فى المناطق المدارية التى تكون أشعة الشمس فيها قوية فى أغلب أوقات النهار • وفى هذه الطريقة يمرر ماء البحر فى أحواض متسعة مطلية باللون الأسود أوقات النهار • وفى هذه الطريقة يمرر مـــاء من الداخل لامتصاص الحرارة • وتغطى هذه الأحواض بألواح مائلة من الزجاج أو البلاستيك فيتبخر الماء من هذه الأحواض وتتكاثف قطراته على الأسطح الداخلية للألواح ثم تنحدر الى قناة خاصة فى نهاية الأحواض يسيل فيهـــا الماء العذب المقطر • وقد أمكن الحصول بهذه الطريقة على نحو خمسة لترات من الماء العذب من المتر المسطح الواحد من مثـــل هذه الأحواض فى اليوم ، وذلك فى التجارب التى أجريت لهذا الغرض فى شمال افريقيا • وعلى الرغم من ذلك فان تكاليف هذه الطريقة لا تزال باهظة • كما أن تراكم الأتربة على الألواح من الخارج تقلل من كفاءتها ، وتحتاج الى رعاية كبيرة من وقت لآخر • ومن ثم فهى لا تستعمل حتى الآن على نطاق اقتصادى •

ومن ثم عاد العلماء مرة أخرى الى استخدام المكثفات التى تعتمد على البتـــرول ومشتقاته كمصدر للوقود ، بقصد تحسين كفاءتها • ورأوا أن فى الامكان تسخين ماء البحـــر فى أنابيب طويلة على مراحل تحت ضغط ينخفض بالتدريج من مرحلة لأخرى • ومن المعلوم أن الماء يغلى ويتحول الى بخار فى درجة حرارة أقل من درجة الغليان المعتادة اذا خف الضغط فوقه • وقد استفيد بهذه الخاصية فى جعـــل ماء البحر يتحول الى بخار فى درجة أقل من درجة ١٠٠ مم وبذلك أمكن تلافى كثير من عيوب ترسيب الأملاح ، كما تجرى التجارب أيضا بقصد معالجة ماء البحر بالكيماويات قبل امراره فى الأنابيب لتـــلافى مزيد من العيوب •

ومن طرق التقطير المبتكرة أيضا : الطريقة المعروفة باسم « **التقطير الوميضى** » وهى مقاربة أيضا لطريقة الأنابيب سالفة الذكر ، والطريقة الأحدث منها التى تعتمد على « **كبس** » البخار مع ماء البحر فى حجرات خاصـــة محكمة الضغط ، فتزداد الطاقة الحرارية للبخـــار بالكبس ، وينتقل جزء من الطاقة لتحويل مزيد من ماء البحر الى بخار •

بيد أن آخـر الآراء العلميـــة قد اتجهت الىٰ الاستغناء عن البترول كلية واستخدام الطاقة المولدة من المفاعلات الذرية لتحويل ماء البحر الى ماء عذب • وتجرى البحـــوث فى الوقت الحاضر فى هذا الاتجاه • وجدير بالذكر أن آراء العلماء قد اتفقت على أن مثل هذه الطاقة ستكون أرخص مصادر الطـــاقة فى المستقبل القريب • وجدير بالذكر أيضا ان الجمهورية العربية المتحدة بصدد اقامة مفاعل ذرى ضخم لتوليـــد الـــكهرباء يعتبر الأول من نوعه فى المنطقة كلها • واذا أمكن تعميـــم مثـــل هذه المفاعلات فى المناطق الجرداء المختلفة ستنخفض تكاليف استخلاص الماء العذب من الماء المالـــح كثيرا •

ثانيا ـ التجميد :

وتعتمد هذه الطريقة على تبريد ماء البحر فجأة تحت ضغط منخفض ، فتنفصل بلورات الثلج عن الملح • ثم يصهر الثلـــج بعد ذلك بحرارة قليلة لتحويله الى ماء عذب سائل • ومن مزايا هذه الطريقة عدم ترسيب الأملاح على

الأنابيب التى يمر فيها ماء البحر فضلا عن تقليل درجة تآكل المعدن .

ثالثا - التحليل الغشائى الكهربائى :

وفى هذه الطريقة يمر تيار كهربائى فى أوان تحتوى على ماء البحر أو الماء المالح بين قطبين كهربائيين . ويفصل ماء البحر عن كل قطب من القطبين المذكورين غشاء رقيق منفذ . ومن خواص التيار الكهربائى المار فى المحاليل تحويل ذرات الأملاح الى أيونات موجبة وأخرى سالبة . وملح الطعام المذاب فى ماء البحر يتكون بدوره من ايونات موجبة هى ايونات الصوديوم وأخرى سالبة هى أيونات الكلور . وبمرور التيارالكهربائى تتجه ايونات الصوديوم الموجبة الى القطب السالب وايونات الكلور السالبة الى القطب الموجب، فيتخلص ماء البحر بهذه الطريقة من الملح ويصبح ماء عذبا .

ويلاحظ أن طريقة التقطير التى تعتمد على تسخين ماء البحر بالحرارة أو طريقة التجميد التى تعتمد على تبريده لفصل بلورات الماء العذب عن الملح . هاتان الطريقتان تختلفان عن الطريقة الثالثة التى تعتمد على امرار التيار الكهربائى فى ماء البحر . ففى الحالة الأولى يستخلص الماء العذب ويتبقى الملح . أما فى الحالة الثانية فيستخلص الملح ويتبقى الماء العذب ، والنتيجة واحدة فى الحالتين .

وجدير بالذكر أن تكاليف العمليات السابقة كلها تجعلها حتى الآن غير اقتصادية وبخاصة بالنسبة للدول النامية .

وقد قطعت الولايات المتحدة الأمريكية شوطا كبيرا فى الأبحاث التى تتعلق باستخلاص الماء العذب من ماء المحيطات مستخدمة الطرق السالف ذكرها . وقد صرفت على هذه البحوث نحو مائة مليون دولار حتى الآن ، وأنشأت لهذا الغرض خمس وحدات تجريبية فى جنوب كاليفورنيا وتكساس وغيرهما . وتتراوح كفاءة الوحدات المذكورة بين ربع مليون جالون ومليون جالون من الماء العذب المستخلص من البحر فى اليوم الواحد . وتتراوح تكاليف هذا الاستخلاص بين دولار واحد ودولارين لكل الف جالون من الماء العذب . وفى عام ١٩٦٣ استطاعت الولايات المتحدة استخلاص نحو ١ر٤ مليون جالون من الماء العذب يوميا من وحدة تعتمد على مفاعل ذرى ولا تزيد تكاليف هذا الماء كثيرا عن التكاليف السابق ذكرها بالنسبة للطرق الأخرى .

الماء العذب من جبال الجليد الطافية فى المحيطات :

ويجرى التفكير العلمى أيضا فى امكان الحصول على الماء العذب من سبيل آخر من المحيط . فمن المعلوم أن هناك جبال ضخمة من الجليد تنفصل من القارة القطبية الجنوبية وتطفو هائمة على سطح المحيطات تدفعها الرياح والتيارات وتذوب رويدا رويدا باقترابها من المدارين . وقد تستغرق هذه الرحلة شهورا طويلة قبل أن تذوب تلك الجبال . وجدير بالذكر ان بعضها يبلغ حجوما مهولة ، فقد سجلت جبال جليدية منها بلغ طولها نحو ١٥ كيلو مترا وعرضها نحو كيلو متران وارتفاعها نحو نصف كيلو متر ، والجزء الطافى فوق الماء منها يبلغ نحو سبع أو ثمن الجزء المغمور . فلو أمكن سحب هذه الجبال بسفن قوية فى اتجاه المناطق الجرداء لأمكن الابقاء على جزء كبير من مائها قبل أن تذوب . وقد حسب العلماء كمية المياه التى يمكن أن تصل من جبل واحد من الجبال الطافية فى المحيط الجنوبى الى منطقة مثل منطقة جنوب كاليفورنيا فوجد أنها تكفى لمدينة كبيرة مثل مدينة الاسكندرية بما يكفيها لمدة شهر واحد من الماء العذب . ويجب أن نضيف أيضا أن الماء العذب يطفو فوق ماء البحر ، ويمكن احاطة الجزء المتبقى من جبال الجليد المذكورة بسياج رقيق من الألمونيوم حال وصولها أمام المدن التى تقطر اليها ثم يسحب ماؤها العذب بالمضخات . وليس ثمة ما يمنع من تحقيق مثل هذا الأمر فالعلم والتكنولوجيا يتقدم كل يوم ، بفضل استخدام الانسان لنعمة العقل التى وهبها له الله .

وبعد فهذه لمحات توضح الدور الذى يلعبه الماء فى الحياة ، وجهود الانسان فى التحكم فى هذا السائل العجيب الذى وهبه الله له وجعله قوام الحياة . « **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » .

باب الفن

تاريخ

ما أهمله التاريخ

الجلدكي

الدكتور احمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

من المحقق أن تفوق الثقافة الاسلامية ، بكافة مفاهيمها ، وبخاصة فى القرن الحادى عشر ، كان كاسحا بحيث نستطيع ان ندرك منه السبب فى كبريائهم العقلية ، لنزوع الفكر العلمى العربى الى الفوقية دائما . ومن السهل علينا أن نتصور تحاريرهم اذ يتكلمون عن الهمج الغربيين ، والقراصنة الأسبان بنفس الصيغة التى يتكلم بها علماء الغرب عن المشارقة الآن .

كان فى القاهرة معهدا رياضيا باهرا زاد من قيمته العلمية أن كان فيه الفلكى العظيم ابن يونس الذى كان يستخدم المعادلة الرياضية الآتية فى حساباته الفلكية ، نظرا لأن اللوغاريتمات لم تكن قد عرفت بعد بحالتها الراهنة ، وهذه المعادلة هى :

جتا ا جتا ب = ½ (جتا ا – ب) + جتا (أ + ب)

وكان معه العالم الفيزيقى الكبير الحسن ابن الهيثم مكتشف قوانين الانكسار والانعكاس فى الضوء ، وكان الكرخى يدرس فى بغداد وابن سينا فى فارس ، والبيرونى فى غزنة بأفغانستان ، وأقدم أبو الجود على معالجة أعسر المشكلات الهندسية اليونانية .

ما كان يكتبه البيرونى فى غزنة يتردد صداه فى القاهرة ، وما كان يبتكره ابن سينا فى الطب والفلسفة تتجاوب معه قرطبة واشبيلية في بلاد الأندلس ، تربة خصبة تتدفق شرايينها بينابيع الطابع الاسلامى الأصيل ، فخضرة جنباتها ، يجيب صهيل الأعوجى بها الهدر .

استطاع العرب أن يحلوا المعادلات الجبرية التربيعية والتكعيبية ، وأنشأوا علم حساب المثلثات الكروى ، ورتب البيرونى جداول حساب المثلثات فى الجيوب والظلال ، ثم أرجع الى الغرب فماذا ترى ؟ ترى مقالات هزيلة فى التقويم الزمنى ، واستعمال المعداد والكسور الرومانية (الاثنا عشرية) وبين أيدينا مسائل رياضية متبادلة بين رئيسى مدرستين (حوالى ١٠٢٥ م) هما ريجيمبولد Regimbold من كولونية ، ورادولف من لييج ، انها ولا شك تستحق الاشفاق ! أما الهندسة فكانت على مستوى ماقبل فيثاغورس .

ثم أخذ الفكر العلمى العربى يتضاءل نموا ويقل خصوبة فى القرن الثانى عشر ثم الثالث عشر لما أصابه من محن وتمزق ، محنة التتار والمغول ، ثم تمزق العالم الاسلامى الى معسكر

شيعى وآخر سنى ، فى حين أن المقدرة والمعرفة فى العالم اللاتينى أخذتا تنموان متسارعتين ، ولو أن بعضا من الابتكارات العربية لم تقف ولم تهن بصورة قطعية ، وكان يغذيها علماء أمثال نصير الدين الطوسى فى أذربيجان ، وكمال الدين الفارسى والخازنى بايران ، وابن رشد وابن زهر بالأندلس وابن النفيس بالقاهرة ٠

لقد أخذت مناشط الترجمة تغترف من كنوز العلماء العرب بواسطة مترجمين يهود ونصارى نذكر منهم قسطنطين الافريقى الذى ترحم جملة كبيرة من التراث العربى الى
الذى ترجم جملة كبيرة من التراث العربى الى ١٠٨٧ ٠

ثم أعقبه يوحنا الاشبيلى ، بالاضافة الى أنبه المترجمين ذكرا وأبقاهم على الأحقاب : جيرار الكريمونى الذى قام بترجمة كتاب « المجسطى » بمدينة طليطلة سنة ١١٧٥ من العربية الى اللاتينية بدرجة أذلت معها الترجمة الأولى لهذا الكتاب من الاغريقية الى اللاتينية عام ١١٦٠ م فى صقلية ٠

وفى القرن الرابع عشر الميلادى ظهرت لمحات من العبقرية فى سمرقند حمل لواءها السلطان أولوغ بيك ، وخمشيد غياث الدين الكاشى ، وفى سوريا والقاهرة برزت شخصية الجلدكى الكيميائى العربى الشهير ، واسمه بالكامل عز الدين على بن أيدامير بن على الجلدكى عاش بين القاهرة ودمشق بين عام ١٣٣٩ الى عام ١٣٤٢ فى عهد الوحدة الثقافية والاقتصادية والعسكرية بين سوريا ومصرايام سلطنة الناصر محمد بن قلاوون التى استمرت من عام ١٢٩٣ حتى عام ١٣٤٠

ولم يعرف تاريخ وفاته ، وقيل عام ١٣٤٢ ـ ١٣٤٣ أو عام ١٣٦٠ ـ ١٣٦١ م ولكنه من المؤكد أنه توفى فى القاهرة فى رجب عام ٧٦٢ هجرية ، ويعتبر آخر الكيميائيين العرب ذوى الشهرة ، بل يذهب البعض الى أنه اول من نادي بالتركيب الالكترونى للذرة ويستندون فى ذلك الى شعر الجلدكى الاتى :

فشتان بن اثنين هذا مكوكب
يدور وهذا مركز للمراكز
وانهما عند الحكيم لواحد
لأنهما من واحد متمايز
فهذا على هذا يدور وهذه
لها مركز رأس بقدرة راكز
وبينهما ضدان عال وسافل
بقاؤهما فردين ليس بجائز
وبينهما جسم مشف كأنه
من اللطف فيما بينهما غير حاجز
فاعجب بها من أربع حال بعضها
الى بعضها عن نسبة فى الغرائز

ولكى ندرك العصر الذى نشأ فيه الجلدكى ينبغى أن نرجع البصر كرتين الى عهد الناصر محمد بن قلاون الذى استمر حكمه على مصر وسوريا قرابة أربعين عاما ٠٠ امتد فيها نفوذ مصر على جزء كبير من شمال افريقيا ، وأهمها طرابلس وتونس ، وامتد المجال الثقافى والروحى الى برقة عام ١٣١٨ ثم الى بلاد النوبة منذ عام ١٣١٧فانتشر الاسلام فى هذه البلاد الأخيرة نتيجة لذلك ، رغم وجود تخلخل حضارى فى بلاد النوبة ٠

وكذلك استطاعت الجيوش العربية الموحدة والمتآلفه تحت قيادة مصرية ان تغزو بلاد ارمينيا ، واحتلت مدينة سيس عام ٧٣٦ هجرية ، وتوثقت العلاقات بين القومية العربية وبلاد آسيا ، والعوامل التى ساعدت على ذلك سيطرة الأولى على استراتيجية المواصلات الآتية :

(أ) المواصلات البحرية من القازم الى طور والقصير وعيذاب وعدن ومنها الى سواحل الهند ٠

(ب) الطريق البرى من حلب الى بغداد والبصرة وعبادان وهرمز ومنها الى السند والهند والصين شرقا ، وقد أضرت غزوات المغول فى القرن الثالث عشر بسلامة هذا الطريق فزادت بذلك أهمية الطريق الأول ، فأصبحت تجارة أوربا خاضعة للعلم المصرى ٠

وبانتصار الجيوش المصرية على المغول والتتار فى موقعه مرج الصفر عام١٣٠٢ توحدت سوريا ومصر تحت راية القومية العربية •

دماء زكية أهرقت فى موقعة عين جالوت عام ١٢٦٠ ، ثم فى موقعة مرج الصفر عام ١٣٠٢ فأنقذت جيوش الناصر فلسطين وسوريا من مغول الشرق ، وهاهو التاريخ يعيد نفسه تحت راية ناصر القرن العشرين ، لسوف يؤتيه الله نصرا عزيزا عندما يطرد الصهاينة عن ارض فلسطين ومن ورائهم مغول الغرب من رجال الاستعمار !

لدة أعجب الرحالة العربى ابن بطوطة أثناء زيارته لمصر عام ١٣٢٥ بصفات الناصر فامتدحه فى مؤلفاته وقال عنه الشيخ صفى الدين الحلى :

ملك يرى تعب المكارم راحة

ويعد راحات الفراغ متاعبا

ترجى مكارمه ويخشى بطشه

مثل الزمان مسالما ومحاربا

فاذا سطا ملأ القلوب مهابة

واذا سخا ملد العيون مؤاهبا

ذلك هوالعصرالذى كان يتنفس فيه الجلدكى

مؤلفات الجلدكى

لقد ترك الجلدكى حوالى عشرين مجلدانذكر منها مايأتى :

١ ـ البدر المنير فى أسرار الاكسير

٢ ـ بغية الخبير فى طلب قانون الاكسير (كتب فى دمشق عام ١٣٤٠ ميلادية)

٣ ـ البرهان فى أسرار علم الميزان

وهو مؤلف عميق يشمل أربعة أجزاء تبحث فى شرح علم الموازين الذى سبق أن ألفه جابر ابن حيان ، كما تبحث فى التاريخ الطبيعى وعلم النبات وعلم الفيزيقا والفلسفة

ويحتوى أيضا على شرح مؤلفات (بولينياس Bolginias صاحب النظرية المشهورة التى كتبت فى القرن الميلادى الأول الخاصة بالاجساد السبعة (كواكب ومعادن)

٤ ـ الدر المكنون فى شرح قصيدة ذى النون (وقد ألفه فى القاهرة عام ١٣٤٢ ميلادية شارحا فيه مؤلفات العالم المصرى المتصوف ذى النون

٥ ـ الجوهر المنظوم والدر المنثور فى شرح ديوان الشذوذ ألفه عام ١٣٤٣ م

٦ ـ غاية السرور فى شرح ديوان شذور الذهب فى الاكسير ، وهو شرح لديوان شذور الذهب تأليف الشيخ على بن موسى بن أبى القاسم ابن على الانصارى الاندلسى •

٧ ـ الاختصاص ودرة الغواص فى أسرار الخواص وهو يبحث فى خواص الحيوانات والأحجار •

٨ ـ كشف الستور

٩ ـ المصباح فى أسرار علم المفتاح •

تبحث مقدمة هذا الكتاب علم الكيمياء الذى وصل اليه أسلافه العرب على الترتيب :

خالد بن يزيد ـ جابر بن حيان ، محمد بن أميل التيميمى ـ مسلمة بن أحمد المجريطى ـ الحسين بن على الطغرائى ـ على بن موسى بن عرفة ـ أبو القاسم العراقى

(محمد بن أميل التميمى كيميائى عربى عاش فى القرن التاسع حتى بداية القرن العاشر)

١٠ ـ مخمس الماء الورقى ، ويعرف أحيانا بكتاب لوامع الأمطار المضيئة فى شرح مخمس الماء الورقى والأرض النجمية ، وهو تفسير لكتاب الماء الورقى والأرض النجمية لمحمد بن أميل التميمى

١١ ـ نتائج الفكر فى الفحص عن أحوال الحجر

١٢ ـ نهاية الطلب فى شرح المكتسب فى زراعة الذهب

وفى هذا الكتاب يستقى الجلدكى معلوماته عن الذهب من مصنف ابو القاسم السيمارى المعروف بالعراقى عن العلم المكتسب فى زراعات الذهب •

ويحتوى هذا المصنف أيضا للجلدكى على رموز ومعلومات لأعمال من سبقه من الكيميائيين العرب ، سردها بأمانة ودقة مضافا اليها

كيفية استخدام حمض النيتريك لاستخلاص الفضة من سبكة الذهب والفضة وقد اثبت الجلدكى فى كتابه هذا ان المواد لاتتفاعل أو تتحد الا بأوزان ثابتة ، فبذلك سبق برزيليوس Bergelius عام ۱۷۷۹ - ۱۸٤۸ » فى اكتشاف قانون النسب الثابتة بأربعمائة عام تقريبا •

۱۳ - شرح قصيدة أبو الاصبع

وتشمل هذه القصيدة شعرا عن التفاعلات الكيمائية ، وخواص المعادن للعالم العربى عبد العزيز بن تمام العراقى ، الذى عاش قريبا من ديار بكر على نهر دجلة فى القرن العاشر الميلادى •

ويطلق على كتاب الجلدكى هذا أحيانا كشف الأسرار للافهام

١٤ - شرح الشمس الاكبر لبالتياس

١٥ - التقريب فى الاسرار الكيميائية أو التقريب فى أسرار التركيب

١٦ - أنوار الدرر فى ايضاح الحجر

ويحتوى هذا المصنف على عشرة أبواب هى:

الباب الاول : فى معرفة ماهية الحجر الذى عنه يتكون اكسير الفلاسفة

الباب الثانى : فى وحدة الحجر وتمييزها عن باقى الوحدات

الباب الثالث : فى كيفية الحجر ومايختص به من أصناف الكيف

الباب الرابع : فى أوازن الحجر ومايطلق عليه من الأوزان فى اصطلاح القوم

الباب الخامس : فى نار الحجر وأنواعها

الباب السادس : فى تكليس الحجر وعلى أى قانون تتصعد اجزاؤه

الباب السابع : فى تقطير الحجر

الباب الثامن : فى تصعيد الحجر ، وانفصال لطيفة عن كثيفه وماينبغى له (**ومن هذا الباب** نبعت نظرية الفلوجستين التى زعم ستال Stall الكيمائى الألمانى اكتشافها بعد الجلدكى بثلاثمائة عام)

الباب التاسع : فى تطهير أجزاء الحجر حتى يتخلص من أوساخه وأدناسه

الباب العاشر : فى تركيب الاكسير وبذلك الكون تمامه •

۱۷ - كتاب جواهر الاسرار فى معارف الاحجار

والآن سنحاول اقتطاف بعض شذرات من مخطوط البرهان فى علم الميزان •

ولقد جاء فى صفحة ۲٥ منه شرح لاصل تسمية علم الكيمياء كالآتى :

(أما معنى قولهم فى تسمية العالم الصناعى بالكيمياء فاصل هذا الاسم مشتق من العبرانى ومعناه الملك لله ، لان أصل الاسم كيم يوه ، وكيم بالعبرانى خيم لان الخاء عندهم عوضا عن الكاف كما يقولوا عن ميكائيل ميخائيل واسم يوه وياه من أسماء الله تعالى فاسم الكيميا اسم مضاف الى الله تعالى كما يضاف اسم الملايكة الى الملك والسلطان والرب والاله

فيقال ملاخيم بمعنى كيم هو الاضافة ويوه وياه هو المضاف اليه هو اسم الله تعالى ففى الحقيقة ان هذا الاسم المعبر بالكيمياء اسم معظم كريم بالتقديس ياه كيم ومعناه يامالك يا سلطان فافهم)

الزئبق - وجوده واستخلاصه

جاء فى صفحة ۳۲ من هذا المخطوط :

(وقال دوسيقوريدس فى المقالة الخامسة من كتابه أن الزيبق جسم صباغ متفرق الاجر وأن اسمه أورخورس وباللطينية أرخيت برق وبالهندية هدرعون وبالفارسية زيبق ، ويعرف بالزاووق ، وقال جماعة من الحكماء انه معدنى ولا يوجد معدنه فى شىء من الارض الا فى أرض الاندلس بحصن أماك ، شمالى مدينة قرطبة وهو معدن الزنجفر أيضا ولا يكون بجميع الارض الا بهذا المعدن المذكور) •

ثم استطرد يقول انه يوجد ايضا فى أذربيجان فى خامة (القنبار) ، (ويوجد فى سقوف معادن الفضة مدورا كأنه قطر الماء إذا تعلق بالسقوف ثم قطر)

وفى الواقع أن خامة الزنجفر هذه هى ماهى الا كبرتيد الزئبق وكانت تستخدم كملون أحمر فى الدهانات الزيتية

وكذلك النظر لفظ القنبار ما زال مستخدما فى اللغة الانجليزية باسم سنبار Cinnabar ثم استطرد المخطوط :

فصل : (واعلم أن الزيبق اسمه أرميس باللغات القديمة وهو المقول عنه بالعبرانى ساموى لما فيه من الأسرار والعجايب ، وهو مشتق من سيرام وساديم ومسراى وأرسيم وهذه كلها من العبرانية مشتقة ومعانيها كلها تؤول الى القوة والزمان وسرعة التغيير والانقلاب ، ومعنى اسمه زيبق من اشتقاق ذى باق والزى هو الصفة والبقاء صفة لازمة للروح وللروح صفة البقاء بالنسبة للاجسام) .

تعاريف فى علم الفيزيقا

صفحه ٥٩ من نفس المخطوط :

(دلت التجربة على أن أسباب الحرارة الاستضاءة والحركة ومجاورة النار اذا كان القابل لشىء من ذلك قابلا للحرارة وأما اذا لم يكن قابلا لها فلا)

من هذا الوصف نستطيع أن نحكم بأن طاقة الحركة تسبب الحرارة ، فبذلك قد سبق علماء القرن التاسع عشر فى أوربا امثال مكسويل فى هذا التعريف بأكثر من أربعمائة عام

ثم يستطرد الجلدكى :

(وأما البرودة فليست هى عدم الحرارة لأنها محسوسة بالذات ، ولاشىء من العدم كذلك ، بل التقابل بينهما تقابل التضاد على حكم الميزان الحق وتأثيرها على خلاف تأثير مقابلها .

وأما الرطوبة فهى الكيفية التى بها يكون الجسم سهل الشكل بشكل الحاوى سهل الترك له .

وأما اليبوسة فهى الكيفية التى يصير بها الجسم قابلا لذلك الشكل وتركه بعسر . واللطافة رقة القوام

والكثافة غلطة ، واللزوجة هى سهولة قبول الجسم للشكل باى شكل أريد مع عسر تفريقه ، واذا قصد تفريقه امتد متصلا .

والهشاشة هى كون الجسم المركب يسهل تفريقه ويعسر تشكله .

والجفاف هو الحالة التى للجسم بسبب كونه لا يقتضى طبعه نوعية الرطوبة اذ لا هو ملاصق لذى رطوبة .

والثقل هو مايتحرك به الجسم الى جهة السفلى وموجعة البرودة ، وأما الخفة فهو مايتحرك بالجسم الى جهة العلو وموجبة الحرارة .

كل ذلك عرف بالتجربة وتكرار التجربة برهان صحيح قائم الحجة .

استخلاص الذهب من خاماته وسبائكه

فى صفحة ٦٨ من نفس المخطوط يقول الجلدكى

(ابن الشمس الذى هو الذهب اذا خالطه الوسخ الزحلى « الرصاص » مع الأنثى التى هى بنت القمر الذى هو الفضة ، فلا شك فى ذهاب رونق الذهب وصار بذلك خارجا عن ملكه ورتبته ومكانته ، فلابد من اعانته بأمه التى هى النار العنصرية ، وببعض خدمه معها الذين هم أشكالها فى الحرارة واليبس مثل رأس الكلب الذى هو العظم المحرق ، ومثل الرماد فى أتون الحمام المبنى بالقصرمل والكبر والنفخ بالنار والفحم والحطب الى أن يحترق الرصاص مع مايناسبه من الاوساخ فيبرز الذهب ويتخلص هذا الوجه ويعود له ملكه ورونقه فافهم)

ظاهر من هذه التجربة أن الرصاص سوف يتأكسد ويتحول الى مركب هو المرتك الذهبى أما سبيكة الذهب والفضة فانها تنصهر بالحرارة وتبرز معالمها المعدنية ، ثم يستطرد الجلدكى قائلا :

(وأما الوجه الثانى فان الذهب لا يخلص من الفضة بالروباص ، وانما يحتاج الى أن

يسبك ويخردق في الماء ثم يجعل في زنجفرته زجاج ثم يلقى عليه غمرة من الماء الحلال المستخرج من البارود والشب وغيره .

وهذه الاشياء هم الخدم والعبيد المواقعتين للأم التى هى النار العنصرية ، فيعبر هذا الماء الحلال شدة على حل الفضة وقوة على اخراجها من جسم الذهب ، فيبرز الذهب خالصا نقيا لاشائبة فيه وقد عاد الى قونه وبهائه وملكه وسلطانه فافهم) .

يفهم من ذلك ان حمض النيزيك الناتج من البارود هوالماء الحلال الذى يذيب الفضة ويترك الذهب .

العلماء المعاصرون للجلدكى

أولا : فى الكيمياء

(١) عبد الله بن على القاشانى :

وقد ألف كتابا فريدا باللغة الفارسية عن طرق تزجيج الخزف ، كما عرف هذه الصناعة فى موطنه قاشان بالقرب من أصفهان ، وقد كتب هذا المصنف فى تبريز عام ١٣٠٠ م وأهداه للوزير تاج الدين التبريزى

وألف كتاب أيضا عن الاحجار الكريمة والروائح العطرية بالفارسية والعربية واسم هذا الكتاب جواهرب جواهر العرائس واطيب النفائس .

وفى عام ١٥١٤ بعد انتصار السلطان سليم الأول على الدولة الايرانية الشيعية ، حمل معه هذين الكتابين مع ما حمل من غنائم الحرب ، وقد حدث مثل هذا بعد الحرب العالمية الثانية اذ استولت انجلترا وأمريكا على مصانع وبراءات اختراع كثير من المنتجات الالمانية كغنائم حرب .

(٢) فى الغرب جون داستين

كيميائى انجليزى ألف بعض الكتب فى الخيمياء عام ١٣٤٢ تتلخص فى امكان استخراج الاكسير بواسطة قليل من الزئبق والذهب والفضة ، وذلك بتخميرها جميعا ، وهذا الاكسير يمكن استخدامه فى العلاج للشفاء من الامراض ، كما ألف كتابا آخر يشيد بذكر هرمس وارسطاليس وأفلاطون وجابر بن حيان وابو بكر الرازى وابن سيناء وكانت هذه الكتب تدرس فى جامعات انجلترا فى ذلك الوقت .

ثانيا : فى الرياضة والفلك

(١) محمد بن ابراهيم الأيوبى وهو رياضى مغربى وفيلسوف وعالم وكان مدرسا واماما لابن خلدون وتوفى عام ١٣٤٧ ، وقد سافر للشرق ومصر للحج مرارا وكان قد خلف ابن البنا فى الادريس بجامعات تونس ومراكش

(٢) عبد العزيز بن على الهوارى وهو عالم رياضى مراكشى ، وكان تلميذا لابن البنا وألف كتابا هو تلخيص فى أعمال الحساب وكان يقوم بتدريسه العالم المصرى ابن المجدى وفى اسبانيا كان يدرسه أبوزكريا محمد الاشبيلى .

(٣) ناصر الدين محمد بن شمعون المواقيتى عالم فلكى مصرى ألف كتاب التحفة الملكية فى الاجوبة الفلكية

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الميزى الحنفى عالم فلكى مصرى ولد فى مصر وتنقل بين الشام ومصر كما تنقل الجلدكى ، وقد شيد الاصطرلاب وألف عدة كتب منها الرسالة الاصطرابية .

ثالثا : فى التاريخ الطبيعى

أبوبكر بن بدر الدين المنذير البيطار

وقد ألف كتاب كشف الويل فى معرفة أمراض الخيل

***

اننا لن نستطيع ايفاء الجلدكى حقه فى هذا المقال ، وجدير بوزارة البحث العلمى أن تجمع تراث العرب العلمى ومخطوطاتهم ، ثم تعمل على تحقيقها حتى نصل ماضينا بحاضرنا وندرك مدى ماجناه الاستعمار على هذا الماضى التليد الذى بهر الدنيا فى يوم من الايام وأذهل التاريخ .

جامع الجيوشى

الأستاذ محمود دهمى

منظر عام لمسجد لجيوشى

٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م

تعتبر أيام الفاطميين فى مصر من أزهى عصورها الفنية والاقتصادية وذلك بفضل ازدهار التجارة واستتباب الأمن والتسامح الدينى ، الأمر الذى ساعد الفاطميين على أن يتربعوا على عرش مصر قرابة قرنين من الزمان من سنة ٣٥٧ - ٥٦٧ هـ ، ومن ثم فقد ساعدها ذلك أن تترك لنا آثارا كثيرة . فقد شغف خلفائها باقتناء التحف الغالية والآثار النفيسة التى كانوا يدفعون فيها مبالغ طائلة ، وكانت تجلب لهم من مختلف البلاد ، هذا عدا الهدايا التى كانت تأتى اليهم من عمالهم على الأقاليم ومن الملوك والأمراء الذين كانوا يبعثون بها خطبا لودهم أو عربونا على صداقتهم . ومن ذلك ما كتبه المؤرخ الابشيهى من « أن قسطنطين ملك الروم أهدى الى المستنصر بالله فى سنة ٤٣٧ هـ هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الأحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية » . كما أن الوزير البساسيرى سير الأموال والتحف من بغداد الى المستنصر بالله .

على أن هذه المدة الطويلة التى حكمها الفاطميون لم تخل من بعض المتاعب التى نشأت نتيجة لاتساع رقعة ممتلكاتهم وترامى أطراف

دولتهم هذا بالاضافة الى انخفاض منسوب مياه النيل فى عصر الخليفة المستنصر الأمر الذى أدى الى قيام بعض المجاعات والقلاقل حتى اضطر الخليفة أن يرسل الى بدر الجمالى حاكم عكا يطلب اليه القدوم الى مصر لاصلاح شأنها وتطهيرها من عناصر الثورة والفساد ، فلبى الدعوة وجاء الى مصر وقام بمهمته خير قيام ومات هو والخليفة فى سنة واحدة ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م ٠

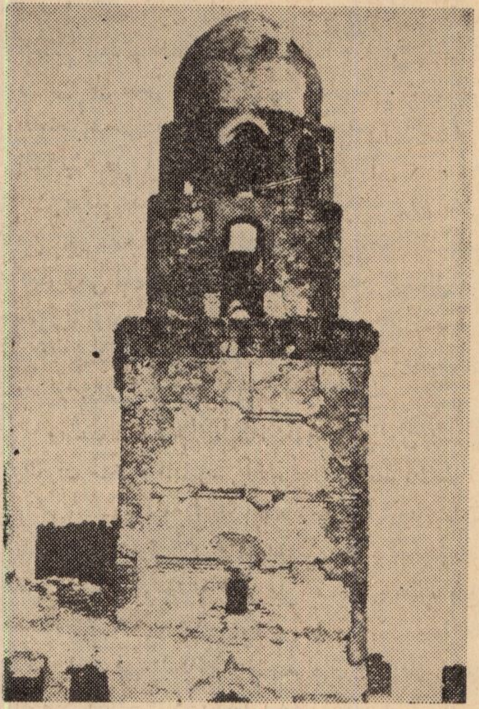

مئذنة الجيوشى

وكان بدر الجمالى وزير المستنصر بالله أرمنيا ، ومن ألقابه الأمير تاج الأمراء المظفر مقدم الجيوش شرف الملك عدة الامام ثقة الدولة سيف الاسلام ٠ ويمدنا المقريزى عمدة المؤرخين بتاريخ حياة بدر فيقول « **أبو النجم بدر الجمالى كان مملوكا أرمنيا لجمال الدولة ابن عمار فلذلك عرف بالجمالى** » وما زال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره ويوطن نفسه على قوة العزم ويتنقل فى الخدم حتى ولى امارة دمشق من قبل المستنصر ثم رحل عنها ثم وليها ثانيا حتى كتب المستنصر اليه يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته، فاشترط أن يحضر معه من يختاره من العساكر ولا يبقى أحدا من جند مصر فأجابه المستنصر الى ذلك » ٠ ويستطرد المقريزى فيقول « انه جاء عن طريق البحر فى الشتاء **وخلع عليه المستنصر بالطيلسان المقور** وقلده وزارة السيف والقلم فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده ، وزيد فى ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ، **وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة وقتل خلقا كثيرا** لا يعرف عددهم الا الله ، الا

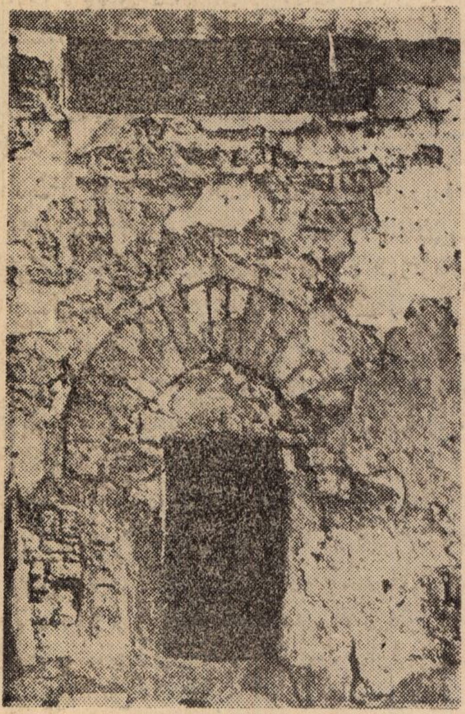

المدخل ويرى فى أعلاه المستطيل المكون من خمسة صفوف من الكتابة التي تدل على انشاء المسجد

أنه عمر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها واتلاف المفسدين من أهلها وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة ٠ **وكانت له محاسن** منها أنه أباح الأرض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت أحوال الفلاحين واستغنوا فى أيامه ، ومنها حضور التجار الى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها فى أيام الشدة ومنها كثرة كرمه وكانت مدة أيامه بمصر احدى وعشرين سنة » ٠

وقد سميت البساتين الجيوشية باسمه وهى عبارة عن بستانين كبيرين، يمتد أحدهما من باب الفتوح الى المطرية والآخر يمتد من

باب القنطرة الى الخندق الذى أقيم خارج باب الفتوح كما امتد سلطانه واسمه الى الجيش ونسبت اليه فرقة فى جيش الفواطم عرفت بالجيوشية ، كما نسب اليه كذلك مسجد الجيوشى .

هذا ونسبة المساجد الى الوزراء ظاهرة جديدة لم نألفها فى العصر الأول لحكم الفواطم فقد بنى الخلفاء عدة مساجد فنسبت اما الى فاطمة الزهراء بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم - كمسجد الأزهر ، واما الى الخلفاء كمسجد الحاكم الذى بدأه العزيز وأتمه الحاكم . أما السبب فى تسمية مسجد الجيوشى باسم الوزير هو أن خلفاء الدولة الفاطمية قد اعتراهم الضعف ووهنت عزائمهم لصغر سنهم ، وذلك منذ أن استقدم الخليفة المستنصر بالله بدر الجمالى وأعطاه كل السلطات ومنحه الوزارة . وقد لعبت الوزارة فى عصر الخلافة الفاطمية فى مصر دورا كبيرا وخطيرا فكانت الوزارة فى العصر الفاطمى يرتفع شأنها أحيانا فتكون وزارة تفويض وفيها يفوض الخليفة وزيره فى تدبير أمور دولته ، وينحط قدرها أحيانا أخرى ويعبر عنها عندئذ بالوساطة أو السفارة أو وزارة تنفيذ ويكون عمل الوزراء هو تنفيذ أوامر الخليفة فقط دون أن يكون له رأى فيها .

وكان يتقلد الوزارة أحيانا أرباب السيوف وهم الوزراء الحربيون وأحيانا أخرى أرباب الأقلام وهم الوزراء المدينون ، ويعتبر بدر الجمالى وزير المستنصر بالله أول أرباب السيوف من وزرائهم ، كما يعتبر يعقوب بن كلس وزير الخليفة المعز لدين الله وابنه العزيز أول أرباب الأقلام من الوزراء .

ومن أهم أعمال الوزير ادارة شئون البلاد المالية ومن أهم صفات الوزير أن يكون على صفات حميدة ، فيقول ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقى « الوزير هو الوسيط بين الخليفة ورعيته ، فيجب أن يكون فى طبعه شطر يناسب طباع الملوك وشطر يناسب طباع العوام ، ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة ، والأمانة والصدق رأس ماله » .

ولا أدل على مكانة الوزير الممتازة من أن الخليفة نفسه كان يتزوج من أهله ، فقد عقد المستنصر زواج ابنه المستعلى على ست الملك ابنة بدر الجمالى ، كما زوج الملك الصالح طلائع بن رزيك الخليفة العاضد من ابنته .

من كل هذا يتضح لنا أن الوزير قد أصبح له نفوذ كبير فى ذلك الوقت وهذا يفسر لنا كيف أن بدر الجمالى قد بنى مسجد الجيوشى ونسبه الى نفسه . ويذكر لنا المؤرخ أبو المحاسن شيئا عن نفوذ الوزير فيقول « وفى أواخر عهد المستنصر سنة ٤٢٧ هـ - ٤٨٧ هـ ظهرت روح العداء والكراهية ازاء أهل السنة عندما تقلد أمين الجيوش بدر الجمالى مقاليد الحكم وحكم البلاد حكما مطلقا ، فامر باضافة « حى على خير العمل » الى الآذان ، ونقش لعن الصحابة على الجدران ، كما أمر بأن يكون التكبير على الميت خمسة فقط » .

ويعتبر مسجد الجيوشى (لوحة رقم ١) من أهم المساجد فى العمارة الاسلامية اذ جمع كثيرا من المميزات التى أتى بها بدر الجمالى من سوريا وأرمينيا . ويقع هذا المسجد الصغير فوق مسجد اخوة يوسف على حافة جبل المقطم خلف القلعة بالقاهرة .

والمسجد منتظم البناء كما يظهر من رسمه ولو أن منظره الخارجى غير منتظم نظرا لاضافة مقام أحد أولياء الله الصالحين الى جانبه الشمالى الشرقى . فاذا استبعدنا هذه الزيادة عن المسجد وجدنا أنه على هيئة مستطيل مساحته ١٨ × ١٥ مترا ويقع مدخله (لوحة رقم ٢) فى الحائط الشمالى الغربى تحت المئذنة مباشرة . وهذا المدخل عبارة عن باب يعلوه عقد مدبب وقاعدته من الجرانيت يؤدى الى ممر ذو سقف معقود ، وعلى يسار هذا الممر تقع حجرة مربعة ذات سقف معقود أيضا بها صهريج ماء ، وعن يمين هذا الممر تقع حجرة أخرى مربعة غير مسقوفة بها سلم يتكون من أربع درجات يؤدى الى سطح المسجد ، ويوصل ما بين الممر وصحن المسجد قوس مدبب .

والصحن مساحته ٣٦ مترا مربعا تقع على جانبيه حجرتان معقود سقفيهما ، وفى الجانب الجنوبى الشرقى تقوم واجهة الحرم ذات الأقواس الثلاثة . ويرتكز القوس الأوسط على زوجين من الأعمدة الرخامية لكل منها قمة تشبه زهرة اللوتس وقاعدة تشبهها ايضا .

وتؤدى الواجهة ذات الثلاثة أقواس الى مساحة ذات سقف معقود ، وهذه توصل بواسطة أقواس ثلاثة الى مساحة مربعة ذات قبة تقع أمام المحراب والى ملحقين على اليمين وعلى اليسار لكل منهما سقف معقود أيضا .

ويعتبر المحراب ذو العقد المدبب مثلا جيدا للزخارف الجصية وينحنى المحراب قليلا عن قمته وتعلوه فجوة بها زخارف ضاعت معالمها تقريبا ويمتد تحت القبة حول حوائط المساحة المربعة شريط جميل من النقش الكوفى عرضه ٥٥ سم (لوحة رقم ٣) .

وتعتبر الزخرفة النباتية والهندسية التى بالمحراب أول مثال للزخرفة بالجص فى مصر الفاطمية بعد الجامع الازهر اى بعد مضى مائة وثلاثة عشر سنة ، ولقد أفسح الفن الاسلامى للكتابة مكانا عظيما بين عناصره الزخرفية . ولا غرو فان كراهية النحت والتصوير فى أول الأمر دفعت المسلمين الى التفنن فى الزخارف النباتية والهندسية والخطية فكان لهم فى كل منها شأو بعيد وخصب عجيب وقدرة لا تجارى كالتى نراها فى مسجدنا هذا ، ونحن نعلم أن الزخرفة بالخط الكوفى هى التى كانت سائدة طوال العصر الفاطمى ولما جاء العصر الأيوبى كان للخط النسخى المكانة الأولى حتى كاد يختفى الخط الكوفى لولا أن الفنانين فى العصور التالية أحسوا بحاجتهم اليه فى الزينة والزخرفة فاحتفظوا به لهذين الغرضين .

أما القبة فتقوم على قاعدة مثمنة ذات نافذة فى كل وجه من أوجهها ما عدا الناحية الجنوبية الشرقية فهى مسدودة ، وتصل هذه القاعدة بالجزء المربع حوامل . وفى أعلى القبة آية قرآنية من سورة الفتح كتبت على هيئة دائرة ونقش فى وسط هذه الدائرة اسم محمد وعلى على التوالى ويتكرر هذا النقش ثلاث مرات .

والسبب فى كتابة اسم محمد وعلى على هذه الصورة هو أن الدولة الفاطمية شيعية المذهب وتعتقد أن تعيين الامام من أسرة النبى - عليه السلام - واجب بلا رجوع الى الأمة فهم لذلك قد حصروا الخلافة فى أسرة معينة وفى بيت معين هو بيت الامام على - كرم الله وجهه - وأن الخلافة ارثا فى بيت الامام على الى يوم الدين ، وبذلك كانوا يكتبون اسم على على منشآتهم تبركا وتيمنا واعترافا بفضله .

والمئذنة عبارة عن عمود مربع يقوم وسط الواجهة الشمالية للمسجد الى ارتفاع ١٤ر١٨ مترا ، وفى أعلى هذا الجزء كورنيش من صفين من الجص والآجر وهو أول مثال قائم الآن فى مصر للكورنيش ذو الدلايات . وعلى بعد ٧٥ سم من حافة الكورنيش يقوم مكعب صغير له فى كل ضلع من أضلاعه الجانبية فتحة ويعلوها قوس ، وفوق المكعب تقوم قاعدة القبة المثمنة ولها أيضا فى كل ضلع من أضلاعها فتحة ذات قوس وفوق المثمن تقوم القبة ، فالمئذنة ذات ثلاث طبقات الأولى مربعة والثانية مثمنة والثالثة مستديرة ، وبذلك يصير ارتفاع المئذنة كلها عشرين مترا (لوحة رقم ٤) .

محراب المسجد والذى يعتبر من آيات النقش على الجص فى العصر الفاطمى

وحائط المسجد حتى سطحه مبنية من كتل حجرية ليست مصقولة صقلا تاما وغير منتظمة ويربط كل كتلة وأخرى طبقة سميكة من الجص اى أن بناءها يشبه بناء مسجدى السبع بنات والحاكم ويعرف هذا النوع من البناء باسم « التلاتات » .

أما الأقبية والقبة وقاعدتها وحواملها فكلها من الآجر الأحمر القاتم وكذلك الجزء من المئذنة الذى يعلو سطح المسجد ، هذا وقد استخدمت جذوع النخيل فى أماكن متعددة من البناء .

ويقول النقش الذى على مدخل المسجد والذى يتكون من مستطيل من الرخام به خمس صفوف أو سطور من الكتابة ان « هذه الزاوية بناها أمير الجيوش بدر الجمالى فى شهر المحـرم سنة ٤٧٨ هـ » • وهذا التاريخ الهجرى يوافق شهر مايو سنة ١٠٨٥ من التاريخ الميلادى •

هذا ولبدر الجمالى غير هذه الزاوية أبنيـة كثيرة أخرى تنسب اليه فمنها مئذنتى مسجد الباب أو المشهد البحرى باسنا ومسجد بلال أو المشهد القبلى قرب الشلال • وكذلك مئذنتى مسجد أسوان ومسجد أبو الحجاج بالأقصر، وأبواب وأسوار وتحصينات القاهرة ، ومسجد بدر الجمالى فى جزيرة الروضة وعمر جامع العطارين بالاسكندرية • ويدلنا هذا على كثرة أمواله وحبه للتعمير والانشاء •

والمميزات السورية فى هذا المسجد كالجزء المربع من المئذنة وشكل الحرم وغيرها جاءت عن طريق الأرمن الذى ينسب اليهـم بدر الجمـالى ، وقد لعب الأرمـن فى مصر أيام الفاطميين دورا كبيرا فيقول المؤرخ الانجليزى لين بول ان مصر بقيت تحت حكم وزير أرمنى مدة طويلة اذ كان بدر الجمالى الحاكم الحقيقى لمصر الى أن مات •

ويقول المقريزى « ان بدر الجمالى بلغ ذروة مجده اذ أن المستنصر لم يكن ليبت فى أمر بغير اذنه ومشورته ، واحتكر لنفسه شئون الدولة فأدارها بمهارة فائقة » •

وقد استحضر بدر الجمالى المهنـدسين والبنائين من سوريا وأرمينيا لبنـاء عمائره وتحصيناته فى القـاهرة وغيرها من المدن المصرية • ويقال ان أبواب القاهرة الثلاثة وهى زويلة والفتوح والنصر قد وضع تصميمها ثلاثة اخوة من الأرمن أتوا من مدينة أدسا أو الرها كلاجئين الى مصر بعد أن سقطت هذه المدينة فى أيدى الأتراك السلاجقة ، جاءوا الى مصر بالذات لما أثر عن الخلفاء الفاطميين من التسامح الدينى مع أهل الذمة •

هذا ولم يقتصر نفوذ الأرمن على بدر الجمالى وحده ، فقد خلفه فى الوزارة ابنه الأفضـل شاهنشاه فوضع ابن المستنصر الصغير على العرش وهو صبى فى الثامنة عشرة من عمره ولقبه المستعلى بالله ، وعند وفاة هذا الخليفة اعتلى العرش ابنه الآمر وهو فى الخامسة من عمره ، وأصبحت سلطة الوزير الأرمنى مطلقة ، وبقيت كذلك الى أن قتل سنة ١١٢١ م • وبعد ذلك بسنين قليلة اتخذ الخليفة الحافظ الذى ولى الخلافة من سـنة ١١٣١ – ١١٤٩ وزيرا أرمنيا لمدة قصيرة •

وفى نهاية حكم الخليفة الحافظ نسمع عن وزير آخر اسمه برهام الذى اتخذ لنفسه لقب تاج الدولة واشتهر بتعصبه لبنى جنسه فعينهم فى مناصب الدولة • ويقول ابن ميسر « ان برهام عندما آلت السلطة اليه استحضر اخوته وعائلته الى مصر ، وحضر ما يقرب من ثلاثين ألفا من الأرمن وأصبحوا من القوة بحيث بنوا الكنائس والأديرة حتى خيف على دين مصر من التحول الى المسـيحية ، وقد سكنوا حى الحسينية خارج السور الشمالى للقاهرة ، فلما استفحل أمرهم طرد برهام وألفين من أتباعه » •

وعلى الرغم من طرد برهام وأتباعه من مصر فليس هناك من شك فى أن عـددا كبيرا من الأرمن قد بقوا فى مصر لأن المؤرخ عماد الدين يتكلم عن خطاب كتبه القاضى الفاضل يتـكلم فيه عن ثورة قام بها نفر من الأرمن فى مصر بعد ذلك •

ومن كل يتبين أن الأرمن خاصة والأجانب عامة كانوا يأتون الى مصر لأغراض شـخصية بحتة وسياسية كذلك وأنهم كانوا لا يتورعون فى التحايل بكافة الطرق والوسائل للوصول الى الحكم وبالتالى الى استغلال موارد البلاد •

ومهما يكن من شىء فان المسـلمين كانوا يكرهون أن يتولى أحد من أهل الذمة منصـبا رفيعا كالوزارة ، لا سيما وأن من رسوم هذا المنصب أن يصعد الوزير مع الامام الخليفـة المنبر ليزرر عليه المزرة الحاجبة له عن الرعية وغير ذلك من الأمور التى تتصل ببعض العادات والتقاليد الدينية مما اضطر الخليفـة الى أن يضع تقليدا جديدا ذلك بأن يعهد الى القاضى بالقيام بمثل هذه المهام عندما يكون الوزير من أهل الذمة •

باب الشعر

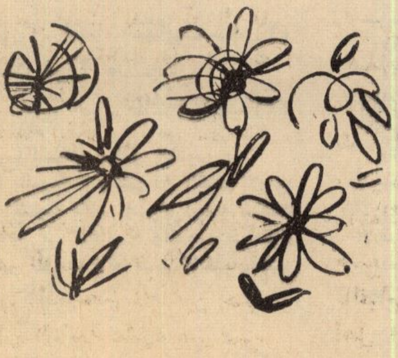

الشعر الديني

شعر الإمام الشافعي

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

- ٢ -

في تقديم العدد الماضي لشعر الامام الشافعي - رضي الله عنه - جئت بمقطعة واحدة له في روى الهمزة وقلت انى لم أعثر له في هذا الحرف على غيرها ووعدت أن أتقدم الى هذا العدد بقافية الباء ، وهأنذا أستعين بالله فأورد ما جاء له في هذه القافية تحت عنوانات متفرقة تدل على موضوعاتها ومراميها ، ثم أذكر بعد المقطعة شرحا موجزا لها ، وسوف أتبع ذلك طريقة في عرض الديوان .. وبالله التوفيق ..

نذير الشيب

عن مختصر تذكرة القرطبي للشعراني وايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني :

لما طلع الشيب في رأس الامام الشافعي - رضي الله عنه - أنشد :

خبت نار نفسي باشتعال مفارقي
وأظلم ليلى اذ أضاء شهابها (١)
أيا بومة قد عششت فوق هامتي
على الرغم مني حين طار غرابها (٢)
رأيت خراب العمر مني فزرتني
ومأواك من كل الديار خرابها
أأنعم عيشا بعد ما حل عارضي
طلائع شيب ليس يغني خضابها ؟
وعزة عمر المرء قبل مشيبه
وقد فنيت نفس تولى شبابها (١)
اذا اصفر لون المرء وابيض شعره
تنغص من أيامه مستطابها
فدع عنك سوءات الأمور فانها
حرام على نفس التقى ارتكابها

وأد زكاة الجاه واعلم بأنها
كمثل زكاة المال ثم نصابها (٢)
وأحسن الى الاحرار تملك رقابهم
فخير تجارات الكرام اكتسابها (٣)
ولا تمشين في منكب الأرض فاخرا
فعما قليل يحتويك ترابها (٤)
ومن يذق الدنيا فاني طعمتها
وسيق الينا عذبها وعذابها (٥)

---

(١) يريد بالاشتعال والشهاب بياض الشيب .

(٢) كنى عن الشيب بالبومة . وكنى عن الشعر الاسود بالغراب ، وحينما حل الشيب مكان السواد برغمه سكنت البومة داعية الخراب في الاعالي ، والمعجب في قول الشافعي تحسره على طير الغراب لانه ليس كالغربان التي تطارد وتبعد .

(١) تولى شبابها : ذهب وانقضى .

(٢) يرى الشافعي في تمام الجاه زكاة المال التي وجبت بتمام نصابه . وزكاة الجاه لا تكون الا بالفراغ للتقى والشفاعة في الناس واعانتهم .

(٣) قيد أمر الاحسان بالاحرار لانهم هم الذين ينفع لديهم المعروف .

(٤) شبه الشافعي ظاهر الارض بالمنكب لان ظاهر الارض مرتفع عن ترابها وباطنها كظهور المنكب على الاعضاء

(٥) يريد : من يذق نعيم الدنيا وعذابها ، ففي البيت ايجاز بالحذف

فلم أرهـــا الا غرورا وباطـــلا
كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها(١)
وما هى الا جيفـــة مســـتحيلة
عليها كلاب همهن اجتذابهـــا(٢)
فان تجتنبها كنت سلما لأهلهـــا
وان تجتذبها نازعتك كلابهـــا(٣)
فطوبى لنفس أودعت قعر دارها
مغلقة الأبواب مرخى حجابها(٤)

اختلاف القلوب

عن آداب الشافعى لابن أبى حاتم الرازى وفيات الأعيان لابن خلكان(٥) :

سمع محمد بن ادريس الشافعى يقول :

كانت لى امرأة وكنت أحبهـــا ، فكنت اذا رأيتها قلت :

ومن البليـــة أن تحـــب
فلا يحبك من تحبـــه
ويصـــد عنك بوجهـــه
وتلح أنت فلا تغبـــه(٦)

---

(١) شبه نعيم الدنيا بالسراب ، اذ كله يلوح ويخفى ويبدو ثم يغيب كأن لم يكن .

(٢) مستحيلة : أى حائلة من جسم لم يكن جيفة قبل موته . وقد شبه طلاب الدنيا المتكالبين عليها بالكلاب

(٣) روعة هذا البيت لما فيه من تصوير حقائق الناس ، فاذا تركت لهم دنياهم سالموك لانك كنت كمن سالمهم وان مددت يدك للاخذ منها نازعوك كما تنازع الكلاب كلبا مد فمه لجيفة يأكل منها .

(٤) يمدح الشافعى فى هذا البيت العزلة الكثيفة فى الدار التىغلقت ابوابها وأرخيت أستارها ، ويرى هذه العزلة منجية من المهالك وهو راى صوفى .

(٥) وقد رواها ابن خلكان قال :

قال الشافعى ـ رضى الله عنه ـ اذا تزوجت امراة من قريش بمكة ، وكنت أمازحها فاقول :

ومن البليـــة ان تحـــب
فلا يحبـــك مـــن تحبـــه

فتقول هى :

ويصـــد عنـــك بوجهـــه
وتلـــح انت فـــلا تغبـــه

اى ان للشافعى بيتا وللقرشية بيتا .

(٦) تغبه : اصلها تغب عليه فهو مضمن فعلا معدى . ومعناه : فلا تاتيه يوما بعد يوم ، وهو ماخوذ من حمى الغب التى تاتى يوما وتترك يوما .

عبادة الجاهل

عن المجموعة المباركة للقلنقولى وهو كتاب منتشر فى الصومال بين اتباع الجيلانى :

قال الشافعى رضى الله عنه :

عبـــادة جاهليـــن بغير علـــم
كقـــرطاس تـــراه بلا كتـــاب

عبادة الجاهل

عن المجموعة المباركة للقلنقولى وهو كتاب منتشر فى الصومال بين أتباع الجيلانى :

قال الشافعى ـ رضى الله عنه :

عبادة جاهليـــــن بغير علم
كقرطاس تراه بلا كتاب(٧)

غنى النفس

عن المستطرف للابشيهى .. قال الشافعى ـ رضى الله عنه ـ :

بلوت بنى الدنيـــا فلم أر فيهـــم
سوى من غدا والبخل ملء اهابه (١)
فجردت من غمد القناعة صـــارما
قطعت رجائى منهـــم بذبابه (٢)
فلا ذا يرانى واقفا فى طريقـــه
ولا ذا يرانى قاعدا عند بابه (٣)
غنى بلا مال عن الناس كلهـــم
وليس الغنى الا عن الشيء لا به (٤)
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا
ولج عتوا فى قبيح اكتسابه(٥)
فكله الى صرف الليالى فانهـــا
ستبدى له ما لم يكن فى حسابه (٦)
فكم قد رأينا ظالمـــا متمردا
يرى النجم تيها تحت ظل ركابه (٧)

كتاب : مصدر مثل كتابه . أى لا معنى للعبادة بلا علم اركانها ، فهى باطلة .

وهو راى صوفى . والبيت ليس فيه الا نظم .

(١) الاهاب : الجلد . يصف الناس بشدة البخل وهى طبائع البشر . والمعنى ماخوذ من آيات كثيرة من القرآن .

(٢) ذباب السيف : طرفه وحده وهو أقطع جزء فيه . وبالبيت استعارات رائعة .

(٣) الشطر الاول يفيد وقوف السائل بالاعتراض ، والثانى يفيد بلـوغه للسؤال ، وهما حالتا السائل الملح .

(٤) هو ماخوذ من الحـديث (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) وقد فرع عليه الشافعى تفريعا حسنا فبين ان الغنى يكـون عن فقدان الشيء لا بامتلاكه ، فاخرج اللفظ الى معنى القناعة . وقد اعترض على هذا أحد الاعلام فقال ان الغنى يكون بالامتلاء ولكن الشافعى جعله سلبا وهو غريب .

(٥) اللجاج والعتو : الاسراف . وقد بين الشافعى ان ذلك يكون اكتسابا قبيحا . فهو يرشح بذلك لاستحقاقه العقاب . وهو مذهب أهل السنة .

(٦) المعنى أن الليالى ستاخذه بالفجاءة التى لا ينتظرها اذ ليست فى حساب الظالم .

(٧) تيهـا : حال او تمييز . والمتمـرد : المتطاول . كانه من مردة الشياطين .

فعما قليل وهو فى غفلاته
أناخت صروف الحادثات ببابه(١)
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى
ولا حسنات تلتقى فى كتابه(٢)
وجوزى بالأمر الذى كان فاعلا
وصب عليه الله سوط عذابه(٣)

صنوف الناس

عن معجم الأدباء لياقوت :

مما يروى للشافعى قوله :

أصبحت مطرحا فى معشر جهلوا
حق الأديب فباعوا الرأس بالذنب
والناس يجمعهم شمل ، وبينهم
فى العقل فرق وفى الآداب والحسب

(١) اعادة لفظ (بابه) قبل عشرة ابيات هنا ليس من العيب الذى يسميه اصحاب العروض (الايطاء) اذ المقصود ببابه الثانية هو ذاته ونفسه .

(٢) تلتقى - بالبناء لفاعل - : المراد بها تجتمع ، اذ لا يخلو المرء من حسنات ولكنها عند الظالم تكون متفرقة قليلة ترجح عليها السيئات .

(٣) الشطر الثانى بيان للشطر الاول من البيت وهو جزاء فعله الذى كان يفعله

صنوف الناس
عن معجم الادباء لياقوت :
مما يروى للشافعى قوله :
اصبحت مطرحا فى معشر جهلوا
حق الاديب فباعوا الراس بالذنب
والناس يجمعهم شمل ، وبينهم
فى العقل فرق وفى الاداب والحسب
كمثل ما الذهب الابريز يشركه
فى لونه الصفر ، والتفضيل للذهب
والعود لو لم تطلب منه روائحه
لم يفرق الناس بين العود والحطب

كمثل ما الذهب الابريز يشركه
فى لونه الصفر ، والتفضيل للذهب(١)
والعود لو لم تطب منه روائحه
لم يفرق الناس بين العود والحطب(٢)

ميزان المعرفة

عن مكاشفة القلوب وهو مختصر مكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب ، للشيخ الغزالى وهو غير الامام الغزالى ..

قال الشافعى - رضى الله عنه - :

اذا حار أمرك فى معنيين
ولم تدر حيث الخطا والصواب(٣)
فخالف هواك فان الهوى
يقود النفوس الى ما يعاب(٤)

(١) ما : زائدة والذهب مضاف اليه ، او - ما : هى مقصور ماء . والابريز : الصافى الخالص . والصفر : النحاس .

(٢) يصف الشافعى المجتمع الذى يجمع اخلاط الناس ويضيع فيه الفضلاء احيانا كثيرة ، الا انهم مايلبثون أن يظهروا عليه ، كما يبين العود من الحطب برائحته فلا يخفى .

(١) حار : تحير وتردد .

(٢) يقول الشافعى : اذا اشتبه عليك رايان فدع احبهما الى نفسك وخذ اثقلهما عليك ، وذلك لان النفس تشره الى الخفيف عليها ، وقد يكون فيه بوارها . وهو ماخوذ من قول عمر رضى الله عنه (ان الحق ثقيل مرىء وان الباطل خفيف وبىء) وللصوفية فى هذا الباب مجال . ولكن ليعلم ان الامرين اللذين يريدهما الشافعى ماكان للهوى فى أحدهما مدخل ، فاذا لم يكن فما على المرء الا ان يمضى فى ايهما شاء .

هذا ، والى اللقاء فى العدد القادم - ان شاء الله - الى قافية الفاء ومابعدها ، ومن الله الهداية والعون .

في رحاب النور

الشاعر عبد الله شمس الدين

اللهُ أكبر : رفرفتْ أعلامُهُ … دينٌ من المَلإ العلىّ نظامُه
من سدرة الأَسرار جبريلُ أَتى … ببيانه . فتقدَّست أَحكامُهُ
جاءَ الوجودَ على ظلامٍ حائرٍ … والشِّرْكُ تُعبدُ فى الورى أَصنامُهُ
والكلُّ يضرب فى شقاق حاقد … والجهل بين الناس عاث ظلامه
فدعا إلى التوحيد دعوةَ رحمة … وعدالة : فسما وعزَّ مُقامُهُ
يا أَيها الناس : اعبدوا خلّاقكم … سبحانه بالحق جاءَ كلامُهُ
كلٌّ سواسيةٌ لدى محرابه … وعلى القلوب صفاؤه ووئامُهُ
بيضٌ وسُمْرٌ ضمهُم أَسمى إخاءٍ … لا تقطعُ فى الدنا أَرحامُهُ

* * *

للهِ درّك يا «بلَالُ» أذعت … للدنيا نشيدًا خُلِّدَتْ أنغامُهُ
أبدًا تردّده الملائكُ خشعًا … لَحْنًا تقدَّسَ فى العُلَا إلْهَامُهُ
هذا الصحابىُّ العظيمُ بقُرْبه … للمصطفى . قد كُرِّمَتْ أَيَّامُهُ
مَسَحَ النبىُّ بحبهِ أحزانه … حتى انمحت بأذانه _ آلامُهُ

الله أكبر ما أهابت بالورى ... إلَّا وهَبَّ من الثرى نُوَّامُهُ
سبحانه عنت الوجوه لحكمه ... بالكبرياء الحق جلَّ مَقَامُهُ
هيهات تدركه العيونُ وإنما ... بالقلب . إمَا طُهِّرَتْ آثامُهُ

* * *

يا أيها السارى على نهج الهدى ... هذا عطاءُ الله أَوْ إنعامُهُ
من يُمْنَحُ التوحيد عزَّ يقينُهُ ... وعلى الهداية ثُبِّتَتْ أقدامُهُ
والنصر ظلّ المؤمنين . تَحفُهم ... أمجاده . وتُظلهم أعلامُهُ
والمؤمِنُ الصّدِيقُ منطق عِزة ... أَبدًا يزفُّ له العلا إقْدَامُهُ
تطوى له الأيَّامُ حيث يريدها ... « ككلاى » كرمَ وَجْهَهُ إسْلامُهُ
بيقينه ويمنيه فى حلْقَةٍ ... أودى « بدُب » هزنا استسلامُهُ
ما كان سهْلًا سحقه .. لكنما ... مَنْ يعتصمْ بالله عزتْ هامُهُ

* * *

يا أيها البطل الشقيق تحيّةً ... من شاعر بك هلّلتْ أحلامُهُ
يا مرحبًا بك بيْن أَهلِكَ فى حمى ... عنوانه الاسلام وهو زمَامُهُ
بلّغْ « أليجا (١) » أننا ندعو له ... بالنصر فى زمَنِ طغى اظلامُهُ
هذا الزعيم رآى الضياءَ بقلبه ... فسما هواهُ بربه وغرامه
وتعشق الاسلام يدعو باسمه ... حتى تحقق قصدُهُ ومرامُهُ
وإذا دعا الدّاعى بروح مؤمِن ... هز المشاعر صدقهُ وكلامُهُ
والمسلمون على المحبة إخوةٌ ... لهم اللواءُ تعانقت أعلامُه
مهما تباعدت الديارُ فإنهم ... قلْبُ جرى باسم الاخاءِ هيامُهُ
هذى مبادئهم وهذا نورهم ... ونبيّهم حادى السنا وإمامه
اللهُ كرَّمَهُمْ بِهِ وبدينه ... وعليه منه صلاته وسلامُهُ

(١) اشارة الى الحاج محمد اليجا زعيم المسلمين الزنوج فى امريكا .

مولد الرسول

الشاعر موسى جلال احمد موسى

يا طير غرد فى خلال قصيدى ... وارقص طروبا فى غصون نشيدى

واختر غناءك واقتبس نغماته ... من كل لحن طارف وتليد

واذهب بها نحو الربيع مقبلا ... لهلاله ولوائه المعقود

فربيع أيام الحياة محمد ... ووجوده قد صان قلب وجودى

ومحمد لما أهلَّ بفجره ... عم الورى بضيائه الممدود

واستقبلته من الحياة معالم ... فرأته يخطر فى أعز بنود

واستنكرته من الخلائق حفنة ... رعناء أعماها الهوى بجحود

والروم ولول تاجها من هزة ... فتطيرت من ملكها الرعديد

والفرس قد لعب الهواءُ بنارها ... فغدت رمادا وانتهت بخمود

والكسروية صدعت أركانها ... ومن المهابة مزقت كبديد

والقيصرية لم تنم من روعها ... والكيد جرعها كئوس صديد

والجاهلية ارهصت أصنامها ... فتدحرجت فى صمتها المعهود

ومناف تخفق فى أعز بروجها ... طربا وتهتف بالمنى والعيد

والهاشمية فى صباح وليدها ... نشوانة فى عزة وسعود

وبلابل الاسعاد فوق ديارها ... تشدو لها الأنغام بالتغريد

والأُم آمنة يفوح سريرها ... عطرا ويرقص بالهنا كالغيد
والجد يحنو فوق نور حفيده ... ويقول يا ولدى وخير حفيد
ستكون محمودا بأَرضك والسما ... وتكون فى الدنيا أعز وليد
إن كان والدك الشباب قد انتهى ... فلأَنت شبل الفاتحين الصيد
ستعيش فى كنفى وتنعم يافعا ... وتُرى بعيش فى الحياة رغيد
قلبى مهادك والضلوع غطاؤه ... ودمى فداك وموطنى ووجودى
سر يا محمد فى الطفولة هادئا ... لا تخش إهمالا فأَنت خلودى
إنى لأَلمح فى نجابتك المنى ... وأَرى هلالك فى أَتم صعود
لا تكترث باليتم إنك باسم ... وحياتك العظمى مراد قصيدى
أيكفيك يا ولدى عناية خالق ... يكفيك يا ولدى لحاظ وجود
واليتم فى الدر الجميل محبب ... ويزينه فى العقد حول الجيد
واليتم فى دنيا القريض يهزنى ... ويريك تغريدا بعذب قصيد
لو كان يتم المرءِ ينقص قدره ... ويحيله فى عمره كشريد
ما شاءه المولى لجمع مرسل ... فى غابر أو سالف لعهود
عيسى يتيم فى الأُبوة والورى ... فى حيرة من يتمه المعهود
وكذاك موسى قد أُصيب بغربة ... كاليتم فى مرعى بقلب البيد
وكذاك يوسف قد تجرع فرقة ... وغدا بجب فى ليال سود
يا سيد الدنيا إليك تحيتى ... وإليك احساسى وكل قصيدى
أنا لا أجيد كشاعر لمديحكم ... مهما ملكت قوافى التغريد
فكتابك الضخم الجليل وما حوى ... لا تحتويه صحائف بنشيدى
لكننى سأَظل أَهتف دائما ... فى هذه الذكرى بكل فريد
حتى أُحقق فى حياتى غاية ... وأقول شعرى فى رحاب الجود

باب القصة

قصة العدد

اللحن المبعوث

للأستاذ حسين القباني

كانت الأنوار متناثرة فى اناقة وجمال بحديقة النادى الكبير ، وكانت المصابيح الكهربائية الملونة تزين أغصان الشجر حتى لكأنها ثمار من نور وسحر .. وكان المدعوون جالسين حول الموائد الصغيرة المتناثرة بأرض الحديقة يستمتعون بحفلة من حفلات اضواء المدينة التى يزخر برنامجها عادة بألوان من الغناء والموسيقى .

ولما رفع الستار بعد استراحة قصيرة ، اذا غلام فى ملابس السهرة واقف فى وسط المسرح عارى الرأس ، يعكس شعره اللامع لمسات الضوء ، ويبدو وجهه الصغير بعينيه المسبلتين كأنه وجه طفل يريد أن ينام ... وكان يستعد لعزف فاصل موسيقى على الكمان ..

وقال مذيع البرنامج وهو يقول :

تعودنا ياسادة ان نقدم لكم فى كل حفلة.. مفاجأة .. مفاجأتنا الليلة هى هذا الفنان الصغير .. عازف الكمان الناشىء .. ممدوح .. وسيعزف لكم على كمانه قطعة موسيقية عنوانها (الانسان) من الحان والده الاستاذ الموسيقار شاكر .

وسرت بين المدعوين موجة من الهمسات عند رؤية الغلام . .

انها مفاجأة سخيفة الليلة . .

لم نسمع بهذا الاسم من قبل ..

ليس من المعقول أن يكون والد هذا الغلام ملحن موهوب دون ان يسمع باسمه أحد .. من يدرى .. فلعله لحن بسيط تافه يناسب مقدرة الغلام على العزف .

لو كنت اعرف أن هذه هى المفاجأة التى سيقدمونها الليلة لما حضرت ..

وظل ممدوح فى مكانه لايريم ، وارتفع اللغط ، وازداد الهمس ، وكاد صوت منظم الحفلة يصل الى اسماع المدعوين وهو يشجع الموسيقار العظيم الصغير على البدء ..ولكن هذا بقى فى مكانه كالتمثال ، يحدق فيما أمامه بنظرات ذاهلة شاردة وكأنما يعيش فى عالم آخر ..

وشعرت انا – والد ممدوح – بدبيب الخوف يسرى فى دمائى ٠٠ وقد كنت انتظر هذه اللحظة منذ عشرين عاما ٠٠ كنت اتخيلها فى يقظتى ، واحلم بها فى منامى ، واعمل لها بكل ما اودعه فى اعماقى من مواهب موسيقية ٠٠

ان ممدوح ، هذا الموسيقار الصغير ، هو ابنى ٠٠ اللحن الحى الذى تركزت فيه آمالى ، ورسالتى فى الحياة ٠٠ وها أنا بين المدعوين – مجهول ، مغمور لا يكاد يلتفت الى أو يشعر بوجودى ٠٠ ومع ذلك كنت احس ، قبل لحظات ، أن روحى السعيدة هى التى تسيطر على المكان كله ، وترفرف على جميع المدعوين ، وتكاد تمتزج بمشاعر كل منهم لتعرف أثر لحن (الانسان) فى نفسه ٠

ولكن ممدوح ظل واقفا ساكنا ، كانه تمثال ٠٠ وبدأت اشعر بكل الآمال التى زخرت بها نفسى فى عشرين عاما تكاد تتهاوى وتتحطم تحت ضربات هذه الهمسات والضحكات الساخرة التى كانت ترتفع هنا وهناك ٠٠٠

وفجأة أخذ اللغط والهمس يخفت رويدا رويدا ٠٠ وأخذ السكون الشامل يرين على الجميع حتى ليكاد المرء أن يسمع فيه خفقات القلوب ، وكان قلبى انا اشدها خفقا – حين ارتفع أول نغم من اللحن كأنه همسات رقيقة ناعمة ٠٠ وبدأت طبقة النغم تعلو شيئا فشيئا ٠٠ وبدأت الدهشة تشيع فى الوجوه ٠٠٠ وبدأت الاجسام تميل ، والروس تهتز ، والشفاه تنفتح فى ابتسامة ونشوة ، والارواح تنطلق محلقة مع النغمات ٠

وكانت النغمات تعلو وتعلو حتى لكأنها دعاء يطرق ابواب السماء ، ثم تهبط وتهبط حتى لكأنها الانفاس اللاهثة ليائس من رحمة الله ، وكانت ترق حينا وكانها همس الحبب فى كاس ٠٠ وتغلظ تارة فكأنها حشرجة لاهث متعب مكدود ٠٠ كل هذا فى توافق رائع ، وانسجام مثير ، وممدوح مطرق الرأس مغمض العينين ، تنتقل انامله الدقيقة فى براعة واحكام ، ويتحرك القوس على الاوتار فى لمسات خاطفة لايحسنها الا فنان موهوب ٠٠

وبينما المدعوون يتمايلون بالنشوة والطرب ، وبينما أهة اعجاب تندهنا وهمهمة دهشة تنساب هناك ٠٠ كنت انا ، والد ممدوح ، وواضع هذا اللحن ، انتقل بروحى وذهنى ، وذكرياتى الى الوراء ٠٠ الى ايام الشباب ٠

اننى الان فى مدينة المنصورة ، وفى العام الذى استكملت فيه مرحلة الدراسة الثانوية وكنت قد بلغت الثانية والعشرين من عمرى ٠٠ وكانت أمى لاتكف عن الالحاح على لاعقد شجرة الدر ، انغام المزامير والدفوف فى حلقات الذكر ٠٠ دقات الطبول فى حلقات الزار ٠٠ ترنيمة عصفور على شجرة ٠٠ هديل حمامة او دعاء كروان ٠

ولكم ان تصدقونى أو تكذبونى اذا قلت انى كنت اعيش فى عالم خاص من الموسيقى والنغم ٠٠ ففى أثناء الدراسة انتقل من جو الفصل واهيم بروحى وتفكيرى فى ذلك العالم الخاص المفعم بالانغام والالحان ٠٠ ولشد ما عانيت من عذاب بسبب هذا (السرحان) ولشد ما أحست أمى بخيبة الأمل كلما جاءتها الشهادة برسوبى عاما بعد عام ٠٠ والواقع انى لا أدرك كيف أتممت دراستى الثانوية ؟ ان شيئا واحدا كان يدفعنى لاتمامها ٠٠ هو الأمل فى مغادرة المنصورة الى القاهرة بحجة البحث عن وظيفة فيها او اتمام دراستى العالية بها ، اذا سمح عمى الحاج عمر الذى كان يتولى الانفاق على ٠٠ كنت أريد الانطلاق الى القاهرة ٠٠ عاصمة الدنيا فى نظرى يومذاك لانشر فيها رسالتى الموسيقية ، واحقق فيها أملى بأن اصبح (جوهان ستراوس ، الشرق) ٠٠٠٠

ارجو ! لاتبتسموا ساخرين من غرورى ٠٠ فقد كنت جادا كل الجد ، وكنت واثقا كل الثقة فى أنى ساحقق هذا الأمل لو اتيحت لى الفرصة ٠٠ وانا لااتحدث عن غرور أو تفاخر فان احدا لايعرف اسمى فيما عدا اقاربى والقليل من الاصدقاء ، ومن ثم فانى اعبر عن شعورى فى حرية مطلقة فأقول انى كنت أومن بأنى من هؤلاء القلائل الذين منحوا الموهبة الموسيقية مع مولدهم ٠٠ لم يكن لى يد فى

اكتساب هذه الموهبة .. لم أسع اليهـا أو ادعيها .. فقد كانت الالحان تنساب الى ذهنى والى نفسى ، كانما ترددها فرقة موسيقيـة غير منظورة .. وكنت اشعر بانفعال عصبى مروع كلما رأيت نفسى عاجزا عن ترديد هذه الالحان الملهمة الا بالصفير ، ومن ثـم تعلمت العزف على الكمان .. تعلمته فى ثلاثة أواربعة ايام ، واصبحت استطيع أن اهـدىء من انفعالاتى النفسية والعصبية وانا التقط الالحان الملهمة واعزفها على كمانى فى هدوء الليل .. واقول فى هدوء الليل لاننى لم اكن اجد فى ذلك الوقت آذانا تستسيغ هذه الالحان .

ولم اكن اعرف يومذاك ان هذه الموسيقى التى كانت تنحدر من عالمى الخاص الى نفسى وقلبى هى من النوع الـذى لم تألفه الاذان الشرقية .. ولا ادرى حتى الآن هذا السر الذى جعل الحانى الملهمة من هذا النوع الغريب.. ولكنى اذكر كيف تفتحت نفسى ، وشعـرت كانى فى غيبوبة يوم سمعت لاول مرة أخرى مقطوعات جوهان ستراوس .. واظنها مقطوعة الدانوب الازرق .

كانت أسعد لحظة فى شبابى هى اللحظة التى اشتريت فيها حاكيا قديما ومجموعـة من الاسطرانات المختلفة .. وانا لا انسى حتى الآن كيف قضيت اليوم كله ـ الذى حصلت فيه على الحاكى ـ انصت الى الموسيقى بألوانها المتباينة ، ونغماتها المختلفـة ، واعيش فى اجوائها الحالمة ، عازفا عن الطعام ، وعن الشراب وعن كل مايتعلق بماديات الحياة ... امـا اللحظة الحاسمة فى حياتى ، فهى التى سمعت فيها لأول مرة احدى مقطوعات جوهان ستراوس واظنها مقطوعة الدانوب الازرق . لقد شعرت وأنا أعيش فى جوها المنغم كأن آفاقا جديدة قد انبعثت من كيـانى ، وان حياة جـديدة قد انسابت الى اعماقى ، وان روحى قد شفت حتى اصبحت انسانا يعيش فى عالم آخر ، يهيج مثير ، مدهش ، غير عالمنا هذا ..

واقول مرة أخرى انه لم يكن لى يد فى ذلك الشعور .. ولست اعنى بهذا ان اعـرض بالموسيقى الشرقية ، فانا لا أنكر ما فيها من جمال وطرب وامتاع ، ولكن الاذواق ، تختلف والاستجابات النفسية للنغمات تتباين ، وليس من شك فى أن كثيرين غيرى يشعرون وهم ينصتون الى الموسيقى الشرقية بمثل ماشعر به ، وانا انصت الى الموسيقى العالمية ، ولا أقول الغربية ـ فقد كنت أومن وأنا أنصت الى مانسميه بالموسيقى الأجنبية ، ان الأنغـام لا تخاطب روح انسان معين فى بيئة معينة ، وانما هى تخاطب روح (الانسان) فى كل مكان وفى كل زمان وانها لا تقتصر على هدف التطريب فحسب ، وانما هى تنزع عن الانسان حيوانيته الكامنة ، وتحاول أن ترتفع به الى مراتب الكمال البشرى ..

ووجدت نفسى ، بمرور الزمن ، أضـع الحانا من هذه الموسيقى العالمية الانسانية ـ وأنا أقول (أضع) تجاوزا ، فقد كانت هذه الألحان تنساب الى مشاعرى رغما عنى ، فلا يسعنى الا محاولة تسجيلها على الكمان وبذل الجهود فى حفظها بأعماق نفسى ، لأنى لم أكن أعرف يومذاك كيف احتفـظ بها فى نوتة موسيقية ..

وشعرت ان لى فى الحياة رسالة تختلف كل الاختلاف عن مجرد التوظف والتزوج وانجـاب الاطفال ، ومن ثم قررت ـ بعد اتمـامى الدراسة الثانوية ـ ان أرحل الى القاهرة ، حيث المجال منفسح أمامى لأداء هذه الرسالة على أكمل وجه .. وحاولت أمى ، وعمى ، وخطيبتى ثريا ـ ابنتـه ـ أن يثنـونى عن الرحيل ..

وقالت أمى :

أيليق ياولدى وقد أصبحت رجلا من ذوى الشهادات أن تضيع مستقـبلك ، وترفض الوظيفة التى ظفر بها عمك من أجلك ، وترفض الزواج من ابنتى ثريا لتصبح .. مزيكاتى ؟

اننى سأعمل على محو كلمة (مزيكاتى) من حديثنا .. لسوف أجعل المواطنين ينظرون الى الموسيقى على أنها أسمى وأجمل فن ، والى الموسيقيين على أنهم أنصاف آلهة .. وانى أرجو أن تباركينى وتبتهلى الى الله من أجلى ..

انني أبارك لك ، وأبتهل الى الله ان يبعد عنك وساوس الشيطان ، وأن يجعلك تهتدى وتعود الينا فى أسرع وقت نادما ، تائبا ، راضيا بالوظيفة والزواج ..

وقامت ثريا قبل الرحيل بيوم :

أهكذا تبيعنى ياشاكر لتصبح مزيكاتى ؟

لو كان الامر بيدى ياثريا لبذلت حياتى فداء لك .. ولكنى مسير لامخير . وما اظن أنك ستفهميننى لو حاولت أن أشرح لك .. ولكن أرجو أن تدركى كل شىء حين تسمعين أسمى مدويا فى كل مكان ..

فابتسمت ثريا وهزت رأسها فى اشفاق وقالت :

لسوف أرفض كل من يتقدم لطلب يدى حتى تعود ياشاكر .. ولكنى لن استطيع الاستمرار فى الرفض اكثر من عامين .

فضغطت على يدها شاكرا وأنا أقول بلهجة تأكيد :

لسوف أعود اليك ، فى خلال عام واحد ، وأنا ملء سمع الدنيا وبصرها .. وقال عمى الحاج عمر ، والد ثريا ، فى يوم الرحيل وهو يدس فى يدى خمسة جنيهات :

هذا هو المبلغ الوحيد الذى اسمح لك به حتى تبدأ حياتك فى القاهرة .. فاذا أصبحت (مزيكاتى) حقا ، فابحث لك عن زوجة أخرى غير ابنتى ، أما اذا عدت قبل نهاية العام لتصبح موظفا محترما فانى سأبارك زواجك منها .. مع السلامة ..

وحملنى القطار الى القاهرة وأنا أجتر الآمال التى تصورنى عائدا الى مسقط رأسى فى هالة من النور والشهرة والمجد .. والمال .. فما أجمل آمال الشباب وما أسهل الحياة فى أجوائها ، وما أبسط الارتفاع فى سماواتها .. ثم .. ثم ما أمر الحقيقة وما أقسى الوقوع على أرضها الصلبة المفروشة بالأشواك والحجارة ..

لااحب أن أسهب فى ذكر مالاقيت من عذاب وفشل ، وسخرية ، وجحود وعقبات وآلام فى القاهرة ، فما من مرة حاولت فيها عزف مقطوعة من الحانى الملهمة ، حتى أقابل بالصفير والسخرية واللغط والضجيج فى الحفلات العامة .. وبالابتسام الساخر أو هز الرؤوس ، والاشفاق فى الحفلات الخاصة ..

كم من ليلة بت فيها بقلب مثقل بالهموم والأحزان ودبيب اليأس .. وكم من ليالى تحملت فيها الجوع والبرد والوحدة ... وأخيرا قال لى زميل عجوز بانفاس تفوح منها رائحة الخمر :

اسمع يابنى .. أنا واحد من أشد المعجبين بالحانك الجديدة .. ولكنى أصارحك بانك جئت قبل أوانك بعشرين أو ثلاثين سنة .. اننا فى الشرق لازلنا نعيش فى دائرة ضيقة من أحلام الماضى الرجعى وليس أدل على ذلك من أن اكثر العاملين فى ميدان الموسيقى والفنون يعتقدون أن الخمر ، وما اليها ، من بواعث الوحى والالهام .. فاذا أردت ان تنجح فى تحقيق رسالتك الفنية ، فعليك ان تتحمل الجوع والبؤس والتشرد عشرة أو عشرين أو ثلاثين عاما .. هكذا فعل كل أصحاب الرسالات الفنية . فهل تستطيع ؟

ولما اطرقت برأسى محيرا أردف يقول :

لو لم يكن لك خطيبة جميلة محبة فى انتظارك .. ولو لم يكن لك أم ملهوفة اليك ، ولو لم تكن حاملا لشهادة تتيح لك وظيفة محترمة واستقرارا فى الحياة .. لو لم يكن لك هذا كله ، لنصحتك بالاستمرار فى الكفاح لتأدية رسالتك .. .

واخذت نصيحة هذا الزميل تترسب فى نفسى ، وتلاحق تفكيرى وتتراقص أمام عينى كلما عانيت فشلا جديدا ، حتى وجدت نفسى ذات يوم عائدا الى المنصورة محطما ، مخذولا ، مريضا ، مفلسا ، تائبا نادما ..

وسعدت أمي وخطيبتي بعودتي ، وفرك عمي يديه سرورا وهو يقول لي بعدان حصلت على الوظيفة (المرموقة) وتأهبت للزواج من ابنته :

أنت ابني وأنا أتمنى ان يتم زواجك من ابنتي الوحيدة ٠٠ ولكن الشرط نور ٠٠

أي شرط ياعمي ؟

ان تقسم على المصحف الكريم بالا تشتغل بالموسيقى هاويا أو محترفا ٠ ٠

ولما رأى وجهي يشحب فجأة ، أردف قائلا بسرعة :

طبعا لن أمنعك من أن تعزف ماتشاءلنفسك لنفسك أو لاسرتك في بيتك أو في أي مكان ٠٠ ولكني أطالبك بالامتناع عن العزف في أية حفلة عامة أو خاصة ٠٠

وحققت رغبته ٠٠ وأقسمت ٠٠

وتزوجت من ثريا ٠٠ وعشت معها حياة ظاهرها الاستقرار ٠ ٠ولكن ٠ ٠كيف تعرف روحي ومشاعري معنى الاستقرار وانا أحس في كل لحظة اني سجين في عالم ضيق أشد الضيق ، مكبل بقيودغير منظورة ٠٠ فقدكانت الألحان الملهمة تجيش في أعماق كياني وتتفاعل وكأنها الماء المغلي في اناء محكم ، أو كأنها اللابا المنصهرة في باطن الارض تزلزلها حتى تجد لها مخدرجا ٠

حاولت جاهدا أن أقتل في نفسي تلك الاستجابة القوية لكل ما يمت الى الموسيقى والأنغام بسبب ٠٠ بسبب ولكن أني لي هذا وأنا أحس بالموسيقى والنغم في كل شيءيوحي بالجمال والتناسق : في همسة النسيم ، وترنيمة العصفور ، وحفيف الشجر ، ودعاء الطير ، وخرير المياه ، ٠ ٠بل في الزهور المتفتحة ، والشجرة المورقة ، والثمرةالناضجة والنجم الساهر وضوء القمر على صفحة الماء

وبعد ثلاث سنوات من هذا العذاب الفني ، رزقني الله يابني ممدوح ، ولشد ماراعني ، وملأ قلبي بالعزاء والأمل ان أرى ابني ـ قبل ان يتم عامه الأول ، يستجيب للنغم الجميل ، فهو يكف عن البكاء اذا سمع كماني الحزين وأنا أعبر به عن الحاني السجينة ٠٠ وهو يهدأ ان كان مضطربا ، ويبتسم ان كان مكتئبا ويستقر ان كان قلقا ، ولاينام الا اذا جلست بجواره وعزفت له ٠٠

ولست أنسى ما حييت كيف غبت عنه أسبوعا لأسباب قهرية ـ فلما عدت وجدته مريضا في النزع الأخيـر ٠٠ وشاءت ارادة الله أن يتغلب على المرض ، وأن يسترد صحته في خلال ثلاثة أيام كنت أعزف له خلالها بضع مرات في اليوم ٠٠

ودهش الطبيب الذي كان يتولى علاجهوهز رأسه في شك ، وسخرية ، حين ذكرت له هذه الحقيقة ٠٠ وله العذر ٠٠

وكبر ممدوح ، والحاني تجري في دمائه وتنمو معه ، وبدأت أشعر بالاستقرار والأمل والسجن الضيق الذي تعيش فيه روحي يتسع شيئا فشيئا ، وبالقيود غيرالمنظورة تلين شيئا فشيئا ٠٠ فقد كنت أرى ممدوح لحنا من الحاني ، تجسد وصار له روح واحساس ٠٠ وكانهو يقلدني في العزف ، ويبرع في اداء اللحن في جلسة أو اثنين ، ولا يكاد يقل عني في قوة الأحساس والقدرة على الاداء والتعبير٠

وفي ذات يوم ، بعد ان انتقلت الىالعاصمة مع أسرتي ، كان ممدوح يعزف احدى القطع الموسيقية أمام احد اصدقائي من رجالالاذاعة ودهش الصديق ، واتفق معي على ان اجعل من ممدوح مفاجأة الحفلة التالية لأضواء المدينة ٠٠

وتنبهت من ذكرياتي هذه على دوىعاصف من التصفيق والهتاف ، وتلفت حولي في ذهول النائم الذي استيقظ فجأة من حلم ممتع ٠٠ ورأيت الموائد المتناثرة والأضـواء الملونة ، والمدوين المعجبين بما سمعوا يعبرون عن اعجابهم بالتصفيق المتواصل ، وابني ،ممدوح لحني المبعوث حيا ، واقفا على المسرح،مضطرم الوجه ، ينحني في لباقة للهاتفين المعجبين ٠٠

بعد سبعة عشر عاما ، قوبل احد الحاني بالاعجاب، بعد أنكان يقابل بالصفيروالسخرية وهكذا أحسست ، بل آمنت ، ان وطني قد حطم هذه الحلقة التي كان يعيش فيها حالما ـ فقط ـ بالماضي ، وانه استيقظ من أحلامه لينطلق الى مستقبل مجيد ٠»

من سنا أحمد

هزيمة الضلال

مسرحية شعرية فى فصل واحد

للأستاذ محمد عبد السلام عطا

اختلف الرواة فى تحقيق أماكن الآلهة « العزى ومناة واللات » فمنهم من يرجح وجودها حول الكعبة ، ويذهب البعض الى أنها كانت بداخلها ، ويميل فريق الى وجودها فى أماكن مختلفة على مشارف مكة ، ولأنها المحور الذى تدور حوله المسرحية ، وفى الوقت نفسه من أشخاصها ، فقد آثرت وجودها فى مكان واحد ليتجلى ما أهدف اليه فى وضوح :

حقيقة الأصنام

قال الله - سبحانه وتعالى - فى سورة الأعراف :

« ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين، ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ، قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ، ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ، وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » ..

صدق الله العظيم ..

أشخاص المسرحية

« العزى - اللات - مناه »

شيبان : اعرابى سادن بيت الآلهة

جعد : أعرابى يقدس الآلهة ومتصل بمجلس العرب

رجل : أعرابى متصل بمجلس العرب

رجل آخر : أعرابى متصل بمجلس العرب

راهب : أعرابى جوال فى شعاب الجبال ومتمسك بتعاليم الانجيل ومتخصص فى علوم الفلك

* * *

هتاف ...

ما أجملَ الحقيقة لو سطعت على أجنحة الخيال!
وما أبلغ الهـزيمة يعترف بها الضـلال!
ويا روعـة الحق فى فزع البـاطل!
ويا جمال النصر يشعر بحلاوته المناضل!

المسرحيـة

يزاح الستار عن محراب كبير وفى ناحية من المحراب يبدو العزى وعن يمينه مناه وعن يسـاره اللات ، ويرى « شيبان » مشتغلا بالتنظيف ، وبعد مدة يلقى ما بيده فى ضجر قائلا :

شيبان :
ضقت بالعمل! هزنى الأمل!
ان مهنتـى تبعث الملل

« فى حيرة متطلعا للآلهة » :

آه مـن رؤى
تزعج المقـل!

فى تعجب ناظرا الى العزى » :

جلمـدا أرى
قد من جبل ؟!
صيغ هيكلا
نقصه اكتمل ؟!
فتنـة لنـا
خطها الأزل ؟!

« فى استغراب » :

سادة العرب
ألهت كتـل!

« مناجيا نفسه فى رعب » :

ان هـذه
شرعـة الأول!
شيبان : لا تزد
صل وابتهـل!
واطلب الهـدى
حى بالقبـل!

« يقبل الأصنام ... فى ابتهال » :

قـادة الورى
لست ارتحـل!

اننى الفـدا
مسنى الخبـل
ذى هـواجس
فاغفروا الزلل!

« يتراجع ويترنح كمن مسه اغماء » :

أين أسـتتر
ذبت من خجل

« يزداد فى الترنح » :

الرشد قد رحل
والحظ قد أفل

« ويسقط على الأرض مغشيا عليه » :

جعد : « يدخل حاملا قرابينه للآلهـة » قائلا :

قد عبدت « اللات » و
« العزى» وقدست «مناه»
وانقضى العمـر ولاء
وامتثالا وصـلاه
هكذا عاشت جدودى
فى أحـاديث الرواه

« يتقدم من الآلهة » :

أنتـم الأرباب فيكم
نجتلى سر النجـاه
كم صناديد لديكم
طأطأوا عاتى الجباه

« يركع ويعتدل » :

وابتغوا منكم رضاه
من ملوك أو رعـاه
ها هنـا خروا بكيا
فى أمانى الحيـاه

« ويخر ساجدا ويعتدل » :

فاقبلوا القـربان منى
يا .. ..

شيبان : « يستفيق من اغمائه ويتمطى ويقول متمما » :

ضـلالات الفـلاه

جعد : « ينظر فى رعب فيجد « شيبان » يستفيق من النوم » فيقول ساخرا :

لغو أضغاث لعمرى
يعلم « العزى » مداه

شيبان : « يقول فى ثبات » :

لا أرى الأضغاث جعد
لست أبغى منك جاه

جعد : « ساخرا » :

هل ترى الا قطيعـا
فى محيط البيد تاه

شيبان : « فى حماس » :

قد رأيت«اللات» يبكى
بينما يهذى « مناه »
وانزوى العزى بركن
خائفـا ممـا رآه
واحتواه الذعر حتى
ويله ، خارت قواه
عندما لاح ضـياء
لم تر البيد سناه
واستمعت لنـداه
ردد الرمل صداه

جعد : « مستنكرا ومحذرا » :
أول الفتنـة لغو وافتـراء

أين يا «شيبان» عنوان الولاء
ضقت بالخدمة ، فارحـل لا تجر

واخش يا « شيبان » أرباب السماء
هـذه فتنة دين فاخشـها

ما يصـون العهد الا الأوفيـاء
واسأل التـاريخ عن نار الوغى

كم تلظى فى رحـاها الأبـرياء
فـانس رؤيا حركتها رغبـة
كم رغاب سببت سـفك الدماء

شيبان : « فى ثبات بعد لحظات غارقة فى ذكريات » :

قد ذكرت الآن ما أفضى بـه
راهب فى العلم موفور الذكاء

هام بالعلم وبالنجـم ولم
يسبقه فى الأخبار الا الأنبياء

أنجد الصحراء تدرى خطـوه
وهو « للانجيل » خير الأصفياء

« فى حماس وقوة » :
ان للـرؤيا بقلبى هـزة

وضياء عبقـريا فى الرواء
لو نسيت «اللات» فى هم لعمرى

ما نسيت النور أو سـحر النداء
سوف أرويها على سمع الضحى

ولتكن لحنا على ناى الحـداء
جعد : « فى غضب وانفعال » :

غضبة الأرباب تصـلى نارهـا
فوق حد السيف ... ...

شيبان : « فى ثورة »

لن أخشى اعتداء

جعد : « يمسك شيبان فى غلظة ويجـذبه خارج المسرح قائلا » :

مجلس الأعراب يقضى بيننـا

قد يجر الهول صوت الكبرياء
« ويخرجان »

العزى : « يتحرك فى غضب » :

ضـلت الخـدم
فى حمى الحـرم
رب بعـدهم
حارس الغنـم

« ناظر الى اللات » :

« شيبان » يفترى ؟!
لات ، فانتقـم
النبت فاخفـه
واحبس الديـم
وارجـع الضحى
وانشر الظلـم
نقمتى على البـ
ـبيد والأكـم

اللات : « فى تراخ وسخرية » :

ملكنا صمم
عرشنا بكم
خفف الغضب
هدىء الكلم
ليس فى يدى
مرهف النقم
لست أملك
بسمة النعم
فوق قدرتى
صولة العدم
لم تزل بنا
وصمة الصنم

العزى : « فى ثورة وحنق » ناظر الى « مناه » :

كلام « اللات » يغضبنى
ويزجى الرعب فى بدنى

أهذا القول من رب
من الأرباب ذى الفطن

جموع العرب كم خطبت
رضانا خشية المحن

ولا زالت قبائلهم
ترانا مصدر المنن

وتعلم أن فى يدنا
يقينا دورة الزمن

وكم ركعوا وكم سجدوا
وكم طافوا على سنن

صمت « مناة » عن قول
أترضى ؟.. .. .. ..؟

مناه : فى استهزاء :

صمتة الوثن

صخور نحن يا « عزى »
وما للصخر من علم

وجهل العرب الهنا
وهم يا صاح كالبهم

وما يبنى على جهل
كما يبنى على وهم

العزى : « فى تخاذل واعياء » :

أحس كالابر
فى الصدر تستقر
فى الجسم والحشا
النار تستعر
ان عزتى
مسها الكبر

« يترنح » :

اللات : « هازئا » :

الحق كم له
فى النفس من أثر

ويرى « العزى » على وشك السقوط فيقول فى لهفة ممسكا ذراعه » :

عزاى !..

مناه : « فى لهفة » :

ما جرى ؟!

العزى : « فى اغماء » : قلبى انفطر

(من وراء الستار يسمع قصف رعود وزفيف رياح وتجاوب أصداء ، وثورة رمال)

العزى : « فى استفسار المستفيق » :

البيد مالها
صمتها انحسر
ماد حزنها
سهلها انشطر
صوت سفمنا
ذاع وانتشر

« صوت أمطار » :

الكون يا له
دمعه انهمر

« يشع ضوء شديد يملأ المسرح ويختفى »

اننى أرى
موكب القمر
جاء حانيا
هاله الخبر

« يتكرر الضياء ويختفى » :
اللات : « فى رعب منزويا فى ركن » :
ليس هذا من القمــر
مناه : « مرتعدا بجانب اللات » متطلعـا للعزى » قائلا :

يا سرابا من الحجر

« يتكرر الضياء ويختفى »
العزى : « يتجه الى زميليه فى اضطراب ورعدة » قائلا :

هذا ضياء ليت شعرى لم أره !
من سوى الأرباب «ويحى» أظهره ؟!
هـل ترى فى الكون غيرى قدره ؟!

(وراء الستار « جعد » ورجلان من الأعراب ومعهم « شيبان » مكبلا بالحبال لتنفيذ حكم مجلس الأعراب)

جعد : « من وراء الستار » :
ويـل من كذب

رجل : . . بئس من أذنب
جعد : الى

فلتشهد

جعد : « يدفع « شيبان » داخل المسرح » ويظهر وخلفه الرجلان قائلا :

ميتة العقرب

شيبان : « وظهره للآلهة فى ذعرهم » :
بالسيف بالنعال الخزى ..

« ويلاحظ ارتباك الرجلين وجعد فينظـر خلفه فيرى الآلهة فى ذعر ورعدة » فيقـول متمما :

للأنذال

جعد : « لزميله فى اضطراب » :
صاح من فزعهم فغيروا موضعهم
« يتكرر الضياء ويختفى » :
العزى : « فى اضطراب »

هذا الذى فزعنـا
وسحره أرقنـا

شيبان : « فى فرح المنتصر » :

ورب الكعبة الغـرا
رأت عيناى ذا المشهد

وهذا الضوء بالرؤيا
الراهب : « يدخل حاملا كتبه » ويقـول متمما :

ورف الأمس بالأنجد

وعندى الآن أخبـار
لعبد الله ذى المحتد
سيعطى اليوم مولودا
وربى انه المرشـد

وفى « الانجيل » آيات
شيبان : « بعد تأمل ونظرات الى الراهب» :

وفى « الانجيل» آيات
أانت الراهب الأمجد

الراهب : أجل ، والنور
شيبان : « فى فرح وزهو » :

يا فرحا

الراهب : شعاع من سنا احمد
هو المولود

شيبان : « فى فرح » :

يا بشـرى

الراهب : لهذا الكون

« اللات والعزى ومناه » فى صغار وذلة واعياء : فلنرقد

ويرقدون على الأرض فى اعياء ، وجعد والرجلان فى ذهول من هول المنظر ..
بينما الضوء يملأ المسرح ..

شيبان : « فى نشوة البشر والانتصار » متجها الى الراهب :

تعال نزف للدنيا
وللقرشى ما نشـهد

« ويخرجان »
وينزل الستار رويدا رويدا ..

بـاب الإفتاء

أنت تسأل؟ .. والمفتى يجيب!

فضيلة الشيخ حسن مأمون

(١) من السيد البهى الحلوانى

يقول السائل فى سؤاله : ان رجلا من الأثرياء فى سن الشيخوخة له ولدان أحدهما كون لنفسه ثروة كبيره فى عمل شريف من كديده كالتجارة مثلا ، والولد الثانى طفل رضيع لا حول له ولا قوة ، وان رجلا ثانيا حالته كالأول له ولدان تعلم أحدهما من مال أبيه حتى نال شهادة عليا وتوظف والولد الثانى يعمل فى حقل أبيه كالعامل الأجير، وان رجلا ثالثا له ولدان أحدهما سليم الجسم قادر على الكسب والعمل والولد الثانى مصاب بالعاهات والأمراض التى عاقته عن العمل والكسب، وان رجلا رابعا له ابنتان احداهما تربت من مال أبيها حتى تزوجت والبنت الثانية طفلة تحتاج الى الرعاية والتربية ويقول فى سؤاله بعد استعراضه هذه الحالات: هل عدل الله سبحانه وتعالى الذى ورد فى آيات المواريث وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقضى بالمساواة بين الأولاد فى الصورة الأولى والأولاد فى الصور التالية فى تركات آبائهم أم يجب على الآباء تخصيص جزء من ثرواتهم لأبنائهم الفقراء حتى يستطيعوا العيش فى جوار اخوتهم الأثرياء بدون حقد أو ضغينة.

الجواب - أن أنصباء الورثة فى تركات مورثهم مبينة فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله بيانا واضحا فلا يجوز للمورث مخالفتها واذا أوصى بمخالفتها أى بتوريث بعض الورثة دون البعض كانت وصيته غير صحيحة • وقد عالج قانون الوصية رقم - ٧١ - لسنة ١٩٤٦ م الحالات التى يظهر فيها ان حالة المورث تدعو الى نفع بعض أولاده الضعفاء الفقراء فأباحت المادة - ٣٧ - من هذا القانون الوصية للوارث بما لا يزيد عن الثلث وبنفاذها من غير توقف على اجازة الورثة وبينت المذكرة التفسيرية لهذا القانون أن جمهور الفقهاء على صحة الوصية للوارث وعلى توقف نفاذها على اجازة باقى الورثة وان نفاذها بدون توقف على اجازة الورثة يؤخذ من الآية الكريمة « **كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين** » وهو رأى فريق من المفسرين منهم أبو مسلم الأصفهانى كما قال به فريق من الفقهاء من غير المذاهب الاربعة واختير القول بجواز الوصية للوارث لحاجة الناس اليها والصور التى بينها السائل تظهر فيها الحاجة الى أن يوصى المورث لأولاده الصغار الضعفاء أو الفقراء منهم بجزء من ماله فى حدود الثلث قبل وفاته يكون بهذه الوصية ظالما أو معتديا فقد أخذ بعض أولاده جزءا من ماله فى سبيل اعدادهم وتربيتهم فمن العدل أن يأخذ باقى أولاده الذين لم يتعلموا نصيبا من ماله كباقى أولاده وبذلك يكون للأولاد الضعفاء حقهم الشرعى فى الميراث بدون زيادة أو نقص مضافا اليه ما أوصى لهم به والدهم قبل وفاته فى حدود الثلث ولا يكون ذلك تفضيلا لبعض الأولاد على البعض بدون حق لأنه يحقق فى الواقع التسوية بين الأولاد وهو ما أمر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى قوله « **سووا بين أولادكم فى العطية والله أعلم** » •

***

(٢) من السيد فؤاد خليل أبو العينين من الاسكندرية :

يقول فى سؤاله : انه طالب جامعى فى كلية الزراعة وانه أصيب بمرض صدرى وهو صغير عولج منه على أنه اصابة ببرد ولما تقدمت به السن عرض نفسه على أشهر الأطباء الأخصائيين بالاسكندرية وعرف منهم أنه مصاب بضيق تنفس (ربو) وان أزمات ضيق الصدر توالت عليه ولم يجد العلاج نفعا وانه عثر فى النهاية فى الصيدليات على برشام لتهدئة الأزمة وبدا

فى تناوله كلما احس بضيق فى التنفس وصدم حينما شعر بعد تناوله هذا الدواء بألم يعقب التبول مباشرة ويصاحبه نزول سائل لزج اعتقد فى قرارة نفسه أنه سائل منوى وهو يعرض هذه المشكلة مع العلم بأنه يقيم فرض الصلاة وكانت هذه الحالة سببا لعدم استطاعته الطهارة وخاصة فى الجو البارد .

الجواب ـ ان الحالة التى وصفها السائل تدل على أن ما ينزل منه عقب التبول ليس سائلا منويا وانما هو مذى وقد عرفه الفقهاء بأنه ماء رقيق أبيض لزج يخرج بلا شهوة ولا تدفق ولا يعقبه فتور وربما لا يحس بخروجه وقد بين ذلك الامام النووى وورد مثله فى الفتح وبناء على أنه سائل غير منوى يكون نزوله عقب التبول موجبا لنقض الوضوء فقط ولا يوجب الغسل فقد صح عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ انه قال كنت رجلا مذاءا فاستحييت ان اسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمرت المقداد ابن الاسود فسأله فقال فيه الوضوء أخرج هذا الشيخان ولمسلم يغسل ويتوضأ ، وبناء على ذلك يسع السائل فى أيام البرد أن يتوضأ بقليل من الماء الساخن دون أن يتعارض ذلك مع المرض الذى وصفه واذا تعذر عليه حصوله على الماء الساخن وتعرض للضرر بسبب ذلك فانه يرخص له فى هذه الحالة بالتيمم وهو ما نصت عليه الآية الكريمة فى سورة المائدة « **يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** » وبما تقدم يتضح أن الأصل فى الطهارة من الحدث الأصغر الوضوء بالماء والطهارة من الحدث الأكبر الغسل بالماء وأنه فى حالة عدم وجود الماء فى الحالين أو فى حالة المرض يرخص للمسلم أن يتطهر بالتيمم والمرض المبيح للتيمم هو المرض الذى يخشى من استعمال الماء تلف عضو أو زيادة المرض والتيمم عبارة عن ضربتين بالكفين على أرض أو حائط يمسح بعد الضربة الأولى وجهه ويمسح بعد الضربة الثانية يديه الى المرفقين وأشير على السائل بأن يستعين برأى طبيب حاذق أمين فيما اذا كان يضره الماء البارد اذا استعمله فى الوضوء أو الغسل أو لا يضره فان علم منه أنه يضره أو يزيد مرضه رخص له بالتيمم كما أنصحه بأن لا يستعمل البرشام الذى يشتريه من الصيدليات الا بعد عرضه على طبيب اخصائى واخذ رأيه فيه فقد يسبب له هذا الدواء أمراضا أو يضاعف مرضه والله أعلم .

***

(٣) من السيد/ع.ع.ت :

يقول السائل ما رأيكم فى شاب يريد الصلاة ويخرج منه مادة غير ارادية لا يتحكم فيها .

الجواب ـ ان حالته تنطبق على حالة السائل فؤاد خليل أبو العينين فقد بينا بالاجابة عن سؤاله أن ما يخرج منه يسمى عند الفقهاء المذى وهو ناقض للوضوء غير موجب للغسل وعلى السائل اذن أن يتوضأ لكل صلاة عند كل ناقض للوضوء والله أعلم .

***

(٤) من السيد/ع.ع.ت

يقول السائل انه يوجد طفل عنده خمس سنوات مريض بالصرع وقد استشار بعض الأطباء فى شأنه ويريد حلا لمشكلته بغير طريق الطب ..

الجواب ـ اننى أشير على السائل بأن يعرض مريضه على أحد الأطباء الاخصائيين بالأمراض العصبية فقد يجد عندهم حلا لمشكلته ولا أشير بالالتجاء الى استخدام الرقى والتعاويذ والتمائم فى مثل هذه الحالات وعلى والد الطفل بعد استشارته للأطباء الاخصائيين أن يدعو الله لطفله بالشفاء وان يكثر من الصدقة والبر بالفقراء لعل الله يشفى مريضه والله أعلم ..

(٥) من السيد/المرسى المرسى من تلبسانه مركز المنصورة :

يقول السائل نحن ثلاثة اخوة يجمعنا منزل واحد ومعيشة واحدة جرت بيننا وبين آخرين بسبب سعينا على المعاش مشاجرة وفى حالة الصلح بيننا وبين الخصوم أخذنا تعويضا مقداره سبعون جنيها فهل يقسم هذا المبلغ على الاخوة الثلاثة مع العلم بأن احد الاخوة أصيب بعاهة مستديمة أثناء المشاجرة .

الجواب ـ اذا صح ما جاء فى السؤال من أن أحد الاخوة الثلاثة أصيب أثناء المشاجرة بعاهة مستديمة فانه يكون أحق من غيره بهذا التعويض ولا يقسم بينه وبين أخويه الآخرين اللذين لم يصابا بشىء اللهم الا أن يرضى المصاب بمشاركة أخويه فى مبلغ التعويض ولعله يفعل ذلك لأن أخويه ناصراه فى المشاجرة ودافعا عنه وربما كان لمناصرتهما أثر لتخفيف اصابته والله أعلم ..

***

(٦) من السيد/ا٠ع٠ك ـ من البيضة البلد بحيرة :

يقول السائل فى سؤاله مانصه: حينما يكون الانسان منفردا بنفسه قد تبدر منه أفعال سيئة يندم عليها وهيهات أن يجديه الندم مع العلم بأن هذه الأفعال تضر بالانسان صحيا واجتماعيا وهو يعلم ذلك ويعتقده تمام الاعتقاد ولكنه لا يرجع عن هذه الأفعال القبيحة أرجو ايجاد حل لهذه المشكلة ..

الجواب ـ ان السائل معترف بأنه يقدم على أمر قبيح ضار به صحيا واجتماعيا ولا يرجع عنه ويعود ذلك الى أنه ضعيف الارادة ويخضع لما تسوله نفسه من فعل قبيح مع اعتقاده بسوء ما يفعل والحل بيد السائل نفسه وذلك بأن يقوى ارادته حتى يتغلب على ضعفها وأن لا ينفرد بنفسه وفى حالة انفراده يشغل نفسه بعمل ذهنى أو رياضى يشغل كل تفكيره وينسيه العادة القبيحة التى تعود عليها وأن يفعل ذلك بنية خالصة متجها الى الله تعالى أن يعينه على ضعف ارادته وعلى التخلص من هذه العادة الذميمة والله أعلم .

***

(٧) من السيد/أحمد محمد سيد المهندس بشبرا مصر :

يشكو السائل من حالته وحالة كثير من الشبان الذين أضربوا عن الزواج ويقول فى سؤاله : كيف يتزوج هو وغيره من بنات هذا الجيل المتحررات من كل قيد واللائى يعتبرن مخالفة ما هن عليه رجعية مذمومة حتى أصبح الاسلام رمزا فقط بالنسبة اليهن ثم يقول انه من الشبان المتدينين وانه يرغب فى اتمام زواجه ولا يدرى كيف يجرؤ على ذلك وهو يرى بنات عصره متبرجات خليعات ويسأل هل يتزوج منهن وهن على هذه الحال ؟ :

الجواب ـ يظهر ان السائل متشائم مما يشاهده من تبرج بعض فتياتنا لدرجة اليأس من أن يجد بغيته فى الزواج من الريفيات أو سكان المدن وتشاؤمه يفسد عليه تفكيره ويبعده عن رؤية الحقيقة التى يعلمها كثير من الناس وهى أن البلوى ليست عامة بالصورة التى تتراءى له ولأمثاله من الشبان المتشائمين ولا يزال فى الواقع كثير من العائلات الاسلامية تحترم التعاليم الاسلامية ولا تسمح لبناتها بالخلاعة والتبرج المذموم المنهى عنه وأعتقد أنه لو بحث عن مصاهرة احدى هذه العائلات سيظفر بزوجة صالحة تسعده ويسعد بها فقد تزوجنا منذ سنوات طويلة وتزوج أولادنا منذ سنوات قريبة وكان التوفيق حليف هذه الزيجات وعليه أن يذكر أن الزواج خير من العزوبة وعاصم من الوقوع فى الاثم وان كثيرا من الزوجات تحترم رغبات أزواجهن بعد الزواج فان كان يحب الصون والعفاف ولا يرضى عن التبرج عملن على ارضاء أزواجهن وليذكر أيضا ان كثيرا من بناتنا قد اقتحمن ميادين العمل فى كثير من المصانع والمعامل وغيرها ، وأن العمل الشريف والاشتغال به يصرفهن فى أغلب الأحيان عن النظرة السطحية للحياة فلا يجدن فراغا يقتلنه فى الزينة والتبرج نسأل للسائل التوفيق والله أعلم .

شركة مصر
لتجارة السيّارات

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت ... القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس فاجن	مصانع أوفاش بيبي
مصانع سيارات مرسيدس	مصانع موتورات كمنز
مصانع سيارات فولفو	مصانع موجارت بالمجر
مصانع س. أ. ف دلوكاس	مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا
مصانع جرارات دافيد براون	

محطات الخدمة :

• ورشة مرسيدس

١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ - ٢١ - ٧٣٠

بالقاهرة

• محطة خدمة سيارات نصر

بالقاهرة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٤٩٧١٠

• ورش فولكس فاجن

٥ شارع النيل بإمبابة ت ٨٠٠٦٨٢ - ٨٠٩٨٤٩

٤ شارع الادريسي بمنشية البكري بمصر الجديدة

تليفون ٦٠٤٠٦

٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية

تليفون ٢٥٨٩٦

MERCEDES-BENZ

ندوة الشهر

دراسة مشكلة الأحداث

الأستاذ عبد الرحمن الشربيني

احدات اليوم هم رجال الغد ..

ومن اجل ذلك كان التعاون بالغا مداه بين الحكومة والقطاع الأهلى فى حل مشكلة الاحداث المشردين

وفى هذه الندوة بحث دقيق للمشكلة ، ودراسة واقعية لحلها ..

تحدث فى هذه الندوة ..

١ - الأستاذ حسين زهدى ، رئيس نيابة الأحداث ، عن الجانب التشريعى للمشكلة .

٢ - الاستاذ الشيخ احمد الشرباصى عن الاسلام ورعاية الأحداث

٣ - اللواء الدكتور نيازى حتاتة مدير حمايه الآداب ، عن اجراءات شرطه الأحداث حيال المشكلة

وقد قدم للندوة الدكتور عبد المنعم الشافعى وكيل وزارة الشئون الاجتماعية السابق فقال :

- نحن فى حاجو لتعبئة الجهود لدراسة مشكلة الأحداث من جميع نواحيها ، وأسلم الطرق لعلاجها .. والصعوبات التى تعترض طرائق هذا العلاج ..

ان الجمعيات الأعضاء فى الاتحاد العام لرعاية الأحداث وتهتم بمكافحة هذه المشكلة تقابل صعوبات يهمنا ان نطرح الاراء لمعرفة ما تلقاه هذه الجمعيات من صعوبات فى هذا المجال ..

والمشكلة فى نظر الهيئات الفنية انما تبدأ فى الأسرة فى عدم عنايتها واهتمامها بالعطف ورعاية الأطفال .

وان المحروم من الرعاية والعطف يجد سبيله الى المروق ، والوقوع فى أيدى محترفين لارتكاب الأعمال الاجرامية ، أو عاملين بالمهن الحقيرة . فاذا لم يجد من يرعاه انحرف وأصبح خطيرا على المجتمع .

ومن حيث حجم المشكلة يبلغ عدد الأحداث ١٢ ألفا قادرين على احداث جرائم متكررة بالمجتمع .

ويبلغ عدد القضايا فى سنة ١٩٦٣ : ٢٦ الف قضية ، ولئن دل هذا العدد على شىء فعلى يقظة ونشاط الجهات التى تتعقب الأحداث وتقوم بالقبض عليهم .

وهناك رأى جديد ينادى بأن مشكلة الأحداث ربما يصعب التغلب عليها ، لأن عددا كبيرا ينزح من الريف الى المدن .. وكلما استأصلت الشرطة بعض الأحداث فى المدن حل محلهم النازحون من الريف فتتجدد المشكلة ..

أما من حيث مجهودات الحكومة والجمعيات فى سبيل القضاء على المشكلة ، فان فى خطة الاتحاد ما يساهم كثيرا فى حل المشكلة .

لقد أدرجت الاعتمادات الضخمة لانشاء المؤسسات خلال الخمس سنوات المقبلة .

ويقدم الشيخ أحمد الشرباصى رأى الاسلام فى المشكلة يقول :

- الاسلام يحث على رعاية الأحداث وحسن معاملة الأطفال والرحمة بالناشئة .. ومما يدل على ذلك أن الحسن بن على دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير فقبله الرسول ، وكان عند الرسول رجل اسمه الأقرع بن حابس فقال : ان لى عشرة من الأولاد ماقبلت منهم أحدا ، فقال الرسول : من لا يرحم لا يرحمه الله . وقدم بعض الأعراب على النبى فقالوا للرسول : أتقبلون صبيانكم؟ قال النبى : نعم .. فقالوا : لكنا والله ما نقبلهم . فقال الرسول : وما أملك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة !

ومن رعاية الاسلام للأحداث والناشئة أنه يوجه آباءهم وأولياء أمورهم الى العناية بهم فى كل شىء سواء أكان ذلك متعلقا بالمظهر أو المخبر ، حتى أن الاسلام يأمر الانسان بأن يحسن اختيار اسم ولده **فقد قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، قد علمنا حق الوالد ، فما هو حق الولد ؟ فأجابه قائلا : يحسن والده اسمه ، ويحسن أدبه .**

ولقد جاء رجل الى الرسول وقال له : يا رسول الله ، ولد لى مولود فما خير الأسماء ؟ فقال : « خير أسمائكم الحارث وهمام ، ونعم الأسماء عبد الله وعبد الرحمن وتسموا بأسماء الأنبياء » .

وفى حديث نبوى آخر : « من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه ، فاذا بلغ فليزوجه ، فان بلغ ولم يزوجه فأصاب اثما فاثمه على أبيه » وهذا معناه أن الكبير يتحمل تبعة الزلل الذى يقع من الحدث الصغير مادام لم يعطه من العناية والرعاية ماهو له أهل وبه جدير .

والامام العظيم ابن القيم يقول فى كتابه « تحفة الورود بأحكام المولود » هذه العبارة : « من أهمل تعليم ولده ماينفعه ، وتركه سدى فقد أساء اليه غاية الاساءة ، وأكثر الاولاد انما جاء فسادهم من قبل الآباء واهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوها صغارا ، فلم ينفعوا أنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا » .

ومن الشواهد الواضحه على عناية الاسلام برعاية الأحداث أننا نجد الأئمة الأعلام من رجاله وفقهائه يعنون بالحديث عن تفاصيل العناية بالأطفال والأحداث وهذا هو الامام ابن قيم الجوزية يهتم بحديث طويل عن واجبات الوالد نحو ابنه الحدث فى عبارة نقتطف منها :

« وينبغى لى ولى الأمر ان يتأمل حال الصبى وما هو مستعد له من لأعمال ومهيأ له منها ، فيعلم أنه مخلوق له ، فلا يحمله على غيره مما كان مأذونا فيه شرعا ، فانه ان حمله على غير ماهو مستعد له فلم يفلح فيه ، فانه ان حمله على غير ماهو مستعد له لم يفلح فيه ، فانه ماهو مهيأ له ، فاذا رآه حسن الفهم صحيح الادراك جيد الحفظ واعيا ، فهذا من علامة قبوله وتهيؤه للعلم ، فلينقشه فى لوح قلبه مادام خاليا ، فانه يتمكن فيه ، ويستقر ويزكو معه ، وان رآه بخلاف ذلك من كل وجه ، وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب واللعب بالرمح ، وانه لا فهم له فى العلم ، مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها ، فانه أنفع له وللمسلمين

وان رآه بخلاف ذلك ، وانه لم يخلق لذلك ، ، ورأى عينه مفتوحة الى صنعة من الصنائع مستعدا لها ، مقبلا عليها ، وهى صناعة مباحة نافعة للناس ، فليمكنه منها .. هذا كله بعد تعليمه مايحتاج اليه فى دينه » .

ولقد عنى الاسلام برعاية اليتامى ومن فى حكمهم من الأحداث الذين لا يجدون راعيا ولا معينا ، فقال القرآن الكريم محرضا على حسن معاملة الأحداث .

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

وحث الرسول على رعاية اليتيم حتى يكبر فقال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » ، وأشار باصبعيه السبابة والوسطى .

وهكذا نرى أن الاسلام حث على رعاية الأحداث والعناية بالناشئة ، حتى تكون ذرية صالحة بعضها من بعض .

***

ويتحدث عن الجانب التشريعى للمشكلة الأستاذ حسين زهدى فيقول :

ـ مشكلة الأحداث تتناول جوانب متعددة

وبالنسبة للناحية التشريعية فقدكانت مصر من أسبق الدول بالنسبة لتشريعات الأحداث .

لقد كان القانون رقم ٢ لسنة ١٩٠٨ الذى وضع فى مصر من أول القوانين مع بدء الثورة الفكرية فى العالم عن الأحداث ، ولو أنه كان يهدف الى أعقاب الحدث بقدر مااقترف من اجرام .

وتطور الأمر فكان قانون سنة ١٩٤٩ الذى حوى أنظمة تقدمية .. نظر الى الحدث لا كمجرم ، ولكن كانسان فى حاجة الى الرعاية والمجتمع مسئول عن رعايته .. واتخذ هذا القانون اجراءات وقائية واستبعد فكرة العقاب للحدث .

ثم جاء قانون الاجراءات الجنائية بعد ذلك ، ونظم الأحداث .. بجعل فى عاصمة كل محافظة محكمة لهم .. وجعل صفة خاصة للحدث .. وأوجب بحث حالته قبل الفصل فى الدعوى . ونظر للحدث كمتهم ، وكمجنى عليه .. فخول القاضى أن يضعه فى مكان أمين لأن الحدث قد يكون مجنيا عليه نتيجة لظروف محيطة به .

وقد أعفى المشرع جرائم الأحداث حتى سن ١٢ سنة من أى اجراء عقابى حتى لو كانت الجرائم كبيرة .

ومن سن ١٢ ـ ١٥ ترك أمر عقاب الحدث للقاضى ، فاما أن يتخذ معه تدبيرا تقويميا أو عقابيا بحيث لايزيد على ثلث الحد الأقصى للعقوبة .

وقد نص القانون على ألا تزيد مدة الايداع بالسجن الاحتياطى على ٢٤ ساعة .

وفى ظل هذا القانون يسلم حوالى ٧٥ ٪ من الحالات التى تقدم للمحكمة الى ذويها ويتولى مكتب الخدمة الاجتماعية مباشرتها حتى يطمئن على أنه اصبح حدثا سويا .

ويقول اللواء نيازى حتاته مدير شرطة الأحداث :

الأحداث نوعان .. مجرمون ومشردون ..

والشرطه تتولى ضبط هذين النوعين .. وهى الشرطة العادية ..

وفى الحالات التى يعتبر فيها الأحداث جانحين تفرد لهم شرطة خاصة لحمايتهم .

ومكاتب حماية الأحداث فى المحافظات هى التى تتولى ضبط المشردين من الأحداث

وهناك شرطة تقوم بالعملين معا وهى شرطة حماية الأحداث ، وتلك تعد اعدادا كاملا على المستوى الذى يرجى لها فى تعقب الأحداث ، وهذه الشرطة تتكون من ضباط وباحثات ورجال شرطة .. وكلهم يعدون اعدادا خاصا .. ويتلقون ثقافة نظرية طبقا لبرنامج مرسوم .. وقد تخرجت الدفعة الأولى فى العام الماضى وسيناط بها كل العمليات المتصلة بالأحداث من ضبط الجرائم ، وضبط حالات التشرد ، ومكافحة العصابات التى تحرضهم على الجريمة

وقد طالبت وزارة الداخلية بمعاقبة المجرمين حتى ولو لم تقع الجريمة .. وستتولى الشرطة العنايه بالضالين من الأحداث ، وستقدم المعونة الممكنة لهم بعد خروجهم من المؤسسات .

ونأمل أن تستكمل هذه الشرطة كل عناصرها لتكون فى خدمة الأحداث فى القريب العاجل .

باب المرأة المسلمة

السيدة سودة بنت زمعة

إعداد : عائشة حسنى

هذه صفحة من صفحات تاريخنا الذى نعتز به ، ونطرب له ، ولعلها أحفل الصفحات بالعظات واجمعها للعظائم ، وآهلها بنبل الخلق . وسناء الحياة . تلك هى حياة المرأة المسلمة ، حياة العظمة الوادعة الرائعة ، والنفس الأبية النقية .

لقد آمنت خديجة برسالة زوجها ، آمنت به وصدقته واتبعته كامرأة من المسلمات المؤمنات ، الصادقات، الخاشعات، المتصدقات، الصائمات .. .وكانت أقرب الناس الى هذا الرجل الذى آمنت به كرسول من عند الله .

وجاءت عائشة من بعدها فبينت لنا صوره حية فى بيت النبوة كما بينت لنا صورة جميلة وعظيمة للشرف والطهر والعفة ..

السيدة سوده بنت زمعة

هى سوده بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية .

زواجها قبل النبى ومن النبى :

قال ابن عبد البر فى الاستيعاب .. تزوجها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة بعد موت خديجة وقبل العقد على عائشة ، هذا قول قتادة وابى عبيدة وكذلك روى عقيل عن بن شهاب بان النبى تزوج سوده قبل عائشة ، وقال آخرون بأنه تزوجها بعد عائشة. ولا خلاف فى انه لم يتزوجها الا بعد موت السيدة خديجة . وكانت قبل ذلك متزوجة من ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو اخو سهيل بن عمرو من بنى عامر بن لؤى ، ولما توفى عنها جاءت خولة بنت حكيم الى رسول الله فقالت : يارسول الله الا تتزوج ؟ قال : من ؟ قالت : ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال من البكر ؟ قالت بنت احب خلق الله اليك ، عائشة بنت أبى بكر .. قال : ومن الثيب ؟ قالت : سوده بنت زمعه آمنت بك واتبعتك .. قال : فاذهبى فاذكريها على .. فانكن معشر النساء أرفق بذلك .

فخطب سودة بنت زمعة وعائشة فتزوجها، فبنى بسوده بمكة وعائشة يومئذ بنت ست سنين حتى بنى بها بعد ذلك حين قدم المدينة. وأصدقها الرسول أربعمائة درهم ، كما قال بن هشام

كانت سوده تعلم أن فى هذا الزواج مواساة لها وتكريما لصبرها وجهادها فدخلت بيته لرعاية صغيرته الزهراء وشقيقاتها زينب ورقية وام كلثوم •

وبذلك انصرف الرسول الى دعوته وهو مطمئن لتدبير سودة ورصانتها وايمانها به رسولا وزوجا ، كرمها بعطفه ورحمته وجعلها بهذا التكريم أم المؤمنين •

سودة تهاجر مع زوجها الى الحبشة :

وتروي كتب السيرة أن السكران بن عمرو هاجر مع امرأته سودة بنت زمعة ومع أخيه سليط بن عمرو الى الحبشة، وذلك حين اشتد اضطهاد المسلمين ، فلما رأى رسول اللهصلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافيةلمكانه عند اللهومن عمه ابى طالب ، وانه لايقدر على ان يمنعهم مماهم فيه من البلاء قال لهم ، « لو خرجتم الىارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد وهى ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجامماانتم فيه » فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفرارا الىارض الله بدينهم ، فكانت أول هجرة فى الاسلام •

ومن هذا يتبين أن السيدة سوده ـ رضى الله عنها ـ كانت من السابقات الى الاسلام المهاجرات فى سبيل الله •

مات المهاجر ، وترك أرملته من بعده قد اسلمتها محنة الترمل الى الألم وذكر رسول الله أولئك النفر الثمانية من بنى عامر يخرجون من ديارهم وأموالهم لينجوا بدينهم من مطاردة مجنونة آثمة ترجمهم بالحجارة وتطمسهم بالتراب • ومنهؤلاء النفر الثمانيه كان مالك بن زمعة بن قيس زوجها وبنعمها واخواه سليط واحطب ولدا عمرو بن عبد شمس وابن اخيه عبد الله • وصحب ثلاثة منهم زوجاتهم وهن سودة بنت زمعة وام كلثوم بنت سهيل بن عبد شمس ، وعمره بنت الوقدان بن عبد شمس •

وهكذا خرجت الأسرة برجالها ونسائها ، من وطنها بايمان وعزم ، راضية بالموت فى سبيل الله ،وبذلك مثلت سودةالرسولوهى تودع أرضا عزيزة لتذهب الى مهجر مجهول ، وناس لا هى منهم ولا هم منها لسانهم غير عربى ، ودينهم غير الاسلام •

ولما توفى زوجها تأثر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمهاجرة المؤمنة التى فقدت زوجها • وبعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية ، أراد أن يكفلها ، لأن قومها حينئذ لايدينون بالاسلام الذى هو دين السلام ،فلو رجعت اليهم بعد وفاة زوجها لأكرهوها على الشرك أو عذبوها عذابا شديدا حتى تكفر بمحمد •

أصبحت سوده زوجة لرسول الله وقاسمت نفسها بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم بخديمة الزوجة الأولى وعائشة العروس الصبية المنتظرة، فاحست بان بينها وبين قلب محمد حاجزا ، وكل ما كان يسرى عنها ويجعلها تزداد فخرا أن جعل منها الرسول بعد أن كانت أرملة السكران ـ أما للمؤمنين •

شخصيتها :

السيدة سوده امراة طيبة القلب •• فيها براءة •• وكانت تتصرف على سجيتها •• وقد روى بن حجر فى الاصابه•• أنها كانت تضحك النبى بالشىء أحيانا •• قالت سوده لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « صليت خلفك الليلة فركعت بى حتى أمسكت بأنفى مخافة ان يقطر الدم » • فضحك صلوات الله عليه لقولها •

وقد أثنت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ على أختها السيدة سوده فقالت : « ما من الناس أحد احب الى ان اكون فى مسلاخة من سوده ، ان بها الا حدة فيها ، كانت تسرع منها العنة » •

وتقصد عائشة بقولها كانت تسرع منها العنة ، أى تتقدم فى السن ولا تصلح أن تكون زوجة •

كانت سودة تحب الصدقة فبعث عمر بن الخطاب اليها بغرارة من دراهم فقالت : ماهذا؟ قالوا دراهم فقالت فى الغرارة مثل التمر ياجارية بلغينى القنع فعزفتها .

ولم تنس سودة أحدا من قومها ولما نفرت منهم لتأبيهم على الرسالة بل انها رقت لأسراهم يوم بدر وحزنت على قتلاهم وحينما رات أبا يزيد سهيل بن عمر اخا زوجها السكران مضموم اليدين الى رقبته بحبل لم تملك نفسها وصاحت :

ـ اين أبا يزيد ؟ أسلمتم أنفسكم وأعطيتم بأيديكم ، الا متم كراما ؟ ولم تكن سودة تعلم بأن محمدا يسمعها فقال لها :

ـ يا سودة أعلى ربك ورسوله تحرضين ؟ فاستحيت سودة وقالت

ـ يا رسول الله ، والذى بعثك بالحق ، ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مضمومة يداه الى عنقه ان قلت ما قلت ، فتبسم الرسول ووعدها خيرا وكان الفداء .

وروت عن رسول الله خمسة أحاديث أخرج لها منها فى الصحيحين واحدا . وفى رواية أن البخارى روى لها حديثين وروى عنها عبدالله وابو داود والنسائى وغيرهم .

فى سوده نزلت الآية الكريمة :

« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلاجناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير » .

وفاة سوده :

توفيت سوده بنت زمعه فى آخر عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ويقال ماتت سنة أربع وخمسين ورجحة الواقدى .

حزن المسلمين على وفاة سوده :

عن عكرمة قال : قيل لابن عباس ـ رضى الله عنه ـ بعد صلاة الصبح ، ماتت سوده ـ رضى الله عنها ـ فسجد ، فقيل له فى ذلك ، فقال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (اذا رأيتم آية فاسجدوا) . وأى آية أعظم من ذهاب أزواج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

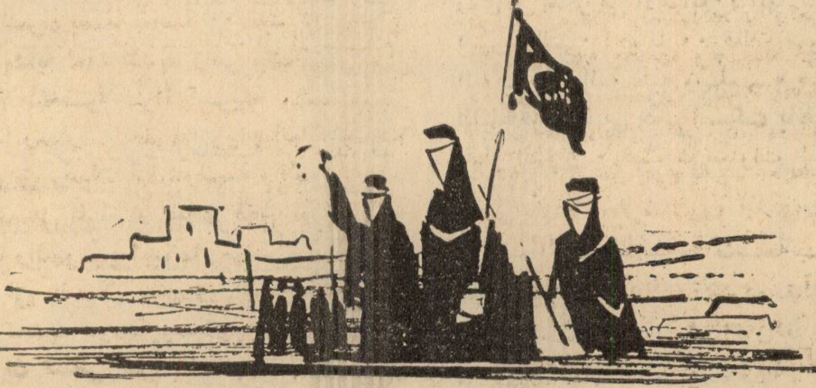

المنظمات النسائية في الجزائر

اعداد : نجاة الزنيري

بمجرد أن انطلقت الثورة الجزائريه فى اول نوفمبر سنة ١٩٥٤ تفجرت القوى الحية فى الشعب الجـزائرى ٠٠ وتدفقت امكانياته الثورية الغزيرة ٠٠ وطاقاته النضالية الهائلة ٠٠ وانصبت كلها فى بوتقة الكفاح المسلح ٠٠ فى المعركة التحررية الكبرى التى قرر الشعب خوضها من أجل الاستقلال الوطنى والتحـرر الكامل من أجل حياة مشرقة ٠٠ مبدعـة خلاقة ٠٠ تستمد مقوماتها وخصائصـها من الروح العربية الأصيلة ٠٠ ومن التجـربة النضالية التقدميه للجماهير الشعبية ٠

ولقد أحست المرأة الجزائرية عند بداية الكفاح المسلح بأن فجر اول نوفمبر ليس مجرد اشراق على النفس المضطهده المعذبة او احيـاء للامال الوطنية فى وجدان الجماهير ٠ ولكنه تجسيد لحقيقة حية تحمل فى طياتها أمـلا باسما للمرأة بصفة خاصة ٠٠ فقد كان اندلاع الثورة بداية لعهد جديد زاهر ومنطلقا واسعا لانبعاث شخصية المرأة العربية ولتحقيـق وجودها وممارسة حقوقها وواجباتها فأضاءت لها الطريق وهيأت لها الوسيلة والأسلوب ٠

وكان على المرأة ان تبادر فقط الى القيـام بدورها والنهوض بواجباتها ومباشرة مسئولياتها كاملة فى النضال الثورى الهادف دون أن تنتظر تحديد دورها ومسئولياتها من الخارج ودون ان تنتظر تلقى الأوامر بالاندفـاع الى المعركة ٠٠ لقد انفتحت أمامها آفـاق جديدة كانت مغلقة قبل الثورة حيث كانت سجينه الظروف الخارجية والرجعية وضحية أوضاع التأخر والجهل التى خلقها الاستعمار وحبيسة تقاليد واهية وقيود ثقيلة ساعد على تثبيتها وجود الاستعمار ٠

وادركت المرأة الجزائريه على الـفـور ان المشاركة الايجابيـة فى الكفاح المسلح هو الوسيلة الفعالة الوحيدة التى تمكنها من اثبات شخصيتها ووجودها ٠ فاندفعت الى معمعـة النضال الشاق المرير تشارك الرجل جنبا الى جنب فى تحرير الوطن وتتحمل نفس الاعباء الجسيمة فى سبيل تحقيق مستقبل يتيـح لشخصيتها ان تتفتح ٠٠ ولمواهبها ان تنطلق ٠٠ فهى مناضلة فى جبهة التحرير وجندية فى جيش التحرير الوطنى ٠٠ تؤدى مهمتـها بشجاعة وجرأة وتركب الأخطار والأهـوال بارادة صلبة وبقلب مؤمن مستبشر ٠٠ وتواجه أساليب التعذيب الرهيبة بصمود ثورى جبار ٠٠ أعاد للبطولة العربية روحها واصالتها ٠٠ فهى فدائية فى المدن تلقى القنابل على المقاهى والأماكن التى يرتادها جنود العدو وتنسف مراكز السلطة واستحكاماتها وتحرر بيانـات الثورة وتقوم بطبعها وتوزيعها على الجماهير وتتولى جمع التموين والمواد الطبية والغذائية والذخيرة والسلاح ثم ايصالها فيما بعـد الى الجبال ٠٠ كما تقوم بدور ضابط الاتصـال بين مختلف خلايا الثورة ٠٠ وهى جندى فى الجبال تحمل البندقية والرشاش وتشـارك فى المعارك وتسعف الجرحى وتعـد الأكل والملبس للجنود ٠٠ وتقـوم بدور ضابطة سياسية ومرشدة اجتماعية فى القرى والبوادى وهى تتحمل مهماتها هذه التى تنطوى عـلى مشاق وصعاب كثيرة فى المدن حيث الرعب اليومى القاتل ٠٠ وأساليب التعذيب الرهيبة وفى الجبال والارياف حيث الأهوال والاخطار ومآسى حرب الابادة الجماعية المنظمة تتحملها وكلها سعادة وأمل ٠٠ لأنها تصنع مصيرها

اطفال الشهداء قبل الاستقلال

بيديها وتخطط طريقها نحو الحياة بارادتهـــا وعزيمتها وكفاحها وتشارك فى تحرير شعبها بطاقاتها وامكانياتها الفعالة •

الاتحاد النسائى الجزائرى :

مع بداية حرب التحرير سنة ١٩٥٤تكونت منظمة نسائية تابعة لجبهة الحرير الـوطنى الجزائرى وكانت نقطة البداية لكفاح المـرأة ومشاركتها فى معركة التحرير •• ولم يكن للمنظمة أى تنظيم منهجى أو علمى بادىء الامر •• لأن المرأة اندفعت تلقائيا معتمدة عـلى احساسها الوطنى ووعيهـا السياسى مساعدة المجاهدين فى الجبال والسجون والمعتـقلات واغاثة أسرهم وأطفالهم فى المدن والقرى •• وقفت جنبـا الى جنب فى زيها العسكرى مع المجاهدين الجزائريين فى ميادين القتال ••ولم

اطفال الشهداء بعد أن ضمتهم جمعية العهد الجديد

يكن غريبا بعد هذا ان نعتقل وتسجن وتلقى أهوال التعذيب الوحشى ٠٠ ولم يكن غريبا ان تسافر لمختلف البلاد تقوم بعمليات الدعاية لمساندة الثورة الجزائرية مما يدل على ان المرأة الجزائرية كانت ولاتزال فى وعى سياسى قوى ٠

وبعد لاستقلال ٠٠ كان لابد للمرأة الجزائرية أن تقوم بدور ثانى وهو بناء الوطن بعد أن قامت بالدور الاول وهو المساهمة فى تحرير البلاد من الاستعمار ٠

ولكى يكون العمل ايجابيا وفعالا فقد كان لابد من منظمة قوية ٠٠ واتخذت المنظمة السابقة اسم الاتحاد النسائى الجزائرى وهو يمثل تنظيما سياسيا نسائيا تتبع خطواته خطوات جهاز جبهة التحرير الجزائرية

ويقوم الاتحاد أيضا بتأدية الخدمات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى تحتاجها المرأة الجزائرية ٠٠ ويضم الاتحاد حوالى ٤٠٠ عضو من المناضلات الجزائريات من كل مدن الجزائر اللاتى ساهمن فى حرب الاستقلال مع الرجل وقد تم تمثيل هؤلاء الاعضاء فى الاتحاد النسائى عن طريق الانتخابات فى ١٦ محافظة التى تتكون منها الجزائر وتوجد ثلاث لجان تتولى تخطيط عمل الاتحاد وهذه اللجان هى :

اللجنة التعليمية ٠ واللجنة التوجيهية ٠ واللجنة القانونية ٠

ومن أهم مهام اللجنة التعليميه محو الأمية بين الصغار والكبار وقد انتشرت فصول محو الأمية فى القرى والمدن وأمتدت الى الصحارى الواسعة حيث يتم تعليم النساء والاطفال هناك ٠ وتتولى هذه اللجنة ايضا تعليم السيدات الخياطة والاعمال المنزلية والارشادات الصحية واللجنة التوجيهية : ودورها هو نشر الوعى السياسى بين النساء فمثلا فى سبتمبر ١٩٦٣ عندما قدم مشروع الدستور الجزائرى للشعب للتصويت ٠٠ كانت المرأة المناضلة تنتقل بين القرى وتدخل البيوت وتجمع النساء الفلاحات والعاملات وتشرح لهن مضمون الدستور وقيمته وأهميته وتبث فيهن الوعى السياسى حتى يتمكن من اعطاء اصواتهن عن وعى وخبرة وحرية كاملة ٠

اما اللجنة القانونية : فتتولى تنظيم قوانين هذا الاتحاد حتى يسير العمل فيه واعيا مدروسا ومن أشهر اعضاء الاتحاد النسائى الجزائرى المجاهدات : جميلة بوحيرد ٠ خديجة خيضر ٠ فاطمة خميستى ٠ زهرة بوظريف ٠٠ وكثيرات غيرهن ٠

جمعية الجيل الجديد :

انشأت بعد الاستقلال ٠ ومهمتها رعاية حوالى ١٨٠ الف طفل فقدوا ذويهم فى حرب الاستقلال الجزائرية فتجمع هؤلاء الاطفال الايتام ابناء الشهداء من المدن والقرى وتعمل على تأهيلهم مهنيا وانشاء مدارس داخلية فى كل حى للأولاد والبنات ٠ وترمى خطة الدراسة فى المدارس الى اعادة بنائهم بدنيا وعقليا ٠ وتتولى رئاسة هذه الجمعية المجاهدة جميلة بوحيرد ٠

المرأة الجزائرية عضو فى البرلمان :

ويضم المجلس الوطنى الجزائر وهو مثل مجلس الأمة هنا خمسة عشرة نائبة تقريبا من ٩٩ نائب ٠٠ وتتكلم المرأة عن صورة بلادها وتشارك فى المناقشات الواعية التى تدور تحت سقف البرلمان من اجل بناء الجزائر الجديدة ٠

وبعد : لقد دعت المرأة الجزائرية مهمتها ٠٠ وعرفت الوسيلة الحقيقية لتحقيق ارادتها بالمشاركة الفعلية فى الكفاح وهو ما يجب ان تدركه المرأة جيدا فى كل مكان وخاصة فى الوطن العربى وفى آسيا وافريقيا للنهوض بمسئولياتها فى المجتمع ومن خلال التجربة النضالية الواعية التى تعيشها الجماهير الشعبية فى الجزائر تتراءى اليوم للمرأة العربية الجزائرية رؤى المستقبل العظيم فى اطار التحرر الاجتماعى والتقدم الانسانى الشامل ٠٠ وقد بدأت ملامح هذا المستقبل تتضح فى المجتمع العادل الذى تخلقه الثورة وتمارسه الجماهير فى قلب المعركة ٠

لقد سجلت الفتيات الجزائريات بنضالهن وصمودهن واراتهن صفحات خالدة فى تاريخ البطولة والتضحية والفداء ٠٠ وسوف تظل قصص نضالهن اشعاعا هائلا يضىء للاجيال القادمة طريق الكرامة والحرية والتحرر

باب التحقيقات

أضواء على المسلمين فى العالم

الإسلام بين زنوج أمريكا ..

- المسلمون الزنوج بحاجة إلى رعاية إسلامية سريعة .
- ١٠٠ ألف زنجى مسلم فى أمريكا .. شعارهم : لا خمر .. لا تدخين .. لا مخدرات .
- المسلمون السود تسمية خاطئة - والواجب تسميتهم بالمسلمين الزنوج

كلاى

- كلاى بطل أبطال العالم ... زنجى مسلم .

إعداد : رياض خليفة

أخى القارىء :

فى شهر يونية ١٩٦٤ استقبلت الجمهورية العربية المتحدة بطل العالم فى الملاكمة محمد على كلاى الشاب الزنجى المسلم الذى اعتز بايمانه وأعلن للعالم أنه مسلم وأن اسلامه تاج عظيم فوق رأسه يفخر به دائما

وقد حضر هذا البطل تلبية للدعوة التى وجهت اليه من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة .

ورأيت من مظاهر التكريم لهذا الشاب المسلم ان اخصص الكلام هذه المرة عن (الاسلام بين زنوج أمريكا) حتى تستبين للقارىء معالم الاسلام وسط تلك الجماهير

ورأيت فى ختام التحقيق - ان اسلط الاضواء على بعض المعتقدات الخاطئة التى تشيع بينهم والتى من أجلها هم فى أمس الحاجة الى ايفاد البعثات من جميع الهيئات المعنية بشئون الاسلام لتبصيرهم بأمور دينهم وتنقية ايمانهم وبراءته من الزيف حتى تستقيم عقيدتهم ويتضح للعالم صدق اسلامهم وطهارته وسأتعرض للاسلام فى فى أمريكا بصفة عامة وعن الزنوج بصفة خاصة .

نبذة تاريخية
عن هجرة المسلمين الى أمريكا

بدأت هجرة المسلمين الى الدنيا الجديدة منذ زمن بعيد . وقد ذكر بعض المؤرخين ان هجرة المسلمين والعرب منهم - بصفة خاصة - بدأت الى أمريكا قبل رحلة كريستوف كولومبس . وأن عددا كبيرا منهم قد استقر فى القارة الجديدة قبل رحلة كولومبس اليها . بيد ان هجرة المسلمين الى الولايات المتحدة الامريكية فى العصر الحديث بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر

وقد كان الحافز الاساسى للمسلمين الاول الذين هاجروا الى أمريكا : هو السعى فى طلب الرزق

ولم يكن هذا سوى استجابة لقوله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة» وقوله « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه »

وعلى هذا الأساس بدأ عدد من المسلمين ينزحون الى الولايات المتحدة من كل من لبنان وسوريا وفلسطين ثم اخذ هذا العدد يزداد شيئا فشيئا .. خصوصا فى أوائل هذا القرن أى منذ عام ١٩٠٠ حتى يومنا هذا ولم تكن هجرة المسلمين الى امريكا قاصرة على مسلمى لبنان وسوريا وفلسطين . بل ان عددا كبيرا بدأ ينزح اليها من كثير من الدول الاسيوية الاخرى بل من دول أوربا وافريقيا ايضا

ففى السنوات الاولى من هذا القرن نزح اليها عدد كبير من مسلمى الهند وذلك قبل قيام دولة باكستان وكذا من جزر الهند الشرقية قبل قيام دولة اندونيسيا وكذا بعض مسلمى الصين والملايو . كما توجد بمدينة نيويورك الان جالية اسلامية كبيرة نزحت اليها من اليمن وعدن .

هجرة مسلمى اوروبا

واما من اوربا فقد وفد الى امريكا كثير من مسلمى روسيا عقب اضطهادهم بعد قيام النظام الشيوعى كما ان عددا كبيرا من المسلمين هاجر الى امريكا من يوغسلافيا وألبانيا حيث توجد جالية يوغسلافية كبيرة يتولى زعامتها الروحية هناك الاستاذ كامل يوسف عودتش وهو يوغسلافى درس فى الجامعة الازهرية

كما توجد جالية البانية منظمة فى ديترويت ولها امام البانى درس فى الازهر كذلك وهو الاستاذ اسماعيل وهبى وهو من خيرة أئمة المسلمين فى الولايات المتحدة واكثرهم تعاونا مع الهيئات الاخرى وتفانيا فى خدمة الاسلام والمسلمين هناك

مبدأ هجرة العائلات العربية الى أمريكا

وقد كانت عائلات عجرم وخليل وشرنيق هى أولى العائلات الاسلامية التى نزحت من لبنان وسوريا الى الولايات المتحدة وكان ذلك عام ١٨٩٥ قد استوطنت هذه العائلات مدينة سيدار رابيدز بولاية ايوا على بعد ٨٠ ميلا من نهر المسيسبى وقد اخذت هذه العائلات تنمو شيئا فشيئا حتى بنت لها مسجدا فى تلك المدينة عام ١٩٣٣ ومعظمهم يشتغل بتجارة الخضر بصفة عامة

وقد ظهر من بين اسرة عجرم شاب ممتاز فى حيويته ونشاطه الاسلامى هو السيد/عبد الله عجرم وقد انتخب أول رئيس لاتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا وأدى الكثير من الخدمات لتنظيم الاتصال بين المسلمين فى امريكا

ولقد نزحت الى امريكا بعد ذلك عائلة علوان ، فقد وصل مؤسسها الى امريكا عام ١٩٠٢ وهو لبنانى الأصل وكان لا يعرف من الانجليزية الا القليلا .. الا انه تمكن من شق طريقه وكسب رزقه بكل سهولة وقد برز من هذه الاسرة السيد/قاسم علوان الذى انتخب فى يوليو ١٩٥٧ رئيسا لاتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة . وقد ظل يدعو للاسلام بنشاط كبير ويخطب فى الحفلات العامة والخاصة داعيا للاسلام مفصلا اسسه شارحا أركانه ودعائمه

ولقد نزح الى امريكا من فلسطين فى أوائل هذا القرن الأستاذ على محيى الدين وهو من المسلمين المتازين الذين أدوا اجل الخدمات للجالية الاسلامية فى نيويورك وضواحيها وقد ساهم بمبالغ ضخمة لشتى الأغراض الاسلامية ، ومن ابرزها : المساهمة فى اعداد مكان يكون بمثابة مسجد للمسلمين فى نيويورك .

ولعل من ابرز المسلمين المعاصرين للسيد على محيى الدين هو الأستاذ يوسف أبو الهوى الذى أصبح الآن من كبار المقاولين فى العاصمة الامريكية وقد ساهم مساهمة فعالة فى بناء المركز الثقافى بواشنطن . ويقدر ما دفعه فى بناء ذلك المركز بربع مليون دولار

هجرة مسلمين من انحاء العالم الاسلامى الى أمريكا

وليست الهجرة الى أمريكا قاصرة على العرب . بل انها تشمل كثيرا من مسلمى الاقطار الاخرى . فكما ان الاسر العربية التى أشرت اليها كانت هى الاسر الاولى التى هاجرت الى امريكا وأخذت تجذب اليها أسرا أخرى من الوطن العربى حتى انتشر المسلمون العرب فى كثير من الولايات المتحدة نرى أسرا اخرى هاجرت من كثير من بلاد العالم الاسلامى وأخذت تنمو فيما بينها وتجذب أسرا اخرى من وطنها الأصلى الى امريكا

الحاج محمد زعيم المسلمين الزنوج يلقى خطابا
فى واشنطون وبجواره السيد / جون على السكرتير العام للمسلمين هناك

وهكذا نرى الهجرة من العالم الاسلامى الى امريكا قد بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر . وبدأت تتزايد وظلت الاسر التى هاجرت تتناسل ويزداد عدد افرادها وتزدهر امورهم حتى شقوا طريقهم فى وطنهم الجديد . وبدأت بعد ذلك تفد جاليات كثيرة من مختلف دول العالم الاسلامى

تلك هى نظرة سريعة للاسلام وكيف دخل أمريكا وكيف تمت الهجرة الى داخل الولايات المتحدة وأشهر الاسر العربية والاسلامية التى ساهمت كل منها فى وضع أسس الفكرة الاسلامية لدى نفوس الكثيرين من ابناء الولايات المتحدة

وسوف نتكلم عن الاسلام بين زنوج امريكا

زنوج امريكا .. والاسلام

وقد بدأت حركة المسلمين الزنوج فى امريكا فى مدينة ديترويت عام ١٩٣٠ وهى سنوات الازمة المالية عند ما واجه الكساد امريكا فى كافة مرافقها

بدأها رجل عربى اسمه « فارد » كان يعمل بائعا متجولا . وكان الحاج محمد ـ زعيم مسلمى الزنوج حاليا ـ عاملا بسيطا فى ديترويت فى ذلك الوقت . وقد اقتنع بتعاليم الاسلام التى يدعو اليها فارد وأصبح محمدا الذى كان اسمه « بول » فى ذلك الوقت الذراع اليمنى لفارد

والحاج محمد زعيم مسلمى الزنوج اليوم ورائدهم هناك : اسمه الحاج محمد وليس له لقب ولا يحمل لقبا فان القاب الزنوج الامريكيين انما اختارها لهم الأسياد البيض فى فترة استرقاقهم ولذلك يكتفى الحاج محمد بهذا الاسم الذى اصبح علما عليه بعد أن تنازل عن لقبه وبقية اسمه

انتشار الاسلام بين الزنوج

وبدأت الدعوة الى الاسلام تنتشر بين الزنوج فى ديترويت ، وفى عام ١٩٣٣ اختفى فارد فجأة ولم يعلم احد أين ذهب ومنذ ان اختفى والحاج محمد أخذ على نفسه عهدا بامامة المسلمين فاصبح زعيمهم الروحى وبدأ كثير من الزنوج ينضمون الى الجمعية الجديدة التى كونت وعرفت باسم « الزنجى المسلم » غير ان لهذه الجمعية عادات وتقاليد بحاجة ماسة الى الرعاية الدينية الصحيحة وسأتعرض لذلك فيما بعد .

وعند ما سئل الحاج محمد يوما عن مشكلة الزنجى المسلم أجاب : بان حقيقة المشكلة التى يعانيها الزنجى المسلم فى امريكا هى الشعور بالعزلة والضياع فى ظل المجتمع الأبيض الذى يعيش فيه . ولذلك عمد الحاج محمد الى توثيق الروابط بين الاعضاء على أساس من شعور الايثار الدينى . وربط بينهم بقصد تحقيق هدف واحد مشترك هو اقامة دولة اسلامية فى امريكا

وفى ظل هذا الشعور تكتل الزنوج المسلمون. وأحسوا بان لديهم كيانا وبان لحياتهم هدفا .. ولا يقوم الحاج محمد بالتبشير للاسلام بين الزنوج . ولكن هذا الجو التعاونى من التراحم والمودة الذى أشاعه بين المسلمين لم يلبث أن اجتذب الألوف من الزنوج الاخرين فى أمريكا فدخلوا الاسلام وأصبحوا أنصارا للحاج محمد .

وعندما سئل ايضا عن عدد اتباعه من المسلمين : سكت قليلا ثم اجاب قائلا :

اننى لا أستطيع ان أقول عن عدد المسلمين الزنوج الان فى امريكا . لاننى لا اريد ان يعلم احد قوتنا الحقيقية ان كل ما أستطيع أن أقوله هو أن ٩٠٪ من العشرين مليون زنجى الذين يعيشون فى امريكا قلوبهم معنا . وانه يوم نعلن أسماء الأشخاص الذين انضموا الينا ستحدث حالة ذهول فى كثير من المدن الامريكية

٨٠ مسجدا

لقد اصبح لدينا الان ٨٠ مسجدا فى مختلف الولايات وانا اؤكد اننا قد أصبحنا منتشرين فى كل مكان من

الساحل الشرقى الى الساحل الغربى من الشمال للجنوب

وأملى ان نستطيع بناء جامع ضخم على طراز الجوامع التى شاهدتها فى القاهرة عام ١٩٥٩ وسنعمل على تحقيق هذا من الان

١٠٠ الف زنجى مسلم

وفى أمريكا جمعية اسمها « زهرة الاسلام » تدعو الى هدف واحد هو القوة : قوة الجسد . وقوة الاخلاق وبالتحديد : زهرة الاسلام ليست جمعية ولكنها تمثل فرع الشباب من جمعية « الزنجى المسلم » التى ينتمى اليها اكثر من ١٠٠ الف زنجى مسلم يدينون بالاسلام ويحافظون على شعائره « واليها ينضم محمد على كلاى بطل العالم فى الملاكمة الذى سأتحدث عنه فى فصل خاص فيما بعد » ويدفع كل عضو فى هذه الجمعية اشتراكا أسبوعيا قدره ٨ دولارات . واذا كان العضو فى رغد العيش فانه لا يضن بتبرعات اخرى . ومن هذه التبرعات والاشتراكات شيد الحاج محمد ٣٠ مسجدا من ٨٠ مسجدا فى انحاء امريكا كلها . كما اقام عدة مدارس فضلا عن قيام الجمعية بتقديم منح دراسية للطلبة المسلمين فى جامعات أمريكا . ويشرف على نشاط جمعية زهرة الاسلام : رايموند شريف صهر الحاج محمد . اما النشاط النسائى . فان الحاج محمد عهد به الى ابنته اتيل شريف كما ان للجمعية صحيفة تنطق باسمها هى صحيفة صوت محمد .

دستور جمعية الزنجى المسلم

وتؤمن الجمعية بوجوب تعليم الفتيات ولذلك أنشأت عدة فصول ومدارس لتعليمهن . منها مدرسة شيكاغو للبنات . وقد انشأت اثيل عددا من الفصول لتعليم السيدات المسلمات : الخياطة والكى والطهى وكيف يرعين بيوتهن

أما شباب زهرة الاسلام فان « رايموند شريف » يضع لتدريبهم خططا أكثر تعقيدا من الخطط التى تضعها زوجته أثيل لتعليم الفتيات

العادات والتقاليد

وقد نشأت جمعية الزنجى المسلم فى ظل الشعور باضطهاد البيض للزنوج . وفى خلال أزمة عام ١٩٣٠ تعرضت المظاهرات التى قام بها الزنوج الى عمليات قمع ارهابية سقط فيها عشرات من القتلى . ولم يتورع البوليس الامريكى عن استخدام الكلاب المدربة خلال هذه المظاهرات لينهش بها أجساد المتظاهرين الزنوج . فلما بدأ رايموند شريف فى تدريب شباب المسلمين : كان أهم ما عنى به تعليمهم كيف يدافعون عن أنفسهم .

ولذلك اقام فى كل مسجد تملكه الجمعية حلقة للرياضة يتعلم فيها الشبان الملاكمة والمصارعة اليابانية وكذلك قتال الكلاب . والرياضة البدنية كثيرا ما تصبح مزلقا الى الغرور وتطيح بصاحبها الى طريق الرذيلة ولذلك اصر رايموند شريف على ان لا يسمح بالتدريب فى حلقات المساجد الا لذوى الاخلاق الحميدة وأن يجرى تدريبهم جنبا الى جنب مع تثقيفهم الدينى

وفى احدى هذه الحلقات الرياضية كتبت لافتة تقول .

« قبل ان تمد ساعدك لتضرب خصمك يجب ان تقول الله اكبر » وانت لن تقول الله أكبر الا اذا كنت فى جانب الحق

« ممنوع شرب الخمر والتدخين »

وهذه الحلقات التى يتدرب فيها شباب زهرة الاسلام تحرم عليهم شرب الخمر والتدخين واذا ارتكب احد

محمد على كلاى بطل العالم .. واحد من الزنوج المسلمين

الاعضاء اية رذيلة فانه يبعد عن الجمعية لفترة قد تمتد الى خمس سنوات وبين هؤلاء الشبان الذين يبحثون عن القوة ـ قوة الجسد وقوة الاخلاق ـ نشأ كاسيوس كلاى الذى أعلن اسلامه وسمى نفسه محمد على كلاى الذى تربع على عرش الملاكمة

وعندما سئل زعيم المسلمين الزنوج يوما عن الاجراءات التى تتخذ عندما ينضم عضو جديد الى الجمعية ويصبح مسلما أجاب بقوله : ان اول خطوة هى ان يقلع عن التدخين وعن شرب الخمر . وعن تعاطى المخدرات . والخطوة الثانية ان يغير اسمه . ثم يستطرد ساخرا ان بعض الزنوج فى امريكا لايزالون يحملون اسماء ساداتهم السابقين .. اننا نشترط تغيير اسماء العبودية السخيفة واستبدالها باسماء اسلامية مثل على او شريف او حسن او محمد او احمد . وهذا التغيير ـ فى الحقيقة ـ له معنى سيكولوجى كبير جدا . اذ انه عندما يتخلى عن اسمه يتخلى فى الحقيقة أيضا عن عاداته السابقة . وبذلك يصبح من السهل أن تجعله أيضا يتخلى عن التدخين وشرب الخمر وتعاطى المخدرات

جامعة اسلامية فى شياغو

هذا وللمسلمين الزنوج فى شيكاغو جامعة يطلقون عليها جامعة الاسلام ولهم ايضا مدرسة خاصة حاول البيض اغلاقها ولكنهم لم ينجحوا فى محاولاتهم

وفى هذه المدارس يقوم اساتذة متخصصون فى تدريس المواد العلمية واللغات طبقا لاحدث البرامج المتبعة فى المدارس الامريكية وذلك الى جانب الدين الاسلامى

وتاريخ الزنوج فى الولايات المتحدة ونهضة الملونين فى افريقيا واسيا .

وللجمعية الاسلامية التى تضم زنوج امريكا من المسلمين والتى تسمى « الزنجى المسلم » لها جريدة تصدر مرة كل أسبوعين واسمها « صوت محمد » ويبلغ عدد

المشتركين فيها الان حوالى ٢٠٠ الف زنجي والى جانب هذا النشاط الثقافى يوجد عدد كبير من علماء الاجتماع الذين يقومون بعلاج مدمنى الخمر والمخدرات وقد نجحت الجمعية فى شفاء ٩٩٪ من الذين انضموا اليها من هذه العادات الضارة . وقد استعانت بعض المستشفيات الامريكية المتخصصة فى علاج الادمان بخبرة هؤلاء الاشخاص وتجاربهم فى هذا الميدان الهام

كلاى بطل العالم .. واحد من الزنوج المسلمين

ووسط هذه الجمعية وبين ربوعها وفى الحلقات الملحقة بالمساجد التى يتربى فيها الشباب تربية صحيحة ويتعلمون فيها كل ما ينمى فيهم قوة الجسد الى جانب قوة الخلق

وسط هذا الجو المفعم بالايمان نشا كلاى بطل ابطال العالم فى الملاكمة بعد ان تحدى بطل العالم السابق ليستون ، ووسط جمهور ضخم وبين مندوبى وكالات الانباء وكاميرات التليفزيون من جميع انحاء العالم فاز كلاى على ليستون فى مارس الماضى واعلن اسلامه ولم يسلم يومها بل اعلن يومها انه مسلم وانه تبرع بدخل مباراته التى ستتم بينه وبين فلويد باترسون لصالح اخوانه من المسلمين

محمد على كلاى بدلا من كاسيوس كلاى

وقد اعلن الحاج محمد زعيم المسلمين الزنوج فى امريكا تكريم كاسيوس كلاى بطل العالم فى الملاكمة بتسميته محمد على كلاى . وعندما علم كلاى قال : ان هذا شرف لى

وعندما اعلن كلاى عن اسلامه قال يومها :

ان الاسلام افضل طريقة لنشر السلام الدائم بين الناس فى العالم ثم قال : ان ٧٥٠ مليون نسمة فى العالم يعتنقون هذا الدين وانا احدهم وانا فخور بذلك . اننى اتلقى خطابات كل يوم من اخوانى المسلمين فى باكستان وافريقيا واسيا . ان الناس يقولون ان الاسلام دين الكراهية . ولكن الاسلام دين السلام . انه غير مسموح لنا بان نحمل السلاح . نساؤنا ملابسهم تغطيهم حتى الارض . اننا نصلى خمس مرات فى اليوم . نحن نسعى فقط للسلام فى جميع انحاء العالم . ان الله معنا واننا نريد رضاءه وان الاسلام هو السبب الاول فى انتصارى لان الله نصرنى بعد ان صليت وطلبت منه النصر

المجلس الاعلى للشئون الاسلامية يدعو كلاى

وقد وجهت الدعوة فى ٢٦ مارس ٦٤ الى كلاى لزيارة الجمهورية العربية المتحدة مرحبة به فى ارضها اخا عزيزا حافظ على ايمانه ولم يكتمه وكانت الدعوة من المجلس الاعلى للشئون الاسلامية وقد ارسلت اليه — يومها — نسخة من المصحف المرتل واسطوانات الصلاة وقد حضر للجمهورية العربية تلبية لرغبة اخوته من المسلمين الذين — شانهم شان جميع المسلمين فى العالم اعتزوا به واكرموه ورحبوا به ومكنوه من ان يرى حب الجماهير له عن كثب وزار الاماكن الاسلامية والمصانع والاثار والسد العالى وقام بعرض الملاكمة فى اجمل فنها بالقاهرة والاسكندرية وحضر كثيرا من حفلات التكريم التى اقيمت له من الهيئات الاسلامية فى البلد .

كلاى يعتقد ان الاسلام خير حل لمشكلة الزنوج

وقد قال كلاى انه اعتنق الاسلام عقب استماعه الى حديث دينى بالراديو القاه الحاج محمد زعيم مسلمى الزنوج بأمريكا . وقال ان عقيدته كمسلم ساعدته على ان يهزم سونى ليستون بطل العالم السابق وقال محمد على كلاى : انه يعتقد ان الاسلام خير حل لمشكلة الزنوج فى امريكا .. وان الدين الاسلامى يطلب من كل زنجى يعتنقه ان يعنى بنظافة بيته وان يؤمن بالله وحده وان يكون ادميا متحضرا وقال ايضا انه لا يوافق على تسمية المسلمين من الزنوج باسم المسلمين السود لان هذه تسمية خاطئة

كلمة لابد منها

هذه صورة سريعة عن المسلمين الزنوج فى الولايات المتحدة انهم يحاربون فى سبيل وجودهم ، يؤمنون بالله ورسوله ولكنهم فى الوقت نفسه يؤمنون ببعض المعتقدات التى لم ترد فى القرآن أو فى تعاليمه . وهذا جعل علماء الاسلام يتهمونهم بانهم غير مسلمين لان تعاليم الدين الاسلامى بوجه عام ليست واضحة تماما فى ذهن هؤلاء الزنوج .

بل ان الصحف الامريكية عند ما تكتب عن جماعة المسلمين الزنوج تقول دائما انهم ليسوا مسلمين كبقية مسلمى العالم وانهم ليسوا الا جماعة من الزنوج المتعصبين الذين ينادون بكراهية الجنس الابيض وبانهم يجب ان يفصلوا انفسهم عن الشياطين البيض وان تخصص لهم ولايات مستقلة وذلك كتعويض لهم عن المعاملة غير الانسانية التى تعرضوا لها خلال السنوات الماضية وايام العبودية السابقة وقد بالغت الصحف الامريكية فى مدى وصف كراهية الزنوج للبيض .

ولا يمكن ان يترك الامر هكذا لحملات التأييد والاتهام من الجانبين بل لا يمكن ان يترك الاسلام وسيلة للدعاية او وسيلة للتضليل

لابد ان تقال كلمة الحق فى هؤلاء المسلمين . هل هم مسلمون حقا وهل اسلامهم اسلام حقيقى ام لا ؟

لابد ان تظهر الحقيقة للناس لنعرف هل نقف مع هؤلاء الذين تربطنا بهم وحدة الدين ام نقف ضدهم لانهم يشوهون الدين ويستخدمونه لأغراض أخرى

اننى اطالب الازهر بان يحمل هذا العبء وان يقوم بهذا الواجب بل اطالب المسئولين عن الاسلام فى كل مكان بدراسة موقف هؤلاء الزنوج من المسلمين وايفاد البعثات اليهم حتى نعرف ما اذا كانوا على اسلام صحيح من عدمه وما اذا كان يمكن تصحيح اسلامهم او رفضه اما ان يترك الأمر هكذا لحملات صحفية يتردد فيها الاسلام ديننا الحنيف .. فهذا ما تاباه ويأباه كل مسلم متمسك باهداب دينه

وبعد

فهذه لمحة سريعة عن الاسلام فى امريكا بصفة عامة وبين زنوج امريكا بصفة خاصة اردت بها بيان ما استتر من عالم هؤلاء المسلمين وتكريما لبطل العالم محمد على كلاى الذى زارنا منذ قليل ولست اقصد ادنى هجوم على زنوج امريكا بل انا مسرور لسريان روح الاسلام فى شرايينهم وكل ما اطمع فى الوصول اليه هو تنقية اسلامهم من الشوائب وبراءته من الزيف حتى يكونوا خير دعاية للاسلام والمسلمين

واعتقد انى مع الراى القائل بوجوب الاستفادة من بعوث الدول الاسلامية الى امريكا وهم كثير وتجنيدهم فى أوقات فراغهم للذود عن الاسلام وعما يلصق به من التهم وشرح مبادئه لزملائهم فى مختلف المعاهد والجامعات فمعنى ذلك رعاية فى نفس الوقت لأوطانهم العربية والاسلامية رعاية صحيحة قوامها سمو الاخلاق والمبادىء الانسانية التى ندين بها نحن سكان البلاد الاسلامية واخيرا ارجو ان أكون قد وفقت فى نقل صورة واضحة عن مسلمى الزنوج فى امريكا

والى ان التقى معك لك منى اجمل التحية .

حديث مع

محمد على كلاى

بطل العالم فى الملاكمة

- الفضل فى انتصارى .. نداء الله أكبر ... الله أكبر
- حراب الصهيونية لم تمنعنى من إشهار إسلامى .
- انى فخور بوجودى فى بلد الرئيس المؤمن جمال عبد الناصر
- أسلمت لأنى شعرت بأن الإسلام دين المساواة .

إعداد:
عبد العظيم ملوك

كلاى يتسلم هـديه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية من الاستاذ محمد توفيق عويضـه السكرتير العام
(تصوير رجب على)

الله اكبر ٠٠ الله اكبر ٠٠ هذا النـداء السماوى الذى يرفعه المؤمنون بالله فى كل وقت وحين فى السراء والضراء حينما هتف به محمد على كلاى وهو على حلقة الملاكمة انتزع بهذا النداء بطولة العالم فى الملاكمة هكـذا حدثنى محمد على كلاى عن ايمانه بالله فهو يردد هذا النداء بل هذا الشعار حينما يقدم على أمر ذى جلل فحينئذ ينصره الله ويحقق له ما يريد فهو حينما يشعر بالخطر ينادى من اعماق قلبه الله الكبير الذى لايعلو عليه احد ـ سبحانه وتعالى جل شانه ـ فياخذ بيـده وينصره على من يعاديه ٠ ٠

بهذا الايمان القوى النابع من القلب المؤمن حدثنى البطل المؤمن عن سر انتصاره على الملاكم الشرير ليستون وبهذا الحديث النابع عـن ايمان حقيقى أخذتنى الدهشة والعجب وأخذت أبحث فى الماضى السحيق حينما كانت الجيوش العربية الاسلامية تقدم على أمر ذى جـلل تهتف الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد للـه كثيرا ٠٠ صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا اله الا الله محمد رسول الله ٠

واستيقظت من هذا الخيال البديع الـذى ربطنى بالماضى والحاضر على صيحات البطـل وهو يهتز ذات اليمين وذات الشمال قائـلا

ـ الله اكبر الله اكبر ـ بهذا نصرنى الله ولم يكن فنى فقط عامل انتصارى بل حبى لدينى وايمانى بربى والتفانى فى عقيدتى وأملى فى اسلامى ٠٠ حافزا لتحقيق انتصارى

وفى وسط الملايين من البشر وفى أكبر معقل من معاقل الصهيونية ٠ وبعـد أن حقق الله نصرى اعلنت على الملأ اجمع اسلامى فاهتزت عروشهم وأخذت صحفهم واداعاتهم تعلن الهجوم على بل واتهمونى بالجنون ٠٠ وحاولوا سحب البطولة منى ولكن الله سبحانه وتعالى رد كيدهم الى نحـورهم فلم يستطيعوا معى شيئا ولينصرن الله من ينصره ان اللـه لقوى عزيز ٠٠

* كيف اسلم ؟

وهنا خطر على بالى سـؤال عن قصـة اسلامه ٠

فحدثنى قائلا :

ترجع قصة اسلامى الى هذا الرجـل ـ وأخرج من جيبه صورة ـ الرجل المـؤمن الحاج محمد ألاجا زعيم المسلمين بأمريكا ٠٠ لقد قابلته منذ أربعة سنوات مضت وبضعة شهور وكنت حائرا كملايين البشر من الزنوج الذين يعيشون فى أمريكا يكتنفنا الجهـل والغموض والاستعباد والخوف من الحـاضر

كلاى يضع باقة من الزهور فوق النصب التذكارى لشهداء بورسعيد . (تصوير رجب على)

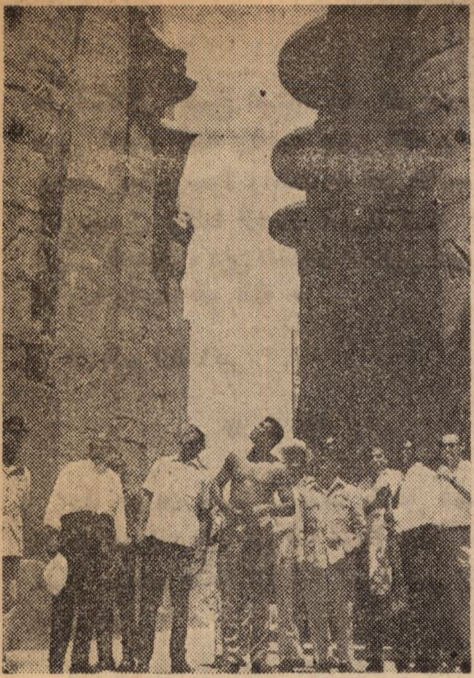

كلاى يشاهد آثار القدماء بالاقصر « تصوير رجب على »

والمستقبل حياة كئيبة لايعترف بنا البيض فهم أسيادنا ونحن عبيد محرومون من كل ما اكتسبه الانسان على ظهر البسيطة محرم علينا ماهو محلل لهم كأنما خلقوا من طينة أنقى من الطينة التى خلقنا منها علينا أن نحرث الأرض ونتنج الثمر .. وهم يأخذونه ولايبالون بنا .. بل يعطوننا القليل وكأنه منحة يمنحونها ايانا أو هبة يغدقونها علينا ، علينا ان نعمل ونكدح بلا مقابل .. واذا تحدث أحدنا أخذت سياطهم تلفح ظهورنا ووجوهنا واذا تكلمنا لنطلب حقا من حقوقنا أطلقوا علينا الكلاب تنهش أجسادنا ... ورمونا فى السجون بين غياهب القبور .. بل لم تأخذهم الرحمة بنا وبنسائنا وأطفالنا فحرموا علينا ما أحلوه لأنفسهم .

هذا الحقد والبغض والكفر بالله وبانسانية الانسان دفعنى الى التفكير فى منجى من هذا وقابلت الحاج محمد الاجا فأخذ يحدثنى حديثا كله مودة وحب واخاء عن الاسلام

دين العدالة .. دين المساواة .. دين الرحمة دين الحب ... دين الفطرة .. دين السماء يحدثنى عن مبادئه عن تشريعاته .

✻ « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

« كلكم لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم عند الله أتقاكم »

« لافضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى »

« ذلك نحن لانعبد محمدا .. وانما نعبد رب محمد

ذلك ان محمدا يموت ، ولكن الله حى لا يموت .. فالحى هو الجدير بالعبادة ، أما من يموت فلا يستحق أن يعبد .

هذه هى الينابيع المقدسة التى يتبعها اتباع محمد الاجا ينابيع مستمدة من القرآن الكريم الكتاب المقدس انزله الله على خاتم الانبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ..

والسنة الحكيمة .. وأقوال الخلفاء الراشدين والصحابة فعرفت ان دين الاسلام دين سماوى ، أرسل الله محمدا به ليهدى الناس وليخرجهم من الظلمات الى النور بعد ان عم الكفر والشرك بالله واستعبد الانسان اخاه الانسان .

وعرفت أن هناك الها واحدا « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »

وعرفت ان اخواننا الزنوج يعانون ماكان يعانيه المستعبدون فى الجزيرة العربية وهنا أطلقت الشهادتين « أشهد أن لااله الا الله وان محمداً رسول الله » واخذت أتردد

على أستاذى الشيخ استمد منه المعرفة والعلم حتى آمنت بالله وأمنت بدين الله وامنت بمحمد نبيا ورسولا وآمنت به آخر الأنبياء والرسل وكلما ازددت قربا ازداد حبى لدينى الجديد ، دين السماء .. دين لايعرف الا الها واحدا هو الله .

الله اكبر الله اكبر

* * *

حقا ان الله حتما سيقذف بالحق على الباطل فيبطله وان كل فئة مؤمنة مهما كانت قليلة ستغلب حتما كل فئة كبيرة غير مؤمنة بأذن الله

هذا هو اشراق النور الذى اشرق فى قلب البطل محمد على كلاى .. ولابد أن يشرق هذا النور فى قلوب العالم أجمع .. انه دين الفطرة

واستطرد البطل قائلا لقد تحرقت شوقا وحنينا لزيارة اخوانى .. المسلمين فى أفريقيا والجمهورية العربية المتحدة خاصة وقد ضقت زرعا بالبيض وأعمالهم الكريهة فرحلت واستقبلت فى نيجيريا واكرا استقبال الأخ لأخيه وشعرت انى بين اخوانى وأهلى وأحبائى ثم طرت الى هنا الوطن الأم ، بلد الاسلام المقدس ، بلد حامى حمى الاسلام بلد جمال عبد الناصر .. ان الحاج محمد الاجا كان يحدثنى قائلا ان فى الجمهورية العربية المتحدة أناس يعيشون على المبادىء السامية والمثل العليا : هم المسلمون الحقيقيون الذين أذهلوا العالم كله بثورتهم المباركة التى انبثقت فى فجر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وفعلا تحقق حلم البطل واستقبلته الجموع الغفيرة فى أرض المطار استقبالا رائعا عبروا فيه عن اعجابهم وتقديرهم لهذا البطل المؤمن الذى صاح فى اكبر معقل من معاقل الصهيونية العالمية .. واعلن بأن انتصاره لايرجع الى فنه فقط بل يرجع الى ايمانه بالله وعقيدته الراسخة ألا وهى الاسلام .

وامضى عشرين يوما بيننا لم يشعر فيها باحساس غريب بل انه بين أهله واخوته من المسلمين الذين تلقوه واحتفلوا به كأخ كريم عزيز أعلن اسلامه فى جراة وصلابة ولم تمنعه حراب الصهيونية من كتمانه .

وخلال اقامته بيننا لم تهدأ له قدم فمن حفل تكريم الرياضيين الى آخر فى شبرد أقامة له المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ثم طاف بمعالم النهضة فى البلاد فزار السد العالى وتمنى ان يحقق له السيد الرئيس جمال عبد الناصر حضور الاحتفالات القادمة بمناسبة الانتهاء من المرحلة الثانية ان شاء الله .. ثم زار الأهرام وشاهد عظمتها وتحديها للزمن ثم طلب من مرافقيه نقل حجر من أحجارها تمهيدا لأخذه معه الى أمريكا وفعلا تم له ما أراد . .

وقد قام البطل بزيارة العاصمة الثانية للجمهورية العربية المتحدة وقد استقبله الشعب الاسكندرى استقبالا حافلا كما قام البطل يعرض فائق فى الملاكمة مع اخيه عبد الرحمن كما طلب البطل زيارة الرئيس جمال عبد الناصر وقد تحقق له ما أراد وتكررت زيارته للرئيس

ثم زار المدينة الباسلة بور سعيد الخالدة التى صمدت أمام العدوان الثلاثى .

ثم طاف بمعالم نهضتنا الصناعية التى تشهد بتفوقنا فى هذا الميدان .

كما أدى صلاة الجمعة فى مسجد الحسين رضى الله عنه وزار معظم المساجد الكبيرة ..

وهكذا أمضى بيننا هذا البطل أياما شهد فيها مدى الحب العميق والارتباط الوثيق الذى يربطه باخوته واحبائه فى هذا البلد الأم وأعلن انه سينقل كل ماشاهده هنا الى اخوانه هناك وقد أخذ معه الصور والأفلام التى تصور مدى ماقوبل به البطل العظيم من ترحيب كبير واشتياق لرؤيته فهو المثل الأعلى للشباب وقد ودع شباب الجمهورية العربية المتحدة وممثلو الأزهر الشريف والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية البطل كما قوبل به من مظاهر التكريم وذهب ومعه حب الجماهير التى ما زالت تذكره .

مع القراء

يحرره حسين السكرى

عزيزى القارى : مع بزوغ فجر الحرية تشرق دائما شمس الحضارة وتنبعث الطاقات الهائلة المخزونة لتعمل فى صبر وايمان .. ويمضى الركب فى طريقه متسلحا بسلاح العزة والعزيمة مادامت هناك يد قوية تحمل المشعل وتنير له الطريق

ابطالنا فى اليمن :

السيد / عبد العزيز ابراهيم اسماعيل ـ المرشد الدينى المجند باليمن

لا يغيب عن الذهن أن الأمة تعتز بأبطالها لانهم رمز مجدها ودليل قوتها .. وأنت واحد من هؤلاء الأبطال الذين تفخر بهم الأمة وتحيى فيهم تلك الروح الوثابة لاسيما وأنك تسهم فى ذلك الميدان بنصيبين .. الارشاد الدينى وقتالك للعدو .. فنحن نتطلع اليك ونشدد على يديك .

الجمعيات الخيرية :

السيد / محمد عبد الرحمن السحرتى ـ ترزى ومراسل صحفى بميت غمر :

تأكد أننا ما دمنا نسير بهذه الخطى السريعة نحو التقدم والكمال فسيأتى حتما اليوم الذى نستكمل فيه كل أسباب السعادة وحب الخير للجميع .. واذا كانت هناك جمعيات خيرية تحمل هذا الاسم ـ كما تقول ـ ولا تعمل للصالح العام فلابد أنها ستنقرض ويحل محلها ماهو أبقى وأنفع للناس لأن البقاء للأصلح

هزيمة الضلال :

السيد / محمد عبد السلام عطا ـ ناظر مدرسة النصر بالزقازيق :

لا جدال فى أن العمل الجيد يفرض نفسه فى كل مكان مهما طال عليه الأمد .. لهذا فقد رأت المجلة أن تنشر مسرحيتكم (هزيمة الضلال) ليعلم القراء جميعا أننا لا نبخل بالنشر على أحد وأننا نرحب بالمواهب ونشجع الملكات

المرأة والقضاء :

السيد الدسوقى عباس ـ معهد المحلة الدينى الثانوى :

نحن لا ننكر أن المرأة أسهمت بنصيب وافر فى كثير من الأعمال .. فاترك الأيام وحدها تقرر صلاحيتها أو عدم صلاحيتها لمنصب القضاء ولا تسبق الزمن وتتعجل الأحداث .

شعر أم نثر ؟

السيد / على مصيلحى عبد الرازق ـ واعظ أم الحويطات بالبحر الاحمر :

لست أدرى هل هذا شعر منثور أم نثر مشعور ؟ لان ماكتبته لا يمت الى الشعر بصلة كما أنه لايعرف النثر من قريب أو بعيد .. حتى اذا أمكننا أن نتسامح فى القافية والوزن فلا يصح أبدا أن نلحق هذا الكلام بالشعر الحديث .

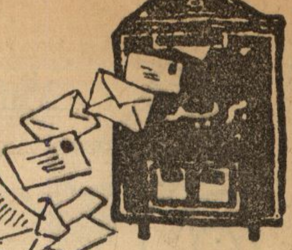

بريد التعارف

الاسم : غزال عبد الهادى الصفتى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٦ سنة
المهنة : عامل انتاج بمصانع الغزل الرفيع بكفر الدوار
الهواية : المراسلة وتبادل المناظر الطبيعية
العنوان: كفر الدوار - بحيرة - كفر سليم

الاسم : حجاج عبد الحميد أحمد عثمان
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : براد بالشركة القومية لانتاج الاسمنت بحلوان
الهواية : لعب الكرة الطائرة والتنس ودراسة الكتب الاسلامية
العنوان: خط حلوان - طره الاسمنت

الاسم : مهتاد حسن
البلد : المغرب الاقصى
السن : ٣٠ سنة
المهنة : طالب بمدرسة المعلمين
الهواية : المراسلة والاهتمام بالنواحى الادبية والفنية والدراسة التربوية والثقافية
العنوان: حى الفرح - زنقة ٨ب رقم ٧٩ مدينة الدار البيضاء

الاسم : محمد عبد المجيد بلعم
البلد : ليبيا
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وقراءة الصحف والمجلات وجمع الصور
العنوان: المركز الليبى للتربية الاساسية ليبيا - الفدبهات، بنغازى

الاسم : ابراهيم ابراهيم ابو عيشة
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٤ سنة
المهنة : كلية الدراسات العربية جامعة الازهر
الهواية : قراءة الكتب الدينية ومراسلة الشباب المسلم
العنوان: ابشواى الملق مركز قطور غربية

الاسم : عبد العظيم محمد عبد اللطيف
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة والاطلاع الديني والقومي وجمع الطوابع
العنوان: اسيوط ش محمد على مكارم منزل سيد هريدى

اقرأ فى هذا العدد :

صفحة

معالم الطريق ... ٣

زعماء العالم الاسلامي فى القاهرة ... ٨

العيد القومى التونسى ... ١١

حديث مع القائم باعمال سفارة اليمن ... ١٣

نحو تنظيم سياسى جديد ... السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية ... ١٥

باب التفسير ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ٢٤

باب السنة ... فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ... ٢٩

سل نفسك ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ٣٦

من حضارة الاسلام ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ... ٤٠

خطأ وقع فيه كثير من المسلمين ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ... ٤٦

باب الفقه الاسلامى ... الدكتور محمد سعاد جلال ... ٤٩

ملامح النصر فى جبين الثورة ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ٥٣

شوقى والشباب العربى ... الدكتور احمد الحوفى ... ٥٧

خواطر مستشار ... المستشار علي على منصور ... ٦٤

حق الدوام فى الملكية الفردية ... الدكتور على عبد الواحد واف ... ٦٨

الجذور الاسلامية فى الميثاق ... الاستاذ البهى الخولى ... ٧٠

الجسم والنفس ... الدكتور احمد فؤاد الاهوانى ... ٧٥

هلموا الى الينابيع الصافية ... الاستاذ عبد الله المراغي ... ٧٨

دعوة الميثاق الوطني ... الاستاذ حسني عبد المجيد ... ٨٠

نفحات زكية من المغرب العربي ... الاستاذ اسحق موسى الحسينى ٨٤

من اعلام التعريف بالاسلام ... الاستاذ انور الجندى ... ٨٨

اللغة العربية ... الاستاذ كامل البدرى ... ٩٣

ايامنا الخالدة ... الاستاذ محمد صبيح ... ٩٨

الاحسان فى الاسلام ... الاستاذ محمد عطيه الابراشى ... ١٠٤

من وحى ذكرى المولد الشريف ... الدكتور سعد الدين الجيزاوى ... ١٠٦

نفح العبير فى مولد البشير النذير ... الاستاذ على الجندى ... ١٠٩

حب عارم ... الاستاذ محمد امين هلال ... ١١٣

حول قانون العقوبات الجديد ... الاستاذ محمد فاوى عسر ... ١١٨

حياة الفر الشهابى ... الاستاذ محمد عبدالجواد الأصمعى ... ١٢٠

حديث السيف ... الاستاذ محمد فرج ... ١٢٣

التعايش السلمى والاسلام ... الدكتور عز الدين فوده ... ١٢٨

دراسات فى التاريخ الاسلامى ... الاستاذ احمد ابراهيم الشريف ... ١٣٠

من ذخائر المكتبة الاسلامية ... الاستاذ محمد بهى الدين سالم ... ١٣٤

صفحة

الاحتفال بالمولد النبوى فى التاريخ	الاستاذ حسن الشيخة	١٣٨
عبد الناصر صانع السلام	الاستاذ كامل عبد المجيد	١٤١
فلسطين مهبط الانبياء	الاستاذ على الجمبلاطى	١٤٤
حول الامبراطورية الاسلامية	الدكتور جمال الدين الرمادى	١٤٨
النقد الذاتى فى الاسلام	الاستاذ محمد الشرقاوى	١٥٠
قصة يوسف الصديق	الاستاذ بهاء الدين القبانى	١٥٤
الاسلام بين العقل والنقل	الاستاذ محمود ابو الفيض المنوفى	١٥٧
عصر السد	الاستاذ محمد عبد العزيز	١٥٩
الامام الزمخشرى	الاستاذ محمد سيد جاد الحق	١٦١
ذكرى مولد الهدى والنور	الاستاذ عبد الحميد بلبع	١٦٣
من أعلام الاسلام	الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى	١٦٨
من الميثاق	الاستاذ محمد فتحى محمود	١٧١
ضوء على الاسلام فى افريقيا	الاستاذ عبده بدوى	١٧٤
مؤامرة على التاريخ	الدكتور أبو الوفا عبد الآخر	١٧٦
الاحتفال بالمولد النبوى	سماحة السيد مبشر الطرازى	١٧٨
من اعجاز القرآن	الدكتور حفني شرف	١٨٣
محمد المجاهد	الاستاذ عبدالعال شعيب	١٨٧
التعاون فى الاسلام	الاستاذ منصور حامد نسيم	١٨٩
باب العلم	الدكتور أنور عبد العليم	١٩٢
با بالفن	الدكتور احمد سعيد الدمرداش	١٩٥
جامع الجيوشى	الاستاذ محمد وصفى	٢٠٢
باب الشعر	الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل	٢٠٧
فى رحاب النور	الشاعر عبد الله شمس الدين	٢١٢
مولد الرسول	الشاعر موسى جلال أحمد موسى	٢١٣
باب القصه	الاستاذ حسنين القبانى	٢١٥
من سنا احمد « مسرحية »	الاستاذ محمد عبدالسلام عطا	٢٢٢
باب الافتاء	فضيلة الشيخ حسن مامون	٢٢٦
ندوة الشهر	اعداد عبد الرحمن الشربينى	٢٢٩
باب المراة المسلمة	اعداد عائشة حسنى ـ نجاة الزنيرى	٢٣٥
باب التحقيقات		٢٤٢
حديث مع كلاى	اعداد عبد العظيم ملوك	٢٤٨
مع القراء	اعداد حسين السكرى	٢٥٣
يريد التعارف		٢٥٤

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

اسطوانات المصحف المرتل

وعددها ٤٤ اسطوانة

مجموعة اسطوانات الصلاة

وتحتوى على ٧ اسطوانات شاملة الأذان والوضوء والصلوات الخمس

٧٦ شارع الجمهورية
ت ٩١١٧٠٨
القاهرة .

ترقبوا..

سلسلتى

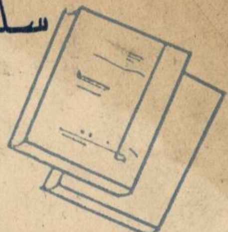

فى منتصف كل شهر عربى

كتب اسلامية
دراسات فى الاسلام

تضمن الحصول على مكتبة اسلامية جامعة بأقلام أساتذة متخصصين

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مطابع شركة الاعلانات الشرقية